شلومو نكديمون

الموساد في العراق ودول الجوار

انهيار الآمال الإسرائيلية والكردية

ترجمة : بدر عقيلي





شلومو نكديمون

الموساد في العراق ودول الجوار

انهيار الآمال الإسرائيلية والكردية

ترجمة : بدر عقيلي



إصدار

دار الجليل للنشر

والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمان ـ ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧ ـ ٦٧٥٦٢٧

تلكس ٢٢٠٣١ ـ فاكسميلي ٦٨٣٦٦٨

شلومو نكديمون

الموساد في العراق

انهيار الآمال الاسرائيلية والكردية

رقم التصنيــــف : ١٢ر٣٢٧
المؤلف ومن هو حكمه : شلومو نكديمون ، ترجمة بدر عقيلي
عنــوان الكتــاب : الموساد في العراق : انهيار الآمــال الاسرائيلية والكردية
الموضــوع الرئيــسي : ١- العلوم الاجتماعية
٢- الجـاسـوسيـــة
رقـــم الايــداع : (٤٠٨ / ٣ / ١٩٩٧)
بيـــانـات النشـــر : عمـــان : دار الجليــل
* - تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الاجازة المتسلسل ٣٤٠ / ٣ / ١٩٩٧

رقم الايداع لدى
مديرية المكتبات و الوثائق الوطنية
٨٠٤ / ٣ / ١٩٩٧

تصميم الغلاف: أزمنة

الطبعة الأولى
١٩٩٧

دار الجليل للنشر
و الدراسات و الابحاث الفلسطينية - عمان
ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١ فاكسيملي ٦٨٣٦٦٨

שלומו נקדימון

תקווה שקרסה

חשיפה ראשונה "פעילות המוסד " בעיראק

Shkomo Nakdinon

A hopless Hope

Translated

Badr oqaily

First Edition

1997

Published by :

DAR EL- JALEEL

For Publishing and Palestinian Research and studies - AMMAN

P.o.Box 8972 Tel. 667627

Telex 23031 Fax . 68366

شلومو نكديمون

◆

الموساد في العراق
ودول الجوار

انهيار الآمال الإسرائيلية والكردية

ترجمة : بدر عقيلي





إصدار

دار الجليل للنشر

والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمان - ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧ - ٦٧٥٦٢٧

تلكس ٢٢٠٣١ - فاكسميلي ٦٨٣٦٦٨

تقديم:

لانلقي بالاً، للهالة الاعلامية، التي يضفيها ساسة وعسكريو وصناع القرار في اسرائيل، على اجهزة امنهم ومخابراتهم، ذلك انها اخفقت في كثير من الحالات باستشراف الاحداث، واوقعت اسرائيل في مآزق، بلغ بعضها احياناً، حد كسر العظم، ومع ذلك، فاننا لا نستخف بادائها، ونجاحاتها في احايين كثيرة، وخاصة جهاز الموساد، الذي امتدت اذرعته، الى داخل الوطن العربي.

والموساد، ليس ككل الاجهزة الامنية الاسرائيلية الاخرى، مع انه واحد من ثلاثية الشين بيت - الاستخبارات العسكرية - الموساد، التي تضم في جنباتها "النخبة" من الاسرائيليين، وترتبط مباشرة مع رئيس الوزراء، وتنفذ سياسة الدولة العبرية الارهابية، ليس في ميادين الاعداء فحسب، بل وفي دوائر ومؤسسات الاصدقاء، وصولاً الى نقاط تفيدهم في قادم الايام، لدى الدول المعنية.

نقول هذا، وبين ايدينا، كتاب يتحدث عن عمل الموساد في العراق، ايران، تركيا وربما سورية ايضاً، من خلال التغلغل الاسرائيلي في صفوف الاكراد في شمال العراق.

وفي تسويغهم لهذا العمل، يذهب الاسرائيليون الى الزعم، بأن ثمة قواسم مشتركة بين اليهود والاكراد، فكلا الشعبين مضطهدان، وتعرضا للكوارث، وتشتتا بين البلدان في العالم.

ان الحقيقة التي لا تقبل الجدل، ان حكام اسرائيل، لا "ينحدرون" الى مجرد التفكير في منحى يعتقدون انه انساني، الا بالمقدار الذي يؤمن مصالحهم، ويضمن لهم

نتائج تصب في قنوات اهدافهم. وفضلاً عن سياسة "فرق تسد" التي يضعونها في رأس سلم اهتماماتهم، فهم حريصون على تعزيز النعرات الاقليمية والطائفية والانفصالية، ذلك انها كفيلة بخلق حالة من الضعف والتفكك وخاصة في الدول العربية.

ولعل اقرب مثال على ذلك، الاحصائية السكانية السنوية، التي تفرد ابواباً للمسلمين، الشركس، المسيحيين، الدروز، وكأن هؤلاء اصول عرقية ليست متجانسة.

ليس سراً، ان الموساد قدم خبراء واسلحة واموالاً للاكراد في العراق، فيما استقبلت اسرائيل البرزاني وعدداً من قادة الاكراد، وتعاونت معهم بشكل مكثف، لكن ذلك لم يكن من اجل سواد عيون الاكراد، انما تحقيقا لهدف ضرب الوحدة الوطنية العراقية، وتقسيم الدولة العراقية الى دويلات، هذه سنية، وتلك كردية، واخرى شيعية، وبذلك يتحقق لاسرائيل هدف اضعاف العراق، بصفتها من الدول التي اشتهرت بمعاداة اسرائيل بصلابة، حد اشتراك جيشها في كل الحروب العربية - الاسرائيلية.

لم تكن سياسة اسرائيل هذه ذاتية، بالمعنى المقصود، بل كانت نابعة من اصول استعمارية، جعلتها تدخل في محور واشنطن- طهران- اسرائيل، حيث كان شاه ايران يشكل قطب الرحى في المعادلة، خاصة في ظل العداء المستشري بين ايران والعراق، الامر الذي سهل مهمة اسرائيل التي لاذت بطهران، ورتبت معها مهمة الامداد اللوجستي للاكراد.

صحيح ان المسألة الكردية شكلت هماً لايران وتركيا، الدولتين التابعتين للغرب آنذاك، والدائرتين في فلك

الاستعمار الاميركي، لكنهما اصطفتا الى جانب الموساد، من اجل ضرب العراق، الذي شهد حينئذ تغيرات سياسية، وانقلابات متكررة.

لعل التعاون الاسرائيلي - الكردي، معروف، وتناقلت اخباره وسائل الاعلام المختلفة، بيد ان الكتاب الذي بين ايدينا، يكشف النقاب عن اسراره وخفاياه، وبقلم اسرائيلي لا يتطرق اليه الشك، وان كنا نعتقد ان هناك معلومات مازالت طي الكتمان، ذلك انها تتصل باشخاص ما يزالون يعملون جنباً الى جنب مع الاكراد، حتى ايامنا هذه.

لعل الملفت للنظر في قضية الاكراد، ان شاه ايران انقلب عليهم، عندما وقع اتفاقية مع العراق، حول عدد من القضايا العالقة بين الدولتين، وهذا الموقف الايراني لم يأت من فراغ، بل جاء نتاجاً لاتفاق بين واشنطن وطهران، حينئذ، ولم تنفع استجداءات البرزاني لواشنطن، او طهران، او حتى الموساد.... ذلك ان السيد يقول بهذا.

لسنا مع مصادرة حرية الانسان، والتنكر لحقوقه ومعتقداته، اما ان يكون موضوع الاكراد، ورقة مساومة او ضغط، فذلك ابعد ما يكون عن الاصول الدينية الاسلامية، التي يتمسكون بها، ندافع عن حريتنا وكرامتنا، ولا نتنكر لديننا، ونستقوي باعداء العرب والمسلمين ضد بلدنا وامتنا.

ربما كان الاكراد قد ظلموا، وهضمت حقوقهم، لكن المطالبة بالانفصال عن جسم الدولة العراقية، تفتقر الى الموضوعية، ذلك انهم جزء لا يتجزأ من امة الاسلام، التي تحرم شريعتها التفرقة بين ابناء الامة الواحدة.

ان الموساد وهو يصطاد في الماء العكر، يجعل من قضية الاكراد مسألة تدخل في المنحى الانساني، ليتخذ

منها جسراً، نحو تفتيت الوطن العربي، وهو قد نجح في ذلك، ولازال يواصل محاولاته في العراق، تركيا، ايران، وغيرها لانه يؤمن بأن التلاقي العربي الاسلامي، يعجل في نهاية الدولة العبرية.

"الموساد في العراق ودول الجوار..... انهيار الآمال الاسرائيلية والكردية"، كتاب تأريخي مرجعي، يكشف النقاب عن خفايا واسرار التغلغل الاسرائيلي في موطن الاكراد، يرصد بالكلمة والصورة، واقعاً كنا نعرفه، ولكننا نفتقر الى الادراك الحسي لمحتواه، وهذا الكتاب يتولى هذه المهمة.

بدر عقيلي، مترجم الكتاب من العبرية الى العربية، واءم بين امانة الترجمة، واهمية المضمون، فجاءت حيثياته متناسقة، ليضيف الى المكتبة العربية، كتاباً هو الاول من نوعه، يحكي قصة الموساد مع الاكراد، ومرجعاً يعتد به، باعتباره اعترافاً موثقاً.

والله الموفق

اسرة دار الجليل

١٠-٤-١٩٩٧

مدخل :

لاننا يهود

امتدت قبضة ملاك الموت المخيفة في نهاية المطاف لتقبض روح العلاقة الاسرائيلية الكردية، تلك العلاقة التي تواصلت الاثنتي عشرة سنة، واتسمت بالتعاون المكثف، لتصل الى نهايتها في السادس من آذار ١٩٧٥، سقط الستار، وتوزع الممثلون كل في المكان الذي اختاره، او قيضته له ظروفه.

وخلال تلك السنوات الاثنتي عشرة قاد الملا مصطفى البرزاني التمرد الكردي، ضد حكومات العراق وجيشها، مرتكزا الى وفود المستشارين الاسرائيليين الذين لم يفارقوه، او يفارقوا معسكره، طيلة تلك السنوات.

وكانت طواقم الوفود الاسرائيلية تستبدل بصورة دورية، كل ثلاثة اشهر، ويترأسها بصورة دائمة احد رجال الموساد، والى جانبه ضابط في الجيش الاسرائيلي، ومستشار فني.

لقد ساعد المستشارون الاسرائيليون الاكراد في الصمود ازاء اخطار الدمار والزوال التي كانوا يتعرضون لها من قبل العراقيين. وحاول الاسرائيليون تعليم الاكراد اساليب الحرب الحديثة، كي يتمكنوا من مواجهة الضغوط الهائلة التي فرضت عليهم.

وفي الكثير من الاحيان كان الاسرائيليون يصطحبون معهم وفدا طبيا، والذي كان يسهم في معالجتهم، ومنح التمرد الكردي بعض نفحات الحياة، لاطالة عمره.

ان المساعدات الاسرائيلية التي قدمت الى الاكراد، لم تقم فقط على المصلحة الاسرائيلية، بل كان هناك فيها جانب انساني ايضا. وخلال جلسة لجنة الخارجية والامن الاسرائيلية، عقب الدكتور (زيرح فرهفيتج) احد رؤساء كتلة الاحزاب الدينية الوطنية على التقرير الذي قدمه رئيس الحكومة اسحق رابين، بشأن المساعدات المقدمة للاكراد بالقول: انني اعتقد ان مساعداتنا للاكراد تأتت على ارضية رغبتنا في مد يد المساعدة لاقلية في نضالها. وقد عقب رابين على هذه الحملة بالقول: هذا لاننا يهود.

* * * * * * * * * * * *

كانت المساعدات الاسرائيلية رهنا بمدى استعداد الايرانيين لقبول هذه المساعدة، ولمدى التعاون القائم بين اسرائيل وايران، ذلك القبول والتعاون القائمان

على العداء المتواصل والمستعربين العراق وايران.

وبدا بوضوح للاسرائيليين ان ذلك العداء لن يستمر الى الابد، وفي اللحظة التي تتوصل فيه الدولتان لاتفاق، فان نهاية التمرد الكردي ستصبح محتومة. وهذا ما حدث بالضبط في الجزائر، في السادس من اذار ١٩٧٥ حينما وقع شاه ايران محمد رضا بهلوي على اتفاقية مع صدام حسين، الذي كان يحتل ظاهريا منصب الرجل الثاني في النظام العراقي، وعلى الصعيد العملي، كان هو الرجل القوي، والذي يقبض على زمام الامور في حزب البعث.

لقد اتاحت الاتفاقية -آنفة الذكر- لايران فرصة السيطرة على شط العرب، تلك المنطقة التي تعتبر شديدة الحيوية للتجارة في الخليج، وذلك مقابل كف الايرانيين يدهم، ووقف تقديم المساعدات للمتمردين.

وهكذا نزل الستار في نهاية المطاف على التمرد الكردي طويل الامد، وانهارت الامال الكردية في نيل شبه الاستقلال.

وفي التاسع من اذار ١٩٧٥، قال رئيس الحكومة اسحق رابين، لوزراء حكومته: لقد توصل الايرانيون والعراقيون الى اتفاق ينص على التخلي عن الاكراد.

كان التعاون الايراني الكردي الامريكي الاسرائيلي، في تلك الاونة، في ذروته، وجاء الاتفاق مفاجئا تماما لجميع تلك الاطراف، بما فيها (الموساد) الاسرائيلي، الذي كان يعمل بتنسيق تام مع جهاز (السافاك) الايراني الذي يعتبر مماثلا في اهدافه للموساد الاسرائيلي.

بل ان الامريكيين الذين كان الشاه يهيب بهم، في كل مناسبة، كي يقدموا المساعدات للاكراد، لم يكونوا على اطلاع على سر الاتصالات الجارية بين صدام حسين والشاه، وان يكن الشاه قد المح اليهم بهذا الصدد. وكذلك البرزاني الذي كان آنذاك موجودا في ايران، فوجىء تماما بالاتفاق.

****

لقد وضع اتفاق الجزائر نقطة الختام للتمرد الكردي، واهار (جيش) التمرد الكردي.

وتوجه قائد التمرد للعيش في المنفى وفي عام ١٩٧٩، توفي بعد ان اكلته خلايا السرطان التي استشرت في جسده. ولم تمض سوى عدة شهور، حتى توفي الشاه ايضا والذي اطاحت به في تلك الاونة ثورة الخميني. بنفس المرض الذي قضى على البرزاني.

****

ان هذا الكتاب يتطرق باسهاب الى قصة المساعدات الاسرائيلية للمتمردين الاكراد في العراق ونظرا لعدم وجود ثغر بحري لكردستان، ووقوع جميع المطارات الموجودة في اراضيها تحت السيطرة العراقية، فان الدخول اليها يصبح مستحيلا، الا اذا تم عبر المدن المحيطة بها: تركيا، او سورية او العراق، او ايران، او ارمينيا، وهو الامر الذي جعل تقديم اسرائيل للمساعدات، رهنا برضى ورغبة ايران.

ومن الجدير بالذكر، ان اسرائيل درست، في اعقاب توقيع اتفاقية الجزائر، امكانية تقديم المساعدات الى الاكراد بصورة مستقلة، بيد انها سرعان ما ادركت استحالة ذلك.

ان رواية بدء وانهيار التعاون الاسرائيلي الكردي خلال الفترة الواقعة بين الاعوام ١٩٦٣ - ١٩٧٥، مثلما يوردها هذا الكتاب، تقوم على:

* مقابلات مع رجال الموساد الاسرائيلي، الذين كلفوا بالاشراف المباشر على النشاطات والاعمال التي ستتم في كردستان، ومع عدد آخر من رجال الموساد، وضباط الجيش الاسرائيلي والطواقم الطبية التي عملت على ارض الواقع هناك. وقد وجدنا ان من الضروري ابقاء قسم منهم، طي الكتمان والسرية، وان نشير اليهم فقط، بالاحرف الاولى من اسمائهم.

* وثائق، لا زالت حتى وقتنا هذا سرية، ولا يجوز الكشف عنها.

* العديد من الكتب.

* التقارير التلي اوردتها وسائل الاعلام الدولية.

* الاراشيف الخاصة والعامة.

* مذكرات وثائق ورسائل، كتبها مستشارون اسرائيليون، ابان تواجدهم في كردستان.

هذا اضافة الى ان ديفيد كورن)، وهو باحث امريكي تعرف عليه ابان شغله لوظيفة رفيعة في السفارة الامريكية في اسرائيل، وضع تحت تصرفي تسع مقابلات، كان قد اجراها في واشنطن، مع مقربي البرزاني. وقد اتاحت لي هذه المقابلات، فرصة القاء نظرة اعمق على العوامل والاسباب والتقديرات التي وضعها قادة التمرد الكردي نصب اعينهم.

المؤلف

شلومو نكديمون

الفصل الاول

الكتاب المقدس لم ينفجر

بدا الملا مصطفى البرزاني في التاسع والعشرين من ايلول ١٩٧١ ثائرا، حد الجنون، واخذ يصرخ: لقد حاول هذا .... ان يقتلني... كان البرزاني يقف مهموما في القرية التي يسكن فيها، وهي قرية الحاج عمران، وهو ينفض التراب وبعض الحجارة العالقة بثيابه، ويشير الى جرح صغير في وجنته وقال: جاءوا الي في الساعة الرابعة والنصف مساء، وفجأة.... وسأله اثنان من القريبين منه من هم؟ فقال البرزاني: تسعة من رجال الدين جاءوا من بغداد.

كان السائلان يرتديان كالآخرين ملابس (الباش مرجا) - المتمردين - بيد ان منظرهما الغريب الى حد ما، وعدم وجود شنب في وجهيهما دل على انهما ضيفان. ولم يكن سوى البرزاني، واثنين او ثلاثة اشخاص من مقربيه في زعامة التمرد، يعلمون ان هذين الاثنين هما من الموساد الاسرائيلي: تسفي زمير، وناحوم ادموني.

وعاد البرزاني يصرخ ..... لقد اراد ان اقابل بعض رجال الدين، لانهم يحملون الي رسالة حول اتفاقية الهدنة، في الحادي عشر من اذار ١٩٧٠، وقد قدموا بسيارتين فاخرتين.. ودخلوا الي، فقدمنا لهم الشاي، وفجأة تدحرجت قنبلة وانفجرت، نعم، لقد فصل بيني وبين الموت طرفة عين. وفورا اطلقت رجال (الباش مارجا) النار عليهم وقتلوهم. وبعد لحظات انفجرت احدى السيارتين في الخارج. لقد كانت بمثابة مخزن للمتفجرات، وعثرنا في السيارة الاخرى على قنابل، وصواريخ جاهزة للانفجار.

لقد ارادوا ان يقتلوني، ويقتلوا الدكتور محمود عثمان الموجود معي، ثم يقتلوا ابني ادريس، وهذه المحاولة ليست الاولى لقتل ادريس، فقد حاولوا قتله في بغداد خلال العام الماضي، وكانوا ايضا سيقتلون مسعود...

ولم يكن ...... الذي يعنيه مصطفى البرزاني سوى ...... ، وبصورة عامة كان الايرانيون في نظره ايضا كلابا. بدا البرزاني شديد الغضب، فهناك هدنة سارية بين الطرفين منذ سنة ونيف، وهناك نقاشات وحوارات تجري، من اجل التوصل الى حل للمشكلة الكردية، مصحوبة باحلام تدور حول الحصول على حكم

ذاتي، وحضارة ولغة وتعاليم وادارة ذاتية، ومشاركة في الجيش والحكومة، وبدا، في تلك الايام، وكأن الحلم اخذ يتجسد ويتبلور رويدا رويدا. لكن هذا الحلم تصدع بصورة فجائية.

كان غضب البرزاني، هذه المرة، اكثر من اية مرة سابقة من المرات التي وقعت فيها ازمات بين الطرفين، واخذ يسأل زمير وادموني قائلا: ما العمل، ما العمل؟ في حين حاول الاثنان تهدئة روعه.

كانت تلك اللحظات، فرصة مناسبة جدا لايغار صدره، واذكاء نار العداوة فيه، لكن زامير قال له: ان القرار الاول والاخير هو قراره، اذ ان عليه ان يتأثر كثيرا، وان يدرس رد فعله جيدا، قبل ان يقدم على اي خطوة، لان جميع الخيارات، مفتوحة امامه.

****

انتشر نبأ محاولة اغتيال البرزاني انتشار النار في الهشيم بسرعة البرق، وتوارد زعماء التمرد الى مقر البرزاني، وهم يغلون من الغضب، قائلين: يجب ان يدرك صدام حسين، ان دمه ليس مستعصيا علينا.

اوكلت عملية "والى التراب ستعود" الى صادق، وهو خبير متفجرات كردي. فقام بدعوة عدة من اصدقائه الخبراء لحضور اجتماع في احدى المغائر الطبيعية، القائمة على منحدرات احد جبال قرية (الحاج عمران)، وكانت هذه المغارة، تستخدم كمصنع صغير للمواد المتفجرة. وقال صادق لزملائه: اننا نعتزم ان نفعل بصدام حسين، ما كان ينوي عمله بزعيمنا.

انضم صادق الى (الباش مرجا) في مرحلة مبكرة من حياته، وتبدى كقناص متميز جدا، وذي قدرة هائلة على فهم واستيعاب كل ما يحيط به. وقد ابدى اهتماما كبيرا بالمتفجرات، وتمكن من دراسه والتعرف على خباياها المختلفة بسرعة، ومن ضمنها التمييز بين انواعها، واصبح ضليعا في تركيب العبوات الناسفة، تقريبا من لا شيء. وكان يحظى بثقة البرزاني، واعتبر من القلة القليلة، التي كانت على اطلاع على هوية زمير وادموني.

حاول صادق ان يفهم الاسباب التي ادت الى فشل عملية اغتيال البرزاني في التاسع والعشرين من ايلول. وخلص الى استنتاج مفاده، انه ونظرا لان مجموعة علماء الدين جميعا قد قتلوا. فلا بد وان خطأ فنيا قد حدث. لقد سقطت القنبلة

من مخبئها في ملابس احدهم قبل الوقت المحدد. وادرك ان مجموعة رجال الدين، لم يكونوا في حقيقة الامر سوى مجموعة تصفية من عشرات مجموعات التصفية التي يديرها صدام حسين. وقل صادق: لقد حمى الله زعيمنا، وسيساعدنا نحن ايضا".

في الثالث عشر من تشرين الاول ١٩٧١ قدم الى قيادة البرزاني وزير المعارف العراقي، الدكتور احمد عبد السلام، عبد القادر، قادما من بغداد، وقال: منذ وقوع محاولات الاغتيال ضد البرزاني، ونائب الرئيس صدام حسين، يعمل بلا كلل او ملل، لكشف النقاب عن المخططين، وعن الجهة التي امرت بالتنفيذ، وقد امر جميع الجهات الامنية بالعمل ليلا ونهارا من اجل ذلك.

وقال الدكتور عبد القادر: ان صدام حسين يرى ان عملية الاغتيال هي مؤامرة دبرتها المعارضة العراقية لتخريب العلاقات الطيبة الاخذة بالتبلور بين العرب والاكراد وقد كلفني ان اقول لك انه لن يقر له قرار، حتى يكتشف الفاعلين.

كان الملا البرزاني يدرك، ان الفاعلين لن يكتشفوا للابد. بيد انه لم يكن انذاك يفكر سوى في اليوم الذي سيحرز فيه شعبة الاستقلال، حتى ولو كان استقلالا جزئيا، لذا قال للوزير، انني اقدر هذه اللفتة الكريمة، من نائب الرئيس، الذي ارسل الي رسولا رفيعا مثلك كي يعرب عن مشاعر الود تجاهي.

واضاف البرزاني: ان هذه الحقيقة هي دلالة على مدى استقامته، وكدلالة على الاحترام الذي أكنه له فانني ارجوك ان تسلم له هذه الهدية.

تناول الدكتور عبد القادر الهدية الملفوفة، في حين استطرد البرزاني قائلا: لقد عثرت بين كنوزنا الثمينة على كتاب مقدس قديم وهو كتاب تفسير للقرآن، وقد غطيت صفحات الكتاب بكتابة عربية صغيرة قديمة.

****

سافر وزير المعارف العراقي من قرية الحاج عمران عائدا الى بغداد. وفي الرابع عشر من تشرين الاول، استقبله نائب الرئيس صدام حسين.

قال عبد القادر لصدام حسين: لقد قدر البرزاني لفتتك حينما بعثتني اليه شخصيا، ورغم ذلك لا يجب ان تستخف بمشاعره واحاسيسه، فهو يعتقد ان مؤامرة الاغتيال من صنع يدك، بيد انه يدرك تماما محدودية قوته.

واضاف الدكتور عبد القادر: نظرا لان البرزاني يأمل في خروج خطة

واضاف الدكتور عبد القادر: نظرا لان البرزاني يأمل في خروج خطة الحكم الذاتي التي تم اقرارها في الحادي عشر من اذار الى حيز التنفيذ الفعلي، فقد اعطاني انطباعا بأنه يعتزم التغاضي عن محاولة الاغتيال وترك الامور تسير بوتيرتها القديمة، على الاقل حتى تعلمه بالنتائج التي ستخلص اليها لجنة التحقيق التي اعلمته بأنك شكلتها للتحقيق في قضية محاولة اغتياله. ويجب ان تعثر لجنة التحقيق على متهم ما لارضائه ومن الافضل ان يتم شنق احدى الشخصيات العراقية الرفيعة في الساحة المركزية في بغداد وبذلك ينتهي الامر.

واضاف الوزير، وهو يضع الرزمة الملفوفة على الطاولة: لقد بعث البرزاني اليك هدية، وقال لي: ان الهدية هي عبارة عن كتاب قرآن عتيق".

انبثق الحذر فجأة من عيني صدام حسين، واشار الى الوزير ان يفتح الهدية، وقال وهو يبتسم: لا تظن ان مصطفى البرزاني غبي... انه...". وفي اللحظة التي هم الوزير بتسليم الكتاب الى نائب الرئيس، سمع الانفجار، واندفع حرس صدام الى الغرفة، واطلقوا النار فورا على الوزير.

نهض صدام حسين من مكانه، والدماء تقطر من جرح صغير في وجهه وقال: قلت ان مصطفى البرزاني ليس غبيا، هذا الكلب.

* * * * * * * * * * * * * *

قدم الى مقر البرزاني في الخامس عشر من تموز ١٩٧٢ مراسل وكالة الانباء العراقية لاجراء مقابلة معه، وفتح جهاز التشغيل وبدأ يمطره بالاسئلة. ولسبب ما اثارت حركاته شكوك قائد (الباش مرجا) الذين يحرسون البرزاني، فطلب الاذن باعتقال الصحفي وتفتيشه. ولحسن حظ البرزاني، اتضح ان شكوك رئيس الحرس كانت في محلها، فقد اعترف الصحفي انه ارسل لقتل البرزاني. لقد اكد البرزاني ومقربوه انه افلت اكثر من مرة من محاولات الاغتيال. وكذلك اولئك الذين كتبوا سيرة حياة صدام حسين، اشاروا الى انه نجا مرات لا حصر لها من محاولات الاغتيال، بيد انهم لم يشيروا الى المرات العديدة التي دبر فيها عمليات الاغتيال، والعديد الذي لا يحصى من الضحايا الذين قتلهم من بين خصومه، بل ومن بين رجاله انفسهم.

الفصل الثاني

الحرية الوحيدة
هي ان نتنسم الهواء

كان المقدم يهودا بن ديفيد - نائب الملحق العسكري في السفارة الاسرائيلية في باريس، ومسئول الاتصالات مع الجهات الاستخبارية المحلية والاجنبية - ينتظر بفارغ الصبر اللقاء المنتظر مع شخص لم يتعرف عليه بعد، والذي كانوا يلقبونه "مسيو دي برنس" السيد الامير.

وتخيل بن ديفيد والذي كان قد تسلم منصبه منذ فترة وجيزة المنزل الذي يتوجه اليه قصرا فاخرا مترامي الارجاء. وخدما يرتدون الملابس البيضاء. ونبيذا معتقا من الاقبية والتحف والاواني المصنوعة من الفضة التي زينت بنقش وشعار العائلة المالكة التي ينتمي اليها الامير، والصحون القديمة من القرن الرابع عشر.

وكي يضلل مطارديه المحتملين اوقف بن ديفيد السيارة في الجادة الخامسة عشرة، على بعد قليل من القصر، واتجه من هناك سيرا على الاقدام بسرعة، حتى ذاب في زقاق كثير الضجة، ومعبر، تقع على بعد قليل من المكان الذي يندفع معه القطار التحت أرضي الى وجه الارض. ووجد بن ديفيد جميع التخيلات التي راودت خياله تتلاشى فجأة، لتترك محلها شعورا بخيبة الامل.

وفي مذكراته كتب بن ديفيد... قادني زميلي السابق في الوظيفة، الى منزل قديم وهناك شاهدت شخصا واقفا، بيد انني لاحظت ان كل حركة من حركاته تشير الى النبل. ولاحظت ان الشيب قد عزا فوديه، وشاربه الدقيق اما بنيته فقد بدت لي ثقيلة وطويلة الى حد ما، وابتسامة معلقة على شفتيه بين الانطلاق من فمه والسقوط الى ذقنه، وقد اخلى لنا الطريق بحركة تدل على انه يجيد فن الاتيكيت.

تقلص القصر المزعوم الى ممر صغير مقسوم بستارة، وغرفة واحدة ومطبخ، وكان هناك لوح من البلاستيك يقسم المطبخ الى نصفين، وحمام ودورة مياه. لم يكن هناك من دلائل النبل والاصالة سوى الاثاث الفاخر الذي فرش به الغرفة.

كانت المعلومات التي بحوزة بن ديفيد تؤكد ان مضيفه هو من سلالة

عائلة امراء كردية، وانه نفسه يحمل لقب امير. وانه في العقد الخامس من عمره، يمثل الاكراد في اوروبا، ذلك الشعب الذي فرقت بلاده بين خمس دول هي: العراق، وتركيا وايران وسوريا وارمينيا السوفياتية. وابناؤه يقاتلون من اجل نيل حريتهم واستقلالهم. لقد كان الناطق لابناء كردستان الذين رفعوا لواء التمرد.

ولا شك ان كل اسرائيلي اجتمع بالامير، بدير خان حتى ذلك الحين، سمع منه روايته ونظريته دفعة واحدة. وبعد ان تبادل مع بن ديفيد التحية، وقدم له كأس عصير، قال الامير: اريد ان تعرف المسبب الذي حدا بي للاتصال بكم، انتم الاسرائيليين، اننا -نحن الاكراد- نشبهكم الى حد ما. والشبه بيننا وبينكم، هو اننا ممزقون بين خمس دول، وان هذه الدول استخدمتنا، واستغلتنا لاغراضها الخاصة. ولا شك ان هذه الدول لم تكن تعتزم ولو مرة واحدة، بصدق، لمنحنا الحكم الذاتي، عداك عن الاستقلال. لقد بقينا حقا على اراضينا، بيد اننا طوردنا طيلة الوقت، وتوحدنا او تمزقنا وفقا لمصالح تلك الدول.

ويعقب بن ديفيد قائلا: بناءا على الخرائط، هناك تواصل اقليمي بين اراضي الاكراد الموزعة في الدول الخمس، وانتم تعيشون في مناطق تتسم بوجود العديد من المحاور والطرق الاستراتيجية، وكذلك الكنوز الاستراتيجية، مثل النفط، الم تستطيعوا التغلب بقوتكم على هذه الضغوط؟

فرد بدير خان قائلا: نعم، لكننا لا زلنا متخلفين بالنسبة للشعوب الاخرى، فيما يتعلق بالتبلور الوطني الحديث، لقد بقينا متمسكين في جميع الحالات والتقاليد القديمة المتوارثة، والاطر القبلية الضارة، والتي تعرقلنا وتوقع بنا الاضرار، كلما كان علينا ان نناضل ونقاتل.

لقد علم الواقع بدير خان ان العدل، والتحمل والايمان والقدرة الثقافية ليست كافية لهز دول العالم. بيد انه كان عاجزا عن تقديم مبادرة تسمح له باقناع هذه الدولة او تلك بالنضال من اجل الشعب الكردي في مواجهة السوريين او الايرانيين، او الاتراك او العراقيين، عداك عن الاتحاد السوفياتي، لذا لم يكن امامه سوى تحدي الشرق الاوسط بأسره، وكما هو وكان يقول لكل من على استعداد للاصغاء اليه: الويل لنا من شرق اوسط متجانس يخضع لسيطرة حركة عربية، والتي سرعان ما ستتحول الى فزاعة. اننا وانتم الاسرائيليين سنصبح ضحية هذه الحركة.

ويقول بن ديفيد كان بدير خان يتنبأ بشرق اوسط ممزق الى وحدات

طبيعية، تحظى فيه كل مجموعة او طائفة عرقية بحق تقرير المصير، في اطار حدود معقولة، تمكنها من تجذير استقلالها الحضاري.

وكان بدير خان يدرك ان هذا الحلم والنبوءة لن يتحققا بين عشية وضحاها، لذا أقترح ان تحظى الطوائف والمجموعات العرقية في مسار مرحلي، بالحكم الذاتي، في اطار الدول التي تعيش فيها.

وعلى المدى البعيد، كان بدير خان يؤمن بأن نهاية الحكم الذاتي ستحل في يوم ما، ان عاجلا ام اجلا، وحينها سينشأ شرق اوسط جديد، متعدد الدول والتي ترتبط ببعضها البعض في صورة اتحادات كونفدرالية، وكل دولة ستبدي قدرا كبيرا من الاحترام للدول الاخرى، وستسهم كل منها على حدة، وبالتعاون مع الاخريات في تطوير المنطقة بأسرها.

وكان بدير خان يعتبر اسرائيل بمثابة شريك طبيعي في الاتحاد الكونفدرالي نظرا لكونها دولة غير عربية، وصغيرة ولتمتعها بكل تلك القوة العسكرية الهائلة، التي تثير مخاوف العراق وسورية، وتسهم في تعزيز قوة الاكراد. ويقول بدير خان ان وجود اسرائيل هو السبب الرئيسي الذي يحول دون قيام العراق باستخدام كل قوته العسكرية لتدمير الاكراد.

لقد قيل لبني ديفيد: ان العلاقات الاسرائيلية مع الامير متواصلة منذ الاربعينات، وانه اراد الاستعانة باسرائيل لصالح الاكراد، لكنه في نفس الوقت، ساعد اسرائيل في اجراء اتصالات سرية مع الدول العربية منذ ايار ١٩٤٨، بل وقبل ذلك.

****

ومن الجدير بالذكر، ان الاسم الكامل لبدير هو كاموران عالي بدير خان، وهو حفيد لرئيس عائلة تحمل هذا الاسم، وكان هذا الرئيس يحمل لقب (بيك)، ويقود قبائل تركية في جزيرة بن عمر، الواقعة على الحدود التركية السورية، وقاتل العثمانيين في القرن التاسع عشر، والذين استعانوا بخائن كردي. وقد سبق انهياره العديد من النزاعات مع جيش السلطان العثماني حول دفع الضرائب وتجنيد الاكراد للجيش، ومرة اخرى مني بالهزيمة. وقام الاتراك باجلائه هو واسرته الى (كوستا)، وانخرط في اطار طبقة كردية مثقفة كانت تعمل من عاصمة العثمانيين، وتأثرت بروح التقدم الاوروبي وعلى وجه الخصوص في سويسرا وفرنسا.

تمكن امين عالي، حفيد بدير خان بيك، ووالد كاموران -وهو محام-

من الوصول الى وظيفة قاضي المحكمة العليا في الامبراطورية العثمانية. وقد كرس اربعة من ابنائه السبعة حياتهم لاحياء الوضع الكردي، والحضارة الكردية، بل وعمدوا الى اصدار جريدة ناطقة باللغة الكردية.

انهار مجد عائلة بدير خان في نهاية العقد الاول من القرن العشرين في اعقاب الانقلاب المعروف في الامبراطورية العثمانية، والذي نقل السلطة الى ايدي الشبان الاتراك، والذين شددوا قبضتهم على الاقليات، وعلى وجه الخصوص الاقلية الكردية، وحكموا على بدير خان وثلاثة من ابنائه هم: ثريا وجلادات وكاموران بالاعدام، مما اضطرهم للفرار الى القاهرة، ومن هناك الى (ليفتسيج) الالمانية. وهناك حصل (جلادات) - الذي كان يجيد تسع لغات - على درجة الدكتوراة في الادب والقانون كما حصل (كاموران) على درجة الدكتوراة في القانون.

وفي اعقاب نشوب الحرب العالمية الاولى عاد ابناء العائلة الى الشرق الاوسط، واقاموا مركزهم المتقدم في سورية وبيروت، اللتين كانتا، آنذاك، واقعتين تحت السيطرة الفرنسية. وانشأوا لجنة وطنية باسم "خويبون" الاستقلال، وانشأوا شبكة اعلام كاملة على الصعيدين الشفهي والمطبوعات، والفوا كتابا للغة الكردية، وكذلك قاموسا (كردي\فرنسي) و "كردي الماني" ودمجوا حروفا لاتينية في الحروف الكردية، وترجموا التوراة، والانجيل الى الكردية بالاحرف الجديدة.

وفي عام ١٩٥١ توفي (جلادات)، وقام (كاموران) الذي اصبح ناطقا وحيدا للشعب الكردي، بنقل مقره الى باريس. وهناك انخرط وكرس وقته في القاء محاضرات اللغة الكردية بجامعة السوربون. واقام مركز ابحاث كرديا وطنيا بهدف لفت انظار العالم لمشاكل شعبه.

لقد كانت محاولته مؤثرة جدا، وهو يحاول ترجمة الرصاص والقذائف المتطايرة على رؤوس الجبال وفي المغاور والدروب الصخرية في بلاده، الى لغة الكلمات، من اجل نقلها الى اذهان واهتمام السياسيين العالميين، القادرين على حسم العديد من مصائر الشعوب.

بيد ان القدر، قلب له ظهر المجن، فدول الغرب لم تبد اي اهتمام بمصير الشعب الكردي، مما حدا به للقول: ان الحرية الوحيدة التي نمتلكها اليوم، هي حرية تنسم الهواء في اعلى قمم الجبال.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الكثير من الاسرائيليين صاحبوا وعايشوا بدير خان، في مراحل مختلفة

من حياته، بيد ان (موريس فيشر) كان اول من اكتشفه وفيشر من مؤسسي وزارة الخارجية الاسرائيلية. وقد ولد في بلجيكا، وانهى دراسته في الكيمياء، وفي الزراعة، وشرب الصهيونية من والده، الذي كان منزله في بروكسل بمثابة مقر للجنة الحركة الصهيونية، كما عمل فيما بعد في مجال شراء الاراضي لاغراض الاستيطان اليهودي.

لقد اصبحت بيروت، ومنذ الحرب العالمية الاولى، العاصمة السياسية والدولية للشرق الاوسط، وكان السياسيون من جميع انحاء العالم يؤمونها، ولم يكونوا ينسون في زحمة العمل قضاء اجازات الترويح في قراها وريفها الرائع. وكان من البديهي ان تجذب هذه الدولة الصغيرة ايضا كبار مسؤولي الوكالة اليهودية، التي كانت تعتبر بمثابة حكومة للدولة، التي بدأت تشق الغبار باتجاه البروز على سطح الارض.

وقد اجرى هؤلاء المسؤولون في بيروت لقاءات مع زعماء عرب، ورؤساء، ورؤساء حكومات، ووزراء خارجية وسفراء، كما حرصوا على جذب العديد من الخيوط التي تؤدي الى تهجير يهود الى ارض اسرائيل.

التحق (فيشر) الذي كان يجيد الانجليزية والفرنسية منذ نعومة اظفاره بناء على طلب من الاستيطان اليهودي، بجيش فرنسا الحرة، الذي كان يقوده الجنرال شارل ديجول. وعكف في اطار هذا الجيش، على شعبة الابحاث وخصوصا، الاقليات في الشرق الاوسط، وقد ابدى اهتماما خاصا بالعلاقات القائمة بين هذه الاقليات، والشعوب الكبيرة والصغيرة التي كانت تعيش في المنطقة، واقام علاقات وطيدة مع زعمائها، ومن بينهم رئيس الطائفة الارمنية، والذي عرفه على الامير بدير خان.

ولا شك ان هناك قاسما مشتركا بين الزعيم الارمني، والزعيم الكردي، الا وهو سيطرة جهات اجنبية على اراضي شعبيهما.

وتقول (حيه فيشر) ارملة موريس، والتي كانت على اطلاع على قدر كبير من صولاته ونشاطاته في الشرق الاوسط: ان الامير بدير خان، كان يحل ضيفا دائما في بيتها في بيروت، وفيما بعد ايضا في اسرائيل.

وكان زوجي يحكي له الكثير حول احياء اللغة العبرية، على ايدي اليعازر بن يهودا، وكان الامير يبدو شديد الحماس للقضية، بصورة تؤكد ان القضية اليهودية، (وارض اسرائيل) ليسا غريبين لديه.

وتضيف... لقد قام زوجي باعداد بحث شامل حول الاكراد، واستعان برهبان يسوعيين من اجل اعداد خارطة توضح جميع حدود كردستان. وكان بدير خان يستخدم هذه الخارطة من اجل دعم اقواله، واثباتها.

وفي مرحلة متأخرة من حياة الامير، صاحبه وسار في ركبه، الياهو ايلات، احد كبار الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية، ومن ثم سفير اسرائيل في كل من واشنطن ولندن.

ويقول الياهو: ان ديانة الامير بدير خان الاسلامية السنية لم تحل دون عثوره على لغة مشتركة مع اليهود، بل ربما ان الامر كان على العكس تماما، فقد كان الشعبان يواجهان عداء عربيا مشتركا، ويحملان تطلعات متشابهة. تسعى الى العثور على دعم وتأييد دولي يمكنهما من اقامة وطن معترف به، والحصول على السيادة فوق اراضيهما.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

يبدو الاكراد مختلفين على صعيد منظرهم الخارجي عن باقي الشعوب المحيطة بهم، ويبدأ تاريخ الاكراد - مثلما هو معروف- في منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد، ووفقا لتقاليدهم، والتاريخ الذي دونوه، فان اجدادهم يرجعون الى "الجوتييم والمديين" وهي الممالك التي تعتبر من اقدم الممالك في العالم.

وكما يبدو، فانهم ظهروا اول ما ظهروا في اوروبا الشرقية، ثم انتقلوا من هناك عبر القوقاز الى الشرق الاوسط، وتوسعوا رويدا رويدا نحو المنطقة الجبلية الرائعة والخلابة، والتي تبلغ ذروة جمالها في جبال زاغروس وطوروس وارارات والتي ترتفع حتى اربعة آلاف متر ونيف. ولهذا السبب وضع الاكراد لهم رمزا في صورة جبل عملاق تبرز الشمس من خلفه.

وفي الكتابات القديمة التي خلفها اليونانيون والرومان الاوائل خلفهم، ورد اسم الاكراد حيث لقبوهم كوردوان، كردوخيم، جوردييين، وكورد، وفي التلمود البابلي، وفي ترجمة اونكلوس ورد اسم الاكراد عدة مرات: كردو، كردوييم، كردينا، وتم العثور على اسمهم ايضا على قبر (شلمناسر) الملك الاشوري. وهناك العديد من الدلائل التي تشير الى انهم قدموا يد المساعدة للملك كورش، في حروبه ضد مملكة بابل، ودلائل تشير ايضا الى حروبهم ضد السلاوقة والسندريين، وفي اعقاب الفتح العربي لوطنهم اعتنق الاكراد الاسلام. وقد نجوا باعجوبة في القرن الثالث عشر، من الفناء على اسنة رماح المغول.

تمتد حدود كردستان من الشمال الغربي وحتى الجنوب الشرقي مقابل المحور الطولي للخليج العربي ويحدها من الشمال نهر ادراس الواقع شرقي تركيا، وحدود ايران وارمينيا. ومن الغرب تصل اراضيها حتى نهر (كاراسو) ومجرى نهر الفرات الاعلى الواقع في تركيا والعراق. وفي الجنوب، تصل اراضيها حتى الحدود الواقعة بين المنطقة الجبلية والتلال الساحلية للعراق. ومن الشرق تصل اراضيها حتى الخط الواقع بين حمدان، وبحيرة رزاية وماكو الايرانية. ومناطق البقاع الواقعة بين الجبال غنية بالمراعي والموارد المائية ومن ضمنها انهار الزاب الاصغر والزاب الاكبر، والعظيم والديالا التي تصب في نهر دجلة.

ويعيش الاكراد بصورة رئيسية على الزراعة مثل: القمح والشعير والعدس والدخان، هذا اضافة الى الرعي.

وفي كتابه "الحركة الوطنية الكردية" كتب المستشرق الفرنسي (سرج جانتنر): يتوجب على الانسان ان يجتاز الحدود العراقية الايرانية شمالي العراق، وحينها سيدرك فورا الطابع المميز للحدود الكردية، والوحدة العميقة التي تحظى بها كردستان على الصعيد العرقي والجغرافي واللغوي". ورغم ذلك، فان اللغة الكردية التي تطورت عن الفرع الهندي اوروبا ليست موحدة، بل يوجد فيها العديد من اللهجات. اضف الى ذلك فان المنطقة الجبلية المقسمة حالت دون تحويل الاكراد الى وحدة متجانسة على الصعيد السياسي والاقتصادي والجغرافي.

ومن الجدير بالذكر ان تطور الاكراد الثقافي والتكنولوجي، والحضاري اتسم بالبطء الشديد اضف الى ذلك ان البنية القبلية والنزاعات التي نشبت بينهم، حالت دون بلورتهم في شعب واحد فكل نزاع بين قبيلتين، كان سرعان ما يتحول الى حرب ضروس، ولم يكن الاكراد يتحدثون ابدا عن القومية الكردية. بل في الكثير من الاحيان، ادت الحروب القبلية الى تعاون هذه القبيلة او تلك، مع "العدو" العراقي، مما اسهم في تمييع القومية الكردية.

وتقدر الدول التي تقاسمت كردستان، ان مساحة تلك الاراضي تصل الى ثلاثمائة وخمسين الف كيلومتر مربع. في حين يقول الاكراد ان مساحة اراضيهم تقدر بخمسمائة الف كيلومتر مربع.

اما عدد الاكراد في الفترة التي يتطرق اليها الكتاب، فهو ايضا موضع خلاف فهناك من يقول، ان عددهم يناهز العشرة ملايين، وهناك من يقول ان تعدادهم هو ضعف هذا العدد، وهم مقسمون على النحو التالي: مليونان او

مليونان ونصف المليون يعيشون في العراق وثلاثة او اربعة ملايين يعيشون في ايران، ومليونان او ثلاثة ملايين يعيشون في تركيا، وخمسمائة الف نسمة منهم يعيشون في سورية. ومائة وخمسة وسبعون الف يعيشون في ارمينيا.

وعلى اية حال، فان نسبة الاكراد في العراق، اعلى من نسبتهم في اي دولة من الدول الاخرى التي يعيشون بها.

ويعيش الى جانب الاكراد على تلك الاراضي العديد من الطوائف الاخرى، وعلى وجه الخصوص العرب. وفي الكثير من حالات التمرد الكردي، قام العراقيون بطردهم من اراضيهم وتسليم تلك الاراضي لملاك عرب، الامر الذي جعل العديد من الجماعات الكردية الصغيرة والكبيرة، تبرز خارج حدود كردستان.

وهناك العديد من الاسماء اللامعة التي انبثقت عن الطائفة التركية، كصلاح الدين الايوبي الذي طرد الصليبيين من بيت المقدس بعد ان هزمهم في معركة حطين عام ١١٨٧، وسيطر بعد ذلك على مساحات واسعة من الاراضي الاسلامية. وتسجل كتب التاريخ اسماء العديد من الضباط رفيعي المستوى وعلماء الدين المعروفين من اصل كردي، والذين احتلوا مكانة مرموقة في تركيا، وسوريا وايران، والعراق، ولا يعني هذا، ان جميع ابناء الاكراد كانوا يتطلعون الى الوطن بنفس التوق، او يفضلونه على النظام المركزي للدول التي يعيشون في كنفها، ففي الكثير من الحالات تمكنت السلطات المركزية من تجنيد اكراد لمحاربة اخوتهم الاكراد الاخرين جراء رفضهم دفع الضرائب مثلا، او الالتحاق بالجيش.

انهارت الامبراطورية العثمانية، في نهاية الحرب العالمية الاولى، وبعد ذلك تم توقيع اتفاقية دولية عام ١٩٢٠ في فرنسا، تنص على منح الاكراد حكما ذاتيا شرقي الاناضول ولواء الموصل، مع خيار الاستقلال في المستقبل، لكن حكومة كمال اتاتورك، التي قامت انذاك في تركيا، عملت على الغاء هذه الاتفاقية، وفي الاتفاقية التي وقعت بدلا منها، في لوزان عام ١٩٢٣، لم يتم التطرق، من قريب او بعيد، الى هذا الحكم الذاتي او القضية الكردية.

وفي تعقيبه على هذا الوضع يقول اللواء احتياط رحبعام زئيفي، والذي شارك في تقديم المساعدات الاسرائيلية للاكراد في الستينات: كان هذا الوضع جزءا من الاحكام الوضيعة التي حكمت بها الدول الكولونيالية التي رسمت الحدود في المنطقة، بين زجاجات الويسكي والكافيار، وفقا لاسس وتقديرات باردة، ومصالح

وحشية تحت تأثير القوة لقد قامت هذه الدول الكبرى بتمزيق شعوب وقبائل وايقاع الظلم بالعديد من الشعوب، ومنها الشعب الكردي.

ومن الجدير بالذكر، ان اي محاولة لبلورة دولة كردية مستقلة، كانت تلقى معارضة فورية مستميتة لدى تركيا وايران والعراق، كل على حدة، وجميعها مجتمعة. ولم تأتي هذه المعارضة مصادفة، فقد كانت هذه الدول تدرك، ان اقامة كيان كردي مستقل، سيلزمها بالتخلي عن مناطق واسعة من الاراضي خصوصا وان تلك المناطق غنية بالكنوز الطبيعية، وخصوصا النفط.

لقد ادت هذه المعارضة الشرسة، الى دفع دول الغرب الكبرى، للكف منذ اتفاقية لوزان، عن ابداء اي تأييد حقيقي للاستقلال الكردي ولم يبق من صور التعاطف مع الاكراد، سوى قيام بعض اجهزة المخابرات الغربية، بانشاء علاقات وصلات مع جهات كردية، كبديل محتمل قد يحتاجون اليه في مرحلة ما.

****

حرصت الجمهورية التركية، على العمل بصورة منهجية منظمة على تصفية العنصر الكردي النشط العامل على اراضيها، ووجه اتاتورك وورثته في الحكم ضربات قاصمة وموجعة جدا للبنية القبلية الكردية، التي بقيت على الاراضي التركية، فحكموا بالاعدام على العديد من النخبة الكردية، ومزقوا باقي القبائل شر ممزق هنا وهناك، الامر الذي ادى الى انتقال الثقل القبلي الكردي الى كردستان العراقية.

ومن الجدير بالذكر، ان العراق تأسس عام ١٩٢٠ بقرار من عصبة الامم تحت الانتداب البريطاني. ولم يسبق للمنطقة المسماه العراق اليوم، ان خضعت قبل ذلك لكيان سياسي واحد، بل كانت مقسمة الى ثلاث ولايات عثمانية. كما ان الجماهير التي سكنتها كانت متنوعة، على الصعيدين العرقي والديني: سني، شيعي، بدوي، كردي، اشوري، يعقوبي، ارمني، كلداني، كاثوليكي، ارثوذكسي، تركماني، يزيدي، وكذلك يهودي.

ورغم ان البريطانيين والعراقيين، وعدوا الاكراد بمنحهم حكما ذاتيا، بيد ان المنطق السليم يؤكد ان تلك الوعود منحت لهم بضمانة محدودة جدا. فقد ادرك البريطانيون والعراقيون، ان منح اية تنازلات للاكراد، سيؤدي الى خلق مطالبات اخرى من قبل الاقليات الاخرى مهما كانت صغيرة، والتي كانت تراقب بمنتهى اليقظة، ما سيحدث مع الطائفة الكردية الكبيرة.

ويقول المستشرق البروفيسور يعقوب شمعوني والذي يعتبر احد واضعي السياسة العربية، خلال الفترة التي سبقت انشاء الدولة العبرية واحد رواد وزارة الخارجية الاسرائيلية في الكتاب الذي الفه تحت عنوان "الدول العربية" ان عصبة الامم المتحدة وضعت شرطا رئيسيا لضم لواء الموصل الى العراق، وليس تركيا، وهو منح حكم ذاتي وطني وثقافي للاكراد، لكن هذا الشرط لم يتحقق.

ويضيف، بل والادهى من ذلك ان عصبة الامم، ادارت لهم ظهرها، عندما طالبوا بتشكيل حكومة تحت رعاية العصبة. وكي تتخلص عصبة الامم من هذه القضية، اختارت لجنة الدراسة القضية، والتي قررت بدورها عام ١٩٣٢ ان ليس من صلاحياتها مواصلة معالجة القضية.

واصبح الامر اكثر تعقيدا، كون مساحة الاراضي الكردية في العراق، تقدر باربعة وسبعين الف كيلومتر مربع اي انها تحتل قطاعا واسعا من الاراضي العراقية يقدر بحوالي ١٧٪ منها، اضف الى ذلك، ان هذه الاراضي بالذات، تعتبر بمثابة نواة العراق الاقتصادية، فالموصل مثلا هي المدينة الثالثة من حيث الحجم في العراق، كما انها تعتبر مركزا تجاريا وزراعيا لشمال العراق باسره، اضافة الى انها تحتل مكانة حيوية من قطاع التجارة الدولية العراقية. لهذا السبب لم يكن العراقيون على استعداد للتخلي عنها لاي سبب من الاسباب، هي او المدن الكردية الاخرى، سواء اكان ذلك ابان وقوعهم تحت الانتداب او بعده، عندما حظوا بالاستقلال الكامل عام ١٩٣٠.

****

تعرفت عائلة بدير خان الى اليهود منذ ان كانت في مسقط رأسها -جزيرة بن عمر- فاليهود استوطنوا في كردستان، منذ اجداد اجدادهم، فقد تحدث النبي يوشع عن "المفقودون في ارض اشور". لقد قام العديد من الباحثين اليهود امثال بنيامين متودله، وفتاحيا مرجنشبورج، بزيارة كردستان خلال قرون سابقة، وسجلوا شهادات ليهود محليين، تؤكد انهم من المهاجر الاولى، التي نفذها شلمناسر الملك، وانهم من بقايا الاسباط اليهودية العشرة الذين نقلهم الى هناك ملوك اشور اسرى خلال القرن الثامن قبل الميلاد. وهناك من يدعي من ابناء الطائفة، انهم من ابناء بنيامين. ومهما كانت الاسباط التي ينتمي اليها هؤلاء اليهود، فهم السبط الوحيد الذي حافظ على تقاليده طيلة الفين وسبعمائة عام، وبقي صورة للشعب اليهودي، منذ عهد الهيكل الاول.

ويقول اسحق بن تسفي رئيس دولة اسرائيل الثاني: استوطن اليهود اثني عشر مكانا استيطانيا كبيرا في كردستان وهي: زاخو السليمانية، الموصل، نصيبين، اورقة، اربيل، كركوك، اورميه، سوندور، تشرقيلة، عمادية، ونيرفه، لقد تمكنت الطائفة اليهودية في كردستان والتي واجهت إياما عصيبة واياما حلوة من تخريج علماء روحيين من اوساطها وايضا مفكرين، وحاخامات. وقد برز منهم زعماء المهاجر الرابي ديفيد والرابي شموئيل، وابناء سلالة برزاني الحاخام نتنائيل هليفي وابنه الحاخام شموئيل، والرابي شموئيل ادوني وابنته اسنات، والحاخام شمعون بن شموئيل.

ومن الجدير بالذكر، ان بعض الباحثين يقول، ان عدد الطوائف والجماعات اليهودية في القسم الكردي من العراق وصل الى مائة وست واربعين طائفة.

لقد شهد يهود العراق، وعلى وجه الخصوص، يهود كردستان، اهتمام الزعامة الصهيونية في اسرائيل الامر الذي حولهم الى هدف لنشاطاتها الرامية لتهجيرهم الى اسرائيل. وبدا رسل الاستيطان اليهودي يتهافتون عليهم، منذ بداية الانتداب البريطاني، واحد رؤساء هذه الوفود كان روبين شيلوح، احد كبار موظفي الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية، ومؤسس جهاز الموساد الاسرائيلي للعمليات الخاصة. وهناك من يقول، انه وخلال زيارته الاولى لكردستان، عام ١٩٣٤، اجرى شيلوح حوارات مع زعماء الاكراد.

وفي تشرين الاول ١٩٤٢، قام مائير مريدور بزيارة كردستان موفدا من الموساد للهجرة الثانية وافاد في تقريره ان علاقات اليهود بجيرانهم في كردستان بصورة عامة جيدة بيد ان العراقين كانوا يقومون دائما بمحاولات لاذكاء الخلافات والصراعات بينهم.

وكتب مردور يقول: في قرى الشمال سوندور وزاخو، تقابلت مع يهود يحملون السلاح، على غرار ما يفعل سكان المنطقة.

واضاف... لقد اصبح وضع اليهود الامني في تلك المنطقة سيئا، جراء قيام العراقيين بتحريض الاكراد. ويمتنع يهود سوندور، في الاونة الاخيرة، عن التوجه الى الحقول لحراسة كرومهم، خشية توريط انفسهم فيما لا تحمد عقباه.

واصل مريدور طريقه باتجاه المدن الكردية الكبيرة في شمال الدولة كالموصل واربيل.

وفي تقريره قال: تسكن مدينة اربيل اغلبية كردية ساحقة، والاكراد هم عناصر متمردة باحثة عن الحرية، والاكراد يتميزون في مظهرهم الخارجي، بملابسهم الملونة، ومظهرهم الجسماني الممتلىء بالقوة بعكس العراقيين. وكذلك اليهود الذين يسكنون تلك المدينة، يبدون اصحاء، وبالامكان ان يصطدم الانسان في هذه المنطقة بيهودي يمتطي حصانه، وسلاحه معلق على كتفه. ورئيس الجالية اليهودية، يتكلم العبرية وقد زاره ميجور انجليزي، وسأله حول موقف الجالية اليهودية تجاه الصهيونية؟ فقال رئيس الجالية: ان كل يهودي صهيوني، وان اعضاء جاليته، هم ايضا كذلك.

ويضيف قلة قليلة من الشخصيات المركزية في اوساط الجالية اليهودية في العراق، قادرون على حضور الاجتماعات العامة والتجرؤ على الاعلان عن مواقفهم الوطنية. واثر زيارتنا لرئيس الجالية في منزله، تركنا له مجموعة من الكتب الاسرائيلية، وسارعنا بمغادرة المدينة، قبل ان تبدأ السلطات العراقية تحرياتها عما نفعله هناك. وهذا ما حدث فعلا، ففي اعقاب عودتنا الى بغداد، علمنا ان معلومات وصلت الى المخابرات البريطانية تشير الى ان شخصين قاما بزيارة رئيس الجالية اليهودية في اربيل، وان احد هذين الشخصين، يرتدي ملابس مدنية، والاخر يرتدي ملابس عسكرية.

ويقول بن تسفي: ان هجرة اليهود الى ارض اسرائيل بدأت كما يبدو في القرن السادس عشر، وقد عمدت طلائع القادمين للسكن في صفد، فيما سكن اللاحقون في (متسفيه) حتى عملية (عيزرا ونحاميه) التي جرت خلال السنوات الاولى لقيام الدولة، ومن ثم بدأ اليهود يتوافدون الى اسرائيل، ومن بينهم (يهودا برزاني) الذي هاجر الى اسرائيل سيرا على الاقدام، بعد ان قام بقتل مسلم كان يؤذي نساء اليهود.

ويبدو ان اسحق مردخاي، هو احد احفاد المهاجرين العراقيين، الذي تمكن من الوصول الى اعلى مرتبة وصلها مهاجر عراقي، حيث تم تعيينه عام ١٩٩٦ وزيرا للدفاع. وكان اسحق مردخاي، قد هاجر الى اسرائيل، وهو في السادسة من العمر، بعد ان اكتشف العراقيون هوية والده، كأحد نشطاء الحركة الصهيونية. وقد امضى مردخاي خدمته في سلاح المظليين وكان الضابط الوحيد برتبة لواء، في الجيش الاسرائيلي، الذي عين قائدا للقطاعات الثلاثة: الشمالي والجنوبي والاوسط.

لقد تابعت العديد من شخصيات استيطان اليهودي رفيعة المستوى

النضالات الكردية باهتمام بالغ، وهم يسعون من اجل احراز الاستقلال. بيد انهم كانوا يعتقدون ان الحركة الكردية ليست شبيهة بالحركة اليهودية في سعيها الى الهدف عينه.

وفي تعقيب اثنين من زعماء منظمة الهجناه هما: اليعازر جليلي، واليعازر ليبنه، على نشاطات الحركة الكردية، قالا: دون تواجد قوة عسكرية سيستحيل ممارسة العمل السياسي. بل ان وجود القوة العسكرية، قد يكون ضمانا لعدم استخدام هذه القوة. واوصى الاثنان في المذكرة التي اعداها عام ١٩٣٩، بعدم الاقتداء بالتمرد الحادث في المناطق الكردية، او الدرزية في سورية. لان الاكراد اعتادوا العيش على اسنة الرماح.

****

كانت التقنية التي لجأ اليها بدير خان ترمي الى خلق صورة جديدة للانسان الكردي الذي يفاخر بأنه يعيش على اسنة الحراب. ويقول بدير خان: اذا ما اعترف العالم بسيادة الكردي على ارضه، ستتبدى صورة الكردي الحقيقي الذي يفلح ارضه، والمحب لعائلته، والذي يسعى لتطوير ثقافته، وتوسيع حضارته، والذي يمنح من فكره للاجيال القادمة، والراغب في الاستراحة تحت اشجار التين.

لقد بدت الصهيونية في اعين بدير خان نموذجا يحتذى لهذا الوضع. ويقول الياهو ايلات: لقد تعرف بدير خان جيدا على كتابات هرتسل، وكان يعتبر الجملة التي كتبها هرتسل وجاء فيها: اذا رغبتهم ستحققون المعجزات بمثارة شعار نهضة ليس فقط للشعب اليهودي، بل لجميع شعوب الارض التي يؤمن ايمانا عميقا بمستقبلها، ولا تخضع للواقع، ولا تخشى اية عوائق قد تقف في طريقها الى تحقيق ما تصبو اليه من الاهداف.

ويضيف ايلات: لم يخف بدير خان وشقيقه خيبة املهم من ان الطائفة الكردية لم تستق العبرة من اليهود، وتتوحد في ساعة المحن وواصلت حروبها ونزاعاتها القبلية الداخلية.

ويقول ايلات: ان الفرقة الداخلية التي اتسم بها الاكراد، لم تكن العامل الوحيد، الذي يجعلها ليس صنوا للحركة الصهيونية. لقد حاول ايلات بوصفه عضوا في وفد الوكالة اليهودية، في المؤتمر التأسيسي للامم المتحدة، في سان فرانسيسكو في نهاية عام ١٩٤٥، حاول تقديم المساعدة للوفد الكردي الصغير، بيد انه وجد نفسه، في نهاية المطاف، عاجزا عن تقديم اية مساعدة له.

ويقول ايلات: كان رئيس الوفد الكردي طبيبا امريكيا من اصل كردي يسكن في ولاية فيلادلفيا. وقد قام بالعديد من المحاولات لكسب تأييد العديد من الدول للاستقلال الكردي، وبدفع الامور باتجاه تشكيل لجنة دولية لبحث المشكلة الكردية، واجراء نقاش حول حق الشعوب التي لم تحظ حتى الان باستقلالها. وقد قال موظف امريكي رفيع للطبيب المذكور: رغم التعاطف الذي تحظى به قضيتكم، لا يجب عليكم ان تتوقعوا ان تقدم الولايات المتحدة المساعدة لكم، لانها لا ترغب في توريط نفسها، وتوريط علاقاتها مع اية دولة من دول الشرق الاوسط التي تبدي حساسية بالغة تجاه مكانة الاقليات التي تعيش فيها.

ويقول ايلات: لم تكن هناك دولة واحدة على استعداد للتدخل في هذه القضية رغم انهم جميعا كانوا يدركون انها قضية عادلة وذلك خشية ان يؤدي هذا التدخل الى اصطدامها مع تركيا وايران والعراق وسورية والاتحاد السوفياتي.

وازاء هذا الوضع المحبط، غادر الوفد الكردي سان فرانسيسكو حتى قبل ان يختتم المؤتمر اعماله. وقبل مغادرته سال الطبيب المذكور ايلات: ما الذي بمقدور الوفد الكردي -ويعني بذلك الحزب الديمقراطي الكردي- ان يفعله كي يحول النضال في جبال كردستان الى رافعة سياسية ناجعة؟

ويقول الدبلوماسي الصهيوني: لم استطع الرد على سؤاله.

ان الشيء الوحيد الذي تمكنت الوكالة اليهودية آنذاك من عمله لصالح الاكراد هو دفع مبلغ خمسين ليرة فلسطينية شهريا الى بدير خان، وهو المبلغ الذي اعتبر بمثابة ميزانيته الاساسية.

****

في مطلع عام ١٩٤٦ تم تشكيل لجنة بريطانية امريكية لدراسة مشكلة (ارض اسرائيل) وهب نشطاء الوكالة اليهودية للتفتيش عن كل شخص او جهة يمكن ان تمارس تأثيرها على هذه اللجنة من اجل ان تأتي قراراتها لصالح اسرائيل. وهكذا تم ارسال اثنين من الشعبة السياسية: موريس فيشر وصديقه يهودا هلمان لتجنيد الاكراد والاشوريين والموارنه. كان هلمان شريكا جيدا لفيشر فهو ايضا كان يفكر بصورة غير مالوفة، وعلى اطلاع واسع على خفايا السياسات الشرق اوسطية، بوصفه خريج الجامعة الامريكية في بيروت، وايضا بوصفه مراسلا سابقا لوكالة انباء دولية، ولجريدة (فلسطين بوست) التي اصبحت فيما بعد "جيروزاليم بوست"

لم يكن فيشر وهلمان في حاجة لبذل الكثير من الجهد لاقناع الاكراد والاشوريين الذين يسكنون في اوساطهم. فقد كان التفكير في مصيرهم، يحدوهم لرفض المصير الذي كان البريطانيون يعدونه ليهود (ارض اسرائيل)، والذي ينص على تحديد مكانة اليهود هناك، كأقلية محمية بقوة ضمانات دولية.

وفي اعقاب الزيارة التي قام بها فيشر وهلمان الى كردستان كتبت الوكالة اليهودية في المذكرة التي قدمتها الى اللجنة: يكفي ان نشير الى المصير الذي آل اليه الاكراد والاشوريين في العراق، كي ندرك مدى ضعف فرص قيام اي نظام عربي بالتعامل بروحية حكم ذاتي فدرالي، ووفقا لمبادىء مع اقلية ذات طابع سياسي وحضاري مختلف عن حضارته.

لقد استغل ممثلو الطائفة الاشورية -كشديه- وهم بقايا شعوب قديمة جدا هذه الفرصة وطالبوا بـ (نظام آمن لنصف المليون نسمة من الاشوريين، في ظل حكومة كردية على ارض كردستان).

وفي تقرير حول الاكراد، كان قد وصل الى الوكالة اليهودية، وتم الاحتفاظ به في ملفاتها وارشيفها، جاء: ان الاكراد يتوجهون اليها منذ سنتين بكل الطرق الممكنة كي نتصل بهم، ونضم صوتنا الى صوتهم ضد الخصم المشترك العرب وقد اكد زعماء الاكراد للملحق العسكري في بغداد ارتشيبلد روزفلت انهم يؤيدون النضال الصهيوني والحرب اليهودية في فلسطين.

وفي اعقاب الزيارة التي قام بها ريتشارد ماورر مراسل جريدة نيويورك بوست الى كردستان، كتب في تقريره: يقول الاكراد ان اليهود يعملون على جلب حضارة الغرب الى الشرق المتخلف، بيد ان العرب لا يريدون هذه الحضارة، لذا يقاومون اليهود.

واضاف صاحب التقرير الاول، الذي وصل الى الوكالة اليهودية: الاكراد يطالبوننا بمنظمين ومدربين، وهم يؤمنون ان بمقدور الرسل الاسرائيليين، ان يوحدوا جميع القبائل الكردية المتخاصمة في بوتقة واحدة مقاتلة، وبمقدورهم تدريبهم على جميع انواع السلاح والمتفجرات.

وعندما سألتهم: لماذا يتوجهون الى اليهود بالذات كي يساعدوهم؟ قالوا لي: لدينا عدو مشترك ويجب ان نتعاون ضده؟

ويفيد التقرير ايضا ان شمس الدين اغا امير منطقة (زاخو) وعضو البرلمان العراقي قال بهذا الصدد: لقد يئسنا من البريطانيين والامريكيين ونحن

على استعداد للاتصال بأية جهة كانت، ونحن على استعداد لقبول اية مساعدة من اليهود.

وعندما طلبت منه ان يهب من اجل العمل على توحيد ولم شعب الاكراد، بدا خائفا، وقال لي: اننا نأمل من يهود (ارض اسرائيل) ان يرسلوا رسلا لاعدادنا، وطلب مني ان انقل طلبة هذا الى المؤسسات اليهودية. وتعهد باستقبال وتوفير المأوى والحماية لأي رسول نرسله اليهم، وعرض ايضا خدماته اذا ما اردنا تهريب اي رسول يهودي من بغداد. وانني اقترح انه اذا ما وافق الاكراد على ارسال عدد منهم الى (ارض اسرائيل)، وان نقوم بتدريبهم واعدادهم. واريد ان انوه الى ان الاكراد اوردوا مثل هذا الاقتراح عدة مرات.

ويشير التقرير آنف الذكر، الى الاشوريين، فيقول "الاشوريون ايضا يكنون الكراهية للعرب، ويتعاطفون معنا، بل تحدثوا عن امكانية اجراء اتصالات معنا. والاشوريون هم عسكريون جيدون، ومدربون بصورة ممتازة، وعلاقتهم مع الاكراد جيدة، ويتم تهريب الاسلحة من الجيش البريطاني الى الطرفين، وبالامكان اخذ هذا الشعب بعين الاعتبار، حينما يحل يوم الصدام، كنصف شريك لنا.

ليس من الواضح فيما اذا كانت الوكالة اليهودية قد ناقشت هذا التقرير ام لا، بيد ان الواضح تماما هو ان بدير خان، وهو الكردي المخول باجراء الاتصالات مع اليهود، كان يشعر بخيبة امل من الوكالة اليهودية، ويقول انها لا تفعل شيئا لصالح ابناء شعبه.

وفي التقرير الذي اعده (هلمان) في الحادي والعشرين من شباط ١٩٤٦ قال: رغم خيبة الامل التي كان بدير خان يشعر بها، فقد كان على استعداد للمثول امام لجنة التحقيق، وان يدلي بشهادة موالية للصهيونية، وذلك مثلما كتب قائلا: من خلال التقاء المصالح بين الحركتين اليهودية والكردية، ومن خلال التعاطف العميق مع الشعب اليهودي، الذي يعاني الكثير، واعترافا بفضل صديقي فيشر.

بيد ان هذا الوعد لم يخرج الى حيز التنفيذ العملي وفي الرسالة التي بعث بها (هلمان) في الحادي عشر من اذار ١٩٤٦، في اعقاب اجتماعه بالامير مرة اخرى، قال: لقد تراجع بدير خان عن موقفه السابق، واوضح الوضع الصعب الذي يعيشه، حيث يطوق رجال المباحث منزله، لذا فانه لا يستطيع اطلاق اي تصريح موالي للصهيونية رغم انه يتمنى عمل ذلك. وقد عرضت عليه وفقا للتعليمات

التي تلقيتها من الوكالة اليهودية، ان يشهد لصالح نفسه ولصالح شعبه امام اللجنة وان يطرح قضية الاغلبية والاقليات في الشرق. وقد وافق على ذلك، ووعد بكتابة رسالة يضمنها الماحة الى عدالة القضية اليهودية. وان يوضح الصلة القائمة بين المشكلتين.

وفي الرابع والعشرين من اذار ١٩٦٤ بعث هلمان رسالة اخرى قال فيها: لاسفي البالغ فان بدير خان لم يف بوعده، لقد تحدث حقا في رسالته عن الاقليات والاغلبية، وعن التغييرات بعيدة المدى التي يجب احداثها في الشرق الاوسط، بيد انه لم يتطرق الى اسم الصهيونية، من قريب او بعيد ولا حتى بالماحة واحدة.

وفي الرسالة التي بعث بها هلمان قبل ذلك بثلاثة ايام، قال: ان بدير خان يتعامل مع الوكالة اليهودية، بثقة تامة، وانه اجتمع مرتين مع ايلات وارزي من موظفي الوكالة اليهودية، لكنه يقول، ان موظفي الوكالة، يقدمون وعودا براقة، بيد ان هذه الوعود لا تخرج ابدا الى حيز التنفيذ العملي لقد اقتنعت ان فيشر يمثل بأقواله نواياه الطيبة، وليس رأي الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية.

لقد ابرزت التقارير انفة الذكر ليس فقط محدودية مقدرة الوكالة اليهودية بل ايضا، ابرزت الخلافات في وجهات النظر القائمة بين خبرائها لشؤون الشرق الاوسط، وعلى وجه الخصوص بين فيشر، والياهو ساسون، والذي اصبح فيما بعد سفيرا رفيعا ووزيرا في حكومة اسرائيل. وقد اكدت (حيه فيشر) هذه الحقيقة بالقول: لم يكن ساسون يطبق النشاطات الواسعة التي كان يقوم بها زوجي، ولا قيامه بارسال افكاره مباشرة الى دافيد بن جوريون وموشيه شاريت، وجولدا مائير، وكما يبدو فقد كان يعتبره منافسا له.

ويقول البروفيسور يوآل جلبر في كتابه "جذور المشكلة": ان ساسون كان يشك في مدى اهمية الاكراد والاشوريين للاستيطان اليهودي.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

ويصف احد الابحاث والتحقيقات، الامير بدير خان، بأنه عميل اسرائيلي، وهو لم يكن عميلا بالمفهوم الكلاسيكي للعملاء، لكنه كان يقوم بتكليف من اسرائيل باعمال سياسية حساسة وذلك على افتراض انه سينال مقابل ذلك، في صورة مساعدات اسرائيلية للنضال الكردي.

واحدى العمليات السياسية التي قام بها بدير خان جرت في صيف عام ١٩٨٤، فقد طلب منه ساسون التوجه الى الاردن. وقد كلف بدير خان ايضا بزيارة

دمشق والقاهرة وبيروت للاطلاع على الاوضاع في تلك الدول عن كثب، ونقل رسائل الى شخصيات عربية على اتصال باسرائيل وتوجيه دعوة اليها لزيارة اسرائيل.

وكما يبدو فان بدير خان قام بمهام سياسية اخرى بتكليف من اسرائيل بيد ان هذه المهام لا زالت طي الكتمان لسبب ما.

ومن الواضح ان هذه الفترة ٤٨-١٩٤٩ شهدت نشاطا واسعا للاكراد على الصعيد الدولي وتشير احدى وثائق وزارة الخارجية الاسرائيلية الى ان يد اسرائيل كانت وراء هذا النشاط واشتملت هذه النشاطات على اتصالات في الامم المتحدة، ونشر العديد من المقالات في صحف عديدة في شتى انحاء العالم، واقرار اللغة الكردية في مدرسة اللغات الشرقية في باريس. واصدار قاموس كردي فرنسي، واعداد كتاب قواعد كردي. وكتاب تعليمي حول الاكراد وانشاء مركز ابحاث كردي في باريس.

ومن الجدير بالذكر، ان المشكلة الكردية كانت تطرح بين الفينة والاخرى في الامم المتحدة، بيد انها لم تصاحب ولو مرة واحدة بعمل حقيقي لحلها.



عام ١٩٦٨ رئيس الدولة الاسرائيليـة زلمان شيزار يستضيف البرزاني

الفصل الثالث

شبه انقلاب في دمشق

احتل حسني البرزاني مركز الدراما التي حدثت في دمشق. وحسني البرزاني هو زعيم من اصل كردي، وقد تمكن من جمع رأس مال كبير جدا، اوصله في نهاية المطاف الى منصب رئيس الحكومة عام ١٩٤٢.

وكان البرزاني يسعى لاحداث انقلاب في دمشق مستغلا علاقته مع بدير خان وكبار رجال الدبوماسية الاسرائيلية العاملين في مجال قضايا الشرق الأوسط. وكان واثقا من ان الاسرائيليين يحفظون له افضالا عديدة في الماضي القريب.

وفي الثالث عشر من شباط ١٩٤٦ قال البرازي للدكتور دوف يوسيف - احد كبار مسؤولي الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية انه قدم الكثير من التسهيلات، ابان شغله منصب رئيس الحكومة في سورية، لليهود الراغبين في الفرار من بولندا عبر سورية في طريقهم الى اسرائيل. وانه يحمل وجهة نظر ايجابية منذ ذلك الحين تجاه قدوم اليهود الى الشرق الاوسط.

ويقول يوسيف في التقرير الذي بعثه: ان البرازي يقيم اتصالات متشعبة مع جميع زعماء العالم العربي، وهو يوجه اليهم انتقادات شديدة جراء رفضهم رؤية الواقع، وبسبب تصرفاتهم في الحياة العامة.

واضاف يوسيف: حتى اليوم يرفض العرب ادراك حقيقة انهم في امس الحاجة الى المساعدات الاجنبية كي يتمكنوا من ادارة شؤون بلادهم. ويوجه البرازي الانتقادات لزعماء العرب لافتقارهم الى الشجاعة التي تجعلهم يقولون للشعوب ما هو لمصلحتها، انهم يهتمون فقط برغبات الجماهير. ويعملون على تجسيدها بغض النظر عن كون هذه الرغبات مجدية للجماهير ام لا.

ويقول الدكتور دوف يوسيف الذي اصبح فيما بعد وزيرا في احدى حكومات اسرائيل في التقرير الذي بعثه قبل ذلك في شباط ١٩٤٥ ان السوري

الذي زار اسرائيل عدة مرات قد ابدى حماسا بالغا وهو يتحدث عن انجازاتنا في المجال الاقتصادي والبناء والمجتمع كما تحدث باسف بالغ عن التخلف الذي تشهده بلاده سورية والدول العربية بصورة خاصة.

وفي مناسبة اخرى قال البرازي: لقد وقع الطرفان ضحية للواقع الدولي، وهناك حاجة ماسة الى قرارات نهائية ويد منفذة قوية. ان السلام في العالم العربي بأسره رهن بالسلام بين العرب واليهود، وكذلك التفاهم بين العالم العربي والديمقراطيتين الكبيرتين: بريطانيا والولايات المتحدة. واذا ما تعاملنا مع المشكلة اليهودية بتفهم ومعرفة للوقائع، واعتبرناها جزءا من مشكلة العالم العربي الذي يسير باتجاه الوحدة، والذي يبلغ تعداده اربعين مليون نسمة، فسرعان ما ستدرك، ان اليهود، ومهما بلغ تعدادهم في ارض اسرائيل سيبقون اقلية في العالم العربي. ان هذه الحقيقة معروفة للعربية بيد انهم يسعون لتأخير ولم صفوفهم على حساب الصهيونية، وابتزاز تنازلات جديدة من بريطانيا بوصفهم معارضين بشدة للصهيونية ومن الجدير بالذكر، ان البرازي قدم النصائح من وراء الكواليس لرجال الوكالة اليهودية، عندما قدمت لجنة التحقيق البريطانية الامريكية للتحقيق في القضية.

وفي اوج حرب ١٩٤٨. فكر البرازي بالاطاحة بالرئيس السوري شكري القوتلي ورئيس حكومته جميل مردم، واحتلال مركز السلطة وخلال حواراته مع بدير خان، طلب ان يقوم الاسرائيليون بدورهم في هذه العملية. بأن يقوم الجيش الاسرائيلي باثارة التوتر على الحدود لجذب قوات الجيش السوري نحو الحدود بعيدا عن دمشق، وبالتالي اتاحة الفرصة للبرازي لدخول المدينة بكتيبة دبابات والاستيلاء على السلطة بسهولة.

ووعد البرازي بدير خان، انه اذا ما نجحت الفكرة، وتمكن من الوصول الى رئاسة الحكومة فانه سيعمل على التوصل الى اتفاقية سلام مع اسرائيل، وترسيم الحدود الدولية، وطلب منه نقل ذلك للاسرائيليين: وقال: ان شركاءه في الانقلاب، سيأتون من اوساط الاقليات التي تتطلع الى الحكم الذاتي في سورية، مثل الاكراد والدروز والشركس.

طرح بدير خان العرض على ساسون ويهوشع فلمان، موظفي الشعبة السياسية، في وزارة الخارجية الاسرائيلية، والتي كانت تعمل كجهاز مخابرات وقد طلب الاثنان منحهما مهلة للتفكير، ثم عادا وقالا لبدير خان، ان اسرائيل لن تساعد في احداث انقلاب في سورية.

وفي الرسالة التي بعث بها ساسون الى يعقوب شمعوني في الثالث من ايلول ١٩٤٨، كتب قائلا: انني اشعر بالاسف البالغ لان قضيته ... (تم محو الاسم من المصدر) قد انتهت دون اي شيء يذكر، وانني اعتقد ان جدعون روفر هو السبب في الفشل، نظرا لانه لم يتعامل مع العرض بجدية وعرضها عليه بصورة متأخرة جدا. كما انه لم يتعرف على الرجل (بدير خان - او البرازي) ولا طبيعة علاقاته في لبنان وسورية.

واضاف... ان هذا الحادث يؤكد ان العديد من الفرص تذهب ادراج الرياح عندما تقع في ايدي اناس لا يعرفون الشرق الاوسط، ووزن الاشخاص فيه.

ويبدو لاول وهلة، ان الاتهام شديد جدا، خصوصا اذا ما تذكرنا انه اطلق ابان الحرب ويقول شمعوني عام ١٩٥٥: اعتقد ان الالماحة كانت تشير الى نية تطوير علاقات سرية، وخصوصا استخبارية، او ربما تقديم المساعدات للدروز للحصول على الاستقلال او الحكم الذاتي، وليس لتنظيم انقلاب في سورية. لاننا ترددنا جدا في تلك السنوات من التدخل في اي علاقات تؤدي الى احداث انقلاب في سورية، واتجهنا نحو عدم التدخل في مثل هذه المؤامرات، ولم نصدق بأن الانقلاب سيكون حقا لمصلحتنا، اذ ليس بمقدورنا توجيهه او التأثير عليه.

ويقول جدعون رفائيل الذي اتهم بكونه السبب في الفشل، بعد سبع واربعين عاما من تلك الاحداث: لم تكن لي اية علاقة عام ١٩٤٨ مع القضايا الشرق اوسطية، ولست ادري ما الذي قصده ساسون عندما اشار الى اسمي في رسالته. وكل ما اذكره هو ان ساسون، كان لا يكف عن طرح فكرة احداث انقلاب في دول عربية معينة، لقد انخرطت في العمل في الشرق الاوسط عام ١٩٥٣ عندما طلب مني ترؤس شعبة الشرق الاوسط في وزارة الخارجية. وعندما اتصلوا بي بهذا الصدد، اعربت عن معارضتي التامة لهذه التوجهات المغامرة. لقد اكدت المرة تلو الاخرى، اننا لسنا مقاولي انقلابات.

وتؤكد بعض الوثائق الاخرى، بان قضية الانقلاب في سورية طرحت فعلا للنقاشات وبجدية بالغة وقد وردت في اطار هذه النقاشات، اسماء رفائيل وساسون

وارزي، اضافة الى اسم عيزرا دنين احد قدماء النشطاء الدبلوماسيين والاستخباريين في الاستيطان اليهودي ما قبل اقامة الدولة.

وفي الحادي والعشرين من ايلول ١٩٤٨ كتب دنين لارزي صراحة عن (تمرد انقلابي في سورية). كمخرج وحيد لانهاء حرب ١٩٤٨ وفتح باب السلام.

ومثله مثل كبار "المستعربين" في وزارة الخارجية الاسرائيلية، شعر دنين باحباط شديد فقد كان يعتقد ان استمرار الحرب لن يؤدي الى حلول او حسم، هذا في حين ان المفاوضات السلمية تسير ببطء شديد، ولا تضمن حلا قريبا، والامور تسير في طريق بلا مخرج.

والفكرة التي طرحها دنين على ضوء هذا الوضع كانت بسيطة جدا: اذا ما وقعت مسرحية ما في احدى الدول العربية، تؤدي الى جذب انتباه العرب اليها، وابعاده عن اسرائيل، حينها وحينها فقط، سيصبح بمقدور اسرائيل، السير نحو الامام باتجاه اقامة علاقات سلام معقولة.

واضاف دنين ... انني اعني "بالمسرحية، احداث انقلاب في سورية بتمويل اسرائيلي على افتراض ان الجهات الانقلابية ستحتاج لمساعدتنا وتأييدنا، وتعترف بنا، وتتعاون معنا".

وقد وضعت الفكرة والافتراضات على طاولة وزير الخارجية الاسرائيلي موشيه شريت، اضافة تفاصيل حول الميزانية المطلوبة لذلك، جس النبض المبدئي كان يحتاج الى عشرة الاف ليرة، ومائة الف ليرة ثمنا للاختبار الاول، وخمسمائة الف ليرة لعملية التنفيذ نفسها.

كان شريت بوصفه سياسيا محنكا، كثير الشكوك ويقول دنين: لم يصدق شريت ان بالامكان منح مال لجهات اجنبية مقابل السياسة... كما ان خطوة كهذه يجب ان تأتي من سورية نفسها، اضف الى ذلك، انه كان يعتقد ان من غير الممكن تخصيص حتى مبالغ اصغر مما ذكر لجس النبض والاختبارات الاولية.

ورغم ذلك، لم يكن يعارض الفكرة، بل واقترح ان نفحص الامر، ونعرف ما يطرحه الدروز او غيرهم، ربما الاكراد ومن ثم نعود للتحدث في الامر، بعد ان نكون قد فهمنا طبيعة الاوضاع. وقد اقترح دنين على ارزي ان يتحدث حول الامر مع فلمون قائلا: لقد كان هو اخر من حاول جس النبض على ارض الواقع بل واحرز نجاحا الى حد ما.

قام دنين بارسال نسخة من الوثيقة الى ساسون. وفي الرسالة التي بعث

بها شمعوني لساسون في الثالث والعشرين من ايلول ١٩٤٨ وصفت العملية كلها "عملية نشطة ممكنة في سورية بشأن اقتراحات الدكتور بدير خان". وقد تم ارفاق تقرير مفصل كان بدير خان قد ارسله، وكما يبدو انه قرئ في وزارة الخارجية، ولم يتم الاحتفاظ به في ملفات الوزارة العلنية.

واضاف شمعوني في رسالته لساسون: كان تقرير بدير خان مخيبا للامال جدا، وقد سبق لدنين، ان ذكر المسائل التي يتطرق اليها هو وتقرير بدير خان لم يشر الى امكانية اختراق او تفهم عميق للوضع، ولربما كان السبب في ذلك يرجع الى انه غير معتاد على تسجيل وارسال تقاريره بالصورة المقبولة لدينا. ولربما ان بالامكان استخلاص قضايا اهم، واكثر وضوحا اذا ما تم استجوابه والجلوس معه مطولا واذا ما تمكنت انت او ارزي من استخلاص اشياء، ارجو ان تسجلوا ما تستخلصونه وترسلوه الينا.

ويقول البروفيسور ايتمار رابينوفيتش احد كبار الباحثين في جامعة تل ابيب في الشؤون السورية في الكتاب الذي الفه تحت عنوان: "السلام الضائع": لقد عمل ارزي وفلمان على عدة اصعدة في القضية السورية، وقد جرى بعض هذه النشاطات والعمليات عبر وسطاء، والذين وعدوا (بتزويد) الاسرائيليين بضباط وسياسيين وقبائل، وطوائف اقليات للتنفيذ.

****

وفي المقابلة التي اجراها بدير خان مع يوفال نئمان في باريس خلال الفترة الواقعة بين تشرين الاول ١٩٥٦ وكانون الثاني ١٩٥٧، انفجر بدير خان قائلا: لقد خسرت اسرائيل.

كان يوفال نئمان، في تلك الاونة، يعمل نائبا لرئيس شعبة الاستخبارات برتبة عقيد، وكان مكلفا بالتنسيق بين اذرعه الاستخبارات الاسرائيلية والفرنسية، توطئة للقيام بشن حرب ١٩٥٦، تلك العملية التي خرجت الى حيز النفيذ الفعلي قبل وقت قصير من ذلك اللقاء.

وكان نئمان قد ابدى قبل ذلك اهتماما كبيرا بالاتصال بالاقليات في الدول العربية وكتب العديد من الوثائق حول ضرورة اجراء اتصالات مع المعارضة في تلك الدول، بما فيها اجراء اتصالات مع الاكراد، والاشوريين، والمارونيين والدروز، ولم يكتف بكتابة الوثائق فقط، بل اجرى لقاءات سرية ايضا مع شخصيات في لبنان. ويقول نئمان لقد تم ترتيب لقاء سري لي مع سلطان الاطرش،

زعيم جبل الدروز في سورية، لكن هذا اللقاء الغي في اللحظات الاخيرة.

ويقول نئمان: قام فيشر بتعريفي على بدير خان. وقد لمست ان الامير الكردي كان يشعر بخيبة الامل، وان هذه الخيبة ليست خيبته الاولى، لقد كان يؤمن ان النظام في سورية ضعيف، وان حدوث انقلاب سيؤدي الى فتح الطريق امام الحكم الذاتي الكردي في سورية، والتي كانت ستجر في اعقابها ايضا العراق، بيد ان اسرائيل اضاعت الفرصة.

وكما يبدو فان مصدر الرد السلبي للاقتراحات المطروحة، كان اعلى الكوادر السياسية، وهو دافيد بن جوريون، ويتضح ذلك، من الرسالة التي بعث بها دنين لساسون، في الرابع والعشرين من تشرين الاول ١٩٤٨، والتي جاء فيها: اجتمعت ببن غوريون في الثاني والعشرين من تشرين الاول، واطلعته على اتجاه تفكيرنا بشأن سورية، واوضحت له ان غالبية قادة الجيش، وقسما لا يستهان به من المسؤولين الاداريين في دمشق، هم من الاقليات، وقد رد عل كل ذلك بالقول باختصار شديد: لن نقحم انفسنا في دوامات جديدة.

ومن الجدير بالذكر، ان ضمن المرشحين للمشاركة في القسم السوري من (الدوامة) كان رئيس الاركان السوري البريجادير حسني الزعيم، والسياسي الوزير محسن برازي - لا يمت بصلة الى حسني برازي - وهو احد المخلصين للزعيم، والاثنان من اصل كردي، وكانا يتبنيان توجيهات براجماتية تجاه اسرائيل، ويتحدثان عن اتفاقية سياسية كاملة تجاهها بدلا من اتفاقية وقف اطلاق النار، او الهدنة، كما كانا يخططان لاسقاط الرئيس القوتلي، ورئيس حكومته مردم. واقترح بدير خان دعوتهما لعقد اجتماع مع الاسرائيليين في باريس، وكما يبدو فان شمعوني اقترح على ساسون ان يطرح الامر امام وزير الخارجية شريت، لكن ساسون لم يطرح الاقتراح، مما ادى الى عدم الاتصال مع الزعيم.

وفي الثاني من تشرين الثاني ١٩٤٨ كتب شمعوني لساسون رسالة قال فيها: انه كان يعلم مسبقا بأن المبادرة ستنتهي، فلم يكن لدي اي شك بان شريت لن يوافق على دعوة هذين الرجلين، ولا على تخصيص مبلغ او ميزانية خاصة ومناسبة لذلك.

ويتضح من تلك الرسالة ان شريت سبق ان رفض في السابق "جميع مخططاتنا الواسعة والعملية بشأن سورية والدروز، وان هذا الرفض جاء بصورة اساسية على ارضية عدم توفر الميزانيات اللازمة، وعدم الاستعداد لانفاق مبالغ

كبيرة على عمليات جس نبض ومحاولات من هذا القبيل.

ومن الجدير بالذكر ان الانقلاب وقع دون تدخل اسرائيل. ففي كانون الاول ١٩٤٨، سقطت حكومة مردم جراء المظاهرات والاضرابات، وبعد فترة وجيزة لحق به ايضا الرئيس شكري القوتلي.

وكما يبدو فان الزعيم قرر الاعتماد على نفسه، في الثلاثين من اذار ١٩٤٩، وبعد خمسة اشهر من الانتظار للاشارة من اسرائيل دون جدوى، امسك بزمام السلطة، واصبح رئيسا وعين محسن برازي رئيسا للحكومة، ووزيرا للخارجية.

وبعد مرور ست واربعين سنة على تلك الاحداث، يقول شمعون: ربما نكون قد ارتكبنا خطأ آنذاك لاننا لم نستجب بطلب الزعيم. فقد تمكن بجهوده الذاتية من قيادة الانقلاب واسقاط الحكومة، ثم توجه الى اسرائيل بطلب للتسوية معها. ولا شك ان نقص المال، كان احد العوامل التي ادت لردنا بصورة سلبية، بيد ان العامل الرئيسي كان عدم ايماننا بأن الانقلاب هو بالاتجاه المطلوب لنا، ورغبتنا في عدم التورط في اي توجه من هذا القبيل.

ويقول البروفيسور موشيه معوز في كتابه: اسرائيل سورية - نهاية النزاع: "ان الزعيم والبرازي لم يكونا يشعران بالتزام ايديولوجي وطني عربي، وكل ما كان يهمهما هو تثبيت وتجذير سلطانهما، والعلاقات مع اسرائيل كانت جزءا من المنظومة العسكرية والسياسية لتوازن القوى في المنطقة.

وبوصفه رئيسا للجمهورية، امر الزعيم باجراء مفاوضات سياسية عملية مع اسرائيل واعرب عن استعداده لاستيعاب مئات الاف اللاجئين، بيد انه في نفس الوقت طرح مطالب اقليمية بعيدة المدى بالنسبة لبحيرة طبرية.

وبناء على تقرير من مراقبي الامم المتحدة، سجل بن جوريون في يومياته في السادس عشر من تموز ١٩٤٩ ما يلي: الزعيم يرغب في السلام، لكنه يطالب بارجاء الامر عدة اسابيع، فهو لا يريد فتح ثغرة في الوحدة العربية، واذا لم يصبح السلام في متناول اليد خلال محادثات لوزان وهي مدينة سويسرية كانت تستضيف الاتصالات والمفاوضات الجارية للتوصل الى هدنة بين اسرائيل والدول العربية في غضون عدة اسابيع فسوف يكون على استعداد للتحدث مباشرة معنا حول السلام، لذا لا يجب حثه على ذلك في الاونة الحالية. ومن الجدير بالذكر ان اتفاقية الهدنة مع سورية وقعت بالاحرف الاولى في الثامن عشر من تموز ١٩٤٩.

وفي التاسع عشر من تموز، قال شريت خلال جلسة الحكومة: ان نية اسرائيل تتجه نحو اجراء مفاوضات مع الزعيم.

واضاف شريت: عندما يتحدث الزعيم مع ضيوف رفيعي المستوى من الولايات المتحدة، يبدي الكثير من النوايا الحسنة تجاه اسرائيل، ويتمنى لها الخير، ويبدي اهتماما كبيرا بالسلام معها، والاستعانة بها، وعن الاستعانة بخبراء اسرائيليين، ويكثر من الحديث عن فرص السلام والعمل المشترك معنا. واننا نعتزم تفحص الامر برمته في اعقاب التوقيع على اتفاقية الهدنة. وكما يبدو فان هناك تطورا واسع، لدى الزعيم، فقد تحدث مع مراقبين في الامم المتحدة عن استعداده لاستيعاب ثلاثمائة الف لاجيء، اي انه يحدد رقما يفوق ثلاثة اضعاف عدد اللاجئين الموجودين في سورية حاليا، والزعيم يتطلع الى الدولارات الامريكية... وقد اكد انه على استعداد لدفع الثمن، انه يتحدث عن امور يستحيل الاعلان عنها او نشرها.

واضاف.. لقد قال لي وليام دوجلاس قاضي المحكمة العليا في الولايات المتحدة، والذي اجرى اتصالات وحوارات مع زعماء عرب ان الزعيم اكد له ذلك، بيد انه لا يدري، فيما اذا كان بالامكان تصديقه ام لا. لكنه يؤكد انه راغب في السلام مع اسرائيل، والتعاون معها. وهو يتطلع الى ان نقدم المساعدة له لادخال انماط جديدة الى بلاده، والاستعانة باراء علمائنا. ومن الجائز ان يكون كل ما قاله، هو مجرد ثرثرة لا طائل تحتها، ومن الجائز ايضا ان يكون راغبا حقا فيما يقول، ويجب علينا ان نفحص مدى صحة كل هذه الامور.

ولسنا ندري حتى يومنا هذا الاسباب التي حالت دون فحص القضية مثلما قال شريت. وبناء على اقوال موشيه معوز، فقد كان هناك خلاف عميق بين بن جوريون والزعيم، والاثنان كانا مرتاحين لاتفاقية الهدنة، ومن الجائز ايضا، ان الزمن والوقت المتوفر لم يكونا كافيين لفحص الامر. فبعد اقل من شهر من ادلاء شريت بالاقوال انفة الذكر، اي في الرابع عشر من آب ١٩٤٩، اطاح انقلاب مضاد بالزعيم والبرازي، وتم اعدامها.

****

لم يؤد اعدام الزعيم الى وقف الافكار الاسرائيلية الخاصة باحداث انقلاب في سورية، فقد شهدت سورية انقلابات اخرى، وعلى ارضيتها جرت محادثات في المثلث اسرائيل - بدير خان، برازي، واول هذه الاتصالات المعروفة، تمت بين بدير

خان وجدعون رفائيل، عام ١٩٥٤، وفي الوقت الذي كانت فيه سورية تعيش هزة سياسية جديدة، قام الرئيس اديب الشكشكلي وهو كولونيل متقاعد، وكان قد ساعد الزعيم في احداث انقلابه بالاطاحة بسامي الحناوي في نهاية ١٩٤٩ الذي اطاح بالزعيم. بيد ان الشكشكلي اضطر للاستقالة على ارضية المظاهرات العنيفة التي اجتاحت سورية، واضطر للفرار من الدولة وهكذا عاد القوتلي الذي رغب برازي بالاطاحة به، في نهاية عام ١٩٤٨- الى كرسي الرئاسة.

وفي السابع من تموز ١٩٥٤، كتب رفائيل لفيشر قائلاً: لقد وافق بدير خان فورا على اعلام حسني برازي بأن اصدقاءه يرغبون بالاجتماع به. وكان فيشر في تلك الاونة قد عين ممثلا لاسرائيل في انقرة. اما رفائيل فقد عين مسؤولاً عن شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية.

ويقول رفائيل: عندما شرعت في معالجة الشؤون العربية، قال لي ساسون: ان المشكلة اليهودية العربية، هي مشكلة يهودية-يهودية. فهذه القضية لم توضع بين ايد مركزية- وهناك العديد من الايدي تعبث بها هنا وهناك. ولهذا السبب القوا على عاتقي هذه القضية كي اعالجها بجدية وسرعة.

وقام فيشر بتعريفي على بدير خان، ولم تكن لدى بدير خان البنية الجدية، التي تتيح فرصة الانطلاق لتحقيق اهداف كردية، لهذا السبب، تعلق بكل قشة خيل له انها قد تقوده الى بر الامان، وامن بأن انقلابا في سورية قد يجلب له او لاخيه فائدة ما. اما برازي، فقد هيأ نفسه لتسلم مقاليد الحكم في سورية، وطلب منا ان نزوده بالمال اللازم لتمكينه من احداث الانقلاب وتقديم المساعدات في الوقت المناسب للاكراد.

ويمكننا ان نستشف جانبا من الامور التي بقيت طي الخفاء، من اليوميات التي سجلها وزير الخارجية شريت في الحادي والثلاثين من تموز ١٩٥٥: "قال لي جدعون رفائيل الذي عاد قبل اسبوع من جولة في اوروبا، انه اجتمع برئيس الحكومة السوري السابق حسني برازي، الذي يسعى من اجل العودة الى السلطة وهو على استعداد للاستعانة من اجل تحقيق هذا الهدف بأي جهة كانت: الاستعانة بتركيا، مقابل تقديم وعد بالانضمام الى محور انقرة -بغداد- والاستعانة بالولايات المتحدة، والتعهد بالسير في كنف الغرب، والاستعانة باسرائيل مقابل التعهد بابرام اتفاقية سلام، وكما يبدو فان اسرائيل كانت تشك في البرازي مسبقا، كشخص لا يمكن الاعتماد عليه.

واضاف .. من الواضح انه يكفي ان تلمح تركيا اليه بانها قد تلجأ الى الاتحاد مع العراق كي يقلب لنا ظهر المجن. انه يقول لنا الان: اريد مالا لكسب وسائل الاعلام، ولشراء الاشخاص، ولشراء الاحزاب.

وقد اقترح رفائيل على برازي وهو شخص شديد الشراء، ان يقوم بالعمل، على جمع الخيوط كلها بيده، وان يجند اصحاب رؤوس اموال، وان يبادر الى طرح مخططات لتوطين اللاجئين، وتجفيف المستنقعات، واستغلال مياه اورونتس للري، الامر الذي يجلعه يروق في اعين الولايات المتحدة، وبالتالي تعمد الى منحه مبالغ مالية كبيرة، وايضا تأييدا سياسيا، وقد اصغى البرازي بانتباه، ثم قال: ما تعرضه علي يتطلب وقتا طويلا جدا، ويمكن تنفيذه فقط في اعقاب تولي السلطة، وانه في حاجة الان لسلطة ضخمة.

ولم تنته هذه المسألة عند هذا الحد، ففي السابع من شباط ١٩٥٦، كتب شريت في يومياته جملة ملتوية، قال فيها: جدعون رفائيل اخبرني انه يعتزم السفر الى الخارج، ويعقب رفائيل على ذلك بالقول: انه كان يعتزم الاجتماع بالبرازي للحصول على معلومات حول ما يجري في سورية.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

عندما طرح بدير خان، فكرة الاستقلال الكردي، خيل ليوفال نئمان انه يرى فيه صورة لبن جوريون، فهو رجل شديد الحماس، ويمتلىء صدره بايمان لا يعرف التهاون، ويخوض معركته بقوة هائلة. وقد اعرب علانية عن خوفه من حدوث مذبحة ضد الشعب الكردي. وقال لنئمان: لقد نلتم ما كنتم تصبون ايه، والان يتوجب عليكم ان تدربوا شبيبتنا، اعدوا لنا كوادر، وسوف نرسل اليكم اذكى شبيبتا كي تحولوهم الى ضباط وجنود كي يقودوا مقاتلينا على طريق الاستقلال، تماما مثلما تمكنتم انتم، من تحقيق استقلالكم.

بعث نئمان تقريرا مفصلا لرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية المسؤول، يهوشفاط هركابي، لكن هركابي كان يشك في القضية. اما نئمان فلم ينفض يده من القضية، وفي تلك الاونة زار باريس شاؤول ابيجور رئيس الموساد السابق للهجرة الثانية، ورجل المهامات السرية والخاصة لصالح الامن القومي. فقام نئمان بترتيب اجتماع بينه وبين بدير خان.

ويقول نئمان: عقد الاجتماع في شقتي، وجاء ابيجور مثلما هي عادته باسم مستعار هو "مسيو بن ديفيد" وقد حدث لديه انطباع جيد جدا ووعد

بعرض القضية امام بن جوريون، واوفى بوعده.

ويقول نئمان: انه يعتقد ان جميع الاحداث التي وقعت بعد ذلك، بما فيها الاتصالات مع الملا مصطفى البرزاني، ولدت في اعقاب لقاء أبيجور وبدير خان.

ويضيف... ليس ادل على ذلك مما حدث خلال الزيارة الاولى التي قام بها البرزاني، في نيسان ١٩٦٨ لاسرائيل. فقد جرى له استقبال رسمي فخم في بيت الضيافة الحكومي، الذي يتم فيه إستقبال الضيوف الاجانب والسريين احيانا، قدم خلالها كل ما لذ وطاب من طعام وشراب، وقام رئيس الموساد اللواء مائير عميت، بتعريف البرزاني على يوفال نئمان، وقال له: هذا هو الرجل الذي مهد لكم الطريق لدينا، فقام البرزاني بمعانقتي وتقبيلي.

ويقول عميت: كان بدير خان قد كرس كل حياته للقضية الكردية، وهو الرجل الذي تمكن من نقل صرخة ابناء شعبه، لاذان الغرب، وهو اول زعيم كردي نتعرف عليه، ويحاول دفعنا نحو تقديم المساعدات للثوار الاكراد في وطنهم.

بيد انه لم يحظ بمكانة مرموقة، او ذات احترام لدى البرزاني، ورغم ذلك من الجدير بالذكر ان بدير خان هو الذي قدم النصيحة لاسرائيل، حول كيفية الوصول الى مصطفى البرزاني.

* *

ولا يمكننا الان، ان نخمن فيما اذا كان الانقلاب في سورية، بمساعدة اسرائيل، سيسير بالاتجاه المطلوب، ام لا. وفيما اذا كان الانقلاب سينجح حقا، هل كانت سورية ستوقع على اتفاقية سلام مع اسرائيل؟؟

ولا توجد لدينا ايضا اية دلائل تؤكد على ان الزعيم السوري الذي سيحدث الانقلاب، حتى لو كان كرديا، وينفذ تعاليم بدير خان، سيتمكن من تجسيد الطابع الوطني للاكراد والاقليات الاخرى، مثل الدروز في سورية.

لقد واصلت القضية الكردية غليانها ونضوجها على نار هادئة في اطار النشاطات السياسية الاسرائيلية. وهناك وثائق مصنفة، اثناء كتابتها، خلال الفترة الواقعة بين ٥٨-١٩٥٩ تحت مصطلح سري للغاية، من بين الوثائق التي سمحت وزارة الخارجية للجماهير بالاطلاع عليها، وتحمل هذه الوثائق الكثير من التقارير حول ما يحدث لدى الاكراد، وحول الاهمية الاستراتيجية لكردستان العراقية، وعلى وجه الخصوص بسبب وجود النفط في منطقة كركوك.

ان الرجل الذي قدر له ان يذكي النيران الكردية، ويحولها الى لهب مستقر، هو نفسه الملا مصطفى البرزاني.



زعيم التمرد البرزاني
الرئيس العراقي عبدالكريم قاسم ٥٨ ـ ١٩٦٣.
الرئيس العراقي عبد السلام عارف ٦٣ ـ ١٩٦٦.
الرئيس العراقي عبدالرحمن عارف ٦٦ ـ ١٩٦٨.

الرئيس العراقي أحمد حسن البكر ٦٨ ـ ١٩٧٩.
نائب الرئيس العراقي صدام حسين التكريتي.
الرئيس المصري جمال عبد الناصر ٥٦ ـ ١٩٧٠.

الفصل الرابع

لست سوى كردي بسيط

تقع قرية برزان والتي تعني باللغة التركية ارض الهجرة - على بعد ثمانين كيلومترا شمال مدينة اربيل، على منحدرات جبل شيرين، وهي قرية جميلة وكبيرة، تترامى فوق ارض زراعية مثمرة، على بعد قليل من نهر الزاب الكبير، الذي يصب في دجلة. وهناك اسطورة متداولة في القرية تفيد بأن شجرة عائلة البرزاني تمتد حتى جذور الامارة القديمة المسماة "عمادية" والتي تنازل اميرها عن العرش كي يعيش عيشة الفقراء. وقد التحق حفيد الامير الى جماعة النقشبندي التابعة بجمعية الدراويش المسلمين السنيين.

ويقول الملا مصطفى البرزاني، خلال الحوارات التي اجراها مع المستشارين الاسرائيليين، في غضون السنوات اللاحقة، ان عائلته تسكن في برزان منذ ١٢٧٠ عاما وتستمد هذه العائلة قوتها من كونها اجرأ واشجع العائلات في المنطقة. ولهذا السبب قامت خمس عشائر درزية كبيرة باللجوء اليها، والعيش في كنفها، وحملت اسم البرزاني ايضا.

وتقول الدكتوره (عوفره بنجا) في كتابها "حرب الاكراد في العراق" البرزانيون هم العائلة الوحيدة التي تمكنت من خلق زعيم وطني ليقودها في نضالها اكثر من ثلاثين عاما.

والبرزاني هو الزعيم الذي اسهم اكثر من اي زعيم آخر في بلورة فهم وادراك وطني كردي.

وفي لقائه مع (دنا ادمس شميدت) مراسل جريدة نيويورك تايمز، ابان استضافته له في منتصف عام ١٩٩٢، قال البرزاني: لقد قاتل البرزانيون دائما، قاتلوا الفرس -الايرانيين- وقاتلوا العرب -العراقيين- وقاتلوا ايضا الاكراد. اي ان البرزانيين خاضوا حروبا داخلية، وحروب تحرير - ومن الجدير بالذكر ان البرزانيين قاتلوا في البداية ضد عشيرة (الزيباري) التي ادعت ملكيتها لقرية برزان، ثم قاتلوا الاكراد الذين تعاونوا مع العراقيين.

لقد كان الشيخ سعيد البرزاني جد مصطفى البرزاني، احد اشد المناوئين والمحرضين ضد الامبراطورية العثمانية وقام ابنه الشيخ محمد بقيادة الثورات وعمليات التمرد خلال الاعوام ١٩١٩، ١٩٢٢، ١٩٢٤، ١٩٢٦. ورأى البريطانيون

وهم يمزقون مقاتليه شر ممزق بالقصف الجوي.

وفي اعقاب ثورة ١٩٢٦ انتقل الشيخ محمد للسكن في ايران، بيد انه عاد الى العراق بعد اربع سنوات، وعرض على البريطانيين اقتراحا مفصلا على النحو التالي: اخلاء منطقة تبلغ مساحتها خمسة وثلاثين الف كيلومتر مربع تمتد من (خانقين) في الشرق، وحتى منطقة زاخو) في الغرب، من اية قوات عراقية واقامة حكومة كردية تحت حماية الانتداب البريطاني، بيد ان البريطانيين ردوا عليه هذه المرة ايضا بالقصف المدفعي وهزموه.

وعندما توفي الشيخ محمد هناك من يقول انه شنق، ومن يقول انه مات موتا طبيعيا ورثه ابنه عبد السالم، والذي كان شريكا هو الاخر في التمرد ضد العثمانيين، ثم هاجر الى ايران لاجئا، ثم ارغم على مغادرتها الى تركيا، وهناك توفي. وفي عام ١٩١٥ تم تنصيب الابن الثاني احمد شيخا للقبيلة، بيد انه كان رجل دين غريبا، وتسبب في اثارة الكثير من الخلافات والتوتر في اوساط القبيلة، كلفته في نهاية المطاف حياة شقيقه الثالث محمد صادق.

وفي عام ١٩٤٣ تسلم الابن الخامس مصطفى البرازاني عصا القيادة، كان مصطفى قد تلقى علومه الابتدائية في برزان، وواصل الدراسة في تركيا، واستكمل علومه الدينية في السليمانية، وقد تذوق طعم التمرد وهو لم يتجاوز ثمانية عشر شهرا، عندما زج مع امه في السجن العثماني.

وفي عام ١٩٣١، بدأ نشاطاته في التمرد الكردي واقنع شقيقه الشيخ احمد بالعودة الى الاسلام السني.

وفي عام ١٩٣٢ قام لواء عراقي بمهاجمة قرية برزان من الجنوب الشرقي - وهي الثغرة الوحيدة في الجهاز الدفاعي الطبيعي للمنطقة، في محاولة للاطاحة بالشيخ احمد. وقد وقع اللواء في كمين نصبه له الاكراد، وكان بالامكان تدميره نهائيا، لولا تدخل سلاح الجو البريطاني.

وقد اضطر الشيخ احمد لتحرير اسراه العراقيين والاكراد الذين كانوا يقاتلون ضد البرزاني ومغادرة المنطقة، وعبور الحدود التركية. بيد ان السلطات التركية اعتقلته وفي نهاية عام ١٩٣٣، سلمته الى العراق والتي قامت بارساله بصحبة العشرات من مؤيديه، بمن فيهم الملا مصطفى الى معسكرات بعيدة في جنوب العراق، وقد بقوا هناك اربع سنوات، ثم ارسلوا الى السليمانية لقضاء سبع سنوات اخرى.

لقد ازعجت التمردات الكردية الدائمة حكومات تركيا وايران والعراق. وفي الاتفاقية التي تم توقيعها في اذار ١٩٣٧ بين الدول الثلاثة ثم الاتفاق على حضر اقامة اية جمعيات او مجموعات او منظومات مسلحة، تسعى لتصفية دول قائمة، كما حظرت اية نشاطات لمثل هذه الجمعيات.

لقد سر البريطانيون للقرار انف الذكر، نظرا لانهم كانوا يسيطرون على عدد لا يستهان به من آبار النفط العراقية، وسارعوا لمنح القرار انيابا، ووضعوها تحت تصرف العراق لاستخدامها، مؤكدين بذلك، على ان اي نظام لن يقوم في المنطقة بدونهم.

❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊

بدأ مصطفى البرزاني وهو في السليمانية وهي مدينة كبيرة، ويعتبر احد الالوية الاربعة في كردستان- في بلورة اهدافه السياسية، وعثر هناك ايضا على لغة مشتركة مع شخصيات كردية تدرك مدى اهمية الاستقلال، وقد تأثر بآرائهم وافكارهم الى حد كبير.

وفي الكتاب الذي الفه (حسن عرفه) رئيس اركان الجيش الايراني الاسبق، وسفير ايران في تركيا واسبانيا، تحت اسم "الاكراد" جاء: تمكن البرزاني عام ١٩٤٣ من الفرار من السليمانية، وعاد الى برزان وشرع في وضع بنية العمل ضد حكومة العراق وعمد بادئ ذي بدء الى اقناع رؤساء القبائل المجاورة ومن ضمنهم اعداء البرزاني السابقون، واعلن انه لا يعتزم توسيع اراضي قبيلته القوية بأرض خصبة، بل يعتزم تحرير اراضي الاكراد كلها، وتحرير الشعب الكردي.

ثم بدأ حرب عصابات ضد الجندرمة والجيش العراقي. وقد ادى نجاحه في احتلال مواقع عسكرية ومراكز شرطة عراقية الى اكسابه الكثير من الاحترام والتقدير في اوساط الاكراد القاطنين على طول المناطق الحدودية، وبدأ الكثيرون منهم بالانضمام اليه.

ادركت الحكومة العراقية انها تتعامل مع عدو جدي، لذا حاولت اقناعه بالاستسلام، فرد عليهم البرزاني بمهاجمة قوة عسكرية عراقية وارغمها على التراجع بعد ان كبدها خسائر فادحة مما جعل اسمه يطلب يطبق في الافاق بكردستان، مما حدا بالعديد من الجنود الاكراد في الجيش العراقي يفرون ويلتحقون بقواته.

في نفس الوقت الذي كانت قوات البرزاني تحرز الانتصار تلو الانتصار، بدأت عناصر كردية وطنية تعمل في شتى انحاء كردستان وبغداد مطالبة بالحكم الذاتي للاكراد، وبعثت هذه الشخصيات عرائض الى حكومة العراق وممثلي الحلفاء في بغداد. وقام السفير البريطاني في بغداد بارسال رسالة الى حكومته طالب فيها بالاصغاء الى مطالب الاكراد والكف عن القيام بعمليات عسكرية ضدهم.

وفي نفس الوقت ابدت الحكومة العراقية برئاسة نوري السعيد استعدادا لقبول المطالب الكردية الاكثر اعتدالا. وقام نوري السعيد وهو سياسي محنك من اصل عربي - كردي مختلط، بتكليف وزير كردي في حكومته بفتح حوارات مناسبة بهذا الخصوص. وقد طالب البرزاني بتشكيل لواء كردستان في العراق، بحيث يتضمن المدن الكبيرة كركوك والسليمانية واربيل ودهوك وخانكين، والمناطق المتاخمة لها، كما طالب بتعيين وزير مسئول عن هذا اللواء، وتعيين نائب كردي لكل وزير، ومنح الاكراد حكما ذاتيا في مجالات التربية والتعليم والاقتصاد والزراعة.

رفض غالبية وزراء نور السعيد المطالب الكردية، واكدوا ان قبولها سيؤدي الى رفع شهية الاكراد، اضافة الى انها ستضعف الحكومة المركزية. ورغم ان المطالب رفضت، الا ان البرزاني اكتسب قوة كبيرة جدا، واصبح زعيما معترفا به، يحظى باحترام وتقدير جميع الاكراد.

وفي كانون الثاني، قام البرزاني بحملة سياسية بهدف حث الحكومة العراقية على التطبيق الفوري للحكم الذاتي، وفي غضون شهر، انشأ منظمة سياسية اسماها "مجموعة الحرية" والتي تدعو الى وحدة الشعب الكردي. وبدأ رجاله يرسلون العرائض لدول مختلفة ويقومون باعمال الدعاية ضد الحكوة الاستغلالية والرجعية في العراق.

وفي احدى عرائضهم الى سفير الولايات المتحدة، قدموا شكوى ضد حكومة نوري السعيد وضد الحكومة البريطانية، التي تقدم لهما المساعدات العسكرية ضد الاكراد، واعربوا عن تبني نقاط الرئيس الامريكي ويلسون الاربع عشرة، والتي تنص في احد بنودها على حق جميع الشعوب، في تقرير المصير الوطني.

وفي الاول من اذار ١٩٤٥، علم البرزاني من مصدر كردي ان الحكومة

العراقية تنظم هجمة عسكرية على قواته قريبا، فسارع الى اتخاذ الاستعدادات اللازمة لمواجهتها، الامر الذي ادى الى الغائها، ثم استؤنفت الاتصالات بين الجانبين، والتي تواصلت حتى آب ١٩٤٥، وقد اقترحت الحكومة العراقية على البرزاني، ان ينتقل الى اية منطقة عراقية اخرى خارج كردستان، بيد انه رفض العرض رفضا تاما.

وفي العاشر من آب ١٩٤٥ نشبت معارك طاحنة بين الجيش العراقي والقوات الكردية تمكن خلالها الاكراد من تكبيد الجيش العراقي خسائر فادحة، بيد ان هناك عاملين حالا دون تمكنهم من هزيمة العراقيين، بل ومن الحفاظ على الوضع الراهن: القصف الجوي البريطاني، وانضمام بعض القبائل الكردية المعادية للبرزاني الى الجيش العراقي، وقد اسمت هذه القبائل قواتها باسم فرسان صلاح الدين. لقد كانت الكراهية والعداء المستعران بين الجماعتين الكرديتين المتنازعتين اشد من العداء والكراهية القائمين بين قوات البرزاني والجيش العراقي. وقد اطلق البرزانيون على الاكراد المعادين لهم لقب (الجحوش).

ومن الجدير بالذكر ان جريدة "الثورة العربية" وهي الجريدة الناطقة باسم "حزب البعث" اوضحت فيما بعد، ان (الجحوش) كانوا مرتزقة يقاتلون من اجل شيوخهم نظير مقابل نقدي، ولم يكن العراقيون قادرين دائما على الثقة بهم، او الاعتماد عليهم وعمد بعض هؤلاء الجحوش، الى اقامة علاقات سرية مع البرزاني.

وفي تعقيب البرزاني، امام ديفيد كرون، ممثل الموساد في طهران خلال الفترة الواقعة بين ٦٥-١٩٦٩ قال: ان الجحوش هم ثلاثة انواع:

* الجحوش الجيدون، وهم اولئك الجنود الذين حصلوا من العراق ومن رؤساء قبائلهم على اموال واسلحة مقابل محاربة البرزاني، بيد انهم لم يقاتلوه، بل ايضا اقتسموا معه المال والسلاح.

* جحوش يمكن احتمالهم: وهم الاكراد الذين حصلوا على المال والسلاح، من حكومة العراق ومن رؤساء قبائلهم، واحتفظوا بها، متذرعين بشتى الذرائع والمبررات، كي لا يحاربوا قوات البرزاني.

جحوش ملعونون: وهم اولئك الاكراد الذين قاموا بكافة الجهود الممكنة للمساس بالمتمردين على خلفية الخلافات العشائرية او غيرها.

وفي الثلاثين من ايلول ١٩٤٥، وعلى ارضية الانتصارات التي احرزها

مقاتلوه، الذين سيطروا على ممر طويل على طول الحدود الايرانية، توصل البرزاني الى قرار استراتيجي. فقد احصى جميع من اتبعه من مقاتلين وعائلاتهم، وقطعان اغنامهم، والمثقفين والمعلمين والموظفين الحكوميين، والضباط والجنود، ورجال الجندرمة، الذين فروا اليه من الجانب العراقي، وخرج باستنتاج مفاده: انهم لن يستطيعوا هذه المرة صد القوات العراقية، لذا اصدر امرا يقضي باجتياز الحدود والسكن شمال غرب ايران الى جوار الاكراد الذين وصلوا الى هناك، تحت حماية الجيش الاحمر ابان الحرب العالمية الثانية.

كان السوفييت، حتى ذلك الحين، يشجعون التطلعات القومية الكردية في المنطقة، بل وساعدوا في اقامة كيان كردي عام ١٩٤٦ يدعى (ماهاباد) على قطاع ضيق الى الشرق من الحدود العراقية التركية، من الحدود السوفيتية، وتترامى حتى الاطراف الشمالية (لساكيز)، لقد اعتبر السوفيت المهاجرين الاكراد الذين قدموا الى المنطقة، بمثابة قوة لتعزيز الكيان الذي انشأه، لذا امر مصطفى البرزاني بأن يضع نفسه تحت امرة رئيس جمهورية (ماهاباد)، بيد ان هذه الجمهورية، لم تعش حتى سنة واحدة، فقد سحب السوفييت قواتهم منها، وسارع الايرانيون الى السيطرة على اراضيها، والاعلان عن الغائها، وقد فر مصطفى البرزاني الذي قاد جيش الجمهورية بجلده، ومعه خمسمائة من اتباعه، وقضى ستة واربعين يوما في طهران، ودرس العرض الذي قدمه اليه والذي ينص على ان يسكن هو واتباعه في اقصى القسم الجنوبي الشرقي من المنطقة الكردية في ايران، بالقرب من (حمدان).

وعندما ادرك ان الايرانيين يريدون في حقيقة الامر، اقصاءه وتحييده، طلب من البريطانيين ان يساعدوه، في العودة الى شمال العراق. وقد ردت حكومة بغداد على ذلك، باصدار بيان ينص على اعدام البرزاني ورجاله، حال القاء القبض عليهم، وهذا ما حدث فعلا مع رجاله الذين عادوا الى العراق.

وباءت بالفشل جميع المحاولات التي بذلها مصطفى البرزاني للحصول على مأوى مؤقت له ورجاله في الولايات المتحدة، ويقول السفير الامريكي في طهران (جورج الن) - الذي عالج هذه القضية، بصورة مباشرة- في المقابلة التي اجراها مع مراسل جريدة نيويورك تايمز: لقد تعاملت الولايات المتحدة مع المتمردين الاكراد بشكوكية عميقة، ولم يجد البرزاني مفرا سوى الاتجاه الى الاتحاد السوفياتي، ولم يبدأ رحلته الطويلة، الا بعد ان عادت غالبية مؤيديه من

(ماهاباد) بسلام الى وطنهم.

ويقول البرزاني لمراسل جريدة نيويورك تايمز: سرنا اثنين وخمسين يوما في اعالي الجبال، وقد توجهنا بادىء ذي بدء بالاتجاه الشمالي الغربي، واجتزنا ثلج الربيع المتأخر، والذي وصلت كثافته ما بين مترين واربعة امتار، وفي الطريق، قاتلنا اعداءنا، وقتلنا اربعة منهم، وكنا نحمل معنا سبعة جرحى، وحينما دخلنا الاراضي التركية، تملصنا من الاحتكاك مع الجيش التركي، وعدنا الى حدود ايران، وخلال الفترة الواقعة بين ١٦-١٨ حزيران ١٩٤٧، اجتزنا حدود الاتحاد السوفياتي.

وقال البرزاني، لديفيد كرون: لقد كلفنا اجتياز الحدود الايرانية برميلا من الذهب، دفع الى الضابط الايراني المناسب.

وعلى اراضي الاتحاد السوفياتي عاش البرزاني فترة حلوة ومرة، وقد قال لبدير خان، ان تلك الايام لم تكن سعيدة. فبادىء ذي بدء، تم توطين مؤيديه في معسكر جيش قديم، وارغموه على ممارسة اعمال مهينة، مثل تنظيف الشوارع، وازاحة الثلوج، وقد اثارت هذه المعاملة السوفياتية غضب البرزاني الى ابعد حد. ويقول لبدير خان: انه لن ينسى طيلة حياته هذه المعاملة المهينة من قبل السوفييت.

وفي اعقاب الضغوط الشديدة التي مارسها برزاني وافق السوفييت على اجتياز مقاتليه دورات وتدريبات عسكرية تم تحديدها لهم، وقد اجتاز اصحاب الكفاءات العالية منهم، تدريبات على مستوى ضباط، دون ان يحظوا بهذه الرتبة، وحظي آخرون بتدريبات مهنية مدنية مختلفة ووصل البعض الاخر، الى مرحلة التعليم الاكاديمي العالي، ثم جرى توزيعهم في انحاء الاتحاد السوفياتي للعمل في العديد من الاطر الصناعية والزراعية والحرفية الاخرى. وتعلم الكثير من الاكراد اللغة الروسية، بيد انهم لم يغيروا انماط حياتهم، ولم يصبحوا شيوعيين، ولم يطالبهم السوفييت بأي شيء من هذا القبيل.

ويقول البرزاني لحاييم لبكوف ابان ترؤسه الوفد الاسرائيلي الذي زار كردستان خلال الفترة الواقعة بين ٦٦-١٩٧٢: لقد اوضحت للروس اننا مسلمون ومؤمنون، والمسلم لا يستطيع ان يكون شيوعيا.

وعندما تحول بعض مقربيه بمن فيهم ابن شقيقه الى شيوعيين، قام البرزاني بقطع صلته معهم.

تزوج ثمانون شخصا من مؤيدي البرزاني من نسوة (تركمانيات)، ومسيحيات روسيات. ولم يكن البرزاني راضيا عن هذا الزواج المختلط. بل لقد صفع عبدالله كبير حراسه الشخصيين صفعة مدوية عندما طلب منه الاذن للزواج من امرأة محلية.

لم يحظ البرزاني بمكانة لاجىء سياسي، ولم يطلب منه السوفييت ان يقوم باشعال نيران الثورة في المنطقة، ولتدبير معيشته عمل في البداية قصابا، ثم اشتغل في مطحنة. بيد ان العلاقة من جانب الروس تغيرت تجاهه فيما بعد.

هل درس البرزاني في الاكاديمية العسكرية المعروفة (برونزه) والتي درس فيها ثوار روس من اجل العمل في دول اخرى؟ يقول كرون انه سمع منه ما يلي: مر زمن طويل منذ وصولنا الى الاتحاد السوفييتي، وبعد ان عملت زمنا لا بأس به في مطحنة قمح، استجابوا لي، وتعاملوا معي بصورة افضل، وقاموا بارسالي بالقطار الى موسكو. الى الكرملين لاجراء حديث مع رئيس الدولة ستالين، فاوضحت له المشكلة الكردية، فسألني هل انت زعيم عسكري؟ ثم ارسلني الى الكلية العسكرية برونزة. وكانت اسئلة امتحان القبول سهلة للغاية، حيث سألوني هل تعرف اين الشمال؟؟ واين الجنوب؟؟ فاجبت الاجابة الصحيحة.

ويقول شميدت: انه سمع من البرزاني نفيا قاطعا لهذه الرواية، ومنحه في اعقاب انهائه الكلية رتبة جنرال، وقال: لقد حصلت على هذه الرتبة ابان قيادتي الجيش لجمهورية (ماهاباد).

وفي اعقاب وفاة ستالين عام ١٩٥٣، تحسنت معاملة القادة الذين خلفوه مع البرزاني، بل لقد وضع (نيكيتا خروتشوف) الذي خلفه تحت امرة البرزاني شقه، وارسله لاستكمال تعليمه وثقافته في العديد من المجالات، وعلى وجه الخصوص في المجال الاقتصادي والجيولوجيا واللغة الروسية في معهد تأهيل الكوادر التابع للحزب الشيوعي. ولم يبد الروس في تلك الاونة اية نية او رغبة في مساعدة البرزاني في تحقيق اماله السياسية، لكنهم سمحوا له باجراء مقابلات على مستوى رفيع، مثل اللقاء الذي اجراه مع عضو القيادة ميخائيل سوسلوف.

ويقول الدكتور نجم الدين كريم الذي انضم الى حاشيته البرزاني في آب ١٩٧٣، ان البرزاني قال له، انه حضر حفلة اقامها خروتشوف، وزعماء آخرون في الحزب الشيوعي، وفي احدى الحفلات التي عقدت في كازاخستان لم يبق واقفا على قدميه سوى انا وخروتشوف.

❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊

ساد الهدوء النسبي على الاراضي الايرانية في اعقاب تصفية الكيان الكردي الذي قام آنذاك هناك. لقد تمكنت ايران وتركيا والعراق من اسكات النشاطات التي كانت تقوم بها الحركة الكردية على اراضيهن تماما، وبالتالي درأوا عن انفسهم خطر مستقبلي "مثلما قال يوسف هدس، نائب شعبة الابحاث التابعة لوزارة الخارجية الاسرائيلية، في الوثيقة، التي اعدها في العشرين من نيسان ١٩٥٩.

هذا، ولم تتطرق الوثيقة المذكورة الى سورية، لان الاكراد داخل اراضيها قليلون نسبيا، بيد انه سرعان ما تم العثور على آثار الملا مصطفى البرزاني في سورية، فقد اتسمت هذه الدول بعدم الاستقرار، وقويت شوكة احزاب اليسار فيها، ورفع الشيوعيون رؤوسهم، وبدا بوضوح ان الاكراد تلقوا امرا من السوفييت لنقل مركز نشاطاتهم الى سورية.

وفي الوثيقة التي كتبها هدس، جاء ايضا: "اعتاد البرزاني ان يأتي بين الفينة والاخرى سرا الى سورية، وتوسعت نشاطاته، وبدأ الاكراد يتلقون اسلحة ثم تهريبها اليهم بطرق واساليب مختلفة. كانت يد الرئيس المصري جمال عبد الناصر طويلة جدا في سنوات الخمسينات والستينات، وبوحي منه، وخلال اجتماعي الدول الاسيوية والافريقية عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٧ تم اتخاذ قرارات بحق الاكراد في مطالبهم الوطنية بيد ان العراق هو الجهة التي عملت آنذاك على تغيير تعاملها مع البرزاني ورجاله.

وفي تلك الاونة، دبر ضابط عراقي رفيع يدعى عبد الكريم قاسم انقلابا على العائلة الحاكمة في العراق، وقتل الملك ورئيس حكومته وانشأ في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ حكومة ثورية. وبينما كان مصطفى البرزاني في براغ، وصلته برقية من عبد الكريم قاسم، تطالبه بالعودة الى العراق، كما قدم وفد عراقي كردي قادما من العراق وهو يحمل طلبا مماثلا.

وقبل ان تطأ اقدام البرزاني اراضي العراق، سن نظام عبد الكريم قاسم تشريعا جديدا جاء فيه: ان العرب والاكراد شركاء في هذه الامة، وان القانون يضمن حقوقهم الوطنية العامة.

بلغت السماحة ذروتها في قلوب الاكراد، واكد اولئك الذين يعنون بتدوين التاريخ، ان عبد الكريم سجل في تلك الاونة تاريخا جديدا، فلاول مرة تعترف

دولة عربية بالحقوق الوطنية للاكراد الذين يعيشون على اراضيها. ولم يكتف قاسم بذلك، بل منح مكانة مشروعة للحزب الديمقراطي الكردي، وصادق على اصدار اربع عشرة صحيفة كردية. وقد دلت اسماء هذه الصحف على التحرير الوطني.

وفي التقرير الذي وصل الى وزارة الخارجية الاسرائيلية بهذا الصدد دون اسم او عنوان جاء: فجأة اصبحت القضية الكردية فعالة، ولا يرجع ذلك لفضل الاكراد انفسهم، بل بفضل النشاط السوفياتي والمصري الذي سبق مرحلة انقلاب قاسم.

وفي التقرير الذي اعدته شعبة الابحاث والذي استند الى حد بعيد على تقديرات شعبة الاستخبارات العسكرية، جاء: الاكراد متخلفون وبنيتهم الاجتماعية هشة، والبلورة الوطنية لا زالت في بدايتها، وعلى وجه الخصوص في العراق. حيث تعمل عناصر تحريضية من الشبان والضباط والمتمردين ضد الاضطهاد القبلي، والتخلف الاجتماعي.

واضافت الوثيقة... لا علاقة البتة بين القضية الكردية ووزن الامة الكردية. واقامة كردستان هي بنوءة غامضة جدا، ودون اي اسس سياسية واقتصادية معقولة. بيد ان مجرد تطور الامور، والاهتمام والخوف الذي يبديهما العراقيون والايرانيون حاليا، والمعالجة الايجابية لحقوق الاكراد، وتحسين مكانتهم في الاطر السياسية القائمة، هي خطوة ذات مغاز كبيرة، تسرع عملية بلورتهم وتحسين مكانتهم. ومن المحتمل ان تصبح اساسا ومرحلة لمطالبات وتطورات بعيدة المدى في المستقبل.

****

ادت عودة البرزاني الى العراق الى اشعال العديد من الاضواء الحمراء في الغرب. وقد استقبل البرزاني حال عودته من الاتحاد السوفياتي، استقبال الابطال. وقد اعتبرت الجماهير الكردية الاتحاد السوفياتي كدولة تقود الحرية والتقدم في العالم، وانها عدو لكل من يناصب الاكراد العداء.

بقيت تلك الاضواء الحمراء مشتعلة، حتى بدأت المعلومات تتوارد على دول الغرب حول نشاطات في سورية تفيد بأن البرزاني يجري لقاءات مع دبلوماسيين سوفييت في سورية ممن يعملون في بغداد، مما زاد الشكوك، في انه يعمل بتكليف من الاتحاد السوفييتي. وبناء على ذلك، شرع الغرب في التفكير في ابراز زعيم كردي اخر في مواجهته كي يوازنه. وليس من المستبعد، ان تكون

الولايات المتحدة، قد تحدثت مع طهران بهذا الصدد. هذا في الوقت الذي كان فيه شاه ايران، محمد رضا بهلوي، يشعر بقلق كبير جراء عودة مصطفى البرزاني الى الدولة المجاورة لبلاده، وجل ما كان يخشاه، هو ان يعمل البرزاني على الانتقام منه لتصفيته جهورية ماهاباد، ويثير له القلاقل في اوساط الاكراد الايرانيين. واعتقدت كل من الدولتين ان بدير خان، قادر على ان يقوم بهذا الدور، وقد بدت اثار هذا القرار في وثائق وزارة الخارجية الاسرائيلية.

عرض جهاز (السافاك) الايراني - الوكالة الايرانية للاستخبارات والامن. وفي ايلول ١٩٥٨، على بدير خان السكن في ايران والعمل من داخلها. وقد سبق هذا العرض، حوار بين بدير خان والشاه بهلوي، وايضا بين بدير خان والجنرال تيمور بختيار، رئيس جهاز (السافاك)، وهو من اصل كردي.

وعلى غرار الوطنيين الاكراد، اعتبر بدير خان الاكراد الذين يخدمون الجهات الاجنبية، عملاء وخونة، ورغم ذلك، امل في ان يتمكن من الحصول على فائدة ما من علاقته ببختيار. وفي نفس الوقت لم يرفض بختيار من جانبه اقتراحات بدير خان، للعمل من اجل الحفاظ على الحضارة الكردية في اوساط الاكراد الايرانيين، وتعيين موظفين رفيعي المستوى في المقاطعات الكردية. ورغم موافقته، الا ان ايا من الاقتراحات المذكورة لم يخرج الى حيز التنفيذ الفعلي.

اما الشاه، فقد ابدى صبرا وضبط نفس تجاه الاكراد في ايران، ولم يطالبهم بالتخلي نهائيا عن ماضيهم الحضاري، وذلك شريط ان لا يجرؤوا على ذكر كلمة حكم ذاتي. وقد عرض على بدير خان ان يترأس وسطا للغة والحضارة الكردية في جامعة طهران، في ظل شروط متشددة للغاية.

قرر بدير خان، وضع الشاه على المحك العملي، فقبل العرض الذي قدمه اليه، لكنه اشترط ان يسمح له باصدار جريدة باللغة الكردية، يتم توزيعها في انحاء كردستان الايرانية، وفتح مدارس ابتدائية في كردستان الايرانية تدرس باللغة الكردية، وتعيين حكام مقاطعات وموظفين على مستويات مختلفة من اصل كردي، وذلك من اجل تعزيز الجماهير الكردية، وتعزيز اخلاصها للتاج الايراني. وقد رد الشاه على هذه المطالب بالقول: سندرس هذه المسائل وسنرد عليها قريبا، بيد انه لم يستجب لاي من تلك المطالب، مثلما كان متوقعا مسبقا.

لقد رفض بدير خان اقتراحا اخر، كان بمقدوره ان يملأ خزانته الخاوية. وكان بدير خان، في تلك الاونة، قد تزوج من فتاة بولندية اصغر منه بكثير، وهي

من عائلة ثرية للغاية، بيد انها فقدت كل ثروتها في اعقاب تسلم السلطات الشيوعية الحكم. وكانت (نتاشا) قد هاجرت الى مدينة الاضواء الفرنسية، بأمر من عائلتها، واصبحت طالبة في السوربون، ودرست على ايدي بدير خان اللغة الكردية. وعندما شعرت انه اسرها بسحره، قررت تكريس حياتها لابناء شعبه، وان تصبح، ليس فقط زوجته، بل ايضا سكرتيرته الخاصة. وقد جلبت معها لعريسها قدرا لا بأس به من النقود، ومزرعة واسعة على بعد ثمانين كيلومترا من باريس، كان ذووها قد اشتروها، بما تبقى لديهم من اموال.

ساعدت الاموال بدير خان وزوجته في السكن في منطقة الجامعة، في شقة في دور مرتفع بعيدا عن ايدي اي شخص قد يحاول اغتياله، هذا في الوقت الذي كانت فيه المزرعة موجودة دون اي جدوى، فقد بلغ ثمنها في تلك الاونة حوالي مائة الف دولار، وهو ثمن زهيد بالنسبة لها، ولم يقبل الاثنان بيعها مقابل مثل هذا المبلغ.

ويقول بدير خان، في احدى لقاءاته مع بن ديفيد... فجأة عرض علي الايرانيين ان نبيع المزرعة لهم بمليون دولار، اي عشرة اضعاف المبالغ المعروض عليهم.

ويضيف... لو انني استجبت للمطلب الايراني بالانتقال للعيش في ايران لتحولت الى رهينة في ايديهم، ولكانوا لوحوا بي في كل مرة تثار مشكلة الاكراد، وكأنهم استجابوا بذلك لجميع مطالبنا، وعندما تهدأ الاوضاع الكردية، كانوا سيتخلصون مني بطريقة او بأخرى، ولا شك انهم كانوا سيجعلونني استبدل غرفتي في حرم الجامعة بزنزانة في احد سجونهم.

ورغم كل ذلك، واصل بدير خان اتصالاته مع (السافاك)، في نفس الوقت الذي واصل محاولاته الرامية لمساعدة الثورات الجديدة في الشرق الاوسط. على امل ان تجلب هذه المحاولات في نهاية المطاف، الخير للاكراد.

وسرعان ما وجد بدير خان شريكا له في افكاره وارائه، في صورة سياسي لبناني بالغ التأثير، بيد انه في تلك الاونة كان قد اقصى جانبا، ولم يكن ذلك السياسي سوى (سامي الصلح)، وهو مسلم سني من مواليد عكا، والذي تولى مرات عديدة منصب رئيس حكومة لبنان، وفي حزيران ١٩٥٨، اجبر على التخلي عن منصبه.

لم يغفر الصلح لاولئك الذين اطاحوا به عن سدة الحكم، واخذ يفتش عن

وسيلة تعيده الى تلك السدة، وهدته افكاره، في نهاية المطاف، الى طرح فكرة سياسية بعيدة المدى، تنص في ذروتها، على وضع حد لنشاطات شخصين بارزين في الشرق الاوسط، اولهما جمال عبد الناصر، الذي اعتبره الصلح اكبر اعداء المنطقة، اما الشخص الثاني فكان عبد الحميد السراج، رئيس جهاز المخابرات العسكرية السورية، والرجل السوري القوي. وبتأييد من السراج تمكن جمال عبد الناصر من توحيد كل من سورية ومصر في دولة واحدة.

واضاف الصلح: السراج هو القوة المحركة للكثير من الاحداث في الشرق الاوسط، وهو ايضا السبب في الاطاحة به عن سدة الحكم.

وكانت المرحلة الاولى في الخطة، تنص على اسقاط النظام القائم في لبنان، والذي ايد الاتجاه نحو الاتحاد المصري السوري، واستبداله بحكومة جديدة، وبمجلس وطني تمثل فيه جميع الطوائف تمثيلا مناسبا.

وقال الصلح لبديرخان: لقد وعدتني غالبية الجهات السياسية في لبنان بتأييدها، ولم يبق سوى تدبير المال اللازم لذلك، والاستعدادت لاحداث الانقلاب، ستستغرق فترة زمنية تتراوح بين ستة اشهر وسنة، وستحتاج الى مبلغ خمسين الف دولار ثمنا لاستئجار شقة واثاث، وشراء سيارتين واستئجار حراسة شخصية. وقال: ان حياته في خطر، لذا فانه في حاجة لثلاثين حارسا شخصيا من اصل كردي.

واضاف الصلح... في المرحلة التالية، سيسعى لتشكيل اتحاد فدرالي يضم العراق وسورية ولبنان، ثم كردستان والحجاز واليمن وتركيا وايران، وسيتم ضم اسرائيل، حالما تتوفر الفرصة لذلك وكان يؤكد انه سيتمكن من التوصل الى تفاهم مع عبدالكريم قاسم.

وافق بدير خان على التعاون مع الصلح، واقترح ان يسافر الى بغداد للتحدث مع عبد الكريم قاسم، حول الخطة، هذا في الوقت الذي كان فيه قاسم لا زال يلوح امام اعين الاكراد بالقانون الجديد آنف الذكر.

لم يكن بدير على علم بأن الصلح طرح الخطة برمتها قبل ذلك على ممثل الموساد، ابان لقائه به في باريس. وهكذا، فان بدير خان لم يقل شيئا جديدا لبن ديفيد، عندما روى له الحديث الذي دار بينه وبين الصلح. وقد اقترح بن ديفيد على بدير، ان يدرج في اطار خطة الصلح فكرة جديدة: الغاء الجامعة العربية واستبدالها بجامعة شرق اوسطية، والتي ستنمي التفاعل المشترك بين

الاديان في المناطق، وتعمل من اجل الدمج الاقتصادي بين دول الشرق الاوسط، وتقاربها السياسي على اساس التحمل المشترك.

سأل بن ديفيد بدير خان، ما الذي تضمنه هذه الخطة للاكراد؟ ان تصفية عبد الناصر، والسراج سيؤديان الى تغيير الاجواء، ومن ثم لبلورة حكم ذاتي وثقافي في المنطقة الكردية العراقية في البداية، ومن ثم سيتفشى هذا النمط الى الدول الاخرى التي يوجد فيها اكراد.

وعاد بن ديفيد وسأل بدير خان: ما الذي ستفعله اذا ما خانك الصلح؟ فاجاب بدير خان، لقد فكرت في ذلك، ويجب المخاطرة واعتقد انني سأتمكن من مراقبته، عن كثب، كي امنعه من التهرب من التزاماته، واحدى الوسائل التي سأستخدمها هي الحرس الكردي الشخصي، ولربما يكون من المجدي ان نضم اسرائيليين الى هذا الحرس.

وفي احدى المقابلات، قال بن ديفيد: لقد كان واضحا لنا تماما، ان نجاح هذه الخطة المغامرة ليس مضمونا ابدا، وان اسرائيل ستكون بعيدة على الهامش اذا ما نجحت واخذنا بعين الاعتبار ان اسرائيل لن تجد لها مكانا في اطارها.

بيد اننا فكرنا، ان بالامكان الاستعانة بالصلح اذا ما حاول حقا تشكيل حكومة لبنانية جديدة تعمل من اجل الوئام العرقي، وتحطيم اطر معادية كالجامعة العربية مثلا.

توجه بدير خان الى نائب بختيار، وطلب منه المبلغ اللازم للصلح، وتوجه الى العراق، حيث اجتمع بالبرزاني، واطلعه على السر، وقد بارك البرزاني الخطة، مثلما بارك كل خطة، يمكن ان تضمن له ما هو اكثر من حكم ذاتي ثقافي.

توجه بدير خان في اعقاب لقائه مع البرزاني الى بغداد، واجتمع بعبد الكريم قاسم، وطرح الخطة امامه، بيد انه خرج من المقابلة سفر اليدين.

عاد الصلح لتجربة خطة في لبنان، وخاض ثلاث انتخابات برلمانية، وقد نجح مرة واحدة، وفشل مرتين، ثم توفي بعد وقت قصير من المحاولة الثالثة.

وفي اعقاب محاولة الصلح، وقعت محاولة اخرى ترأسها سوري اخر من اصل كردي ايضا تعود جذور اسرته الى عهد الخلافة في دمشق. وقد طلب هذا الكردي الذي لم يبق اسمه مكتوبا في اوراق بن ديفيد الاجتماع بمسؤول اسرائيلي في السفارة في باريس. وقد قدم الى السفارة في الخامس عشر من كانون الاول ١٩٥٨ واجتمع ببن ديفيد، وطرح الرجل الذي يناهز الخمسين من العمر، والمثقف

ثقافة عالية، ويتحدث الانجليزية بطلاقة، طرح خطة مفصلة ترمي لوضع للوحدة بين مصر وسورية، تلك الوحدة التي ادت الى استعباد جمال عبد الناصر لسورية، وانتشار الشيوعية في اراضيها.

وقال هذا السوري: ان لديه مجموعة من القتلة وهم على استعداد لتصفية عبد الناصر، وعدد من الزعماء السوريين الذين يؤيدونه، مثل اكرم الحوراني. النازي السابق، والذي يعمل الان نائبا لرئيس الدولة الموحدة، ورئيس المخابرات عبد الحميد السراج، ولا شك ان هذه التصفية ستضمن فصل سورية عن مصر. كما ان (القتلة) سيكونون على استعداد للانتحار في اعقاب تنفيذ العمليات.

قام بن ديفيد باعلام الجهات المسئولة عنه بالاقتراح المذكور، فاعلم مسئولي شعبة الاستخبارات العسكرية، وجهاز الامن العام، ووزارة الخارجية. وقال انه سأل ضيفه لماذا فضل اسرائيل على فرنسا التي لها شبكة علاقات قديمة مع سورية، فرد عليه السوري المذكور بالقول: مع الفرنسيين لا تعرف نفسك اين تقف، والامريكيون لا زالوا اغرارا على الصعيد السياسي. لذا خرجت باستنتاج مفاده ان اسرائيل ستكون معنية بالتغيير المذكور.

ورغم ذلك، لم يكن السوري على استعداد للتعهد بالتوقيع على اتفاقية مع اسرائيل في اعقاب الانقلاب ، بيد انه وعد بأنه يتم ذلك على مراحل.

وابدى استعدادا لزيارة اسرائيل وشرح خطته امام الجهات رفيعة المستوى، وطلب تزويده بجواز سفر اسرائيلي وشخصيه منتحلة وقد بعث بن ديفيد شريطا مسجلا بفحوى اللقاء ونصح بالاستماع الى الرجل وجها لوجه. ورغم ذلك ابدى تحفظا من عملية التنفيذ، وقال: يجب علينا ان نكون حذرين جدا، وان لا ننجر خلف ما يقال. لان الزعماء العرب الذين كانوا يعتبرون اسرائيل عدوا ابان ايام زعامتهم، كانوا على استعداد ابان ازماتهم للاستعانة بها من اجل الاطاحة بمن اطاحوا بهم، رغم انه يجب ان ندرس كل حالة على حده.

في تلك الاونة وصل الى فرنسا ملحق عسكري اسرائيلي جديد، هو العقيد عوزي نركيس، والذي عمل قبل ذلك نائبا لرئيس شعبة الاركان في الجيش الاسرائيلي، ونائبا لرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية. وكان من البديهي ان يتوجه نركيس في بداية طريقه الى "المسافر" وهو الاسم الذي كانوا يغلقونه على بدير خان، كي يتعرف منه على ما يجري في العراق، فقد عاد قبل فترة وجيزة

من هناك، وبناء على المعلومات التي نقلها، اتضح انه كان على علاقة وادراك شامل لما يدور في العراق. كان بدير خان في تلك الاونة، في افضل اوضاعه، وكان يقوم بدور الرسول بين برزاني والعالم الخارجي.

وفي الرسالة السرية جدا، والخاصة، التي بعث بها نركيس في الاول من ايار ١٩٥٩ الى روبن شيلوح في وزارة الخارجية في القدس، كال فيه الثناء للامير الكردي فقال: انه شخص شديد الذكاء، وذو تأثير جدي، ويؤيد عبد الكريم قاسم، نظرا لانه يعتقد، ان ابناء شعبه في العراق اكثر حرية منهم في ايران او تركيا او سورية. وقبل ان يحدث تغيير ما في مواقف عبد الكريم قاسم، تجاه الاكراد او الايرانيين مع الاكراد، فان "المسافر" سيتمسك بالثورة العراقية ورمزها عبد الكريم قاسم. وهو يكن كراهية عميقة جدا لعبد الناصر، ويقول ان عبد الناصر لا يحارب الشيوعيين، بل يحارب كل من لا يبدي استعدادا للانحناء تحت سلطته. ان بدير خان يحمل نفس وجهات النظر والاراء التي نحملها.

ولم يخف بدير خان مرارته من السفارة الامريكية في باريس، قائلا: انها تتعامل معي كعميل، وتسمح لي في افضل الاحوال بالاجتماع بالنائب الثالث للسفير. ان الغرب يخطىء خطأ جسيما حينما يدير ظهره لما يحدث للاكراد، ويتركهم لقمة سائغة للسوفييت. وقد وافق على ان الحماية الاميركية قد تؤدي الى تعقيد العلاقات الغربية مع ايران وتركيا بيد انه اكد ان هذا التعقيد افضل من التدخل السوفييتي لصالح القضية الكردية. فليأت الامريكيون، ليس محبة في الاكراد، بل لتعميق سيطرتهم على المنطقة.

ويتضح من التقرير الذي قدمه بدير خان لنركيس، ان تركيا احبطت امكانية توصل الاكراد الى نهاية ايجابية مع الايرانيين، فقد حذر الاتراك الايرانيين بقولهم: انتم تلعبون بالنار، لا تمنحوا الاكراد شيئا، مما جعلهم يتراجعون عن الاتفاق.

واضاف نركيس: ان اسرائيل تواجه ازمة، ففي كفة الميزان الاولى هناك علاقاتها مع تركيا التي تشكل حجر الاساس في الجبهة الامريكية المناوئة للسوفييت، وكذلك العلاقات مع ايران، ذات الاهمية البالغة، رغم انها على حافة الانهيار جراء الفساد الداخلي، وفي كفة الميزان الاخرى هناك احد عشر مليون كردي، والذين اذا ما توفرت لديهم رغبة حقيقية واتخذونا قدوة لهم، فسوف يصلون الى شيء ما.

واوصى نركيس، بأن تواصل اسرائيل دعمها لبدير خان سرا وبهدوء وحذر، والعمل على لفت نظر الولايات المتحدة للقضية الكردية بصورة عامة، ولوضع الاكراد في تركيا بصورة خاصة.

* *

طلب وولتر ايتان المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية من السفير الاسرائيلي في واشنطن، ايبان، في ربيع ١٩٥٩، ان يحصل من الحكومة الامريكية ووكالة المخابرات الامريكية (سي آي ايه) على معلومات حول الملا مصطفى البرزاني ونواياه. وفي التاسع من ايار ١٩٥٩، بعث ابا ايبان رده الذي اكد فيه شكوكا اسرائيلية، تقول ان بالامكان تسمية مصطفى البرزاني باسم "البرزاني الاحمر".

وكتب ابا ايبان في رسالته: دون ادنى شك فان البرزاني هو عميل سوفياتي، وقاسم يضعه رئيسا على الاكراد، رغم عدم رغبتهم فيه، ورغم المخاوف التي تثيرها هذه الخطوة في تركيا وايران، ولا يوجد لدينا اي سبب يجلعنا نتمنى النجاح لمثل هذه المؤامرة، كما انه ليس بمقدورنا ان نؤثر الى هذا الجانب او ذاك، بالنسبة للمشكلة الكردية. ان الخطر الذي قد نتعرض له جراء "الهلال الخصيب" العربي الشيوعي، هو اكبر من جميع الاخطار التي نتعرض لها في الاونة الحالية. كان ايبان يقصد بالهلال الخصيب العراق وسورية ولبنان. والتي كانت تمني نفسها بالوحدة العربية فيما بينها وضم (ارض اسرائيل اليها).

كان البرزاني يواجه مشاكل عويصة جدا، على الصعيد الداخلي. فمعارضوه الاكراد كانوا يديرون حربا ضده. ويقول سفير ايران في انقرة، لنظيره الاسرائيلي مردخاي الون: منذ الحرب التي اشعلها الاكراد ضد سيطرة البرزاني، انتقل منهم سبعة عشر الف نسمة الى ايران، وثلاثة الاف الى تركيا، لقد انتهت الحرب بانتصار البرزاني، ان الانتصار الذي احرزه هو في حقيقة الامر انتصار للشيوعية".

كانت تلك ايضا تقديرات الاسرائيليين، فقد فضل يوسيف هداس، احد مسؤولي شعبة الشرق الاوسط، في وزارة الخارجية وصف البرزاني بالزعيم الكردي الموالي للسوفييت، وانه يطمح لجعل كردستان مستقلة.

ويقول المستشرق السياسي شمعوني، انه ورغم الدعم والتأييد اللذين

يقدمانهما الاتحاد السوفياتي الى الاكراد الا انه حرص على عدم اطلاق التصريحات، على علاقاته مع العراق. ومن الجدير بالذكر، ان الاتحاد السوفياتي اوقف، فيما بعد، ايضا دعمه المادي للاكراد.

وفي التاسع من حزيران ١٩٥٩ كتب هدس رسالة الى الممثل الاسرائيلي في تركيا قال فيها: ان عبد الكريم قاسم، لم يقدم اية مساعدات للاكراد بشأن كردستان المستقلة. والبرزاني يدرك ذلك تماما، وقد سلم به، وجل ما يأمله هو ان يفي قاسم بالتزاماته بشأن احترام حقوق الاكراد، ومنحهم حكما ذاتيا.

وفي المؤتمر السري، للطلبة الاكراد في اوروبا، والذي عقد في فينا خلال الفترة الواقعة بين الثالث والعشرين والخامس والعشرين من تموز ١٩٥٩ قرأ على الحضور رسالة بعث بها البرزاني، ووصف نفسه بالجندي المخلص لعبد الكريم قاسم، والذي يناضل، بالتعاون معه، من اجل انشاء جمهورية عربية كردية. وقد دعا المؤتمر نفسه الزعماء السوريين والايرانيين والاتراك للسير وراء عبد الكريم قاسم. واتاحة الفرصة للاكراد الذين يعيشون على اراضيها لتقرير مصيرهم بأنفسهم.

لقد قدم بن ديفيد الى هذا المؤتمر، لسحب بدير خان منه، وكان يعلم انه عاد من مقابلة مع البرزاني، وان البرزاني اعلمه بأن الاسرائيليين على استعداد لتزويد الاكراد بمحطة ارسال ومساعدات طبية، وانه غاضب جدا لان الاسرائيليين انفسهم، لم يقولوا له ذلك بانفسهم. وقد برر بن ديفيد ذلك بالقول: ان هناك العديد من الاسباب التي تستوجب العمل مع عدة جهات، وعدة محاور، وقرر مكافأة بدير خان بترتيب لقاء له مع وزيرة الخارجية جولدا مائير، التي كانت تقوم بجولة في اوروبا تعرج خلالها على (تسيريخ). لم تكن العملية سهلة لان الطلبة كانوا يحافظون على اقصى درجات السرية بالنسبة لمكان الاجتماع في العاصمة النمساوية، لكن بن ديفيد، جند احد معارفه من جهاز الامن العام الاسرائيلي وقد عثر الاثنان على مبتغاهما، بعد سلسلة طويلة من التنقل والبحث. وفي نفس الليلة اجتمع بن ديفيد وبدير خان في احد مقاهي فينا، وفي صبيحة اليوم التالي، سافرا معا، في طائرة واحدة كل واحد على حده الى (تسيريخ).

كانت وزيرة الخارجية تنزل في المنزل رقم - ٣٦ في احد الشوارع الضيقة في حي راق بني من الفلل الفاخرة المحاطة بالحدائق الجميلة. وعندما صعدنا السلم، وجدنا جولدا تقف في الباب بانتظارنا بود غير مألوف، وبحرارة بالغة، وبدا

من اللحظة الاولى انه حدث تقارب بين الاثنين.

وقالت جولدا: لقد سمعت عنك كثيرا يا صاحب الجلالة. وانا على اطلاع على كل ما يمكن معرفته حول المشكلة الكردية. واوكد لك انني تابعت التمرد الكردي عن كثب، وتابعت كل ما فعلت انت.

طلبت جولدا من بدير خان، ان يقول ما يريد، بيد انها ذكرته اولا بأننا شعب صغير، يواجه العديد من المشاكل، وان هناك حدودا للمساعدات التي نستطيع تقديمها.

عمد بدير خان الى عرض نظريته امام جولدا مائير، ن الشرق الاوسط الجديد، الذي يصبو اليه، والذي تحيا فيه جميع الاقليات بسلام واحترام، دون ان تتدخل اي دولة في شؤون الدولة الاخرى. وتحدث عن الثراء الطبيعي للمنطقة، وعن امكانية الجمع بين العلم اليهودي، والمهارة اليدوية لسكان المنطقة. وفي نهاية شرحه، نقل اليها تحيات وشكر الملا مصطفى البرزاني، جراء العلاقة القائمة بين الشعبين".

ويقول بن ديفيد بدا وجه جولدا مئير جامدا ولم تتطرق الى العلاقة مع البرزاني. بيد انها قالت: هناك من يهتم بشأن العلاقة وانا واثقة ان الصداقة ستستمر. ووعدت بدراسة الافكار التي طرحها بشأن تقديم المساعدة على الصعيد الاعلامي بصورة ايجابية وكذلك على الصعيد الثقافي، والعمل على دفع هذين الجانبين الى الامام بأقصى ما تستطيع.

وعندما غادر الاثنان المنزل، قال بدير خان لبن ديفيد: لقد شعرت وكأنني في بيتي، وان بمقدوري ان اطرح امامها كل ما اريد، لقد شعرت بالتفاهم الذي يمكن ان يستشري بين ابناء الشعوب التي تعرف معنى الاضطهاد.

ويقول بن ديفيد... ان بدير خان لم يحصل فيما بعد ايضا على اية معلومات حول المساعدات الاسرائيلية للاكراد، بيد انه واصل تقديم تقارير حول ما هو معروف له من مصادره فيما يتعلق بما يدور في كردستان العراقية.

في تلك الاونة، انهارت احلام الاكراد في ان يكون عبد الكريم قاسم سندا لهم وركيزة. وتحت الاحلام الوردية الكلامية التي قدمها لهم، بدأ يعمل، من وراء الستار، لتقرير مصيرهم كقبيلة ليس الا. وفي البداية عمل على اشعال نيران الفتنة في اوساطهم. واثار ثائرتهم ضد البرزاني.

وجاء في تقرير وصل الى وزارة الخارجية الاسرائيلية من بدير خان: ان

عبد الكريم قاسم دفع اموالا لثلاث من القبائل المعادية للبرزاني كي تهاجم القرى التي يقيم فيها مؤيدوه، وبالتالي يقوضوا زعامته.

ويقول عيسى سوبار احد قادة الاقاليم في قوات برزاني... "لقد كنا من اشد انصار قاسم، بيد انه ارتكب خطأ جسيما باثارته وتحريضه القبائل الكردية الواحدة ضد الاخرى.

ثم قام قاسم بتوجيه ضربته الثانية الى الحزب الديمقراطي الكردي، والذي تأسس عام ١٩٤٦، ومنح الاكراد الوطنيين اطارا تنظيميا واتجاها ايديولوجيا وبؤرة سياسية. وكان برنامج هذا الحزب قد اجتاز العديد من التحولات التي تتراوح بين المطالبة بالحصول على الاستقلال الكامل لكردستان. ومرورا باعتبار العراق دولة ثنائية القومية - للعرب والاكراد - وحتى الاكتفاء بحكم ذاتي، بيد ان قاسم لم يكف عن استعداده حتى للتسليم بالفكرة الاخيرة.

وكانت اول خطوات قاسم ضد هذا الحزب، تتمثل في تقديم لائحة اتهام ضد ابراهيم احمد السكرتير العام للحزب بتهمة التحريض على الكراهية.

والكراهية المعنية تمثلت في نشره للخطاب الذي القاه عصمت شريف قانلي، وهو احد النشطاء الاكراد في اوروبا امام مؤتمر طلبة اوروبي، عقد في تشرين الاول ١٩٦٠ في بغداد.

وافاد نبأ اخر ان ابراهيم احمد متهم بقتل خصوم سياسيين اكراد، مما حدا به للاختفاء واللجوء الى العمل السري، وقد تبعه العديد من الزعماء الاخرين الذين نجحوا في الافلات من الاعتقال: وفي نفس الوقت اغلقت الحكومة الجرائد الكردية، الواحدة، اثر الاخرى، وبدأ الصحفيون الذين يعملون بتوجيه من الحكومة، ينادون بفكرة دمج الاكراد في العرب.

وفي التقرير الاستخباري الذي وصل الى وزارة الخارجية الاسرائيلية في التاسع عشر من حزيران ١٩٦١ قيل: ان قاسم ووزراءه يسيطرون على العراق بقبضة من حديد، وهم يعملون ليلا خشية الاغتيال، كما ان قاسم يتحصن في مكتبه الوزاري، وقد امر بتدمير جميع المنازل المحيطة به.

ان جميع الجماهير العراقية ضده. اما شركاؤه فهم اولئك الذين يخشون من الشنق اذا لم يتعاونوا معه، او اولئك الذين يخشون ان يشنقوا اذا ما سقط قاسم، وكانت النكتة العراقية انذاك تقول: ان الاشخاص الذين لم يعتقلوا في عهد قاسم، كانوا يخجلون من انفهسم، ويبررون عدم اعتقالهم بالقول: لم يعد هناك

مكان خال في السجون.

واضاف التقرير: هناك وحدات كردية اخذة في تنظيم نفسها في صورة مجموعات حرب شعبية ويبلغ عدد هذه المجموعات حتى اليوم حوالي سبعمائة شخص مسلحين بالاسلحة الخفيفة. وقد قامت الحكومة بارسال ثلاث كتائب لمحاربتهم والقضاء عليهم، بيد ان الاكراد اكتفوا بمناوشات خفيفة ثم اختفوا وهناك اتفاق في الراي بين الاكراد على ضرورة البدء بعمل عسكري في اسرع وقت ممكن. وسيبدأ هذا العمل في خريف العام الحالي، في اعقاب الحصاد. وسيكون هدف هذا التمرد اقامة دولة كردية مستقلة داخل حدود العراق، وربما بالاتحاد معه في نفس الاطار الاقليمي.

وجاء في تقرير استخباري اخر في نهاية عام ١٩٦١: ان الملا مصطفى، توجه الى برزان كي يركز النشاطات والعمل المكثف من هناك، ومن اجل بلورة جبهة مؤيدة، وقد جرت اتصالات بين رجاله ومعارضيه، وهناك كميات كبيرة من الاسلحة تتدفق على المنطقة الكردية، وهناك اعتقاد في اوساط الاكراد، يشير الى ان الملا مصطفى هو الوحيد القادر على قيادة نضال الاكراد.

****

حاول عبد الكريم قاسم في بعض الاحيان التغلب على البرزاني، ليس بضربة عصا، بل بتقديم (جزرة) على غرار ما حدث في نهاية صيف عام ١٩٦١.

ويقول البرزاني بهذا الصدد، لمراسل جريدة "نيويورك تايمز" شميدت: لقد طلب ان اعود الى الحكومة، واذا فعلت ذلك، فانه على استعداد لغفران كل شيء لي، وقد رددت عليه بالقول: ليس انت من يجب ان يغفر لي، لانك انت المتهم الاول.

وفي تلك الايام بالضبط، قدم الى باريس يهودا بن ديفيد، صديق بدير خان القديم، والذي كان يعمل منذ ثلاثة اشهر سفيرا لاسرائيل في الجمهورية الافريقية (مالي). وقد اجتمع ببدير خان، وسمع منه تقريرا حول ما يجري في كردستان العراقية. ويقول ممثل البرزاني في اوروبا: لقد سيطر البرزاني على الجبال، والجيش العراقي لا يجرؤ على دخول هذه المناطق، وقد قام البرزاني بتطهير صفوف الاكراد، فقد كان في صفوفهم دائما، وهو على استعداد للخضوع للسلطة مقابل قدر من المال او مشاركة في السلطة.

وجاء في الرسالة التي بعث بها بن ديفيد الى شعبة الشرق الاوسط، في

وزارة الخارجية الاسرائيلية: يقول بدير خان: ان الاشهر الثلاثة او الستة القادمة ستكون حاسمة، ومساعدة اسرائيل لهم، وخصوصا في مجال تنظيم الحملة الدعائية في الولايات المتحدة والغرب ستقدم لهم دعما كبيرا جدا. ومن المهم اتاحة الفرصة امامه للوصول الى صحف مهمة، ومن المهم ايضا الحيلولة دون شعوره بخيبة امل.

وقال بدير خان لبن ديفيد ايضا، ان علاقاته مع ممثل وكالة المخابرات المركزية الامريكية، لا زالت متواصلة، وانه درس معه امكانية سفره الى نيويورك لاجراء لقاءات مع اعضاء الجمعية العمومية للامم المتحدة وللاجتماع بالرئيس جون كندي. وفي نفس الوقت واصل بدير خان اتصالاته مع شاه ايران، الذي تيقظت كل حواسه ازاء التحول الذي طرأ على عبد الكريم قاسم، باتجاه الاتحاد السوفياتي.

ويقول بدير خان، انه حدث لديه انطباع بأن الجنرال فقرفان -خليفة بختيار- حاول استغلاله كوسيلة للمساس بالنظام العراقي، ولم تكن هناك اية دلائل تشير الى اعتزامه رد الجميل للاكراد كطلبهم وفتح الحدود الايرانية-العراقية في وجه الامدادات المقدمة لهم، او من اجل اخلاء جرحاهم.

وفي التاسع من ايلول ١٩٦١، شرع سلاح الجو العراقي بقصف المناطق الكردية، وفي الثالث عشر من نفس الشهر هاجمت الطائرات قرية برزان استنادا الى معلومات افادت بأن الملا مصطفى، موجود هناك. واوقف الجيش العراقي تدريبات الفرقة الثانية مشاة، وارسل جنودها لضرب الحصار على عدد من القرى الكردية.

ورد الاكراد على هذه الهجمات، بالهجوم على مراكز الشرطة، وفرض الحصار على السدود، ومحاولة السيطرة على شرايين المواصلات في مناطق مختلفة، مع مضايقة الوحدات العسكرية العراقية بالنيران ومحاولة ايقاع اكبر خسائر بها، وقد اثارت هذه الهجمات ثائرة الجيش العراقي، وحدت به لازالة الحصار عن السدود، ودفع تعزيزات الى المنطقة.

وفي شعبة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية سجل المسئولون هناك في تقاريرهم: ان تلك المرحلة، شهدت معارك عنيفة لم يسبق لها مثيل منذ التمرد الكردي عام ١٩٤٦. لقد اراد الاكراد اثارة اهتمام الرأي العام الدولي، من اجل ارغام الحكومة المركزية على الوفاء بتعهداتها. ورغم ذلك بدا واضحا، ان قوات

البرزاني لن تستطيع الصمود زمنا طويلا، امام زحف القوات العراقية. كما بدا واضحا ايضا، ان البرزاني يدافع عن وجوده، ان قمعه واخضاعه سيتطلبان جهدا كبيرا من الجيش العراقي. كما ان حجم ومعايير التمرد، قد تؤدي بالعراقيين لتقديم تنازلات معينة للاكراد، حتى لو فشل التمرد.

****

ازداد الاهتمام الاسرائيلي الى حد كبير بما يدرو في المنطقة الكردية. وحال عودته من كردستان حمل بدير خان معه معلومات حول النقص الخطير الذي يعانيه الاكراد المقاتلون، وطلب ان تقدم اسرائيل مساعدات واسعة لهم في السلاح والذخائر والادوية والاطباء، من اجل معالجة جرحى القصف العراقي، وكذلك مساعدة جدية في مجال انشاء محطة بث جديدة، وبالتأثير على وسائل الاعلام المكتوبة والالكترونية في اوروبا والولايات المتحدة.

كان بدير خان، طيلة كل تلك الفترة، يقيم اتصالات وطيدة مع صديقه القديم موريس فيشر، الذي اصبح انذاك سفيرا لاسرائيل في ايطاليا، واخذ يمارس، من هناك، ضغوطا شديدة على زملائه في وزارة الخارجية لحثهم على تقديم المساعدات للاكراد. ويتضح من التقرير الذي بعث به فيشر، في السادس من تشرين الاول ١٩٦١، ان حكومة اسرائيل خصصت لنشاطات بدير خان مبلغ عشرين الف دولار. وقد قام بشراء اجهزة راديو معينة بمبلغ الفي دولار، في محاولة لاقامة اتصال بين قيادة التمرد في كردستان وبين مركز النشاطات الكردية في اوروبا الغربية.

كان بدير خان يعتقد ان تمرد البرزاني لم يأت في وقته المناسب، ورغم ذلك، هب لمساعدته بكل قوته، وكذلك فعل اكراد اخرون ايضا، كانوا يتواجدون في اوروبا، وقد توجهوا، هم ايضا، الى اسرائيل، كي تمد لهم يد المساعدة، ليساعدوا شعبهم وكان احدهم رشيد عارف، وهو مهندس ثري، وصاحب شركة بناء تعمل في العراق. وكان شريكه يهوديا، وربما لهذا السبب، توجه الى السفارة الاسرائيلية في لندن بطلب المساعدة. وقامت السفارة بارسال طلبه الى الموساد، الذي اعلمها بأن الشخص معروف لديه. فقد سبق له ان توجه بطلب مساعدة قبل ذلك باسم مصطفى البرزاني، لكنه اختفى قبل ان يتم الاتصال... انه كذاب تحت غطاء مثقف، والموساد لا يثق به.

لكن، ونظرا لان اسم عارف سجل في وثائق الاكراد، كشخص قدم

المساعدة في تمويل نشاطات رابطة الطلبة الاكراد في اوروبا، والتي كانت تدعو الى استغلال كردستان والى نشاطات ثقافية اخرى، فلم يكن امام الموساد سوى التخلص منه بأدب، اذ اعلمته السفارة، بأن اسرائيل ذات علاقة مع شخصية كردية رفيعة ومما لا شك فيه ان يحترم هذه الشخصية وهكذا انتهت هذه القصة.

وفي تلك الاونة، ارسل بدير خان رسالة الى فيشر، حول بيتر ريتلد، وهو صحفي نمساوي يعمل في جريدة (فريهيت)، والذي قدم نفسه على انه اسرائيلي، ويستطيع تنظيم مسألة السفر الى اسرائيل للنشيط الكردي الدكتور (رواندوزي) واحد زملائه.

وفي العاشر من تشرين الاول ١٩٦١، جاء رد الموساد قائلا: ريندل ليس اسرائيليا، بل هو يهودي اعتنق الديانة المسيحية، وإسرائيل لا تعرف الدكتور (رواندوزي).

وسرعان ما اتضح ان (رواندوزي) ليس شخصية نكرة، بل هو مهندس يسكن في برلين الغربية، وهو احد اعضاء اللجنة الجديدة لرابطة الطلبة الاكراد، في اوروبا، وان اسمه الكامل هو: سعدي الامين اوريه رواندوزي، نسبة الى مسقط رأسه رواندوز، وان ابراهيم احمد، السكرتير العام للحزب الديمقراطي المركزي، كان احد حماته. وكان ابراهيم احمد هو الاخر، قد بدأ يقيم علاقات مع اسرائيل، اضافة الى نشيط كردي اخر، سبق ذكره وهو (فاتلي)، وكان هذا الشخص الذي يدرس المحاماة، وعمل في مجالها طيلة اثنتي عشرة سنة في لوزان السويسرية، يترأس رابطة الطلبة الاكراد في اوروبا، وقاد كذلك منظمة تطوعية حول تقديم المساعدات للشعب الكردي. وفي ايلول ١٩٦١، اجتمع، بطلب منه، مع شخصيات رسمية في السفارة الاسرائيلية، وعرض عليهم خطة لعلاقة اسرائيلية كردية في مجال الاعلام، ثم قال ان لديه علاقة مع منظمات كردية في كردستان العراقية، وانه يعرف كيف يمكن ايصال السلاح لها.

* *

في الحادي عشر من كانون الاول ١٩٦١ بعث بدير خان لموريس فيشر، رسالة استنادا الى المعلومات التي تلقاها، جاء فيها: ان عملية حرب الفوار متواصلة في جميع انحاء كردستان العراقية تقريبا، حيث توقع اضرارا جسيمة بالجيش العراقي، وتدفعه لاخلاء مواقع. ان المساعدات التي تلقاها المتمردون من الاكراد المسيحيين كانت فعالة للغاية، وقد قام الجيش العراقي باستبدال قائد

سلاح الجو المعروف بكونه مؤيدا للاكراد، بضابط اخر برتبة عقيد، يعتبر من الد اعداء الاكراد.

وفي السابع عشر من كانون الاول بعث عبد الكريم قاسم احد ضباطه ويدعى حسن عبود، ويقول برزاني (لشميدت): قدم الضابط المذكور بصحبة ضباط اخرين حاملا اليه الرسالة التالية: قل للبرزاني اننا اخوة، واذا لم يحاربنا فاننا على استعداد للاتفاق معه حول شروط واقترح عبود "منح العفو العام للاكراد".

كان مصطفى البرزاني على استعداد دائما لدراسة كل اقتراح، ورغم ذلك، عمل على قاعدة: "احترمه واحرص منه". وامر بتفتيش سيارة عبود سرا، حيث تم العثور على جهاز اتصال مباشر، كما يبدو كان مخصصاً للدلالة على مكان وجود البرزاني، وبالتالي مهاجمته.

قال البرزاني لعبود: انا لم ارتكب اية جريمة. بل انتم المجرمون، فهل يجوز ان تقترحوا ان تعفوا عني وتغفروا لي، في الوقت الذي لا استطيع انا ان اغفر لكم؟؟ لا، نحن لا نريد عفوكم.

بيد ان هذه المحاولة لابداء القوة، لم تكن تستند الى اسس حقيقية. فرغم الاستعدادات التي كان البرزاني قد اتخذها توطئة لاحتمال استئناف التمرد، او مواجهة الحرب، فقد وجد البرزاني نفسه في وضع لا يحسد عليّ. ويمكننا ان نعثر على اصداء هذا الوضع، في الرسالة التي بعثها سفير اسرائيل في باريس عوزي نركيس، حول الحوار الذي اجراه مع بدير خان في السابع من ايار ١٩٩٢، حيث قال: لقد كانت كلماته تخرج من القلب الى القلب. وباستثناء ايمانه الذي لا يتزعزع بضرورة اقامة كردستان المستقلة، الا انه لم يكن لديه اي اساس حقيقي يمكن الاستناد اليه، وكان يعتقد ان اسرائيل هي الجهة الوحيدة في الشرق الاوسط، القادرة على مد يد المساعدة له لتحقيق حلمه. وكان دائما يبدو مندهشا لعدم تقديمنا المساعدات له عن سعة قائلا: نحن اخوة، ومشاكلنا متشابهة، فكيف لا تهبون لمساعدتنا بحماس؟؟ وهو يطلب مساعدات بالسلاح، والاستشارة والمال، والاعلام، بما فيها البث للعالم العربي. ومن البدهي القول، انني لم استطع ان ارد عليه وفقا لرأيي الخاص لذا ها انا انقل طلبه الى اسرائيل، والعمل على جعله يتحلى بالصبر، والالماح له الى اننا لا نستطيع عمل كل ما يحلو لنا.

وحرص بدير خان على التأكيد خلال اللقاء ، على انه يعمل بالتنسيق مع قائد التمرد الملا مصطفى البرزاني، وان البرزاني خوله طلب المساعدات من

اسرائيل، وان ينظم مسألة تدريب ستة قادة اكراد في اسرائيل. وقال ان الاكراد التقطوا من صوت اسرائيل بالعربية تقارير حول نضالاتهم، وطلب ان نوسع مثل هذه التقارير.

واضاف نركيس، في الرسالة التي بعث بها الى رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية مائير عميت: ان شعب اسرائيل ايضا، لم يكن على استعداد لتفهم عدم تقديم المساعدات له ابان نضاله بسبب العرب لذا، فان من واجبنا التعامل مع الاقلية الكردية بتفهم، وهذا واجب اخلاقي.

واوصى نركيس بالاستجابة لمطالب بدير خان قائلا: ان المساعدات المطلوبة قليلة جدا ازاء الاستعدادات التي يقوم بها الاكراد، للتوصل الى انجاز ملموس حتى الشتاء. وهدفهم الرئيسي هو تحقيق الحكم الذاتي الكردي، وتشكيل جيش كردي للحكم الذاتي، يبلغ قوامه عشرين الف جندي، ولن يسمح للجيش العراقي بدخول مناطق الحكم الذاتي ابدا.

وبعد وقت قصير انهى عوزي نركيس وظيفته كملحق عسكري في باريس، وتم نقل العلاقة مع بدير خان الى خلفه.

❊ ❊

في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٦٢، بعث قائد القوات العراقية في كركوك، الى الملا مصطفى البرزاني، رسالة طلب منه الاجتماع به للتحاور في مكان وزمان معين حول الهدنة.

ويقول البرزاني فيما بعد... لم اذهب، لانني عرفت ان هذه الدعوة هي مصيدة. وهذا ما حدث فعلا، فقد قصفت الطائرات مكان الاجتماع منذ الصباح وحتى الليل". ورغم ذلك امتنع البرزاني عن اغلاق الباب بصورة نهائية واضاف.. قلت في ردي عليه انني اطرح ثلاثة شروط للهدنة:

- ❊ انسحاب جميع القوات العراقية من كردستان.
- ❊ اطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.
- ❊ نزع سلاح جميع وحدات الجحوش.

بيد ان ايا من هذه الشروط لم تقبل. وجميع الاقتراحات التي بعث بها عبد الكريم قاسم، في نهاية صيف ١٩٦١ في كانون الاول ١٩٦١ وفي حزيران ١٩٦٢، كانت بمثابة مكائد، ولم تكن اي منها صحيحة او صادقة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

ترى ما الذي يريده البرزاني؟ ويقول شميدت في الكتاب الذي نشره، عام ١٩٦٤، حول جولته الصحفية في كردستان تحت اسم "رحلة في اوساط رجال شجعان" ان البرزاني قال له: انه لا يريد الاستقلال بمعنى الكلمة، رغم تكرار هذا المصطلح. وهو يؤكد ادراكه حقيقة ان من الضروري ان يعيش الاكراد مع العراقيين، لذا، فانه يطالب بالحكم الذاتي، حكم محلي في اطار الجمهورية العراقية. وبصورة تمكن اخوته الاكراد ان يعيشوا كأكراد، والتحدث بلسانهم، وان يرتدوا ملابسهم الوطنية. وتطوير حضارتهم، وباختصار ان يكونوا هم انفسهم. "لكل شعب من شعوب الارض حقوق، ولا يجب حرماننا من هذه الحقوق".

وفي آب، سأل البرزاني شميدت، عما اذا كانت هناك امكانية لان يطلب الاكراد مساعدات من واشنطن؟ وجاء الرد سلبيا. وقد ذكر شميدت الفطن، البرزاني، بالحلف الذي جمع بين تركيا وايران وباكستان في الاستراتيجية العالمية المضادة للسوفييت. ذلك الحزب الذي شكلته الولايات المتحدة. واضاف... سوف يفسر الايرانيون والاتراك الدعم الامريكي للاكراد كخيانة لهم، وسينسحبون من الحلف، ولا شك ان الامريكيين لن يدعوا الامور، تصل الى هذا الحد، ولن يؤيدوا الاكراد.

لكن البرزاني اعتقد ان من الممكن التغلب على هذا الوضع، وقال: بالامكان ان تكون المساعدات بالاسلحة، والذخائر سرية، وتأتي مباشرة الى نقطة الحدود الايرانية، الى بلدة (خانا) ومن هناك يتم نقلها الى كردستان العراقية. واذا كان هذا الوضع غير ممكن، بمقدوركم ان تزودونا بالمال. ساعدونا الان وسنمد نحن لكم يد المساعدة عندما تحتاجونها ساعدونا بالسلاح او الذخائر او المال، علنا او سرا، ساعدونا في القضاء على قاسم، ونحن سنحول العراق الى احد اكبر حلفائكم في الشرق الاوسط.

واضاف البرزاني امام شميدت: الاكراد وحدهم وليس الايرانيون، او الاتراك هم القادرون على تطويق اي تقدم سوفياتي في الشرق الاوسط، وهم قادمون عبر جبال القوقاز. انكم ستحتاجوننا وقت الحرب، ولا تستطيعون ان تسمحوا لانفسكم بالتنكر لنا، ان الانتصار الكردي مضمون، والمساعدات التي سيقدمها الامريكيون ستسهم فقط في توسيعه وتسريعه، واذا ما اشترطت الولايات المتحدة مساعداتها، بعدم تدخلنا في تركيا او ايران، فسوف نقبل ذلك، ونحن على استعداد لاعطائكم كلمة شرف، اما اذا لم نتلق مساعدات، فان العواقب ستكون

وخيمة، وكذلك الامر، اذا ما واصل الامريكيون التفكير في مصالحهم ومصالح ايران وتركيا، دون ان يأخذوا مصالحنا بعين الاعتبار.

واضاف... الامريكيون لم يسألوا، ولو مرة واحدة، لماذا يتم زج الالاف من رجالنا في السجون ولماذا تحرق محاصيلنا جراء قصف العراقيين لها، وما هي المساعدات الطبية التي نحتاجها؟ انهم يخاطرون بدفعنا نحو قبول المساعدات من الشيوعيين، وهم السبب في ذلك.

كانت كلمات البرزاني تحمل رسالة ضمنية موجهة الى الاكراد في ايران والعراق والذين يراقبون الحرب التي يخوضها وكأنه كان يقول لهم: اجلسوا الان بهدوء، سيحل يومكم قريبا، عندما يتم تحقيق الحكم الذاتي لاكراد العراق، وحينها سيصبح من السهل عليكم ان تناضلوا لاحراز حكم ذاتي في هاتين الدولتين.

وصف شميدت الملا مصطفى البرزاني بالقول: انه رمز الثورة، وعقلها المنفذ، وزعيمها العسكري والسياسي، وقلبها وعقلها، وهو الرجل المحبوب جدا، وايضا المرعب جدا، بين الاكراد. لقد كان هذا الوصف مقبولا جدا لدى جميع الصحفيين الذين اقتربوا من البرزاني، او عرفوه، لقد احبوا بساطة سلوكه وتعامله الودود، ومكره الشرقي، وآمنوا جدا باستقامته ونواياه الحسنة، وايقنوا ان هذا الرجل، لا يريد شيئا لنفسه ابدا.

وكان يقول للصحفيين: لست جنرالا، انا فقط مصطفى الرتب لا تهمني في شيء، فما انا سوى كردي بسيط. بيد ان اي شخص ما كان ليجرؤ على التوجه اليه باسمه.

كان الكثيرون يدورون حول البرزاني، لكن عدد المقربين كان يتراوح بين ١٢-١٥ شخصا، ومن ضمنهم ضباط فروا من الجيش العراقي، واحدهم كان المقدم عزيز رشيد عقراوي والذي سيلعب دورا هاما فيما بعد.

واضاف شميدت: يبلغ قوام جيش المتمردين الاكراد النظامي ما بين ١٥-٢٠ الف مقاتل وعدد مثله احتياط، يتم استدعاؤهم لدى الحاجة. وعلى الخط الاول في مواجهة العراقيين تم نشر خمسة الاف من (الباش مرجا)، وهم من رجال العاصفة الذين صاحب عدد لا بأس به منهم البرزاني في حروبه الشديدة.

ويقول شميدت: ان التجربة التي خاضوها جعلتهم يعملون بثقة عالية جدا

بأنفسهم، فالجيش هو حياتهم، وهم يأملون ان يشاركوا في الخدمة حتى انتهاء التمرد.

ويقول شميدت اتسمت حرب الفوار التي كان الاكراد يخوضونها بالتكتيك السريع، والتحمل والتضليل والتمويه، والتحرك ليلا في المنطقة. ورغم ان الافتقار الى الاسلحة الثقيلة، كان عاملا سلبيا بالنسبة للاكراد، الا انه كان ايضا عاملا مسهلا للحركة فوق الجبال الشاهقة، وفي المناطق الصعبة الاخرى التي لم يكن العراقيون يحلمون بأن يصلوا أليها. والانتقال من مكان الى اخر كان يجري سيرا على الاقدام، او فوق ظهور الحيوانات، مع ابداء اقصى درجات الصبر والتحمل.

وحول اساليب القتال، قال احد رجال (الباش مرجا) لشميدت: اننا نطوق العدو، ونبدأ قنصه، ورغم ذلك، نترك له ممرا واحدا للافلات، رغم اننا نشرف على هذا الممر، وفي مرحلة ما، يحاول العدو الانسحاب عبر هذا الممر، وحينا ننقض عليه من الخلف، ومن اقرب مكان له، ونختلط به، بحيث تصبح اسلحته الثقيلة غير ذات قيمة.

ويضيف شميدت: الجانب اللوجستي لم يكن يشغل بال المقاتلين الاكراد، ابدا، فهم لم يكونوا في حاجة الى مشروبات خفيفة او حلوى، او افلام او مغاسل، والمقاتل الذي كان يرغب في الانضمام الى الثورة، كان يأتي اليها حاملا سلاحه مرتديا ملابسه. اما بالنسبة للطعام، فقد كانوا يحصلون عليه باسلوب بسيط للغاية، فقد كان الفلاحون يدركون تماما، ان عليهم ان يخصصوا ١٠٪ من محصولهم لجيش المتمردين مجانا. وكان البرزاني يحرص جدا على ان يأكل جنوده حتى الشبع، واشتمل الطعام على الارز واللحم والجبنة المالحة، هذا اضافة الى الفواكه، مثل التين والعنب، والشمام والخوخ، وغير ذلك.

وكانت المغائر تستخدم مكانا للمبيت بدلا من المعسكرات، حيث كانوا يخزنون فيها اسلحتهم وحاجياتهم، بل ويقيمون فيها صناعات عسكرية. وكان التمويل يأتيهم من الاكراد الاغنياء في دول الخليج، ومن الاموال التي يستولون عليها ابان مهاجمتهم لمراكز الشرطة او معسكرات الجيش العراقي.

الفصل الخامس

قدموا للتفاوض في بغداد
والقوا في السجن

بدأت العلاقات والاتصالات بين المخابرات الايرانية والاسرائيلية في ايلول ١٩٥٧، حينما قدم الدكتور (محمد سودرية) السكرتير الاول للسفارة الايرانية في باريس الى منزل يعقوب تصور السفير الاسرائيلي هناك ليعلمه ان الجنرال بختيار في طريقه من ايران الى باريس، وانه يرغب في الاجتماع به.

وقد ادرك تصور -وهو السياسي المحنك- مدى قيمة واهمية مثل هذه الفرصة. وسارع الى اطلاع يعقوب كروز، رئيس طاقم الموساد في باريس.

وبختيار هو ابن مطلقة شاه ايران (ثريا) وكان قد عمل في السابق قائدا لفرقة مدرعة، وحاكما عسكريا لطهران، وكان في تلك الاونة يعمل نائبا لرئيس الحكومة بيد ان مهمته الحقيقية كانت رئيس (السافاك) وهي الوكالة الوطنية الايرانية للتجسس والامن، والتي كانت تخضع مباشرة للشاه. وعندما اجتمع بختيار مع تسور وكروز في منزل كروز، اثنى بختيار على النجاحات التي احرزها الجيش الاسرائيلي في حرب ١٩٥٦. وابدى اعجابه الشديد بالانجازات التي تمكنت اسرائيل من تحقيقها. رغم انسحابها تحت ضغط المجتمع الدولي من جميع الاراضي التي احتلتها.

والمح بختيار بوضوح الى ارتياحه للضربة التي نالت الجيش المصري، و الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الذي كان الشاه يتهمه بتهمة تدبير المؤامرات للاطاحة به.

لم تكن تلك هي المرة الاولى التي يدرك النظام الايراني ان بالامكان ان يجني فائدة من الانتصار الاسرائيلي على العرب، ففي التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧ صوتت ايران ضد اقامة دولة اسرائيل، بيد ان الحرب التي نشبت آنذاك، بين اسرائيل والعرب جعلت الشاه يعيد التفكير من جديد.

فقد اثارت اسرائيل عليها ثائرة العرب واحقادهم، وبذلك امتصت جزءا من كراهيتهم لايران، وبالتالي خففت الضغوط التي مارستها ضدها. اضف الى ذلك ان الانتصارات التي حققتها اسرائيل مست مسا شديدا بكرامة ومكانة الدول العربية مما اثار ارتياح الشاه.

ولم تعترف ايران باسرائيل الا في اذار ١٩٥٠، اي بعد سنة من اعتراف تركيا المسلمة باسرائيل. لكن الموساد كان قد طور قبل ذلك نشاطات متشعبة في ايران، ونقل منها الاف اليهود الذين فروا من العراق. وفي نفس الوقت مارست الوكالة اليهودية وشبكة التعليم اليهودية نشاطات واسعة في ايران.

وبعد غذة اشهر من اعتراف ايران باسرائيل بدأ بن جوريون يطرح فكرة "الحلف الاقليمي" والذي ينص على التعاون الاستراتيجي والاستخباري والاقتصادي بين اسرائيل وثلاث دول غير عربية في المنطقة الخارجية من الشرق الاوسط. وهي اثيوبيا المسيحية، وايران وتركيا المسلمتين.

ادت هذه الفكرة للتحالف -والتي طرحت بشكل خاص من اجل مواجهة الافكار التي طرحها جمال عبد الناصر آنذاك لبلورة شرق أوسط يقوم على الوحدة القومية العربية- الى تعزيز العلاقات بين اسرائيل والدول الثلاثة المذكورة، ومن ضمنها ايران، في عدة مجالات.

ويبدو هذا ا لوضع الجديد، جليا، في الكتاب الذي كتبه ايسر هرئيل - مسؤول اجهزة الامن الاسرائيلية تحت عنوان "الامن والديمقراطية"، والذي جاء فيه: بذلت جهودا مضنية من اجل تمكينها من بناء اجهزة استخبارية وامنية ناجعة كي تتمكن من الصمود في مواجهة اية محاولات انقلابية من الداخل او الخارج. وتطور العلاقات مع تلك الدول الى علاقات عسكرية، ونجحنا بصورة واسعة جدا، في وضع تجربة الجيش الاسرائيلي في خدمة هذه الدول، وهكذا تحول الجيش الاسرائيلي الى مدرسة ناجعة وفعالة في كل مكان يجب ان يكون فيه كذلك. وفي اعقاب التعاون المدني جاء ايضا دور المجال المدني، وعلى وجه الخصوص تطوير المجالين المائي والزراعي والطبي والتعاوني والتوجيهي في العديد من المجالات.

لقد توسع تقرير وكالة المخابرات الامريكية (سي آي ايه) الذي ضبطه في السفارة الامريكية في طهران في اعقاب الثورة الايرانية بالحديث عن التعاون في المثلث الاسرائيلي، الايراني، التركي.

عمد الموساد ونظيراه الايراني (السافاك) والتركي (تي.ان.اس.اس) الى اقامة منظمة ذات ثلاثة اضلاع (تريدنت) في نهاية عام ١٩٥٨. وفي هذا الاطار الثلاثي تبادلت الاجهزة الثلاثة معلومات استخبارية، وكان رؤساء هذه الاجهزة يعقدون اجتماعين سنويا.

وافادت الوثيقة ايضا: ان الاسرائيليين زودوا تركيا بمعلومات حول نشاطات عملاء سوفييت على اراضيهم، كما اعلموها بعمليات تجسس سوفياتية ضدها تتم ادارتها في دول شرق اوسطية اخرى. ومقابل ذلك قام الاتراك بتزويد اسرائيل بمعلومات حول نوايا مصر وسورية، اللتين كانتا مجتمعتان في اطار وحدوي. كما قامت اسرائيل بتدريب عملاء استخبارات اتراك في مجال التجسس المضاد.

وافاد التقرير انه وفي مجال التعاون مع ايران، جرت عمليات مشتركة، ومن بيينها تقديم المساعدات للاكراد في العراق. وقام الموساد الايراني بتسليم السافاك الايراني معلومات استخبارية مكثفة حول النشاطات التي يقوم بها الشيوعيون في ايران، ومعلومات حول التطورات في العراق، ونشاطات مصر في العالم العربي.

وهكذا، فان الاجتماع الذي عقده بختيار في شقة كروز، لم يأت من فراغ. وكان من الطبيعي ان يقترح بختيار خلاله عقد لقاءات واجتماعات اخرى بعد شهر. بيد انه سيعقد هذه المرة في روما التي تعتبر وكر نشاطات السافاك في اوروبا الغربية، والتي شاءت الصدفة ايضا ان تسكن فيها عائلة (فقرقان).

قرأ وايسر (هرئيل) التقرير الذي بعث به كروز، واستجاب لاقتراح الايرانيين وفي تشرين الاول ١٩٥٧ اجتمع هرئيل وكروز في العاصمة الايطالية مع بختيار ونائبه فقرفان وبعد عدة اشهر، اي في كانون الاول ١٩٥٧، قدم كروز في اول زيارة له الى طهران. ومن الجدير بالذكر انه كلف فيما بعد بالاشراف على جميع العلاقات مع ايران.

* *

وتشاء الظروف والاحداث ان تتوسع شبكة العلاقات بين الدولتين حتى تشمل تقريبا جميع مناحي الحياة بينهما، وتفتح امام اسرائيل ثغرة مهمة جدا، تمكنها من الاطلال على ما يدور في الدول العربية. وقد حاولت بعض هذه الدول معاقبة الشاه بسبب علاقاته مع اسرائيل لكنه لم يتراجع عنها، بل العكس تماما، ففي كانون الاول ١٩٥٨، وافق على فتح ممثلية ايرانية في اسرائيل، وفيما بعد، وافق على فتح ملحقية عسكرية لاسرائيل في طهران، كما فتح ابواب قصره امام الشخصيات الاسرائيلية رفيعة المستوى مثل: رؤساء الحكومات، والوزارات ورؤساء الاركان ورؤساء شعب المخابرات والموساد، والذين كانوا يؤمون ايران بين

الفينة والاخرى، ويجتمعون مع اصحاب الوظائف الرفيعة، ويجتمعون ايضا بالشاه.

وفي كتابه "العلاقة الاسرائيلية" يقول البروفيسور بينيامين بن هلحمي: لقد احتلت اسرائيل المكانة الثانية من حيث التأثير في ايران بعد الولايات المتحدة، اما على صعيد تدخلاتها الاستخبارية، فقد كانت تتفوق على الولايات المتحدة.

وفي المقابلة التي اجراها معه الصحفي المعروف محمد حسنين هيكل، يقول الشاه بصراحة تامة: في الثاني من ايلول ١٩٧٥ تعاوننا مع اسرائيل لم يكن يقتصر على المخابرات فقط، بل كان اوسع من ذلك بكثير، لقد بعثت جنودا وضباط من جميع شعب الجيش للتدرب في اسرائيل.

وفي الكتاب الذي الفه هرئيل، حول علاقاته مع بختيار: لقد تطورت بيننا علاقة شخصية كبيرة، واصبح بختيار احد كبار اصدقاء اسرائيل وعرابها المعلن والمعروف في كل منطقة.

وعبر بختيار حاولت اسرائيل اقامة علاقة مع عبد الكريم قاسم الذي تسلم زمام السلطة عام ١٩٥٨ في العراق. ونظرا لان العلاقات بين جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم كانت سيئة، قد اعتقد هرئيل، ان هناك اكثر من مصلحة مشتركة بين اسرائيل وقاسم.

ويقول: لقد ساعدنا اكثر من مرة في انقاذ عبد الكريم قاسم، من الاغتيالات على ايدي عبد الناصر، وفي احدى المرات نقلنا التحذير الى قاسم بوساطة بختيار، هذا ولم يخف بختيار عن قاسم تأييده وتعاطفه مع اسرائيل، وعلاقته معها، وان التحذير الذي نقله اليه هو في حقيقة الامر من اسرائيل.

وعلى ما يبدو، فان هذا هو السبب الذي مكن هرئيل من اطلاق سراح العميل الاسرائيلي يهودا تبجر، الذي اعتقل في بغداد عام ١٩٥١. وادين بالتجسس، وحكم بالسجن المؤبد. وقبل اطلاق سراحه بعد ان قضى في السجن عشر سنوات، طلب تيجر الاجتماع بعبد الكريم قاسم فاستجاب له وقابله.

لقد اصبح بختيار، ضيفا دائما في اسرائيل، وكذلك هرئيل، اصبح كثيرا ما يزور ايران بيد انه لم تمض عدة اشهر، ولاسف الاسرائيليين، حتى تدهورت العلاقات بين الشاه وبختيار، فأقال بختيار من منصبه، وذهب بختيار الى سويسرا، وبدأ من هناك يفتش عن الطرق الكفيلة بتمكينه من الانتقام من الشاه وقتله. وفي عام ١٩٧٠، تم العثور على جثة بختيار، وقد اخترقتها عدة عيارات نارية. وهناك من قال، انه قتل في لبنان، واخرون قالوا انه قتل في حادث صيد.

واصل نائبه حسن (فقرفان) علاقاته واتجاهاته الودية تجاه اسرائيل، بل ووسع التعاون الاستخباري، ووجد هذا التعاون تعبيره في المجال الكردي ايضا.

كان العراق في تلك الاونة يغلي داخليا، ووصلت الامور الى حد الانقلاب المسلح والاطاحة بقاسم من السلطة في الثامن من شباط ١٩٦٣. وصل محله المارشال السني عبد السلام عارف، صديق عبد الكريم، ورئيسه السابق، والذي انضم بنصيحة منه، الى الضباط الاحرار الذين خططوا لتصفية النظام الملكي في العراق، وقاد خلال انقلاب تموز ١٩٥٨، القوات التي احتلت بغداد. وقد عينه قاسم في البداية في وظائف رفيعة في الجيش والحكومة، حتى وصل الى مرتبة الرجل الثاني في الحكومة. بيد ان عارف وهو الرجل (الناصري) لم يخف رغبته في احتلال كرسي الزعامة.

وفي شباط عام ١٩٥٩ قدم للمحاكمة بتهمة محاولة قتل رئيس الحكومة وحكم عليه بالاعدام، لكن قاسم غفر له، واطلق سراحه من المعتقل. ورغم ذلك واصل عارف تدبير المؤامرات لقاسم في اطار حزب البعث، وتمكن في نهاية المطاف من احراز مبتغاه والاطاحة بقاسم، واعدامه.

ويكشف الاكراد النقاب لشميدت، الذي عاد الى كردستان في اوج الاحداث عام ١٩٦٣، انهم كانوا شركاء في مؤامرة الانقلاب، وذلك على امل ان يعمل النظام الجديد على حل مشكلتهم. بيد ان الاحداث اكدت، فيما بعد، ان عارف وشركاءه كانوا يخططون لشيء مختلف تماما. كانوا يعتزمون تجذير نتائج الانقلاب، وتوجيه ضربة ساحقة ونهائية الى الاكراد.

****

في الثامن من شباط ١٩٦٢ اي قبل سنة من الانقلاب، بادر طاهر يحيى التكريتي الذي كان قد اقيل من قيادة الشرطة العراقية وانضم الى اعداء قاسم بالاتصال بابراهيم احمد السكرتير العام للحزب الديمقراطي الكردي والرجل الثاني في قيادة التمرد الكردي. وعرض على الاكراد التعاون ضد السلطة.

وفي الثامن عشر من نيسان ١٩٦٢ رد ابراهيم احمد بالقول: ان الاكراد يرغبون في وجود علاقات سلمية مع العرب، وانهم يطالبون بمسألتين فقط: حكومة مركزية ديمقراطية وتمثيل ملائم للاكراد فيها، وحصول الاكراد على حكم ذاتي. ولم يأت رد يحيى الا في آب ١٩٦٢، ومعها ملاحظة تقول: تم تحديد التاريخ، وسيتضح فيما بعد ان التاريخ المقصود هو تاريخ الانقلاب. ثم تم اعلام

الاكراد ان الزمن المحدد يقع بين نهاية شباط ومنتصف اذار ١٩٦٣، وطلب يحيى وحصل على أسماء ستة اشخاص من الاكراد لضمهم الى حكومة الانقلاب.

طالب الاكراد، الذين خاضوا العديد من التجارب في الماضي مع العراقيين، التزاما مكتوبا للوفاء بالشروط التي طرحوها، بيد ان المقابلة بين الطرفين، والتي كان من المفروض ان يتم تسجيلها على اشرطة فيديو، الغيت في اللحظات الاخيرة، وقد برر الالغاء بالرغبة في تقديم موعد التنفيذ، وهكذا لم يبق بأيدي الاكراد اية اثباتات او دلائل للالتزام العراقي، كما لم يتم اعلامهم، بموعد تنفيذ الانقلاب.

ابتلع الاكراد الاهانة، وتوجه ثلاثة من زعمائهم للاجتماع بمجلس الانقلاب الجديد لتهنئته والاعراب عن الاسف وليس الاحتجاج لعدم اتاحة الفرصة لهم للعب دورهم في الانقلاب. وقد اوضح اعضاء المجلس ان الاحداث كانت اسرع من توقعاتهم، لذا، لم يتم اطلاع الاكراد على موعد الانقلاب.

طالب الوفد الكردي بتنفيذ الالتزامات العراقية تجاههم، وحل المشكلة الوطنية الكردية، لكنهم رفضوا طلبا عراقيا لان يقوموا بتهنئة زعماء الانقلاب في الاذاعة العراقية، رغم ان العراقيين اعلنوا في الراديو عن تأييد الاكراد لهم، الامر الذي كان بمثابة دعوة للاكراد الباقين لتأييد النظام الجديد.

كان الملا مصطفى البرزاني، قد اعد في تلك الاونة، هجوما واسع النطاق، في جميع انحاء كردستان، بيد انه سارع لتوجيه امر بوقف النار على جميع الجهات، وتم اعلام الحكومة الجديدة بذلك.

وبدا، وكأنه لحظة المفاوضات بين الاكراد والعراقيين قد حلت وقام البرزاني بتعيين ممثلية لذلك، برئاسة جلال الطالباني، احد افضل قادة التمرد، وراعى البرزاني في ذلك ان الطالباني من منطقة (سوران)، اضافة الى كونه مثقفا ذا تطلعات ليبرالية، ومحام، واحد مؤسسي قوات (الباش مرجا)، وقائد الجبهة الجنوبية في مواجهة العراقيين.

واضافة الى دوره ومهامه العسكرية، قام الطالباني بالعديد من المهام السياسية بنجاح في الخارج، وفي مرحلة ما قام بتحرير المجلة (كردستان).

والطالباني صهر وحليف سياسي لابراهيم احمد، سكرتير الحزب الديمقراطي الكردي. وقد كان الطالباني وابراهيم احمد هما اللذان اعطيا الضوء الاخضر للقوات الكردية للشروع بحرب العصابات عام ١٩٦١، وجرا البرزاني

خلفهما.

وكان ابن البرزاني الثاني (لقمان) من بين اعضاء الوفد الكردي، والذي اطلق سراحه من المعتقل عشية الانقلاب، وعبدالله صالح اليوسفي وهو جامعي ورئيس فرع الحزب الديمقراطي الكردي في بغداد، والذي سبق ان اعتقل، وهجر عدة مرات الى جنوب العراق. اضافة الى كرديين آخرين كانا قد عينا وزيرين في حكومة الانقلاب الجديدة، وزير شؤون الدولة فؤاد عارف، ووزير الزراعة محمد بابا علي.

وقد استقبل اعضاء الوفد في بغداد بترحاب كبير جدا، وكان على رأس مستقبليهم رئيس الحكومة احمد حسن البكر، وهو ضابط رفيع واحد قادة حزب البعث. وسبق ان شارك في تقويض النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨. والمخطط الرئيسي للانقلاب ضد قاسم.

هذا اضافة الى وزير الدفاع صالح مهدي عماش وهو ضابط رفيع واحد اعضاء حزب البعث وقد شارك في الانقلاب، وقائد الجيش الميجور جنرال يحيى. الذي اجرى الاتصال السري الاول مع ابراهيم احمد، قبل عام من الانقلاب وقائد سلاح الجو الجنرال مروان عبد الغفار التكريتي، ووزير الدولة حازم جواد.

وفي اللقاء الاول الذي عقد في التاسع عشر من شباط، وعد طاهر يحيى الطالباني بأن كل شيء على ما يرام، لقد اتفقنا وغدا سنعلن عن اقامة حكم ذاتي كردي.

وفي صبيحة اليوم التالي الموافق العشرين من شباط، وعد الطالباني في القصر الرئاسي بأن الاكراد سيحصلون على جميع حقوقهم، بل لقد عمد وزير الدفاع عماش الى ايضاح الفلسفة الكامنة خلف السياسة التي تنتهجها قيادة الانقلاب بالقول: مثل جميع الشعوب، فان الاكراد سيحصلون على حقوقهم ان عاجلا او اجلا، وليس من صالح العراق ان يكون ضد الاكراد واذا ما قمعناهم، فسوف يثورون مجددا بعد ثلاث سنوات ولا شك ان من غير الفطنة ان نخلق لانفسنا عدوا على يميننا في الوقت الذي تقف فيه اسرائيل الى يسارنا، لان هذا الوضع سيكون كارثة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي. اضف الى ذلك ان الاكراد الان يرفعون اصواتهم خارج العراق، فما الذي سيكون عليه وضعنا اذا ما قمنا بتدمير شعب حر؟

وقد رد الطالباني على هذه الاقوال بالقول: اشكرك على هذه الاقوال

الجيدة، وانني امل ان يتحقق نصفها".

واعرب ممثلو الحكومة ووافقهم ايضا ممثلو الاكراد، عن ان القضية اوسع واكثر شمولية من امكانية مناقشتها في جلسة وان الامر يتطلب نقاشا واسعا، بمشاركة اكثر تمثيلا من الطرفين. وحدد عماش الثاني والعشرين من شباط موعدا للاجتماع الذي لم يعقد ابدا حتى يومنا هذا.

لم يتردد العراقيون في استغلال الاكراد من اجل تجذير شرعية سلطتهم الجديدة في اعين زعماء الدول العربية.

وفي العشرين من شباط توجه الطالباني على راس وفد عراقي رسمي الى القاهرة لتهنئة الزعامة المصرية بمناسبة الذكرى الخامسة لاقامة الجمهورية العربية المتحدة، والتي كانت قد انحلت ومن الجدير بالذكر ان الطالباني اراد الاجتماع بالبرزاني، قبل توجهه، لكنه لم يستطع ذلك، وهناك اجتمع بالرئيس المصري جمال عبد الناصر، واثنين من قيادته. وسمع منهم اقوالا راقت له كثيرا. فقد قال له عبد الناصر الذي كان يسعى لقيادة العالم العربي كله لا يوجد هناك من يستطيع التنكر للشعب الكردي، وحقه في الحكم الذاتي. وتوجه عبد الناصر الى اعضاء من العراقيين وقال لهم: لست ادري ما الذي يخيفكم في عبارة الحكم الذاتي. ان ضمان تأييد الاكراد للعرب في نضالهم ضد اعدائهم، يعزز القومية العربية، واعداء العرب هم حتى ذلك الحين، تركيا وايران، لذا، قطعت مصر علاقاتها معهما.

وفي الجزائر سمع طالباني اقوالا مماثلة من الزعماء الجزائريين الذين كانوا قد حصلوا قبل سنة واحدة فقط على استقلالهم بمعونة من مصر. فقد كرر الرئيس الجزائري محمد بن بيلا -ربيب عبد الناصر- تقريبا نفس الاقوال، واقترح على العراق ان لا يقع في نفس الاخطاء التي وقعت فيها فرنسا، عندما رفضت منح بلاده الاستقلال.

غضب البرزاني على الجولات التي اخذ طالباني يقوم بها، وقال: لقد ارسلتكم الى بغداد، وليس للقيام بجولات في عواصم الدول: كان هذا التجوال بالنسبة له يعني ان الحكومة العراقية لا تدرس الاقتراحات الكردية بجدية. ورغم ان طالباني كان يعتقد انه تمكن من احراز اجماع عربي شبه شامل بالموقف الكردي، بيد ان البرزاني كان يرغب في احراز نتائج فورية، لذا طالب ان يعلن العراقيون في الاول من اذار ١٩٦٣، عن حق الاكراد في الحكم الذاتي، واذا لم يعلنوا عن ذلك، فسوف يستأنف الحرب، ويعلن استقلال كردستان، وربما ايضا

الانفصال التام عن العراق، وكي يؤكد جديته امر جميع رجاله بالعودة الى مواقعهم في ساحة المعركة.

في تلك الاونة سأل شميدت: ما الذي تعنيه بالحكم الذاتي؟ فرد البرزاني قائلا: ضمان امن الشعب الكردي، وان لا نعيش وضعا يمكن لاية جهة ان تكيل لنا الضربات في اللحظات الاخيرة.

س- اي انكم تريدون ايضا ان يكون لديكم قوة مسلحة؟

- برزاني: وهل بالامكان احراز الامن والامان دون قوة مسلحة؟ واشار الى مطلبه السابق الخاص بتشكيل لواء مسلح كردي داخل الجيش العراقي، وتشكيل شرطة كردية في المناطق الكردية.

واضاف... الحكم الذاتي بمفهومه الكامل سيتم تطبيقه بصورة تدريجية، بيد انه يتوجب على العراقيين اولا ان يعترفوا بحق الشعب الكردي في الحكم الذاتي وحق تقرير المصير. واذا ما اعلنوا عن ذلك، ستكون الامور على ما يرام، واذا لم يفعلوا فسوف تعود الاوضاع الى سابق عهدها. وسيقاتل الاكراد حتى الموت، وسيطالبون بالانفصال، وربما سيكون علينا ان نعلن الاستقلال.

وفي الاول من اذار ١٩٦٣، اي حال انتهاء الموعد الذي حدده البرزاني، اعلنت الحكومة العراقية بيانا مهدئا فهي لم تشر فيه الى الحكم الذاتي، بيد انه اعلنت عن ضمانها لحقوق الاكراد.

وفي الرابع من اذار اعلنت الحكومة العراقية عن اجتماع بين الطرفين في (قلعة ديزه) المحتلة بمشاركة الوزيرين الكرديين، وقائد الجيش، وعلي حيدر سليمان، الذي كان انذاك يعمل سفيرا للعراق في الولايات المتحدة، وهو من اصل كردي.

ونظرا لاعتقاد البرزاني بأن هناك مؤامرة مريرة وراء المماطلة اصر على عقد الاجتماع في (كارمي ماران)، حيث يشعر ان هناك اكثر امانا، ووضع جميع اوراقه على الطاولة: الحق في الحكم الذاتي، ادارة اقليمية كردية، ومجلس قضاءي في المنطقة الكردية، وتعيين كردي نائبا للرئيس العراقي، وتشكيل لواء كردي عسكري تحت قيادة مركزية، وتشكيل شرطة كردية على غرار الشرطة العاملة في كل ولاية من الولايات الامريكية، وتعيين اكراد لجميع الوظائف الحكومية في كردستان، والاعتراف باللغة الكردية لغة رسمية بجانب اللغة العربية.

وطالب البرزاني ايضا، بسحب جميع الوحدات العراقية من المناطق

الاقليمية الكردية، ولا يسمح بعودتها اليها الا في حالة وجود اخطار نشوب حرب من الخارج، او وجود اخطار واستثمار اموال النفط، الذي يضخ بغالبيتة من الاراضي الكردية بصورة معقولة بين المناطق السكنية العربية والكردية.

لقد طالب البرزاني في حقيقة الامر باقامة حكومة كردية في جميع المجالات، باستثناء مجالي الخارجية والامن، واللذين تركهما في ايدي الحكومة المركزية.

لم ترق المطالب الكردية للعراقيين وقال وزير الدفاع عماش وهو يقرب يده من رقبته، والله اذا وافقنا على مطالبكم، فان جمال عبد الناصر سيذبحنا، فرد طالباني فورا: خلال محادثاتنا مع عبد الناصر، وافق على مبدأ اقامة حكم ذاتي، وعلى كل اتفاق نتمكن من التوصل اليه فيما بيننا. فرد عماش ووزير الخارجية علي صالح السعدي قائلين: لقد قال عبد الناصر لكم شيئا وقال لنا شيئا اخر.

وفي السابع من اذار، قدم الى (شافار كرونه) القريبة من (رانيه) وفد عراقي رفيع المستوى دون ممثلين عراقيين رسميين، لمقابلة البرزاني، وقد قدموا الى البرزاني مطلبا بأن يتنازل عن مصطلح الحكم الذاتي، فوافق البرزاني، لان المصطلح لم يكن يعني بالنسبة له شيئا، فكل ما كان يهمه هو تنفيذ الجوهر.

وافق الموفد المذكور على مطالبة الحكومة العراقية بالموافقة على عدة مطالب كردية فورا، من اجل تحسين اجواء المفاوضات، ومن ضمنها الغاء المقاطعة الاقتصادية على المناطق الكردية، والغاء جميع الاوامر الخاصة بمصادرة الممتلكات الكردية، وسحب القوات العراقية الى مواقعها السابقة باستثناء الفرقة العراقية الثانية المتمركزة بصورة عامة في الشمال واستبدال اصحاب الوظائف الحكومية في المناطق الكردية، منح عضو، واطلاق سراح جميع المعتقلين الاكراد، وجميع المحكومين بسبب تقديمهم المعونة للتمرد الكردي.

قامت الحكومة العراقية بالاعلان عن اطلاق سراح ثلاثمائة معتقل كردي من الثلاثة الاف وخمسمائة معتقل. واكتشف عدد من الزعماء الاكراد، ان الامر العلني قد الغي سرا، بيد انهم غضوا الطرف، نظرا لان المقاطعة الاقتصادية ازيلت جزئيا بل واصبح هناك اتصال حر بين المناطق الكردية والعربية اما باقي البنود الاخرى، التي جرى الحديث عنها، فقد ظلت ميتة.

وفي التاسع من اذار نشرت الحكومة العراقية بيانا اعترفت فيه بالحقوق

الكردية الوطنية وثم استبدال مصطلح الحكم الذاتي، بمصطلح اقامة (مركز فرعي) والذي هو في حقيقتة اقل من حكم ذاتي، ويخضع كليا للحكومة المركزية، واتضح فيما بعد ان مصطلح "المركز الفرعي" ايضا مفرغ من اي محتوى.

اعتقد البرزاني رغم ضعف الانجاز ان هناك تحولا قد حدث وقرر ضرورة اشراك جميع طبقات وفئات الشعب الكردي في المفاوضات النهائية. وبناء عليه قرر تشكيل لجنة مفاوضات موسعة تستمد صلاحياتها من مؤتمر متعدد الاطراف. وتوجه رسله الى جميع انحاء كردستان، وعقد المؤتمر اجتماعه في (سنجق) خلال الفترة الواقعة بين ١٨-٢٢ اذار. وقدم الى المؤتمر حوالي الفي كردي من جميع انحاء كردستان بملابسهم الوطنية، ومن بينهم رؤساء قبائل ومثقفون، وشبيبة، ونسوة، وطلبة، وزعماء دينيون، وزعماء طوائف، وقادة (الباش مرجا) والقوات الاخرى.

ورغم التفاؤل الشديد، فقد عقدت اجتماعات المؤتمر في ساعات الليل، خشية ان ترسل الحكومة العراقية طائراتها لقصف المؤتمر. وقد ازدادت المخاوف في اعقاب توارد انباء تفيد بأن وحدات عراقية شرعت بمهاجمة اهداف في شتى انحاء كردستان.

وفي الحادي والعشرين من اذار، احرقت وحدة عراقية قرية في (عمريك) في منطقة كركوك. وهاجمت وحدة اخرى تابعة للحرس الجمهوري قرية في منطقة (القوش). وقد تمكن الاكراد في الحالتين من صد الهجوم والانتصار فيه وقتل سبعة جنود، واسر اربعة عشر اخرين.

ورغم ذلك، واصل المؤتمر عمله. وفي الليلة الرابعة للمؤتمر، قرر المؤتمرون ان يبعث البرزاني رسالة شكر للحكومة العراقية على اعترافها في التاسع من اذار بالحقوق الوطنية الكردية. وتم اختيار اربعة عشر عضوا برئاسة الطلباني لادارة المفاوضات الشاملة.

لا شك ان عقد المؤتمر كان بمثابة انجاز كبير للبرزاني، فلاول مرة ينعقد تحت سقفه مؤتمر كبير، يضم كل هذا الحشد الهائل من التيارات الكردية التي كانت الاتصالات والعلاقات بينها ضعيفة. واثبت البرزاني انه مفكر استراتيجي سياسي، لا يشق له غبار. وقد حرص خلال المؤتمر على تسوية النزاعات القائمة بين رؤساء القبائل وانفسهم، وبينهم وبين زعماء الحزب، وانتهز فرصة روحية التقارب الداخلي من اجل انجاح قرار ينص على واجب القبائل الكردية التي

تتعاون مع الحكومة العراقية الاتحاد، ورص الصفوف، خلف الاهداف الكردية، تحت رئاسته. وهكذا، اصبح بمقدوره ان يقول تضامنا كرديا وطنيا قد ولد.

****

سرعان ما تبين للطالباني ان اشعة الشمس التي اعتقد الاكراد انها اشرقت، لم تصل الى الحكومة العراقية. ففي الثلاثين من اذار وصل وفد الاربعة عشر مفاوضا كرديا، برئاسة طالباني لاجراء المفاوضات في بغداد، وسرعان ما اكتشف ان قادة العراق الجدد ليسوا تواقين للقاء الوفد، فالمفاوضون العراقيون لم يكونوا يتمتعون بأي صلاحية ولم يكن اي منهم يحمل لقبا رسميا.

وبد عدة ايام من النقاش طرح عليهم طلباني سؤالا رسميا قال فيه: هل انتم مخولون بالتفاوض باسم الحكومة؟ فردوا بالنفي.

طلب طالباني الاجتماع برئيس الحكومة البكر، فقيل له ان المفاوضات ارجأت حتى السادس من نيسان ١٩٦٣. وبعد حوالي ساعتين سمع من راديو بغداد نبأ يفيد ان البكر توجه الى القاهرة، لاجراء حوار مع الحكومة المصرية.

انتظر الطالباني وزملاؤه خمسة ايام اخرى لعودة رئيس الحكومة من القاهرة، وقاموا في تلك الاونة بناء على طلب المفاوضين العراقيين باعداد مذكرة حول مطالبهم الاربعة.

اثارت المفاوضات العراقية في القاهرة الذعر في اوساط الاكراد، لانهم كانوا على علم بأن تلك المحادثات تجري حول اقامة وحدة بين مصر والعراق، وان نجاح هذه المفاوضات سيحدث تأثيرا في بنية الدولة العراقية ومكانتها وبالتالي سيحسم مصير المفاوضات معهم.

وبناء على ذلك، سارعوا لتقديم تساؤلات واستيضاحات قالوا فيها: اذا ما بقي العراق في بنيته الحالية، فان الاكراد على استعداد لقبول فكرة "المركز الفرعي". اما اذا تحول العراق الى جزء من اتحاد كونفدرالي عربي يشمل دولا عربية اخرى، فسوف يطالبون بحكم ذاتي موسع. واذا ما تحول العراق الى جزء من اتحاد عربي شامل، فلن يكون امامهم خيار سوى الانفصال عنها.

وفي الرابع والعشرين من نيسان قيل للاكراد ان الاجتماعات معهم ستجري في نفس اليوم، وكانت معنويات المفاوضين حتى ذلك الحين متدنية فقد اتضح لهم من خلال الحوارات التي اجروها مع موظفين عراقيين ان الحقوق التي ستمنح لهم، ستكون مقلصة. اضف الى ذلك ان الانباء الواردة من كردستان

افادت بأن الحكومة العراقية شددت الاغلاق الاقتصادي، وسدت الطرق المؤديه الى كردستان بالحواجز، ونشرت سلاحها الجوي، ومدفعيتها ودباباتها ضد الاكراد.

وصل الوفد الكردي الى منزل رئيس الحكومة الساعة العاشرة الا الربع صباحا، فقيل لهم ان الرئيس نائم. وبالتالي لم يبق امام الوفد سوى ترك المذكرة التي اعدها، لدى مساعده، والاعلان عن عودته الى كردستان.

وقبل انطلاق الوفد، في طريق العودة، توجه اعضاءه الى الوزير الكردي فؤاد عارف والذي كان يعمل سكرتير دولة للشؤون الكردية واطلعوه على القرار الذي اتخذو، فاتصل عارف بقائد الجيش يحيى، والذّي اعلن حالا انه سيجتمع بالوفد الكردي في غضون ساعة.

قال اعضاء الوفد ليحيى: لقد جئنا لنودعك قبل مغادرتنا. واعلن طالباني، انه الان مقتنع تماما بأن العراقيين لا يعتزمون اجراء مفاوضات جدية معهم. فقال يحيى: اذا غادرتم بغداد، ستكونون قد ارتكبتم عملا بائسا جدا.

- طالباني: هل تجرون مشاورات بشأننا؟
- نعم، اننا ندرس مطالبكم بعناية بالغة.

اصر طالباني على موقفه، في حين سارع يحيى الى مكتبه، واحضر القرآن الكريم، واقسم عليه انه لا توجد للحكومة العراقية اية نوايا سيئة تجاه الاكراد. واذا كان يكذب فليصبه الله بالعمى. وطلب من الوفد، ان ينتظر الى ما بعد عيد الفطر، وحينها ستدخل المفاوضات مسارا جديا. وسيتم نقل مطالبهم الى مصر، والى الحكومة السورية، وهما الدولتان الشريكتان للعراق في الوحدة السياسية، اذا ما خرجت هذه الوحدة الى حيز التنفيذ الفعلي.

وافق الوفد الكردي على البقاء حتى العيد بامتعاض واضح. وفي الاول من ايار ١٩٦٣، لم يتورع طالباني عن توجيه انتقادات غاضبة اليه بسبب التأخير والاستعدادات الحربية التي بدأ الجيش العراقي يتخذها. وحينما سمع البكر هذه الانتقادات رفع القرآن فوق رأسه، واقسم انه لا توجد لديه اية نوايا سيئة تجاه الاكراد. وان المطالب الكردية ارسلت الى حكومتي القاهرة وسورية.

وقد رد عليه طالباني بمرارة قائلا: لربما كان قسمك صحيحا، بيد ان جميع نوايا حزب البعث بصدد الاكراد سيئة. وطلب السماح له بالسفر الى القاهرة لايضاح طبيعة المطالب الكردية لعبد الناصر. فقد ادرك من خلال الحوارات السابقة التي اجراها مع رئيس الحكومة، وضباط رفيعي المستوى، وزعماء اخرين

ان افضل الوسائل التي يمكن ان تحرك الامور بالاتجاه الصحيح هي دفع عبد الناصر لاتخاذ قرار حاسم.

وبعد عدة ساعات، سمح له بالسفر الى القاهرة، بيد ان اللقاء مع عبد الناصر لم يجر الا بعد ثلاثة اسابيع، اي في الخامس والعشرين من ايار. وقد تعامل عبد الناصر وزملاؤه مع طالباني بأدب جم، واكدوا ان مطالبه معقولة، ووصفوا اية محاولة لانهاء المشكلة الكردية بالقوة، بالعمل السيء.

كان اللقاء مع عبد الناصر جيدا للغاية، وشعر طالباني بالكثير من العزة، فلاول مرة، يسمع مطالب الاكراد لاكبر زعيم في العالم العربي ولاول مرة تبدي الصحافة ووسائل الاعلام العربية، وعلى وجه الخصوص المصرية، تعاطفا كبيرا الى هذا الحد مع المشكلة الكردية.

اعتزم طالباني العودة الى بغداد وهو يحمل شعورا بالانجاز، وعلى وجه الخصوص، انجازا نفسيا، مفترضا ان هذا الانجاز سيتيح الفرصة للبعث، هذه المرة، للتوقيع على اتفاقية مع الاكراد، بيد ان اعضاء الوفد الذين بقوا في بغداد، اعلموه سرا، ان الحكومة العراقية، تعتزم اعتقاله، حال عودته الى بغداد، لذا فان من الافضل ان لا يعود اليها، مما حدا به لاتخاذ قرار بالسفر الى اوروبا، والعمل لدى الاصدقاء هناك لصالح ابناء شعبه.

****

وجد اعضاء الوفد المفاوض الكردي، الذي بقوا في فندق سميراميس، انفسهم تحت الحراسة المشددة، وقد رابطت دربة المباحث والشرطة على ابواب الفندق، وقد بعث اعضاء الوفد شكوى مكتوبة الى البكر، فامر بتقليص الحراسة، لكن هذه الخطوة لم تخفف من مخاوفهم، من نوايا الحكومة تجاههم. فقد كانوا على علم بأن الجيش العراقي عزز منذ مطلع ايار معسكراته في جميع انحاء كردستان، وحرك وحدات بصورة استفزازية. واكتشفت المخابرات الكردية ان الجيش العراقي وضع جائزة قدرها مائة الف دينار لمن يلقي القبض على البرزاني.

وخلال يومي الخامس والسادس من حزيران ١٩٦٣ قام الجيش العراقي باستعراض قوة، في كل من كركوك والسليمانية، سارت خلاله الدبابات باتجاه الجبال. وفي السابع من حزيران فتحت المدفعية العراقية النار على مواقع كردية في جبل (ازمر)، وحاولت كتيبة عراقية احتلال مواقع كردية.

اجتمع الوفد المفاوض في السادس من حزيران مع البكر، بناء على طلب

الوفد، لكنه انكر كل شيء، وقال، ان المنشور الذي يشجع على القاء القبض على البرزاني هو محاولة ماكرة من الشيوعيين لخلق النزاعات بين العراقيين والاكراد. واقسم بالقرآن، ان لا علاقة له البتة بذلك، ثم قدم البكر عرضا جديدا بشأن (المركز الفرعي) للاكراد.

وقد وجد اليوسفي رئيس الوفد بالوكالة ان العرض الجديد يختلف اختلافا طفيفا عن المركز الفرعي، الذي سبق رفضه. وقد اصر العراقيون على ارسال الاقتراح الى البرزاني وزملائه لاتخاذ قرار بشأنه، فقال اليوسفي ان قيادة الاكراد طلبت من الوفد رفض الاقتراح السابق، والاقتراح الجديد لا يتضمن اي شيء جديد.

وفي الثامن من حزيران عقد اجتماع اخر، عاد منه اليوسفي وهو يعتقد ان هناك بارقة امل، وقال: ان لعبة الطروحات الجديدة، تعني انه لم يتم بعد اتخاذ قرار بشن الحرب، وطلب اذنا للسفر الى الشمال للتشاور مع البرزاني.

وفي المساء، قدم يحيى بصحبة الوزير الكردي عارف، الى فندق سميراميس، ووعد بان تأتي طائرة لنقل الوفد من مدرج معسكر الرشيد. وقد سادت شائعة في اوساط النشطاء الاكراد في بغداد تفيد بأنه طرأ تقدم على المفاوضات، مما اشاع في نفوسهم الارتياح. وبدا ان الشكوك التي ساورت الاكراد تجاه الحكومة لا اساس لهامن الصحة، وبدأ الاكراد الذين كانت الشرطة تفتش عنهم في الخروج من مخابئهم، ولم يدر اولئك السذج انه في الوقت الذي راجت فيه الشائعات حول طرح مقترحات جديدة، كان الجيش العراقي يطوق كركوك واربيل، والسليمانية، ويعلن عن نظام حظر التجول لمدة اربع وعشرين ساعة، ومن ثم يبدأ عمليات اعتقال واسعة النطاق. فاعتقل ثلاثة الاف شخص في السليمانية، ويطرد غالبية سكان كركوك الذين بلغ عددهم مائة وخمسين الف نسمة، وشرعت الجرافات في تسوية الاحياء الكردية في كركوك وقد اكتشف فيما بعد قبر جماعي في السليمانية ضم رفات مائتين وثمانين كرديا.

قدمت السيارات في التاسع من حزيران الى فندق سميراميس لنقل اعضاء الوفد الى معسكر الرشيد كما وعدهم يحيى، لكنها وبدلا من ان تنقلهم الى المعسكر، نقلتهم مباشرة الى زنازين الاعتقال، كما قامت الشرطة، بحملة واسعة جدا لمطاردة النشطاء العراقيين في بغداد، واعتقلت سبعمائة شخص. وتم فصل الجنود الاكراد من وحداتهم، وارسلوا الى الجنوب، وتمت اقالة الموظفين

الاكراد من وظائفهم. وعقد وزير الخارجية السعدي مؤتمرا صحفيا أعلن فيه عن شن حرب ضد الاكراد، وتم تحديد اربع وعشرين ساعة للبرزاني وزملائه للاستسلام. وعمل وزير الدفاع عماش علي التقليل من شأن الاكراد، فقال هذه ليست حربا، بل نزهة وطنية للجيش.

قسم الجيش العراقي الذي كانت اربع فرق من فرقه الخمس تتمركز في المنطقة الكردية - المناطق الكردية الى قطاعي عمل: القاطع الشمالي، والذي كان يمتد من الحدود السورية وحتى العمادية وعقره، والقاطع الشرقي والممتد من راوندوز وحتى السليمانية.

كانت ثلاث فرق عراقية فقط بتركيبتها الكاملة، اما الفرقة الرابعة المدرعة، فقد عسكر نصفها في (الحبانية) وتم نشر النصف الثاني في الوحدات الاخرى، وكان الجيش العراقي مسلحا جيدا بأسلحة سوفياتية، وعلى وجه الخصوص المدافع من عيار (خمس بوصات) وما يزيد وسيارات مدرعة ودبابات، هذا اضافة الى التسليح البريطاني القديم. لقد تم تخصيص اربعة اخماس الجيش العراقي -حوالي اربعين الف جندي للتعامل مع الاكراد".

اما سلاح الجو العراقي، فقد سلح بطائرات سوفياتية (٤٠ طائرة مقاتلة من طراز ميج ١٥، ٧١، ١٢ طائرة قاصفة من طراز اليوشن. وعشر طائرات قاصفة من طراز توبولوف-١٦ الى جانب قاصفات بريطانية قديمة. وكان العراقيون يستخدمون الطائرات بصورة عامة، لتدمير قرى ومحصولات. وسرعان ما اتضح ان الطائرات غير فعالة، فطائرات الميج تطير على ارتفاعات شاهقة، وبسرعة كبيرة، في حين ان قصف طائرات (الاليوشن) لم يكن دقيقا.

لقد تأثر القصف بالمراوحات السوفيتية الخاصة بمدى تقديم التأييد لحكومة عارف، فكلما سادت العلاقات بين العراق والسوفييت، واوقف الروس تزويدهم للعراق بالذخائر، تقلص القصف.

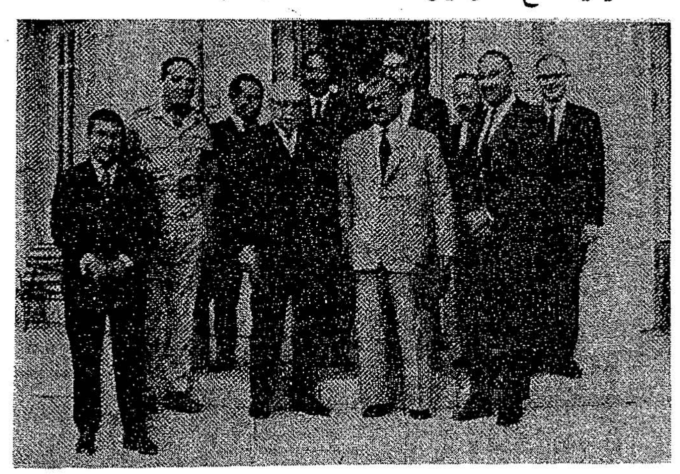
لقد اطلقت موسكو على الحكومة العراقية القابا مثل: عصابة القتلة والمتآمرين النازيين الفاشيست ووزعت الحكومة السوفيتية بيانا تؤيد فيه حق الاكراد. ووصفت المعاملة التي يلاقونها من العراقيين "خيانة على نمط هتلر، بربرية فاشية.

وبعد خمسة اشهر من سفره الى القاهرة، عاد طالباني من اوروبا الى كردستان، وفي تشرين الثاني ١٩٦٣ عاد لقيادة مقاتليه في (تشمي ريزان). وبعد

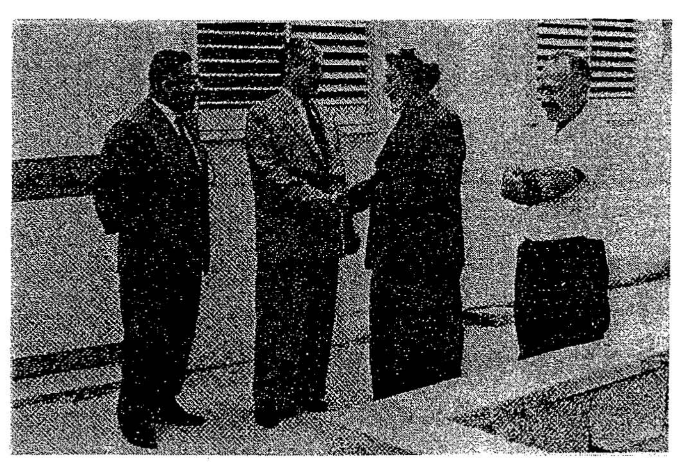
وقت قصير قدم الى هناك ضابطان عراقيان كبيران، ليسألا فيما اذا كان الاكراد يرغبون في استئناف المفاوضات ام لا؟ فقال لهم طالباني باحتقار ان طاقم المفاوضات السابق، والذي ترأسه هو بنفسه حتى ايار ١٩٦٣ موجود خلف القضبان في بغداد منذ ذلك الحين اطلقوا سراحهم، واجروا المفاوضات معهم.

وفي تلك الاونة شرع طالباني في اعداد العدة لاقامة بنية حكم ذاتي من جانب واحد، وتشكيل ادارة مدنية وبمبادرته بدأت القرى والمدن تنتخب مجالها.

اما البرزاني فقد ادرك ان بانتظاره مؤامرات جديدة، وشرع بالسعي لاقامة علاقات حقيقية مع اسرائيل.



البرزاني مع أصدقاء : من اليسار ديفيد كرون ، الدكتور محمود عثمان شمس



مدير مكتب رئيس الدولة

زيارة البرزاني لطبريا ، وهو يصافح صديقه اليهودي من كردستان ديفيد جباي في منزله ، ومن اليمين حاييم لبكوب ، ومن اليسار تسيون جباي

الفصل السادس

راديو بغداد يكشف سرا

حمل بدير خان خلال الزيارة التي قام بها الى اسرائيل في الاول من نيسان ١٩٦٣، وحل فيها ضيفا رسميا بصورة سرية "المبادرة" التي طلب منه البرزاني ايصالها الى الجهات الاسرائيلية.

وبدا بوضوح انه ليس على اطلاع على جميع التفاصيل التي وقعت مؤخرا بيد انه على علم بالاحداث نفسها، لذا شدد على كل كلمة قالها، ومنحها طابعا عاجلا جدا.

واجتمع بدير خان خلال زيارته مع رئيس الحكومة ديفيد بن جوريون، ومع وزيرة الخارجية جولدا مائير، ومع رئيس الاركان تسفي زامير. ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية مائير عميت، والذي كان في تلك الاونة بالضبط، قد كلف بترؤس الموساد ايضا في اعقاب استقالة ايسر هرئيل- ومع موظفين اسرائيليين رفيعي المستوى.

وفي الخامس من نيسان، سجل بن جوريون في يومياته ما يلي: مقابلة مع امير كردي، صديق (فيشر)، زار ارض اسرائيل عام ١٩٤١، ويوجد ستة ملايين كردي في تركيا، واربعة ملايين كردي في ايران، ومليونا كردي في العراق. وثمانمائة الف كردي في سورية، وفي روسيا مائة وستون الفا، ويوجد في بريطانيا ثمانمائة طالب كردي. لقد قام العراقيون بقصف الف وخمسمائة قرية كردية، منها ثلاثمائة قرية دمرت نهائيا. وقد طلب ارسال جهاز ارسال، وصحفي لزيارتهم عبر ايران.

وفي الزيارة الثانية لاسرائيل، طلب بدير خان جهاز ارسال بقوة خمسة كيلو وات، واثنتي عشرة راجمة (بازوكا) وعدة مدافع ضد الطائرات، ومساعدات مالية. واقترح بدير خان ايضا ان تجري اسرائيل اتصال مباشر مع البرزاني، على ان تبدأه بلقاء بينه وبين شخص غير اسرائيلي، على ان يكون موثوقا لدى اسرائيل كصحفي مثلا.

لم يكن هذا الوضع بالنسبة للبرزاني غريبا او يحمل اي شيء غير طبيعي، فقد كان يجري اتصالاته مع العالم الخارجي عبر الصحفيين، وعلى وجه الخصوص، صحفيين رفيعي المستوى، مثل شميدت من جريدة نيويورك تايمز،

وديفيد ادمسون من جريدة واشنطن ستار، واريك رولو من جريدة (لاموند) وفرانسوا شويا من جريدة (لافيجارو). وكان هؤلاء الصحفيون يجتازون رحلات طويلة ومرهقة جدا من ايران الى جبال كردستان، وكانوا يجتمعون بالبرزاني، ويعيشون في مناطق القتال، ويحملون الى العالم انباءا حول حجم المعاناة التي يعيشها الاكراد في العراق.

وفي احدى الوثائق التي حفظها جهاز الموساد حول قضية الاكراد، جاء: لقد تم الشروع بمعالجة قضية الاكراد صدفة، وبفضل اصرار ومبادرة بدير خان التي انتهت باقامة علاقات طيبة مع بعض الشخصيات الاسرائيلية.

وفي اعقاب مرور شهر من زيارة بدير خان الى اسرائيل، تم اتخاذ قرار بتكليف الموساد برئاسة مائير عميت بمعالجة القضية الكردية.

وفي ايار ١٩٦٣، وصل عميت الى ايران لحضور الاجتماع الدوري لرؤساء الاجهزة الاستخبارية الاسرائيلية والايرانية، وتعرف على رئيس جهاز السافاك "فقرفان". وقد وصف مسؤول ايراني الموقف الذي تمت بلورته في تلك الاونة في طهران حيال الوضع الكردي على النحو التالي: اننا نتعامل مع التمرد الكردي في العراق كفرصة لا تعوض، ورغم ذلك وبسبب الاقلية الكردية الايرانية، وبسبب علاقتنا مع تركيا، لا نستطيع تأييدهم علنا، فنحن لم نكن نرغب في ان يتطور التمرد، كي يصبح دولة كردية كبيرة.

وفي المقابلة التي منحها شاه ايران لجريدة (لوموند) الباريسية، قال: نحن لا نؤيد استقلال الاكراد في العراق، بيد اننا معنيون بحصول الاكراد على كامل حقوقهم هناك، الاكراد غير العرب.

ومن الجدير بالذكر، ان الشاه كان دائما يفرق بين الايرانيين الهندو-اوروبيين والاريين، وبين العرب الساميين وقد بدا تميزه ذاك بأجلى صورة، في علاقته مع الاكراد الذين يعتبرون من الجنس الهندو اوروبي، رغم انهم مسلمون سنيون.

وفي معرض رد شخصية ايرانية رفيعة المستوى على سؤال لشخصية اسرائيلية حول الوضع الكردي في العراق، قال المسؤول الايراني، نحن نرغب في استمرار لهيب التمرد الكردي في العراق، شريطة ان لا يتحول هذا اللهيب الى حريق كبير.

وفي ضوء هذه الافكار اقتنعت اسرائيل في هذه المرحلة عن طرح اي

اقتراح او الالماح لامكانية التعاون الاسرائيلي الايراني الكردي.

ولم يكن هناك اي شك في ان تواصل اللهيب بصورة مراقبة ومضبوطة، هي مسألة حساسة، وان الايرانيين لا يعتزمون في الاونة الحالية توسيع الحديث عنها.

ومن الناحية الاخرى، اعتبرت اسرائيل القضية الكردية بمثابة فرصة لا تثمن بالذهب، ولا يرجع ذلك فقط للاعتبارات الاخلاقية، والفرصة المتاحة لاضعاف مخالب الجيش العراقي، الذي يذكرها بالايام الخوالي البعيدة، بل ايضا لاعتبارات اخرى.

وبناء على ذلك، اوصى رئيس الموساد، امام رئيس الحكومة، بن جوريون، بالتفتيش عن الاساليب المناسبة للعمل بدون وطء الحصاد الايراني والتركي وحصل على موافقته.

تردد عميت طويلا قبل ان يقع اختياره على (ر) كي يرسله الى البرزاني، وهو ليس اسرائيليا، ولم يسمح حتى الان، بالاعلان عن اسمه.

وفي الكتاب الذي الفه تحت عنوان "العراق وكردستان"، كتب الباحث العراقي سعد جواد، ان عميلين اسرائيليين قدما الى كردستان في تلك الاونة، تحت غطاء انهما صحفيان المانيان، وربما كان يشير الى (ر).

وفي الخامس والعشرين من حزيران ١٩٦٣، ذهل رجال الموساد، وهم يقرأون ترجمة للنشرة الاخبارية العراقية، والتي جاء فيها: هناك علاقة وطيدة بين الملا مصطفى البرزاني واسرائيل، لقد توفرت معلومات لدى السلطات العراقية، تؤكد ان اسرائيل تقدم المساعدات للبرزاني، ومن ضمنها محطة بث واموال. لقد ادت صحة البيانات الواردة في النبأ، وتزامن اذاعته مع الوقت الذي ارسل خلاله (ر) الى استبعاد الموساد فكرة الصدفة. وتمحورت شكوك الموساد، حول عدة جهات، ومن ضمنها (ر) نفسه الذي كان يعمل صحفيا، اضافة الى ان الوسط المحيط بالبرزاني، لم يكن ايضا امينا بصورة كاملة من احتمالات التسرب.

لقد اصبح واضحا تماما، ان السرية في مثل هذه العمليات، هي مسألة محدودة الضمان، وانه دون الاستعانة بايران والسافاك لن يصبح بالامكان دفع (المشروع) الايراني الكردي الى الامام.

كان السافاك في تلك الاونة قد بدأ يمد يد المساعدات بصورة محدودة للمتمردين، بيد ان القيادة الكردية لم تكن تثق بالايرانيين. وقد توصل البرزاني في

تلك الاونة الى تفاهم مع ابراهيم احمد سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. رغم ان الشكوك كانت قد تعززت بينهما، في تلك الاونة الامر الذي اثر على العلاقات بين المناطق الشمالية الكردية التي كان يتزعمها البرزاني، ومناطق الجنوب التي تجمع فيها المؤيدون لابراهيم احمد.

قال ابراهيم احمد للبرزاني: ان الايرانيين يرغبون في ان نكون اقوياء بصورة تمكننا من محاربة العراقيين، بيد انهم يرغبون ايضا في ان نكون ضعفاء، بحيث لا نتمكن من تحقيق الانتصار، وقد وافقه البرزاني على ذلك.

بعثت اسرائيل الى البرزاني، رسالة عرضت عليه فيها ان يقيم علاقات مباشرة معها. وقام ابراهيم احمد باعداد قائمة موسعة لمطالب المتمردين على النحو التالي: عشرة الاف بندقية، راجمات، بازوكا، وراجمات، والغام، واجهزة اتصال، ومحطة ارسال قوية، واموال، وقيام اسرائيل بتدريب خبراء متفجرات وفنيي راديو.

* *

تسلم ليفي اشكول رئاسة الحكومة في اسرائيل، في السادس والعشرين من حزيران ١٩٦٣، اضافة الى منصب وزير الدفاع، وسارع مائير عميت لاطلاعه على ماهية العلاقة مع الاكراد.

ويقول عميت: كان من الواضح ان هناك ضرورة لتواصل العلاقة مع ايران، بيد ان القضية الكردية ايضا كانت على جدول الاعمال وقد اقنعت رئيس الحكومة، بأن يسمح لنا بالعمل مع الاكراد، لان العمل مع الاكراد ايضا لصالح الايرانيين.

وقد تم الاتفاق بين ليفي اشكول وعميت على ان لا يبتعد التعاون مع الاكراد عن تحديد المسؤول الايراني الذي قال: يجب الحفاظ على الجذوة مشتعلة، مع الحرص على ان لا تتحول الى حريق.

اكتشف عميت في تلك الاونة، ان الاكراد نجحوا في تشكيل حكم ذاتي، من طرف واحد، في منطقة معينة من كردستان العراقية، وفي المنطقة التي تمتد على مساحة خمسة وثلاثين الف كيلومتر مربع، من خانقين في الشرق، وحتى (زاخو) في الغرب، ويقيم حوالي مليون كردي من الاكراد المليونين والنصف، الموجودين في العراق.

كان البرزاني يشعر بالسعادة البالغة جراء تمكنه من تحقيق وصية وآمال

ابيه، للسيطرة على المنطقة المذكورة. لكن عارف وقيادته، رفضا الاعتراف بهذه الحقيقة، وخصوصا عندما قيل لهم ان الجيش العراني يدق اسافين وسط هذه المنطقة، ويسيطر على عدة قرى، ومحاور طرق رئيسية تؤدي اليها.

وقد اعلن طلاب حسين شبيب وزير الخارجية العراقي ان منح الاكراد حكما ذاتيا غير وارد في الحسبان، وفي المقابلة الصحفية التي منحها للصحفي الفرنسي اريك رولو ونشرها في جريدة (لاموند) في السابع من ايار ١٩٦٣، وايضا في جريدة هآرتس الاسرائيلية، الصق شبيب بالبرزاني لقب المجرم، وقال: لن نحتاج الى وقت طويل، حتى نحطم هذا التمرد للابد.

لم يتأثر البرزاني بهذه الاقوال، خصوصا بسبب دعم عدة دول عربية لمطالبه، وايضا بحق الاكراد في الحصول على نصيبهم من عوائد النفط المتدفق من ابار النفط الواقعة في المناطق الكردية. بل واصل ابداء الاستعداد للتصالح مع الحكومة العراقية، بيد انه ربط هذه المصالحة باقامة دولة عراقية ثنائية القومية، كردية عربية.

وبلغته التصويرية، وباستخدام الامثال التي تكتظ بها اللغة الكردية، اوضح البرزاني للحكومة العراقية من خلال الصحفي (رولو) الوضع على النحو التالي: اصطدام صياد مسلح في احد الايام بذئب في مرتفعات الجبال، واصابه بجرح قاتل، ورغم ذلك تمكن الذئب من الفرار الى الغور حيث تمكن راع اخر من قتله بحجر، ثم تخيل الراعي انه تمكن من قتل الذئب بقوته وقدرته الذاتية. وهذا بالضبط ما يحدث مع حكومة عارف التي تعتقد انها هي التي قتلت عبد الكريم قاسم، هذا في حين ان الحقيقة هي ان قاسم وحكومته كانا في النزع الاخير جراء الضربات التي كالها لهم الاكراد.

واضاف البرزاني: لقد كان من العدل ان يعثر الصياد والراعي على لغة مشتركة لاقصاء الذئاب دائما عن ارض العراق لكن تلك الاقوال وقعت على اذان صماء.

وفي تلك الاونة توطدت العلاقات بين عارف وجمال عبد الناصر، الى الحد الذي جعلهما يتفقان على تشكيل وحدة بين الدولتين، ذلك الاتفاق الذي لم يؤد الى شيء يذكر في نهاية المطاف.

كان الشرق الاوسط، في تلك الاونة، يغلي على العديد من الاصعدة، وكان شاه ايران محمد رضا بهلوي اول الزعماء الذين يشعرون بالخوف.

الفصل السابع

عملية اثينا بدأت في باريس

قال موظف اسرائيلي رفيع المستوى، لنظيره الايراني، خلال الاجتماع الذي عقد فيما بينهما في الثلاثين من حزيران ١٩٦٣، في باريس: توجه الينا الاكراد طلبا للمساعدة ومصلحتنا تقتضي تقديمها لهم، بيد اننا لا نعتزم عمل ذلك بدون موافقتكم.

وتضمنت المعلومات التي قدمها الموظف الاسرائيلي تفاصيل حول المحادثات التي جرت مع بدير خان، وارسال (ر) الى كردستان. وبدا الايراني مرتاحا وهو يسمع من الاسرائيلي ان الحكومة الاسرائيلية تعتزم دعم الاكراد بالمال وبمحطة ارسال، وقال: الاموال لا تترك اثارا".

ولدت المحادثات الباريسية آنفة الذكر اتفاقية من خمسة بنود بين الدولتين لتقديم المساعدات للاكراد تحت اسم "عملية اثينا".

ومن الجدير بالذكر ان هذا الاسم هو اسم وهمي اما الاسم الحقيقي للعملية، فلا زال طي الكتمان.

كانت اسرائيل معنية اكثر بكثير من ايران باقامة حكم ذاتي للاكراد لان تشكيل حكم ذاتي كان سيصب في مصلحتها مهما كان نوع هذا الحكم.

ويقول مائير عميت في مقابلة صحفية: كانت هناك مشاعر متضاربة تتنازع الشاه، فهو من ناحية كان يشعر بالرضى جراء اثارة القلاقل للعراقيين، ومن الناحية الاخرى كان يشعر بالخوف جراء التأثير المحتمل لنجاح الاكراد في العراق في تشكيل حكم ذاتي، على ملايين الاكراد في بلاده.

كان التمرد الكردي يخدم الدولتين على المدى القصير: فهو من ناحية كان يحول دون تمكين العراق من ارسال قوات انقاذ ضد اسرائيل الى سورية او الأردن، ومن ناحية اخرى كان يرغم العراقيين على سحب قوات من منطقة شط العرب ومن خوزستان التي تعتبر شديدة الاهمية لايران.

لقد اتسم التعاون الاسرائيلي الايراني بالكثير من حالات المد والجزر، فقد عمد الايرانيون مرات عديدة على معاقبة الاكراد، جراء اتخاذهم خطوات لم ترق لهم، مثل اجراء اتصالات مع جهات عراقية، دون اعلام ايران بذلك.

ومن نافل القول الاشارة الى ان التجهيزات التي بعثتها اسرائيل الى

الاكراد، مرت بادىء ذي بدء بالاراضي الايرانية، ومن هناك، عمل السافاك على تسليمه للاكراد.

ويقول عميت بهذا الخصوص: رغم اننا حرصنا طيلة الوقت، على عدم الانحراف عما تم الاتفاق عليه مع الايرانيين، الا ان العلاقات اتسمت بالكثير من المد والجزر، وكان الايرانيون يعمدون في الكثير من الاحيان، الى وقف ما كنا نسميه (بالنقالات) وهي المواد المرسلة الى الاكراد.

وكنا ننقل جميع التجهيزات الى ايران، التي كانت بدورها تقوم بنقله الى المناطق الكردية، اذا ارادوا ذلك، واذا لم يريدوا، كانوا يحتجزونها لديهم.

ويقول الباحث ادموند جاريب في كتابه: القضية الكردية في العراق: شكل الموساد والسافاك جهاز مخابرات كرديا ذكيا للغاية، لجمع المعلومات عن الحكومة العراقية، والاوضاع العراقية، وقوات العراق، ومن البديهي القول ان هذا الجهاز لم يكن يخفي المعلومات التي يحصل عليها عن الجهازين الاسرائيلي والايراني. وبالامكان الاستدلال على هذه الحقيقة من التصريحات والاقوال التي ادلت بها اوساط عراقية نصف رسمية.

ففي الثالث من كانون الثاني، والثاني من شباط ١٩٧٢، افادت جريدة الثورة المعروفة بولائها للنظام العراقي: ان الاكراد نقلوا معلومات شاملة حول الجيش العراقي الى كل من المخابرات الايرانية والاسرائيلية.

وفي الكتاب الذي الفه جاسم م. عبد الجهاني والذي استند في معلوماته الى مصدر عراقي رفيع، قال: ان العراقيين ضبطوا خلال المعارك التي دارت بينهم وبين الاكراد خلال السنوات ٧٣-١٩٧٤ في القيادة الصيفية للبرزاني في الحاج عمران، وثائق تؤكد العلاقة الاستخبارية بين البرزاني وايران والولايات المتحدة واسرائيل.

واصل الايرانيون التعامل بحذر بالغ، ولم ينسوا ابدا التحولات السياسية الدقيقة التي تطرأ بين الفينة والاخرى على الساحة العراقية، والابعاد التي تعكسها على المنطقة.

وفي الرسالة التي بعث بها العراقيون الى المصريين، جاء: لن نشعر بالرضا اذا ما ادت التطورات الحادثة في العراق الى اضعاف حزب البعث وتعزيز الناصريين.

ويقول ديفيد كرون، الذي عمل اربع سنوات خلال النصف الثاني من

الستينات: لم تكن المسلكية الايرانية المتناقضة غريبة على الاسرائيليين، وقد ادى هذا الوضع الى خلق الكثير من سوء الفهم، ونظرا لاننا كنا ندرك ان جميع مساعداتنا، لن تصل الى الاكراد الا عبر الايرانيين، فقد كان لزاما علينا ان نبذل قصارى جهدنا من اجل التخفيف من حدة سوء الفهم الى اقل حد ممكن.

* *

بدأت عملية (اتينا) في تموز ١٩٦٣. وعمد ممثل الموساد في طهران (أ) والذي كان مكلفا بمتابعة العلاقات مع الاشخاص والجهات التي لا تقيم اسرائيل اتصالات رسمية معها وبالتعاون مع الجنرال (موثازد) نائب رئيس السافاك والمسؤول عن شعبة العمليات بتشكيل بنية وجهاز ديناميكي من المستشارين الاسرائيليين والايرانيين مكون من ضباط ومستشارين فنيين، للعمل بصورة دائمة في خدمة قيادة البرزاني، وكان على هؤلاء المستشارين البقاء في قيادته لفترات محدودة -ثلاثة اشهر- حيث يقوم مسؤولو الموساد في طهران بزيارتهم بصورة دورية. هذا اضافة الى الزيارات التي كان يقوم بها الموظفون الاسرائيليون الاخرون، بما فيها نائب وزير وضباط برتبة لواء، من الجيش الاسرائيلي وكان جميع هؤلاء الضباط والمسؤولين، وكذلك الاسلحة والمعدات تمر عبر ايران. وقد شملت المساعدات الايرانية فيما بعد ايضا كتائب مدفعية وكثافة نيرانية شديدة.

وفي تموز ١٩٦٣، وبناء على طلب ابراهيم احمد وطلب من (ر) تم تدريب اول كردي كفني راديو واطلق عليه "المهندس". وقد انتقل هذا المهندس من معسكر ابراهيم احمد، الى معسكر البرزاني، وادار محطة الراديو من هناك حتى انهيار التمرد في اذار ١٩٧٥.

لقد كان ابراهيم احمد ذا علاقة ايضا بتلقي او ارسالية سلاح اسرائيلية لكردستان، وكانت الارسالية الاولى مؤلفة من عشر راجمات بازوكا وذخيرتها، وقد وصلت الى هدفها في الثامن عشر من تموز ١٩٦٣.

ويفيد الصحفي اريك هلمنسدوروفر الذي زار قلعة الاكراد، ونشر مقالاته حولهم في جريدة (فرانكفورت الجمينة تسيتونج) في الثالث عشر من تموز ١٩٦٣: ان لدى الاكراد محطة ارسال تشغل ثلاثين جهاز بث، ولا يستطيع العراقيون العثور على هذه الاجهزة، كما ان بمقدور هذه المحطة، حل رموز اي موجات يبثها العراقيون في غضون اثنتي عشرة ساعة من لحظة التقاطها.

ويقول (هلمنسدروف): العراقيون يحاولون اثارة النزاعات الداخلية في

اوساط الاكراد تقوم وسائل الاعلام العراقية بنشر اسماء العديد من الشخصيات الكردية التي تؤيد الجيش العراقي. واولئك الاشخاص، هم من اصحاب الممتلكات الذين يسكنون في مناطق متطورة تمس الحرب بهم وبراحتهم وهدوئهم. ورغم ذلك فان الانتصار العراقي في الحرب، يبدو بعيدا، والطيارون العراقيون لا يعرفون كيف ان بالامكان قصف الاهداف ليلا، لذا فانهم يقصفون الاهداف العراقية فقط في النهار. لكن القرويين الاكراد يغادرون منازلهم في مثل هذه الاوقات، ويتوجهون الى الحقول والجبال، لذا يكون القصف العراقي غير مؤثر.

لقد لجأ العراقيون لاستخدام قنابل النابالم بشكل خاص، بيد ان قذائف الطائرات المذكورة ليست خطيرة الى حد كبير، وخصوصا لانها تسقط بعيدا عن اهدافها.

ويضيف هلمنسدروف... قامت اربع طائرات اليوشن، وطائرتا ميج بالقاء ست عشرة قذيفة على منازل قرية (ماود) التي لا تتجاوز مائتين وخمسين منزلا. ورغم ذلك لم تصب سوى اربعة منازل، وقتل شخص واحد، وبعد عدة ساعات زعم الراديو العراقي ان القرية مسحت عن سطح الارض.

ولم تقتصر التخيلات والمبالغة على العراقيين فقط، بل لجأ اليها الاكراد ايضا، فعندما كانت القوات الكردية تتمكن من قتل حظيرة جنود عراقيين في كمين، كانت تعلن عن مقتل مائتين جندي عراقي، ولم يخفوا عن الصحفيين ايضا رغبتهم الجامحة في القيام بتنفيذ عمليات استعراضية مثل تفجير ابار بترولك في كركوك او الموصل على اراضي كردستان.

واضاف... ان اعلان الاكراد عن مثل هذه النوايا جلب لهم الكثير من المال. وكما يبدو فانهم كانوا يتلقون مبالغ طائلة من شركة النفط الراقية، كي لا ينفذوا عمليات في ابار البترول، وكان الاكراد يشترون بهذه الاموال اسلحة لمهاجمة الاهداف العراقية الاخرى.

❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊

اعتاد ابراهيم احمد، وصهره الطلباني التوجه الى اوروبا بين الفينة والاخرى، لاجراء الاتصالات اللازمة مع الاوروبيين، وايضا لمنح مقابلات لوسائل الاعلام هناك. وقد منحت احدى هذه المقابلات لمراسل جريدة حيروت في باريس اهارون بن افيجدور، في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٦٢. وقد وجه الطالباني نداءا مؤثرا ، لتزويد المقاتلين الاكراد بالاسلحة ، وعلى وجه الخصوص

الاسلحة الثقيلة.

وبعد عدة اشهر، اي في تشرين الثاني ١٩٩٣، وصل ابراهيم والطالباني دون سابق انذار الى السفارة الاسرائيلية في باريس، وقدما نفسيهما وطلبا الاجتماع بممثل الموساد. ولا يستطيع ممثل الموساد آنذاك مناحم نفوت ان ينسى فحوى ذلك اللقاء ويقول: جلس ابراهيم احمد امامي في احد الفنادق، ولا زالت كلماته ماثلة امام عيني وترن في اذني "اننا جائعون، لا يوجد خبز، ولا سكر او شاي". وقلت لنفسي انظروا الى اين وصلنا، نحن اليهود الذين نقاتل من اجل وجودنا؟ هناك شعب كامل يقف امامنا، ويطلب منا المساعدة.

واجتمع ابراهيم احمد مع رئيس الموساد، مائير عميت ايضا، وطلب منه ذخائر للبازوكا، وبنادق وذخائر واموال، ومساعدات اخرى. وقد رد عليه عميت بالقول: لا يوجد لدينا مال كي نعطيه، لان اسرائيل دولة فقيرة، لكنه وعده بأن يزيد حجم المساعدات بالاسلحة والتجهيزات، وتمكن فعلا من تدبير كمية رمزية.

لكن الرياح لم تجر بما تشتهيه السفن، فقد شرع الايرانيون بوضع العراقيل، ففي الوقت الذي كان فيه ابراهيم احمد يتحاور مع ممثل الموساد في باريس، توجه (أ) ممثل الموساد في طهران الى (فقرفان) وطلب منه الاذن لتزويد الاكراد بأسلحة ومعدات حربية. فرد عليه رئيس السافاك قائلا: في الاونة الحالية يستحيل نقل تجهيزات اخرى، وربما يصبح ذلك ممكنا بعد شهرين او ثلاثة اشهر.

واتضح من خلال تقصي الاسباب: ان الايرانيين غاضبون على الاكراد جراء المعلومات القائلة ان هناك مفاوضات سرية تجري بينهم وبين العراقيين لوقف اطلاق النار.

لقد برمج الايرانيون خطواتهم وتحركاتهم مع الاكراد وفقا لمجموعة من العوامل والمتغيرات منها العلاقات الايرانية العراقية، العلاقات العراقية الكردية والعلاقات الايرانية الكردية، وفي بعض الاحيان ايضا مجموعة العوامل والمتغيرات داخل ايران نفسها.

لم يكن الموساد في تلك الاونة، متحمسا لقضية تعزيز المساعدات المقدمة الى الاكراد في اطار عملية (اثينا)، وليس ادل على ذلك، من ارسالية الاسلحة المتواضعة التي خطط لارسالها الى الاكراد في تموز ١٩٦٣، والاستعدادات لارسال ارسالية اخرى في تشرين الثاني ١٩٦٣ والتي كانت ستشتمل على عشرة قذائف

بازوكا وذخائرها، وذخائر للبنادق، بيد ان هذه الارسالية لم تخرج الى حيز التنفيذ الفعلي مثلما نوهنا انفا.

هذا، ولم يؤد الرفض الايراني الى خلق ضغوط اسرائيلية لدفع الايرانيين الى الموافقة وبالتالي لم يستطع ممثل الموساد الرد على ابراهيم احمد بالايجاب في اعقاب محادثاتهما في باريس.

****

حاول عزرا دنين، رجل وزارة الخارجية الاسرائيلية، والذي كان معروفا بكونه احد الخبراء في شؤون الشرق الاوسط، التقليل من قيمة العلاقة الاسرائيلية الكردية. كان دنين في تلك الاونة في ايران، يشرف على مليات المساعدة في المجال الزراعي والتي تقدمها اسرائيل لايران، وتمكن جراء وجوده هناك، من جمع معلومات حول الوضع الكردي في العراق.

وفي عام ١٩٨٧ نشر دنين رأيه المتخفظ على تلك العلاقة، في الكتاب الذي الفه تحت عنوان "صهيوني في جميع الظروف" وقال فيه: ان اراءه المتحفظة بدأت تتبلور في اعقاب اللقاءات التي اجراها في باريس في الستينات مع بير خان وطلبة اكراد.

لقد كان هدف حواراتي، ان ادرك الى اي مدى يبدي مثقفو الاكراد استعدادا للتشمير عن سواعدهم والعمل من اجل وطنهم، واهدافهم الوطنية. هل كانوا على استعداد للعودة الى العراق، والسكن في اوساط شعبهم، ونقل الحضارة والمعرفة اليه؟ وسرعان ما ادركت ان هذا الاستعداد غير موجود لدى المثقفين والشبيبة الكردية، انهم ليسوا على استعداد للتضحية من اجل احياء شعبهم ونهضته.

ورغم ذلك ادرك دنين ان العمليات العسكرية العراقية ضد الاكراد، والتي تصاحب بعمليات قتل وتدمير واغتصاب جماعية، تركت في نفوس اولئك الشبان جروحا، يمكن ان تندمل.

وادرك ان نيران الثأر والانتقام ستبقى مشتعلة سنوات طويلة، ولن تستطيع التعويضات او التنازلات العراقية ان تخمدها.

ويقول دنين لقد اتضح لي، ان الاكراد لا يحفظون سرا صغيرا او كبيرا، فهم لا يستطيعون دفنه في صدورهم، وعدم البوح به للاخرين فجميع الاسرار الكردية سرعان ما تصبح شائعة على كل لسان.

ويضيف دنين - الاكراد ليسوا متحمسين لتعلم اساليب الحرب العصابية، ولا لحرب المواجهات، ويقللون الى حد كبير من خوض الحروب والمعارك، ذات طابع المخاطرة العالي. ونظرا لانهم منتشرون في جميع انحاء العراق، فقد هيئت لهم الفرصة لشل الحياة الاقتصادية في الدولة بعمليات تخريبية، وعلى وجه الخصوص في ابار النفط، وشبكة القطارات والجسور وغيرها، ولم يكن اسهل عليهم من تنفيذ ذلك، لكنهم لم يفعلوا.

وخشي دنين ايضا، من ان يؤدي تقديم المساعدات الى الاكراد من تأكيد الفكرة العربية القائلة ان اسرائيل ما هي سوى ذراع الامبريالية، ولم تعتقد ان هناك اية ضرورة لذلك. وحذر من تورط الاكراد في حرب ضروس. وصراخهم في تلك اللحظة، طلبا للنجدة والقوت، في الوقت الذي لا تستطيع فيه اسرائيل تقديم المساعدة المطلوبة.

وكي يؤكد دنين على ما يقول، اقتبست مقطعا من الرسالة التي بعث اليه بها صديق مستشرق اسرائيلي في تموز ١٩٦٣، وجاء فيها: ان مساعدة الاكراد هو بمثابة لعب بالنار، وحتى لو قامت دولة كردية، فانها لن تعترف باسرائيل، ولست اعتقد، ان هذه الدولة ستقوم، بين عشية وضحاها، كما لا يجب علينا ان نتسرع باطلاق مصطلح شعب على الاكراد.

ويقول دنين ان كل هذه المعطيات، اضافة الى الحوار الذي اجراه مع مصطفى البرزاني، عززت لديه التحفظات من التورط الاسرائيلي اكثر مما ينبغي في تقديم المساعدات الى الاكراد بصورة مباشرة، وتولدت لديه قناعة تامة بعدم وجود اي فرصة امام الاكراد لاحتلال قطعة ارض وبناء استقلالهم عليها. اضف الى ذلك، انه لا يوجد لنا حدود مشتركة معهم، وبالتالي يجب ان تقدم لهم هذه المساعدات عبر طرف ثالث، ونصبح رهنا به وبمتغيراته ومستجداته.

****

طرأ تغيير جديد على المصالح الايرانية في منتصف كانون الثاني ١٩٦٤، وطلبت ايران من ممثل الموساد (أ) ان يستأنف ارساليات السلاح الى الاكراد، في اسرع وقت ممكن، وقد استجاب الموساد فورا للطلب، وفي نفس الشهر، بعث ارساليتين اشتملت الارسالية الثانية منها، على خمسين الف عيار ناري من عيار ٣٠٣ بوصة و ٧,٩٢ مليمتر. اما الارسالية الثالثة والتي اشتملت على خمسين بندقية رشاشة من طراز (برن) وذخائر فلم تخرج الى حيز التنفيذ لان

الايرانيين رفضوا ايصالها، بدعوى ان الاكراد والعراقيين توصلوا في العاشر من شباط ١٩٦٤ الى اتفاق هدنة.

ومن الجدير بالذكر، ان الاتفاقية اصبحت ممكنة بعد ان طرد عارف حزب البعث من حكومته، وبدأ تنفيذها في اعقاب اعلان الرئيس العراقي القائل: ان القانون المؤقت سيعترف بحقوق الاكراد الوطنية، "داخل الشعب العراقي"، وفي اطار وحدة وطنية، وان الحكومة ستعمل على ضمان الحقوق المشروعة للاكراد، وستمنح العفو العام للمعتقلين، وستشرع فورا في ترميم اماكن سكناهم في الشمال. وستنشط الادارة المدنية المشلولة وتسلمها لهم وسترفع الحصار الاقتصادي عن كردستان، وستدفع تعويضات لاصحاب الاراضي التي تضررت جراء بناء السدود الجديدة (دوكان، ودربنديخان) وستعين وزراء اكرادا، وستعترف باللغة الكردية في الاماكن الكردية.

لقد جاء رد البرزاني حذرا، حيث قال ان الهدنة بين الطرفين، تأتي لاتاحة الفرصة لتنفيذ الوعود ومني الاكراد انفسهم بحلم بدء المفاوضات مع العراقيين، حول منحهم حكما ذاتيا. واعتقدوا ان الضغوط الداخلية التي يواجهها عارف قد تدفع به لمنحهم الحكم الذاتي، واخذ الاكراد بعين الاعتبار ايضا ان عبد الناصر هذه المرة هو الوسيط والعراب بينهم وبين عارف، وانه يعتقد، ان المشكلة الكردية، تعرقل امكانية ان يحظى بزعامة العالم العربي.

وبناء على ذلك قرر البرزاني التصرف بحذر، ورفض فكرة نزع سلاح الاكراد وكي يؤكد مخاوفه، رفض طلب عارف بالقدوم الى بغداد بنفسه كي يثبت من راديو بغداد نداءا لوقف النار.

اما الايرانيون الذين كانوا يعتبرون عبد الناصر الد اعدائهم فقد رفضوا الاعتراف بالاتفاق الذي تم انجازه، وعادت شكوكهم تجاه مصطفى البرزاني للبروز من جديد.

* *

وعلى ارضية الاوضاع انفة الذكر، ازدادت الانقسامات في اوساط الاكراد. وحظي الجناح الذي يقوده ابراهيم احمد والطالباني والذي كان يقيم علاقات وطيدة مع ايران، بلقب عملاء العرب وكان الاثنان يختلفان مع البرزاني، حول اسلوب ادارة الاكراد. لقد اعتقد الاثنان، وبناء على وجهات نظرهم الليبرالية، التي بلغت في الكثير من الاحيان حد وصفهما بأنهما شيوعيان ان البرزاني هو طاغية،

وحاولا تجذير وتأسيس سلطتهما على طبقة من المثقفين المدنيين، والشبان الذين يؤيدون التطلعات الليبرالية المتطورة، ويقللون من شأن وجهات النظر العشائرية.

لقد رفض الاثنان الهدنة المقترحة، واعتبراها بمثابة دلالة على ضعف البرزاني، وشرعا بينهما وبين انفسهما في تلقيبه بالخائن.

وجاء في تقرير شعبة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، حول هذين الرجلين: انهما يطالبان بالتوصل الى الحل عبر السلاح، ووقف جميع الاتصالات مع الحكومة.

ويقول مصطفى قرداحي والذي كان يعمل آنذاك سكرتيرا للبرزاني: البرزاني لم يحب ابراهيم احمد، حتى في الايام التي كان يعملان فيها معا.

وفي العاشر من اذار ١٩٩٤، عقد في منزل الصحفي اريك رولو، اجتماع كردي-فرنسي، بمشاركة (بدير خان والطالباني، وقانلي) وعدة شخصيات كردية اخرى، وهناك قال طالباني: المستقبل بين ايدي الحزب الديمقراطي الكردي، وهي ترغب في استئناف القتال، بيد ان البرزاني يحول دون ذلك. واعلن انه الممثل المعتمد للحزب المذكور، واعرب عن غضبه الشديد تجاه اسرائيل جراء دعمها للبرزاني، واتهمتها بعدم الحفاظ على السرية.

وجاء في التقديرات الاسرائيلية لموقف الحزب الديمقراطي الكردي: لا نعرف فيما اذا كان الموقف العسكري الذي يتخذه الحزب ناجما عن علاقته بالسافاك الذي يرفض اتفاقية الهدنة الكردية العراقية، ام ناجما عن اسباب وعوامل اخرى.

لقد تطورت الخلافات بين الطالباني والبرزاني الى حد القطيعة العلنية، ووضع الحدود بين الشمال والجنوب وفقا لذلك وبدأ الطرفان يشنان حملة عنيفة كل واحد منهما ضد الاخر متهما اياه بالخيانة. وسرعان ما اندلعت بينهما حرب دموية وصلت الى ذروتها في تموز ١٩٦٤، وقد انتصر البرزاني فيها، مما حدا بابراهيم احمد والمئات من مؤيديه للفرار الى ايران، ثم انضم الطالباني اليه فيما بعد. وقد طالب الاكراد ايران، بأن تسلم اليهم ابراهيم احمد، لكن الايرانيين سبقوهم ومنحوه حق اللجوء السياسي، وبذلك تهربوا من المطالبة.

مكن السافاك مؤيدي ابراهيم احمد، من التسلح واعادة تنظيم انفسهم، في اب ١٩٦٤ مكنوهم من العودة من جديد الى كردستان لكن قوات البرزاني كالت لهم ضربات موجعة ارغمتهم على العودة الى ايران مجددا ، والتي قامت

هذه المرة بتجريدهم من سلاحهم تخصيص معسكر لهم بالقرب من حمدان.

سارع البرزاني في اعقاب المواجهات انفة الذكر وبناء على التجارب التي اكتسبها في النزاعات الداخلية باعادة تنظيم صفوف قواته، وتغيير شبكة اتصالاته مع الجهات الاجنبية.

كان الشاه يشعر بالخوف، من ان يعمد البرزاني الى اثارة الاكراد الايرانيين ضده، لذا كان يصفه بأنه شيوعي.

ويقول مسؤول اسرائيلي رفيع: لقد بذلت جهودا كبيرة في اقناع الشاه بأن البرزاني لن يعمل ضد نظامه، وانه الوحيد القادر على ضمان المصالح الايرانية مع العراق. بل لقد حظر الايرانيون على البرزاني دخول اراضيهم، ولم يفتحوها في وجهه الا في اعقاب تدخلي في الامر. لقد كان الشاه دائما يخشى من يقظة (الاكراد الايرانيين).

وسرعان ما اتضح للايرانيين، انهم لا يستطيعون الاعتماد على اية جهة في كردستان باستثناء البرزاني فالطالباني وابراهيم احمد استقالا من رئاسة الحزب في اعقاب التمزقات انفة الذكر، وانقسم الحزب على نفسه، بيد ان القسم الاكبر منه بقي في ايدي البرزاني وبقي (الباش مرجا) خاضعين لقيادته، وكذلك كبار اعضاء الحزب.

والى جانب البرزاني، بدأت تتبلور زعامة جديدة، اطلق عليها اسم (بوليتبيرو)، ومن ضمن اعضاء هذه الزعامة شخصان، سيحتلان مكانة الصدارة في الاتصالات مع اسرائيل، وهما: محمد حبيب كريم - وهو كردي من اصل فيلي - وهي مجموعة شيعية، هاجرت من ايران الى العراق، في مطلع القرن الحالي، ولم تستقبل بترحاب. والدكتور محمود عثمان خريج كليتي الحقوق والطب.

ونسب ديفيد كرون، الى الدكتور محمود قوله له: انه عمل الى جوار الطالباني وابراهيم، وانه كان يؤيد ايضا وجهات النظر الليبرالية، لكنه انفصل عنهما ابان تمردهما، لانه يؤمن ايمانا قاطعا بأن التمرد الكردي ضد العراق سينتهي اذا ما اختفى مصطفى البرزاني.

وسرعان ما اصبح الدكتور محمود ليس فقط طبيبا شخصيا للبرزاني، بل ايضا بمثابة وزير خارجيته وعندما رغب في تعلم الفرنسية، ارسلت اليه اسرائيل جهاز تسجيل يدويا يحتوي على اسطوانات لتعليم الفرنسية.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

لم يكن الموساد يعلم بالتطورات التي وقعت على الصعيد الداخلي للاكراد. فعندما كان الموساد يناقش في تشرين الثاني ١٩٦٤ قضية ارسال الاسلحة الى الاكراد، كان الحديث يجري عن البرزاني وابراهيم احمد في آن واحد. ولم يعلم مائير عميت بما حدث الا بعد عدة ايام ابان اللقاء الدوري الذي اعتاد عقده مع (فقرفان) في طهران. وحينها، سمع عن التمزق الهائل الذي اصاب القيادة الكردية، واعتزام السافاك العمل -رغم كل ما حدث- مع البرزاني، نظرا لانه هو الوحيد صاحب القول الفصل الان في كردستان، ومن المؤسف حقا، انه لا يرغب الان في محاربة العراقيين بسبب الهدنة المعقودة بينهما.

وكانت الاحداث في كردستان لا يقر لها قرار، فقد اعتقد الاكراد ان العراقيين يتهربون من تحديد حقوقهم، وطلبوا في صورة انذار تنفيذ الوعود آنفة الذكر، والا فان الاكراد سيعمدون الى تشكيل سلطة كردية مستقلة.

وجاء في المذكرة التي بعث بها البرزاني الى عارف في الحادي عشر من تشرين الاول ١٩٦٤، جاء: الشعب الكردي ليس كيانا عفويا، ولا يفتقر الى الارض بصورة تجعل من الممكن ارجاء مناقشة اقرار حقوقه، ومثلما تمسك هذا الشعب بالحلول الهادئة بالاساليب السلمية، فانه على استعداد للتضحية بكل شيء من اجل الدفاع عن حقوقه وتطلعاته.

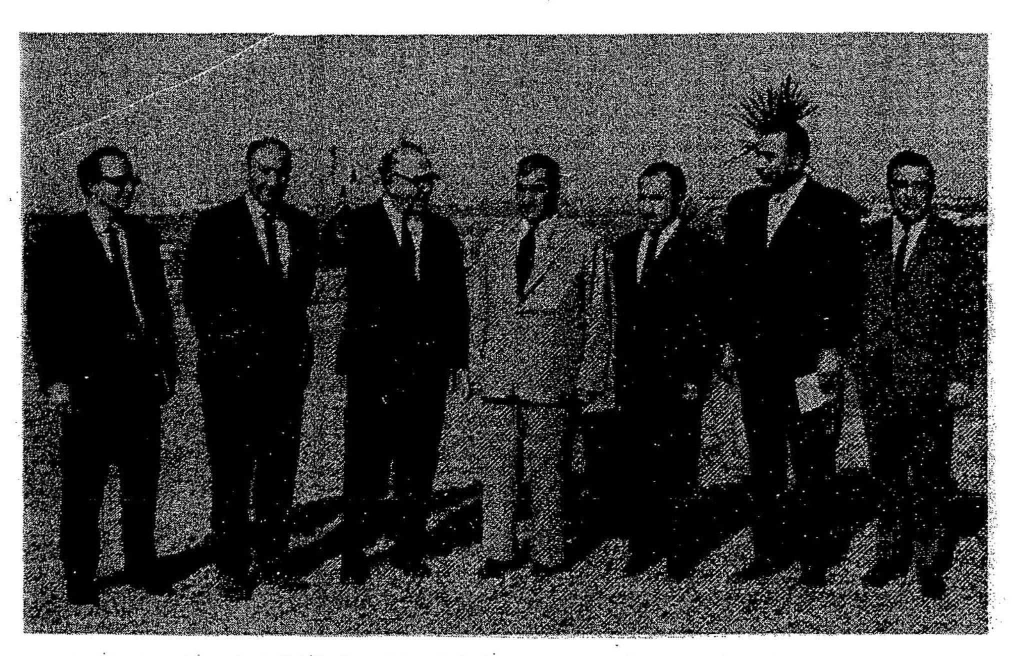
وبعد حوالي شهر، عين عارف رئيس هيئة الاركان العامة طاهر يحيى الذي كان يجري اتصالات دائمة مع الاكراد رئيسا للحكومة وسرعان ما بدأ بذل جهود هائلة في تطوير المناطق الكردية في شمال العراق، مثلما ورد في الاتفاق الذي تم انجازه في شباط ١٩٦٤. بيد انه سرعان ما اتضح، ان النوايا لم تكن جدية بما فيه الكفاية. فقد بدأ رئيس الحكومة الجديد يضم صوته لاولئك القائلين: ان الاكراد لن يكتفوا بما سيعطى لهم، وسيطالبون العراق بتقديم المزيد من التنازلات.

وفي تشرين الثاني ١٩٦٤، كلف الجنرال عزيز جلابي ترؤس الطاقم الذي سيعالج مسائل التطوير انفة الذكر، وتم الاعلان عن تخصيص عشرة ملايين دينار لتنفيذه. ثم اتضح ان المبلغ المذكور مخصص بغالبيته لرشوة اشخاص من القيادة الكردية في اطار الحرب النفسية التي ستشن ضد البرزاني.

وعلم الاكراد ايضا ان الحكومة ضعيفة جدا، وان خطر الانقلاب يحلق فوق رؤوس اعضائها دون انقطاع.

وفي تلك الاونة تبنت اجهزة المخابرات الاسرائيلية مثلما جاء في وثيقة داخلية، تحمل تاريخ السابع والعشرين من نيسان ١٩٦٥ الوصف الذي اطلقه صحفي بريطاني على الاكراد، حينما قال: يستحيل هزيمة الاكراد، بيد ان الاكراد ايضا، غير مؤهلين لهزيمة اعدائهم.

ومن البدهي القول: ان اعداء الاكراد كانوا الى حد كبير، اعداء اسرائيل ايضا.



عام ١٩٦٨، البرزاني مع رئيس الحكومة ليفي اشكول الثالث من اليسار في القدس، ويقف في أقصى اليمين دفيد كرون، شمس الدين المفتي، الدكتور محمود عثمان، مائير عميت، الوف هروبن.

الفصل الثامن

جونسون يرفض رسالة من البرزاني

عندما كان (الوف هروبن) برتبة مقدم في شعبة الاستخبارات العسكرية في هيئة الاركان الاسرائيلية عين للعمل في مجال شؤون الابحاث والعلاقات مع المخابرات الاجنبية. وعندما عين نائبا للملحق العسكري الاسرائيلي في باريس خلال السنوات ٦٢-١٩٦٤ بدأ في كتابه رواية مغامرات حول عميل مخابرات ارسل الى احدى الدول المعادية كي يعمل على اقامة علاقات سلمية معها.

وفي سياق حديثه كتابه الرواية، خلص الى استنتاج مفاده ان الخيال قد يتحول الى حقيقة. وبناءا عليه توجه الى رئيس الموساد مائير عميت، وطلب منه ان يسمح له في اعقاب انهائه لخدمته في باريس بالعمل على صعيد اقامة علاقات بين اسرائيل وجاراتها. فقال له عميت انه اصاب كبد الحقيقة، وان رئيس الحكومة ليفي اشكول يعتزم العمل على هذا الصعيد.

استجاب عميت لطلب هروبن بالانتقال من الجيش الاسرائيلي الى الموساد، وضمه الى شعبة (تيفل) -العالم- العاملة على صعيد العلاقات مع الدول الاجنبية، وعلى ان يعمل في اطارها في مجال العلاقات الشرق اوسطية وضواحيه، مع الدول، والشعوب والقبائل، والجاليات، والمعارضة التي لا تقيم علاقات مع اسرائيل.

ووفقا للعديد من المنشورات، فقد عمل الموساد -اضافة الى تركيا وايران- ايضا في اليمن الجنوبي واليمن الشمالي، وعمان، وكانت للموساد يد طولى في لبنان منذ مطلع السبعينات، وقد وصلت هذه النشاطات الى ذروتها خلال عملية "سلامة الجليل- الحرب اللبنانية عام ١٩٨٢.

وفي تشرين الثاني ١٩٦٤، اعرب السفير فيشر، وهو ضابط الاتصالات الرئيسي مع بدير خان- عن تذمره جراء عدم تقديم اسرائيل دعما حقيقيا للاكراد. وقد بشره هروبن بأن القضية الكردية تقف امام تحول كبير بالنسبة لاسرائيل. ولم يعلم هروبن ان الايرانيين الذين فاجأوا اسرائيل في كانون الثاني ١٩٦٤ عندما طالبوها بتقديم العون للاكراد، سيفاجئونها مرة اخرى في الرابع

والعشرين من كانون الاول ١٩٦٤. ففي اليوم التالي اعلم (فقرفان) اسرائيل ان عصمت شريف فانلي سيتوجه اليها بموافقة ايرانية. لقد وافق هذا الرجل الذي كان مقربا جدا لكل من ابراهيم احمد والطالباني على الصعيدين الشخصي والفكري على العمل مع البرزاني. لقد تم اختياره عضوا في مجلس القيادة الاعلى للتمرد الكردي، وعين ممثلا خاصا للتمرد الكردي في الخارج، وناطقا باسم البرزاني، وسكرتيرا عاما للجنة الدفاع عن حقوق الاكراد.

****

حل (فانلي) ضيفا على هروبن، وقد رافقه هروبن في الاجتماع الذي عقده مع رئيس الموساد عميت، ونائبه يعقوب كروز، والمدير العام لوزارة الخارجية يعقوب لببي ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية اهارون يريف، ومسؤولو شعبة الشرق الاوسط في وزارة الخارجية عيزرا دنين وياعيل فرد. وقد قدم فانلي الى كل هؤلاء رسالة خاصة من البرزاني عينه فيها ناطقا عاما باسم التمرد الكردي.

وخلال تلك الاجتماعات اعلم (فانلي) ان بدير خان خرج من اللعبة، وقال: ان بدير خان الاستقراطي ولا يصلح للعمل الفعلي، وانه لم يعد يمثل اية جهة رسمية. وطرح (فانلي) مجموعة من المسائل التي ستبقى طي الكتمان حتى الان، ورغم السنوات الطويلة التي مرت منذ طرحها.

وفي اعقاب الزيارة التي قام بها والمسائل التي طرحها، بدأت الاجهزة الاسرائيلية بالعمل بسرعة. وقام الموساد باعداد قائمة بالاسلحة التي طلبها (فانلي) وجرت الاستعدادات لنقلها الى طهران ومن هناك الى كردستان. وفي اطار المساعدات الاعلامية، تم اعداد كراسة اعلامية في اسرائيل وتوزيعها في شتى انحاء العالم.

واقترح الطاقم الاسرائيلي المذكور على فانلي، ان يقوم بتشكيل طاقم كردي خاص لارساله الى الولايات المتحدة، للعمل على الحصول على دعم سياسي ومادي وقيل له ان اسرائيل ستكون على استعداد لتحمل العبء المالي لارسال هذا الطاقم.

كان المال دائما وابدا، يعتبر بالنسبة للاكراد مسألة شديدة الاهمية، تبلغ حد الحكم بالوجود واللاوجود. وفي المقالة التي كتبها جاك اندرسون، وهو صحفي امريكي، يعتمد كثيرا على مصادر استخبارية في السابع عشر من ايلول ١٩٧٢ في واشنطن بوست: يقوم مبعوث اسرائيلي بالتسلل من ايران الى كردستان شهريا حاملا معه مبلغ خمسين الف دولار الى البرزاني، وهو نصيب اسرائيل في دعم

التمرد الكردي. ومن الجدير بالذكر، ان رئيس الحكومة مناحم بيجن اكد في التاسع والعشرين من ايلول ١٩٨٠ ان اسرائيل ساعدت الاكراد اضافة الى الاسلحة، بالمال.

لم يخف (فانلي) علاقته المتواصلة مع ابراهيم احمد خصم البرزاني الموجود في طهران، وكشف النقاب عن انه اجتمع بأحمد عشية توجهه الى أسرائيل، وحصل منه على الموافقة، ويجب كذلك، على اسرائيل، ان تواصل علاقتها مع احمد. ورغم ذلك اكد ان احمد والطالباني اخطآ عندما قللا من شأن البرزاني كزعيم وطني للاكراد.

كانت قضيته كيفية التعامل مع شقي التمرد الكردي تشغل بال الموساد الاسرائيلي، حتى ابان تواجد فانلي في اسرائيل، وقد خلص الموساد الى استنتاج مفاده ان هناك ضرورة للحفاظ على صلات طيبة مع ابراهيم احمد، بدون التورط باقامة علاقات معه.

وقد طالب فانلي بان لا نكشف لاحمد تفاصيل زيارته لاسرائيل، وان توضح اسرائيل له: انه على الرغم من الاحترام الذي تكنه له الا انها لا تستطيع ان تتورط في النزاع الكردي الداخلي. وقد تصرفت اسرائيل بهذه الروحية عندما طلب ابراهيم احمد منها مساعدات مالية.

غادر فانلي اسرائيل في الايام الاولى من كانون الثاني ١٩٦٥. وصفت زيارته بأنها كانت خطوة حاسمة على صعيد بلورة العلاقات الاسرائيلية الكردية.

عاد فانلي الى كردستان، وقدم للبرزاني تقريرا كاملا حول نتائج زيارته لاسرائيل، وفي شباط ١٩٦٥ توجه الى اوروبا في طريقه الى الولايات المتحدة للقيام بحملة اعلامية هناك.

ادلى وزير الخارجية العراقي صبحي عبد الحميد في تلك الاونة بتصريح لجريدة الاخبار المصرية قال فيها: ان المطالب الكردية لن تقبل لدى اية حكومة عراقية، لم يخلق العراقي الذي سيوافق على فصل جزء من الوطن العراقي -كردستان- ويسمح بتشكيل حكومة فيه. ولا شك انه كان يدرك وهو يقول ذلك، ان القتال سيتواصل بكامل قوته.

وفي مستهل الجولة التي قام بها فانلي في الولايات المتحدة في منتصف نيسان ١٩٦٥، اعلن البرزاني: ان اي دولة او امة، لا تستطيع التواجد والعيش الا اذا حظيت بتأييد احدى الكتلتين الكبيرتين. ونظرا لان وجهات نظر الاكراد

تتعارض مع الافكار التي يطرحها السوفييت، فقد كانت من البديهي ان يتوجهوا الى الولايات المتحدة طلبا للعون. ورغم ذلك فان الولايات المتحدة لم تستجب حتى الان للمطالب الكردية. ومن الجدير بالذكر، ان البرزاني طلب من اسرائيل ان تساعده على هذا الصعيد.

وحقا، لم تخيب ا سرائيل مسعاه، وقامت بوضع مستشار خاص في خدمته ليقدم له النصح والارشاد في خلق العلاقات، ابان جولته مع الامريكيين. كما استأجرت خبراء من شركة علاقات عامة امريكية لخدمته.

وفي نفس الوقت، بذلت السفارة العراقية في واشنطن جهودا جبارة من اجل افشال جولة فانلي، ومارست ضغوطا شديدة على وزارة الخارجية الامريكية، وقد حققت، على هذا الصعيد، نجاحا كبيرا، حيث رفضت جميع الجهات الرفيعة -باستثناء بعض اعضاء مجلس الشيوخ، ومساعديهم- استقبال فانلي والتحاور معه. فعندما اتصل فانلي بفيليب تالبوت مساعد وزير الخارجية الامريكي لشؤون الشرق الاوسط، رفضت سكرتيرته ايصاله به، واعلمت فانلي بأن اي موظف في وزراة الخارجية لن يقبل التحاور معه.

وحينما اتصل المستشار الاسرائيلي الذي يصاحب فانلي بوزارة الخارجية الامريكية، قيل له صراحة: ان الوضع في العراق معقد بما فيه الكفاية، وان الولايات المتحدة، لا ترغب في ان توجه اليها اصابع الاتهام بمساعدة الاكراد هنا، بل لقد نجحت وزارة الخارجية في الغاء الاجتماع الذي كان فانلي يعتزم عقده مع رئيس احدى اللجان الفرعية المنبثقة عن لجنة الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ، وكذلك الاجتماع المزمع عقده بين فانلي وقاضي المحكمة العليا وليام دوجلاس، المعروف بصداقته مع الاكراد.

وهكذا، لم يبق امام فانلي سوى الاكتفاء بعدة اللقاءات التي اجراها، والاتصال برؤساء منظمات تطوعية، وعقد عدة مؤتمرات صحفية، والقاء المحاضرات امام اطر اكاديمية، وتقديم العرائض لوفود مختلفة في الامم المتحدة.

وفي الاول من ايار، ١٩٦٥، بعث فانلي رسائل الى مجموعة كبيرة من اعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب شملها معلومات شاملة حول ما يجري الى الجبهة الكردية. وقد جاء فيها: خمسون الف جندي عراقي يشاركون في المعارك، وهم يستعينون بالمدفعية وسلاح الجو وقد اصيب المواطنون من نساء وشيوخ واطفال جراء قصفهم بقنابل النابالم من طائرات اليوشن وميج، وهوكر

هنتر العراقية، كما احترقت المزراع والمحاصيل وقتلت الابقار وقطعان المواشي في المذبحة.

ان جماهيرنا تقتل وتجوع، وتطرد من اراضيها، وقد قامت الجمهورية العربية المتحدة، (سورية ومصر) بتزويد العراقيين باسلحة من انواع مختلفة، واقنعة واقية للغازات، وكميات كبيرة من الاسلحة الكيميائية، انها نفس الاسلحة التي استخدمها المصريون لقمع التمرد في اليمن. لقد بعث المصريون خمسة الاف جندي الى العراق، ومعهم فنيون وخبراء في حرب الجبال، وقد تدرب جنود الدولتين في حاليفان العراقية.

واضاف... لقد زودت الجمهورية العربية المتحدة، العراق، بكميات كبيرة من الاسلحة الحديثة، وعلى وجه الخصوص الاسلحة السوفياتية، وخمسين طائرة هليوكبتر مسلحة لانزال القوات في جبال كردستان.

واضاف ... تقبع في مطار الموصل اثنتا عشرة طائرة عسكرية تابعة لسلاح جو الجمهورية العربية المتحدة، اضافة الى اربع وعشرين طائرة اخرى في كركوك. وقد اعلن قائد الجيش العراقي انه تلقى اسلحة من الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا.

في شباط ١٩٦٥، تم تحويل سفينتين كانتا تحملان سلاحا من ميناء الاسكندرية الى ميناء البصرة. وانني لاشعر بالذعر الشديد من ان تقوم الحكومة الامريكية بتزويد العراق بالاسلحة مثلما اعلنت هذه الحكومة رسميا، لاننا ندرك ان اية اسلحة ستسلم للعراق ستستخدم فقط ضد الاكراد.

واضاف... في اعقاب اتفاقية الهدنة في العاشر من شباط ١٩٦٤ بعثت منظمة (care) التابعة للامم المتحدة اغذية للاكراد بقيمة خمسة ملايين دولار، بيد ان هذه الاغذية وصلت الى الحكومة العراقية ولم تصل الينا ابدا. واننا نطالب مساعدات غذائية وملابس وخيام واغطية على ان لا تمر عبر بغداد، بل عبر الصليب الاحمر او المنظمات الكردية.

وفي الاول من ايار وجد فانلي رسالة في فندقه، من مراسل وكالة الانباء السوفياتية (تاس) يطالب بالاجتماع به بصورة عاجلة. وفي المقابلة التي جرت في مكتب المحامي الذي وضعته اسرائيل في خدمة فانلي، عرض المراسل الذي عرف نفسه باسم (لوسبا) بيانا مطبوعا جاء فيه ما يلي: "لقد طلب مني اصدقاء ان احذر فانلي بان ابراهيم قليلات ارسل من بغداد لقتله، وكما يبدو ان قليلات

موجود حاليا في نيويورك بيد ان ذلك ليس مؤكد، المعلومات موثوقة جدا، ويجب توخي الحذر".

سارع المحامي لاعلام شرطة نيويورك بفحوى الرسالة والتي نصحت فانلي بالانتقال الى فندق اخر وتسجيل نفسه تحت اسم مستعار.

وقد انخفضت معنوياته عندما عاد الى اوروبا، وعلم بأن العلاقات الكردية مع الموساد قد تطورت كثيرا باساليب اخرى وليس عن طريقه، ثم اكتشف ان مكانته في اوساط الزعامة الكردية قد تدنت. وادرك ان البرزاني لم يحب علاقاته القوية والجريئة مع ابراهيم احمد وجماعته. ولم ينس ان فانلي، مثقف بعيد كل البعد عن الممارسة العملية والمعاناة.

وفي ايلول ١٩٦٥، اعترف فانلي امام رجال الموساد انه فقد ثقة البرزاني نهائيا، وانه حاول القيام بأعمال الوساطة بين البرزاني وابراهيم والطالباني، لكن البرزاني رده بشدة وغضب.

ومنذ ذلك الحين، قضى غالبية الوقت في اوروبا وبدأت العديد من الشخصيات الكردية تحتل مكانة، بيد ان هذا الرجل لن يمحى، من ذاكرة اسرائيل.

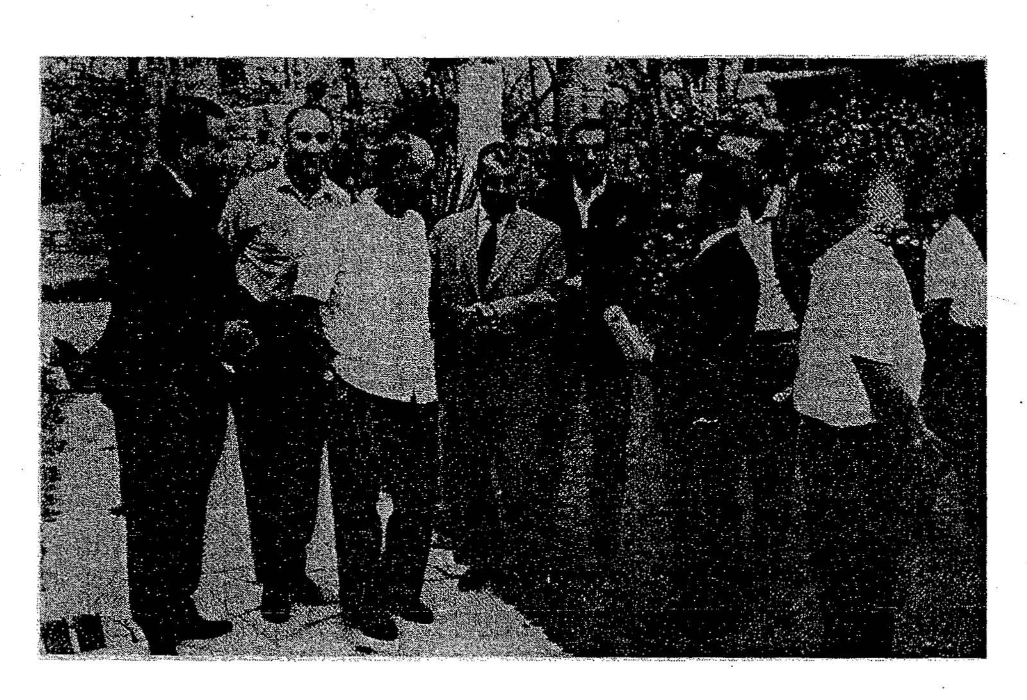
****

عقد رئيس الحكومة ليفي اشكول اجتماعا في الخامس عشر من نيسان ١٩٦٥، حضره وزيرة الخارجية جولدا مائير، ورئيس الاركان اسحق رابين، ورئيس الموساد، وقد طرح الاخير قضية الاكراد وقضية العمليات الخاصة التي تقوم بها اسرائيل، وخلص المؤتمرون الى قرار نص على "ضرورة منح الاولوية للقضية الكردية".

وفي غضون ايام معدودة في اعقاب هذا الاجتماع توجهت طائرة اسرائيلية من طراز (ستارتوكروز) حاملة ارسالية سلاح الاكراد مكونة من بنادق وبازوكا والغام ومتفجرات، زنتها تسعة اطنان. وقد هبطت هذه الطائرة في طهران، ونقلت من هناك بواسطة السافاك الى هدفها. وقد رد البرزاني برسالة مؤثرة لاسرائيل جاء فيها: لقد وعدت العديد من الجهات بتزويدنا بالاسلحة ولم تفعل اسرائيل وعدت ووفت.

وفي العشرين من نيسان ١٩٦٥ نقل ممثل الاكراد رسالة الى ممثل الموساد في طهران جاء فيها: ان البرزاني معني بالاجتماع مع مبعوث اسرائيلي

رفيع في كردستان، وايضا على استعداد لارسال مبعوث رفيع من قبله للاجتماع بممثل اسرائيلي خارج كردستان.



عام ١٩٦٨: البرزاني في حديقة الاثار في منزل وزير الدفاع موشيه ديان : من اليسار الى اليمين : كرون ، لبكوب ، هروبن ، عثمان ، اللواء رحبعام زئيفي ، البرزاني ، ديان، عميت ، والمفتي

الفصل التاسع

طائرات ميج تهاجم البرزاني وديفيد قمحي

وقع اختيار مائير عميت، على ديفيد قمحي، لاجراء اول اتصال مباشر مع البرزاني في كردستان العراقية. ولم يبد السافاك متحمسا لارسال قمحي للاجتماع بالبرزاني، ثم اعلنوا موافقتهم، شريطة اجتماع قمحي مع رئيس السافاك قبل توجهه الى كردستان.

ولد قمحي وهو من كبار رجال الموساد في بريطانيا، وشارك في حرب ١٩٤٨، واصيب بجراح خلال معركة القدس، والف بالتعاون مع شقيقه جون - وهو صحفي بريطاني معروف، كتابهما على جانبي التلة"، وهو اول الكتب التي كشفت قصصا خفيفة، حول حرب ١٩٤٨ - ومن ضمنها قصة تمرد ضباط الجيش ضد بن جوريون.

وعندما خدم مديرا عاما لوزارة الخارجية خلال الفترة الواقعة بين الاعوام ٨٠-١٩٨٧ المح في كتابه "الخيار الاخير" الى روايات منذ عهد عمله في الموساد. لقد جاء اختياره للاجتماع بالبرزاني ليس فقط على ارضية كفاءاته الاستخبارية والدبلوماسية، بل ايضا بناءا على مظهره الانجلو سكسوني.

وفي اعقاب المشاورات العديدة التي جرت، وشارك فيها بن جوريون نفسه، اتخذ قرار بتكليف قمحي بالتعرف على الزعامة الكردية، عن كثب، ودراسة بنية جهاز التمرد والحزب الديمقراطي الكردي، والتعرف بصورة جيدة على مطالبهم، ووضع افكار ومخططات لامكانية تحسين وضع التمرد، واعادة بلورة امكانية التعاون، مع وضع تصورات بديلة في حالة حدوث تغيير في وجهة النظر الايرانية تجاه الاكراد.

وكما يبدو ان الوجه الوحيد البشوش الذي لاقاه قمحي في طهران، وهو في طريقه الى كردستان كان ممثل الاكراد في ايران شمس الدين المفتي، والذي اعتاد الايرانيون تلقيبه باسم شيفري هو (امير كاسني). والمفتي خريج كلية الحقوق في بغداد، ويناهز الخمسين من العمر. وقد اصيب بجراح عندما اندلعت المعارك، ثم قام ابراهيم احمد بارساله الى طهران.

وفي اعقاب التمزق الذي وقع في المعسكر الكردي، بقي المفتي مؤيدا

للبرزاني، بيد انه واصل اقامة علاقة مع المعسكر الاخر، وعلى وجه الخصوص صديقه الطالباني. ويؤكد جميع معارفه: انه كان اخد افضل اصدقاء اسرائيل واكثرهم حماسا لها، وكانت العلاقات الاسرائيلية تتسم بانفتاح شديد جدا بالنسبة له، وقد حظر عليه فقرفان مصاحبة قمحي الى البرزاني، لكن اصرار قمحي ادى الى الغاء الحظر. ورغم ذلك فرض فقرفان قيودا اخرى، لا زال يحظر الاعلان عنها حتى الان.

انطلق الاثنان في سيارة جيب يقودها احد رجال (السافاك)، اضافة الى المستشار الفني لقمحي، والذي عمل ايضا كمترجم. وفي الخامس من ايار ١٩٦٥، اجتازت السيارة الجيب حدود ايران العراق ودخل الى الحاج عمران، وفي هذه القرية، وعلى احدى الصخور الجبلية حيث الثلوج كان هناك كشك هو المصيف لبرزاني، وفي الداخل فرش البرزاني الكشك فرشا عربيا يتلاءم وحياة الاكراد، وقد اجهد الاسرائيليون انفسهم للجلوس مثلما يجلس الاكراد.

ويقول قمحي حول صورة ومنظر البرزاني عن قرب: لقد ذكرني بالشخصيات التي بلورت التاريخ، والتي ظهر الكثير منها في التوراه وقد جلس الى جانب البرزاني ابنه ادريس مدير هيئة التخطيط العسكري، والدكتور محمود.

ويقول قمحي: لقد اتضح ان مضيفنا ضليع جدا في كل ما يتعلق باسرائيل، وانه يقدر انجازاتها، ومن ضمنها انه كان يدرك ان اسرائيل ستحتفل مساء السادس من ايار بالمناسبة السابعة عشرة لاستقلالها، وقال انه يصغي بصورة دائمة لصوت اسرائيل بالعربية والفارسية.

ودار معظم الحوار بين الجانبين حول امكانية التعاون بين اسرائيل والاكراد، وقد قال له قمحي ان اسرائيل شديدة التعاطف مع القضية الكردية، والاكراد كشعب يناضل من اجل نيل حريته، واننا نعتقد ان النضال الكردي لا رجعة عنه، وان الاكراد سيحققون في نهاية المطاف تطلعاتهم.

واضاف قمحي: ان اسرائيل تدرك ان النضال سيكون طويلا، وقد وضعت سياسة طويلة المدى على هذا الصعيد. ان التعاطف الاسرائيلي لا يرجع فقط لكون الشعبين يواجهان عدوا مشتركا، بل لكون الاكراد سلالة شعب عريق يقاتل في وطنه من اجل تحقيق هويته المستقلة، واسرائيل لا تكن حقدا للعرب لكن حينما يحاول العرب تدمير شعب في منطقة لا تحمل طابعا عربيا، فان الضرورة تحتم علينا ان نمد ايدينا لهذا الشعب، ونعمل على احباط المؤامرات العربية.

واشار قمحي ايضا، الى الزيارة التي قام بها فانلي الى اسرئيل كممثل للبرزاني في كانون الاول ١٩٦٤، وقد نفذت اسرائيل قسما من الاتفاق الذي توصلت اليه مع فانلي، بما فيه ارسال طائرة مع اسلحة في نيسان ١٩٦٥، وتشكيل هيئة خاصة للمساعدة في جمع الاموال لصالح الاكراد وكذلك تنظيم وتمويل جولة فانلي في الولايات المتحدة.

وفي تقريره لاسرائيل قال قمحي ان البرزاني قال له ان جل ما يضايق الاكراد هو النقص الخطير في السلاح والطعام والمال، وانه في امس الحاجة الى المساعدات الخارجية، وان اتفاقية الهدنة انتهكت قبل شهرين، واستؤنف القتال بشدة، وطلب مدافع يصل مداها الى عشرة كيلومترات من اجل احداث تحول في المعارك، وبنادق وراجمات ٨١ مليمتر، والغام، وبازوكا، ومتفجرات وغيره.

سارع قمحي الايضاح ان اسرائيل ليست دولة عظمى تستطيع عمل كل شيء، كما انها لا تملك جميع الاسلحة المطلوبة، وبذلك انتقص من الصورة الوردية التي رسمها البرزاني لاسرائيل، ورغم ذلك بأن تحاول اسرائيل الحصول من مصادر اجنبية، على راجمات وبازوكا ومدافع رشاشة مضادة للطائرات. واوضح ان القاء الاسلحة الى الاكراد بالمظلات، سرعان ما سيكتشف لرادارات الاعداء العراقيين، لذا فان هذا الاجراء ليس واردا في الحسبان.

واضاف... ان اسرائيل على استعداد لتدريب وتأهيل المقاتلين الاكراد في حرب العصابات، واعمال التخريب، واوضح له ان حفنة من الاكراد يمكنها ان تصبح قادرة على تنفيذ عمليات مؤثرة وفعالة جدا داخل العراق بصورة تؤثر على المجتمع الدولي.

واكد قمحي على ضرورة ارسال ممثل كردي دائم للبقاء في الولايات المتحدة، فحدد البرزاني مرشحه لهذا المنصب فورا، وقد قام هذا الممثل فيما بعد بزيارة اسرائيل، لكن البرزاني اقاله بعد فترة وجيزة من منصبه.

اما على الصعيد السياسي، فقال البرزاني: انا معني بالتحالف مع اسرائيل، لقد يئست من العرب، ولست مهتما فيما اذا تم الاعلان عن علاقتي معكم. ووعد البرزاني برد الجميل لاسرائيل حال نيله استقلاله، بل وقبل ذلك وكدلالة على جدية نواياه قام بكتابة رسالة الى رئيس الحكومة ليفي اشكول حياه فيها وبعث اليه بتهنئة بمناسبة يوم الاستقلال. كما ضمنها جميع التصريحات والوعود التي قالها امام قمحي مثل الامتناع عن اية خطوة او اجراء قد يؤدي

الى المساس باسرائيل في اية اتصالات بين الاكراد واية جهة اخرى، كما ضمن البرزاني الرسالة استعدادا لتشجيع التعايش السلمي بين اسرائيل وجاراتها، اذا ما تمكن الاكراد من تحقيق استقلالهم، على ان يكون كل ذلك رهنا بالتطور السياسي والعسكري في المستقبل.

* *

ويقول قمحي: حدثت لدي قناعة بأن البرزاني يريد ان يخلق لدي انطباعا، ولدى اسرائيل ايضا، بأن لا رابطة تربط بين الاكراد والعرب، وأن العرب يمنعون الاكراد بالقوة من نيل وتحقيق استقلالهم، والعيش وفقا للعادات التي توارثوها عن اجدادهم. وطلب البرزاني من قمحي البقاء اسبوعين او ثلاثة لمشاهدة ما يحدث في كردستان بأم عينه، وقال له: انضم الى المقاتلين، وتجول في المنطقة، وستتمكن من رؤية القوات العراقية عن كثب، وقد استجاب قمحي له جزئيا، ووافق على البقاء لعدة ايام وهكذا ارتدى قمحي الملابس الكردية، وتسلح ببندقية وامتطى بغلا، وشرع يتجول بصحبة مجموعة من (الباش مرجا) في كردستان، ولا زال يذكر الرواية التالية: "صعدنا الى جبل يسمى (زوزك) ثم انحدرنا على سفحة باتجاه غور رواندور، وعلى بعد عدة مئات الامتار، كان احد الالوية العراقية يقيم قيادته، وفكرت في رد العراقيين لو انهم ضبطونا وعندما اقتربنا من قرية تدعى (جلال) انضم الينا البرزاني. فوقفنا هناك وتحدثنا، وفي نفس اللحظة مرت من فوقنا طائرات ميج والقت قنابلها، فانبطحنا ارضا، بما فينا البرزاني، وقد تعرضنا مرة اخرى، خلال جولتنا لقصف طائرات الميج. لقد شممت رائحة الحرب في الافق، وعلمت ان طائرات الميج تقصف كل ما يتحرك، وانها تلحق اضرارا جسيمة بالقرى الكردية والسكان.

وفي الطريق، عثر قمحي على العديد من الاثار التي تركها عملاء الموساد الذين سبقوه في كردستان. فقد طلب منه احد الاكراد ان يبلغ تحياته ليهودا تيجر، وهو العميل الاسرائيلي الذي تمت اعادته الى اسرائيل، في الصفقة التي عقدها الموساد مع عبد الكريم قاسم. وقال الرجل: لقد سجنا معا في السجن العراقي.

وفي التاسع من ايار، اي بعد خمسة ايام من وصوله الى كردستان، عاد قمحي واجتاز الحدود العراقية الى ايران.

* *

وحال عودته الى اسرائيل، اجتمع قمحي مع مائير عميت، وهروين، ورئيس الحكومة ليفي اشكول ويقول: اوصيت بدعم الاكراد بأقصى مع نستطيع لانهم يلهون نصف الجيش العراقي، وهي الحقيقة التي تسر الايرانيين ايضا، وقدم قمحي سلسلة من التوصيات التي يحظر نشرها رغم مرور نيف وثلاثين سنة على ذلك.

كان تقرير قمحي مشجعا جدا، وزاد الرغبة لدى اسرائيل في ضرورة مد يد المساعدة للاكراد، واصبح واضحا، ان هناك ضرورة ملحة، لارسال عسكري متخصص في مجالات العمل التي يطلبها البرزاني او يحتاج اليها.

وقد تم اختيار الضابط (ب) لا زال اسمه محظورا نشره، لكن المهام التي قام بها في السابق كانت ترشحه لمثل هذه المهمة. وكان يدرك ان المهمة التي سيقوم بها ليست سهلة، وليست قصيرة الامد، حيث قيل له ستبقى هناك ثلاثة اشهر. ورغم انه لم يكن يرغب في ترك زوجته التي كانت في شهور حملها الاخيرة، الا انه لم يتمكن من رفض الفرصة السانحة لصنع التاريخ، وترأس الوفد الاسرائيلي الذي يرسل لاول مرة الى قيادة التمرد الكردي.

لم تكن التوجيهات الاولية التي تلقاها (ب) في الموساد، مريحة له، بيد ان هذه الحقيقة لم تقلقه لانه كان يدرك من تجربته، انه سيتمكن من استكمال النواقص على ارض الواقع، وكان في تلك الاونة قد بدأ يقرأ كتبا عن كردستان، بما فيها كتاب الصحفي الامريكي شميدت، الذي اشرنا اليه انفا. وكان يدرك انه سيكون مطالبا بوضع خطة عمل شاملة ومتواصلة تتناول العديد من المجالات.

وصل (ب) الى طهران في النصف الثاني من تموز ١٩٦٥، وكانت اول المحطات التي سيتوجه اليها هناك هي زيارة (م) رئيس طاقم الموساد هناك، وكان كل واحد منهما يعرف الاخر من عمل مشترك سابق، والان كان عليهما ان يواصلا الطريق معا الى كردستان، وقد حرص على شراء كم لا بأس به من علب المحفوظات لاخذها معهما. وقد تلقيا من الايرانيين امرا، بأن يجتازا الحدود تحت جنح الظلام، وزيادة في الحذر والحيطة، تم نقلهما في سيارة جيب في طرق ملتوية، على رؤوس الجبال، وفجأة توقف السائق وقال لهما: هذه هي الحدود، ورفض التحرك سنتميترا واحدا داخلها.

ولم يبق امامهما خيار سوى قطع المسافة سيرا على الاقدام الى الاكراد الذين كانوا بانتظارهما.

وهكذا، بدأت قصة وفد الاستشارة الاسرائيلي في كردستان. ومنح الاثنان اسما شيفريا، لا زال حتى الان سرا من الاسرار التي يحظر كشفها.

وكان اول منظر يصطدمان به هو احد مقاتلي (الباش مرجا) وهو ينقل بندقية من احدى يديه الى يده الاخرى المعصوبة والتي تغطيها الدماء. وسرعان ما اتضح للاسرائيليين المذهولين ان مقاتلي (الباش مرجا) يبديان قدرا لا يصدق من الصبر والجلد والثقة بالنفس، اضافة الى الانضباط التام والاخلاص الهائل للبرزاني، كما ان تعاملهم مع اسلحته الشخصية يشبه التعامل مع عضو من اعضائهم. ولقد ذكر حديث هؤلاء المقاتلين عن الرغبة في التضحية بالذات، ايام الحرب التي خاضاها عام ١٩٤٨.

****

اجتمع (ب) ومساعده الفني بعد وقت قصير من وصولهما الى كردستان بالبرزاني في مسكنه، الواقع على بعد عدة كيومترات من الحاج عمران.

وقد استعرض الثلاثة جميع المشاكل التي يواجهها قائد التمرد، بما فيها الافتقار الى التمويل، وامكانية تقديم المساعدة الى العائلات الثكلى، وضمان اماكن ارتزاق معقولة، والافتقار الى العديد من انواع الاسلحة، اضافة الى عدم وجود محطة بث قوية.

وفي نهاية الحوار والمكاشفة، توجه البرزاني وضيوفه الاسرائيليين الى الحاج عمران كي يتمكن البرزاني من الاجتماع مع (م) وتبادل الحديث معه. وحال حلول الظلام، وسارع (م) بالعودة الى طهران. لقد كانت الاوامر تنص على ان اي زائر رفيع المستوى يأتي لزيارة الاكراد، يجب ان يصل تحت جنح الظلام ويغادر المكان في نفس الليلة، او في الليلة التي تليها.

وفي كردستان، حرص الاسرائيليون على ان يبدو في مظهر الاكراد، فارتدوا ملابسهم، الفضفاضة، وثبتوها الى اجسادهم بالشال ذي الثمانية امتار الذي يلتف على الجسم بكامله. واعتمروا (الجمداني) على رؤوسهم. وكانوا يجلسون على هذا النحو امام البرزاني عندما يزورونه، وكذلك عندما يأتي هو الى مسكنهم.

لقد تمكن البرزاني من اسر الاسرائيليين بمظهره واسلوبه الخلاب في الحديث، ورغم ذلك كانوا يدركون انه شديد جدا تجاه اعدائه وخصومه من الاكراد. وادرك الاسرائيليون ايضا ان عدد خصوم البرزاني من الاكراد ليس قليلا، وان العراقيين نجحوا في استغلال المرارة التي يشعرون بها، وصعدوا العداء

للبرزاني في قلوبهم.

وفي العديد من التقارير التي بعثوا بها الى اسرائيل، واكدوا انه كان من الافضل للبرزاني، لو انه وافق على المصالحة -على الاقل- مع جزء من هؤلاء الخصوم.

واتضح للاسرائيليين، ايضا ان اراء البرزاني في القضايا التي كان قد اكتسب تجربة بصددها جيدة، ومعقولة، اما في باقي القضايا، فقد كان البرزاني يخضع لتأثير ضباط اكراد سبق ان خدموا وفروا من الجيش العراقي. رغم انه لم يكن يكف عن الشك فيهم. ويقول البرزاني، ان وجوده في المعارك التي يخوضونها مهمة جدا، لانه بذلك يستطيع الاشراف عليهم وادارتهم عند الضرورة.

وسرعان ما اكتشف (ب) وزملاؤه ان الغالبية العظمى من القادة الميدانيين المحيطين بالبرزاني يفتقرون الى الثقافة العسكرية الرسمية، ورغم ذلك فهم يتمتعون بكفاءة عالية جدا على صعيد القيادة والجرأة، والتمسك بالهدف، والرغبة الجامحة في تنفيذ ما يكلفون به.

لقد كان من الصعب جدا ان يوضح الاسرائيليون للبرزاني ضرورة الاعتماد على هؤلاء القادة، وان يمنحهم صلاحيات، خصوصا، وانه لا يستطيع الاشراف على عدة معارك في آن واحد، بيد ان الزمن والاوضاع فعلت فعلها، وافهمته ذلك.

لم يتوقف البرزاني عن التأكيد لمستشاريه الجدد (الاسرائيليين)، انه يعتبر اسرائيل بمثابة دولة عظمى. وكان يقول باعجاب وتقدير ان اليهود يسيطرون على معظم اموال العالم، لذا لا يستطيع ان يفهم الاسباب التي تمنع اسرائيل من وضع مليون دولار تحت امرته شهريا، او منحه قرضا بحجم ميزانية سنوية؟ وكان يؤكد ان هذه الاموال ستعاد الى اسرائيل حتى اخر (سنت)، في اعقاب انتصار الاكراد على العراقيين.

وفي نفس الوقت كان البرزاني يصب جام غضبه على الامريكيين قائلا: الامريكيون ينسون ان غالبية ابار النفط العراقية واقفة في الاراضي الكردية، وان الاكراد هم الذين سيسيطرون في اعقاب الانتصار الاتي لا محالة، وقد اعلن المرة تلو الاخرى انه سيكون على استعداد لاشراكهم فيها، لكن الامريكيين يتجاهلونه تماما، ولا يجرون معه اي اتصالات.

لذا لم يكن غريبا ان يفكر في ضرب ابار النفط العراقية، بعد ان تملكته

فكرة ساذجة، تقول: يجب ان يدرك الامريكيون ان الامر جدي.

* *

لقد جاء التهديد الكردي لتدمير ابار النفط ايضا من اجل الحصول على الاموال من شركات النفط، التي كانت تدفع له كي تدرأ خطره عنها ويؤكد عميت ان الاسرائيليين هم حقا الذين اشاروا على البرزاني بأن ينتهج هذا الاسلوب، لان المال اكثر العوامل المؤثرة على البرزاني، نظرا لحاجته الماسة اليه لمنح الاجور لمقاتليه، وللوفاء بالاحتياجات الاخلاقية الخاصة بمنح اسر الاشخاص الذين يقتلون في المعارك وكذلك الجرحى.

ولم يكن الاسرائيليون في حاجة الى اثباتات لمعرفة كيف يعيش مقاتلو (الباش مرجا) فقد رأوهم اياما طويلة، وهم يعيشون، على وجبتين فقط، تتألف كل منهما من قطعة خبز وحليب او خيار.

ان النقص الخطير في الطعام كان نتاجا للقصف العراقي العنيف بالطائرات على الاكراد، فقد كانت القنابل تقتل وتدمر قطعان الضأن، والابقار، والمحاصيل في الحقول، هذا اضافة الى تشويش العمليات الزراعية المحلية المتمثلة في جني المحصول، وتخزينه في الصيف لاستخدامه في الشتاء. لقد وصل الامر، الى حد ان التجهز بالغذاء الاساسي في منطقة التمرد، كان رهنا بالاستيراد من ايران او تركيا، مقابل المال الذي كان مفقود اصلا.

ويقول البرزاني: لقد ادى النقص في المال، الى المساس بصحة المقاتلين، والى ترهل صفوفهم، بصورة تهدد بانهيار التمرد. لقد اضطر الاكراد الى الانسحاب من المناطق التي احتلوها نظرا لانهم لم يستطيعوا تزويد المقاتلين الموجودين هناك بالغذاء المطلوب، عدا عن انهم كانوا عاجزين عن تنظيم هجمات جديدة على مناطق اخرى مهمة.

لقد الحقت الهجمات الجوية العراقية العديد من الخسائر البشرية واسقطت ضحايا اكرادا، كما سقط الضحايا الاكراد ايضا خلال هجماتهم على المواقع العراقية جراء اصابتهم برصاص العراقيين او بانفجار الالغام التي سبق ان زرعوها هم بأنفسهم.

وفي تلك الاونة، تم الحاق ثلاثة اكراد بدورة في اسرائيل، وطلب البرزاني من الاسرائيليين ان يوسعوا تلك الدورة كي تشمل عمليات تفكيك حقول الالغام، وشق طرق عبرها للتنقل.

ومن الجدير بالذكر، ان شهرة الاكراد كمقاتلين كانت واسعة جدا، بيد انه آن الاوان، كي يكتسبوا كفاءة قتالية جديدة.

فقد حصلوا من اسرائيل على راجمات ذات قطر ١٢٠مم، ومداها يصل الى ستة كيلومترات وتدربوا على استخدامها في احدى الدورات الخاصة التي عقدها الجيش الاسرائيلي في طهران في حزيران ١٩٦٥، وهو الامر الذي ادخلهم في مشكلة جديدة. فمنذ ذلك الحين لم يعودوا في حاجة الى كفاءة في الهجوم فقط، بل ايضا كفاءة في التنسيق بين القوة المهاجمة والقوة المساندة بالمدفعية.

بدا البرزاني فخورا ومعجبا جدا باصوات الراجمات وهي تطلق قذائفها، عدا عن الدمار الذي تلحقه. وقد آمن بأن الراجمات ستملأ فراغا في قوته العسكرية، وستلقي الرعب في قلوب الجنود العراقيين.

وبناء على ذلك لجأ البرزاني الى استخدام الراجمات بصورة موسعة ضد العراقيين، دون ان يبدي اهتماما باختيار الاهداف المناسبة للراجمات.

كان الهدف الاساسي الذي يسعى البرزاني لضربه، هو لواء عراقي معزز ببطارية مؤلفة من ستة مدافع من عيار ٥،٥ بوصة، والتي كانت تتمركز في الجبهة الخلفية لاحد المواقع الكردية الاستراتيجية وهي بلدة (رواندوز). وقد اكدت الخرائط ان قذائف الراجمات لا تصل الى منتصف المسافة المؤدية الى القوة المذكورة.

لذا، طلب البرزاني من الاسرائيليين تزويده بمدفعين ذوي مدى مزدوج لانه سيتمكن بمثل هذه القوة، التي لم يسبق لها مثيل بالمصطلحات الكردية، ان يحقق هدفه.

وصلت المدافع المذكورة تحت جنح الظلام، لكن الاسرائيليين اوضحوا للاكراد، ان من المستحيل احتلال الوطن، فقط باستخدام هذين المدفعين.

وفي السادس والسابع من آب ١٩٦٥ شن الاكراد هجوما باستخدام الراجمات والمدفعين المذكورين على موقع عراقي كان يسيطر على جبل (كورك). وقد فوجىء العراقيون تماما، جراء استخدام الاسلحة الجديدة، ودفعوا ثمنا باهظا من القتلى، بيد ان المعركة لم تحسم، فالاكراد لم يستكملوا الهجوم باتخاذ الخطوات الباقية، التي يتوجب استخدامها، فهم لم يسيطروا على محاور الطرق الرئيسية، واتاحوا الفرصة للعراقيين لاستدعاء تعزيزات وشن هجوم مضاد جدي. وهكذا عاد العراقيون للسيطرة على جبل (كورك).

وبعد ذلك، وحتى نهاية عام ١٩٦٥ سقط في ايديهم موقعان استراتيجيان آخران وهما منطقتا (بنجوين). والقلعة (ديزه). وخلال عمليات التطهير التي قام بها الجيش العراقي سقط في يده عدد كبير جدا من الراجمات من صناعة اسرائيل، وقد اكدت الجريدة العراقية الناطقة باللغة الانجليزية (بغداد نيوز) ذلك في عددها الصادر في الاول من تشرين الثاني ١٩٦٥.

جاء الهجوم العراقي مفاجأ تماما للاكراد، فهم لم يكونوا يتوقعون ان يشن العراقيون هجومهم في الشتاء. وقد حال الشتاء دون مواصلة القوات العراقية هجومها وتوسعها نظرا لصعوبته ووعورة المنطقة. وفي منتصف كانون الثاني اضطر العراقيون لمغادرة المنطقة جراء قسوة الشتاء وصعوبته، دون ان يخفوا نيتهم في العودة لاحتلال المنطقة خلال الهجوم الذي سيشنونه في الربيع والصيف، والاندفاع حتى الحدود الايرانية، التي تعتبر بمثابة الشريان الرئيسي للاكراد.

علم الاكراد ان هناك اتصالات عراقية ايرانية على مستوى رفيع تجري في بغداد منذ تموز ١٩٦٥. وافادت التقديرات، في آب ١٩٦٥ ان من المتوقع ان تبذل هاتان الدولتان جهودا مضنية من اجل العثور على تسوية بشأن القضايا المؤلمة لهما. وتفيد نفس التقديرات ان الايرانيين يتعاملون مع كردستان كوسيلة ضغط يمكن استخدامها كما يحلو لهم، بل وتقديمها قربانا على مذبح تسوية النزاع الطويل والصعب الناشب مع العراق.

كانت المشكلة الرئيسية التي تحتل لب النزاع، هي مشكلة السيطرة على شط العرب، وهو المصب المشترك للفرات ودجلة في الخليج الذي يفصل بين الدولتين، ويعتبر بمثابة شريان حياة اقتصادي وحيوي جدا فهو معبر لقسم كبير من التجارة الخارجية العراقية عبر البصرة، وكذلك للتجارة الخارجية الايرانية عبر (خوار مشهر)، معبر للنفط من جنوب العراق، ومن مصافي النفط الايرانية في عبدان.

تنص اتفاقية عام ١٩٣٧ والتي قامت على اتفاقيات سابقة عقدت بين الامبراطورية العثمانية وايران، على ان شط العرب هو منطقة عراقية باستثناء مساحة صغيرة من الارض تبلغ خمسة عشر كيلومترا تقع امام عبدان، تمر فيه الحدود وسط النهر وعلى طول خط اكبر عمق. ويقول البروفيسور يعقوب شمعوني في المعجم السياسي للعالم العربي، ان هذا التقسيم لم يرض الطرفين، وعلى وجه الخصوص ايران والتي زعمت انه يتوجب ان تمر الحدود في منتصف شط العرب.

وقد ادى هذا الوضع الى خلق ازمات حادة جدا جراء مسائل الملاحة ودفع الجمارك وادارة السفن خلال الستينات.

وكانت الاتصالات العراقية الايرانية بشأن هذه المشكلة تجري سرا، وقد ادركت جميع الجهات ان اي اتفاق سيتم التوصل اليها سيأتي على حساب الاكراد. وهذا ما حدث فعلا، عندما تم الاتفاق بين الطرفين على حل المشكلة في اذار ١٩٧٥.

انهى (ب) فترة استشارته في كردستان في الخامس عشر من تشرين الاول ١٩٦٥. واعتقد (م) الذي كان يدير الوضع في كردستان من طهران ان هناك ضرورة لوضع وفد دائم من اعضاء الموساد في كردستان. وكتب رسالة بذلك الى المسؤولين الاسرائيليين، قال فيها: يجب ان يضم هذا الوفد مستشارا عسكريا رفيع المستوى، على ان يتحلى بفهم تكتيكي واستراتيجي معا، اضافة الى القدرة الفنية.

لاقى هذا الاقتراح معارضة من جانبين، الاول على الصعيد الكردي، حيث اعتقد الاكراد ان كفاءة البرزاني التكتيكية والاستراتيجية، كافية تماما لهم. ومن الناحية الاخرى على الصعيد الايراني الذي خشوا من ان يؤدي بقاء وفد عسكري اسرائيلي دائم لدى الاكراد واكتساب الاكراد تجربة من نوع جديد، الى اخراج التمرد الكردي من امكانية السيطرة عليه، وافلات الزمام من ايديهم. بيد ان الطرفين وافقا في نهاية المطاف على ما اقترحته اسرائيل.

قبل الموساد ورئيس الحكومة الفكرة فورا، وتم اتخاذ قرار بارسال الوفد اول الربيع وليس من بداية الشتاء، الذي يبدأ عادة اول تشرين الاول، وينتهي خلال شهر نيسان.

وعندما سمع (م) ان الموساد لا يكاد يعثر على الشخص الملائم والذي بالامكان الاستغناء عن خدمته في الجيش الاسرائيلي وارساله الى كردستان، سارع لترشيح نفسه للمهمة، ونظرا للكفاءة التي ابداها في العمل في طهران، وافق الموساد عليه فورا.

وصلت انباء وجود الوفد الاستشاري الاسرائيلي في كردستان الى العراقيين، في نهاية المطاف وهو الامر الذي كان الموساد يأخذه بعين الاعتبار، فقد كان يدرك انه، ومهما كان عدد الوفد صغيرا فان منطقة كردستان تعيش على الخيانات.

ومن الجدير بالذكر، ان عدد الوفد الاسرائيلي كان في اغلب الاحيان

يتراوح بين ثلاثة الى اربعة اشخاص، وفي حالات معدودة، تمت مضاعفته مرتين او ثلاثة لاغراض الدورات التي تعقد هناك للاكراد.

وهكذا، قام خونة اكراد باشاعة نبأ وجوه الاسرائيليين في كردستان، ومن ضمن هؤلاء الخونة، الضابط رفيع المستوى، (العقراوي)، والثاني هو الابن الاكبر للبرزاني، عبيدالله، فقد قال للصحفي المصري محمد حسنين هيكل: ان الاسرائيليين الذين كانوا مرافقين دائمين لابي، كانوا يتصلون باسرائيل بجهاز لاسلكي بصورة دائمة، ويقومون باعمال تجسس في العراق.

اما العقراوي، فقال لمراسل جريدة (كريستشيان ساينس مونيتور) في الثاني عشر من كانون الاول ١٩٧٤ ان مهمة الاسرائيليين الموجودين في كردستان تمثلت في جمع المعلومات التي تهم اسرائيل. ويقول الصحفي الفرنسي (جان لارنجي): ان الاسرائيليين اقاموا في كردستان شبكة اتصالات.

حال اقتراب موعد انتهاء مدة عمل (م) في كردستان بدأ عميت يفتش عن بديل يحل محله، فاوصت جهة عسكرية ما على ضابط الاحتياط (ديفيد كرون). ومن الجدير بالذكر، ان اسم (كرون) كان قد برز مختلطا بالقضية الكردية الايرانية قبل ذلك، ففي ايار ١٩٦٥، وقبل اتخاذ قرار بارسال ديفيد قمحي الى كردستان، اقترحت جهة منا تكليف كرون بهذه المهمة، وقد وافق كرون على التوجه الى طهران، ودرس وتعلم اللغة الفارسية، وقرأ كل ما كتب في الاستخبارات العسكرية، حول هذه القضية.

كان كروت من كبار رجال الاستخبارات على الصعيدين المهني والعمري، ولديه تجربة غنية، فقد بدأت نشاطاته منذ الحرب الاهلية في اسبانيا، خلال الفترة ٣٧-١٩٣٨. فقد كان احد المتطوعين الاسرائيليين الذين حاربوا الى جوار حكومة اسبانيا الجمهورية، في اطار الفرق الدولية التي تم تشكيلها بوحي من الكرملين السوفييتي.

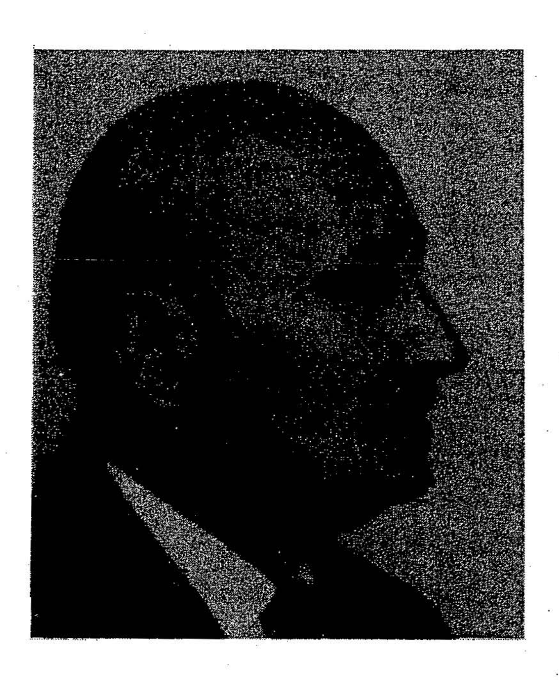
ويقول كرون: لقد شاهدت قدرا كبيرا جدا من الدماء والنيران امام عيني هناك. لقد دفعتني معتقداتي الى هناك، حيث كنت مناهضا للفاشية. ثم التحق بكيبوتس الحارس الشاب، وانضم الى مخابرات منظمة الهجناه. وتعلم اللغة العربية، وتابع باهتمام التضاربات والاحداث الجارية بين العرب في جنوب فلسطين، وكلف بحراسة خط المياه، الذي كان من المستحيل، دونه، انشاء المستوطنات اليهودية الاولى في منطقة النقب الشمالي.

وفي اوج حرب ١٩٤٨، استدعي للالتحاق بالمخابرات العسكرية، وعمل في مجال تجنيد وتشغيل العملاء العرب. وفي عام ١٩٥٠ سرح من الجيش الاسرائيلي برتبة رائد وعاد الى كيبوتسه.

وعندما نشبت حرب ١٩٥٦ عاد الى الخدمة الامنية، وتم التكتم على طبيعة عمله. ولا يوجد شخص في الجهاز الامني لا يثني على كرون وعمله بعد عام ١٩٥٦، ويكيل له المديح.

والان كان مرشحا لادارة النشاطات الاسرائيلية في كردستان من الموقع المتقدم للمخابرات في طهران.

وفي الوقت الذي كان يعد فيه العدة للتوجه الى ايران، كان رؤساء الموساد يناقشون هيئة الاركان العامة، حول المرشح المناسب للعمل كمستشار عسكري. وقد طرح اسم ارئيل شارون. والذي كان يشغل انذاك منصب رئيس هيئة اركان القطاع الشمالي ويحمل رتبة عقيد، بيد ان رئيس الاركان، اسحق رابين، كان قد اوصى بترقيته. وفي نهاية المطاف، وقع الخيار على المقدم تسوري ساجي، وارسل فعلا الى كردستان، وقد تمكن هذا الضابط من كسب ثقة الايرانيين والاكراد في آن واحد.



كاموران غالي بدير خان : أول زعيم كردي يجري اتصالات مع اسرائيل

الفصل العاشر

لن يكونوا ابدا كالجيش الاسرائيلي

استدعى المقدم تسوري ساجي (شينكين) في تشرين الثاني ١٩٦٥، الى شعبة التوجيه في هيئة الاركان بوصفه قائد الكتيبة ٨٩٠ التابعة للواء المظلات لتلقي تعليمات حول المهمة الجديدة التي ستوكل اليه. وهناك قيل له، ستتوجه الى طهران لعقد دورة خاصة لقوات خاصة في الجيش الايراني. وعندما انهى الدورة في طهران، عرض عليه ادارة دورة اخرى، بيد ان المتدربين كانوا هذه المرة من الاكراد.

كان ساجي المعروف باسمه الاول "تسوري" مقاتلا جيدا ويتمتع بالكثير من المزايا والكفاءة على صعيد الحرب الصغيرة. لقد التحق بالجيش الاسرائيلي عام ١٩٥٢، وانضم الى سلاح المظلات، وشارك في غالبية العمليات الانتقامية التي قام بها الجيش الاسرائيلي في الخمسينات في الضفة الغربية وغزة، وايضا خارج حدود اسرائيل تحت قيادة ارئيل شارون ورفائيل ايتان.

اضف الى ذلك، انه اجتاز دورة متقدمة في القوات الخاصة للجيش الامريكي، واجرى دورة للقوات الخاصة في اثيوبيا. وقد اوصى به للعمل في طهران، مساعد رئيس شعبة الاركان اللواء، رحبعام زئيفي.

وضع ثلاثة ضباط برتبة نقيب تحت امرة تسوري بغرض اجراء الدورات المذكورة، وهم يهودا برينج، قائد سرية الهندسة في لواء المظلات النظامي، وعوزي فرومر قائد سرية في لواء الاحتياط التابع للمظلات، ونتان راهب قائد قاعدة تخريب في السرية (١٣) التابعة لسلاح البحرية.

هبط الاربعة في طهران في كانون الاول ١٩٦٥ وهناك تقابلوا لاول مرة مع الملحق العسكري الاسرائيلي العقيد يعقوب نمرودي، والذي اصبح فيما بعد مليونيرا معروفا. ويقول لتسوري: كان نمرودي اول ملحق عسكري اسرائيلي في ايران، ولا شك انه كان جهاز موساد كاملا. وكانت معرفته بخفايا الحكومة الايرانية والجيش الايراني مذهلة، ويعرف بكل وزير رفيع المستوى، وجميع الضباط الكبار ايضا، وقد سارع لعقد اجتماع لتسوري مع عدد من معارفه ومن ضمنهم رئيس المخابرات الايرانية الجنرال عزيز الله كمال، ورئيس السافاك الجديد الجنرال نعمة الله الناسيري الذي حل محل فقرفان.

ومن الجدير بالذكر ان كمال كان من اصل كردي، بيد ان هذه الحقيقة لم

تعقه عن ترؤس الوحدة الايرانية التي صنعت الجمهورية الكردية ماهاباد والتي قامت عام ١٩٤٦، وشغل فيها البرزاني منصب رئيس الاركان. هذا وقد تم اعدام ناسيري عام ١٩٨٠ على ايدي حرس الثورة الايرانية، ولا تنسى اسرائيل الخدمات التي قدمها لها، وتهتم باسرته وزوجته.

لقد ساعد ناسيري وكمال، تسوري في فهم سياسة الامن الايرانية مثلما يتوجب ويقول تسوري: لقد تعلمت نظرية الامن الايرانية دفعة واحدة. كان الايرانيون يرغبون جدا في نشوب حروب متواصلة بين اسرائيل والعرب، بصورة تشغل الجيوش العربية ولا تدع مجال للالتفات اليها او العمل ضدها، وخصوصا عدم احتلال خوزستان. وكان الايرانيون يتخذون جميع الاستعدادات اللازمة لمواجهة جميع الاحتمالات، بما فيها احتمالات الحرب مع العراق.

* *

كانت المجموعة التي دربها تسوري ساجي تحت الاسم الشيفري (مربيد) من النخبة الايرانية وغالبيتهم من الاكاديميين والرياضيين والمسلمين غير المتدينين الذين كانوا يشمئزون من الاصوليين ويكرهون العرب. لقد ادرك تسوري طبيعة تعاملهم ونظرتهم تجاه الاصوليين الاسلاميين من خلال نظراتهم خلال الدورة. ويقول: اجتزت مع الايرانيين الصحراء الواقعة بين منطقة قزوين ومدينة (قم) - التي قام اية الله سيد روح الله موسوي الخميني بتحويلها بعد خمس عشرة سنة معقلا له. وقد اقترح الايرانيون عليّ عندما وصلنا الى منطقة (قم) ان نخفي انفسنا الى الحد المعقول، لان هذه المنطقة هي منطقة متدينين.

عقدت الدورة في السجن الذي اعتقل فيه في سنوات الخمسينات، رئيس الحكومة الذي اطيح به محمد مصدق، وقد بذل المدربون الاسرائيليون قصارى جهدهم من اجل اكساب المتدربين فهما حول نظرية الحرب الاسرائيلية الصغيرة. مع الاخذ بعين الاعتبار لشروط المنطقة، والهدف من الحرب الايرانية، وضمنوا الدورة مناورات للدفاع عن حقول النفط في الخليج ضد هجوم عراقي محتمل.

ويقول برينج: بدا بوضوح ان الضباط الايرانيين رفيعي المستوى خشوا ان يقوم المتدربون بتطبيق الاساليب التي نعلمها لهم في انقلاب داخلي، لذا اخذوا المقاتلين الى المطاعم، او ابعادهم عن المشاركة في المناورات الليلية. وقد اوصى الضباط الذين تلقوا تدريبات في الجيش الامريكي قبل ذلك، باستخدام اساليب سبق ان شاهدوها في افلام المغامرات مثل الخنق بالحبال الفولاذية.

وفي نهاية الدورة توجه تسوري وزوجته تسفوره الى الخليج بناء على دعوة من قائد سلاح البحرية الايراني، وكانت الزوارق الحربية العراقية، حتى ذلك الحين، تقوم بجولات في منطقة شط العرب، مشكلة خطرا حقيقيا على خوزستان لذا طالب قائد سلاح البحرية تسوري بطرح اقتراحات لحل هذه المشكلة.

قال تسوري بعد تفكير: هناك حل بسيط جدا لهذه المشكلة: ضعوا دبابتين في (خورمشهر) الواقعة عبر نهر شط العرب، وسيصبح بمقدوركم اغراق اية سفينة بمدافعهما. لكن الايرانيين كانوا يريدون خططا مفصلة، لذا خصصوا لتسوري غرفة عمل في قيادة فرقة مدرعة كي يعمل على اعداد هذه الخطة.

اخذ تسوري يجري محادثات مع قائد الفرقة وهيئة اركانه، ومع قادة سلاح البحرية، ومن ضمنهم ضابط العمليات. وبعد ان فهم طبيعة التفكير العسكري لمحادثيه، اعد الخطة المأمولة، فقال للايرانيين: يجب ان تقوم قوة ايرانية بالتغلغل الى الاراضي العراقية، وتجتاز حقول النخيل الواقعة على الجانب الشرقي، وتتمركز امام ساحل البصرة وتغرق الزوارق بنيران الدبابات.

وفي التقارير التي بعث بها الى اسرائيل، قال ان الجيش الايراني سيستغرق زمنا طويلا، حتى يصبح جيشا ذكيا.

****

اسميت التدريبات التي خصصت للقوات الكردية بالاسم الشيفري "مربية جيدة" وتوافقت مع الاتفاقية الايرانية الاسرائيلية، وايضا مع الاتفاقية المعقودة بين البرزاني ورئيس الحكومة الايراني امير عباس حويبدة في كانون الاول ١٩٦٦ والتي تنص على ان يقوم الجيش الايراني بتزويد الاكراد بالاسلحة والمستشارين.

وفي نفس الشهر قدم العراق احتجاجا الى ايران لارسالها اسلحة الى الاكراد لقد اصبحت حقيقة كون ايران معبرا لنقل الاسلحة الاسرائيلية الى الاكراد بمثابة حقيقة شائعة.

بقي برينج مع تسوري، وانضم اليهم الرائد احتياط مناحم سيلع الذي اسمي من قبل زملائه (مراك).

وخصص السافاك لهذه الدورة معسكرا في طهران، وجمع فيه المتدربين الاكراد الذين كانوا يتلاءمون تماما مع المعايير التي طرحها تسوري. كانوا جميعا جبليين ويجيدون تماما اسلوب اضرب واهرب" وكان عدد لا بأس به منهم، قد فر من الجيش العراقي، بعد ان درس فنون القتال، كما كان الكثيرون منهم

يجيدون الانجليزية، لذا ساعدوا في ترجمة المادة المكتوبة.

وفي المحاضرات الاولى عرف تسوري ومراك وبرينج، طبيعة ساحة القتال العراقية الكردية. ولم يكن اولئك المقاتلون على علم بأن مدربيهم اسرائيليون لكن بعضهم خمن ذلك.

ويضيف تسوري: كان التمرد انذاك يسير على نار هادئة، وكان المتمردون يكتفون بمهاجمة مراكز الشرطة، او باطلاق النار بصورة اوسع في منطقة بنجوين الواقعة في الجنوب، بيد أن هذه العمليات، لم تكن مصحوبة بالهجوم او بانجاز حسم ما.

بدا تسوري فضوليا الى ابعد الجدود وأراد أن يعرف كل شيء عن كل شيء، كي يتمكن من تركيب صورة واضحة ومثلى. ولحسن حظه فقد كان متدربوه من المقاتلين الميدانيين القدماء، فوصفوا له ادق التفاصيل، عن المناطق التي يسيطرون عليها، واساليب وصور المعارك التي خاضوها، وبنية الوحدات العراقية واسلحتها، واساليب قتالها.

واشار الاكراد الى اسلوب شائع الاستعمال بالنسبة لهم. فهم مثلا، ينسحبون من منطقة وعرة ويصعب الوصول اليها، وينتشرون في منطقة مرتفعة تسيطر على منطقة الانسحاب، وحينما يأتي الجيش العراقي ويحتل تلك المنطقة، ويبدأ في التمركز فيها، تحين لحظة القصف من رؤوس الجبال.

وعرف الاسرائيليون ايضا، ان لهذا الاسلوب تأثيرا مدمرا جدا على معنويات الجيش العراقي، مما اضطره في النهاية لتخصيص قوات كبيرة جدا لحماية مفترقات الطرق، وطرق الامداد.

وهناك اسلوب اخر يستخدمه الاكراد وينقسم الى مرحلتين، في المرحلة الاولى تتم السيطرة نهارا على مناطق تطل على الاهداف المراد احتلالها. وفي الليل تتم مهاجمة الاهداف نفسها والاستيلاء عليها بما فيها ارسال انتحاريين لفتح ثغرات في الحقول والاسيجة الملغومة كي يعبر المقاتلون على جثثهم. وقد اتسم هذا الاسلوب بسقوط عدد كبير من الضحايا.

واكثر المقاتلون الاكراد من الحديث عن مواقعهم العسكرية، والتي لم تكن في حقيقة الامر مواقع بقدر ما كانت عبارة عن مساكن مبنية من الحجارة والاخشاب منخفضة الاسقف، وقائمة في اماكن محمية طبيعيا، مثل مدرجات الجبال والدروب المخفية بين التلال، ويتم اغلاق هذه المنازل بصورة جيدة جدا من

الداخل كي يتمكن المقاتلون من الصمود في وجه البرد القارس وعندما كان الثلج ينزل على المنطقة، كانت تلك المنازل تختفي تحته بصورة تجعل من الصعب جدا اكتشافها، حتى من مسافة قليلة جدا.

ويسكن في مجموعة منازل من هذا القبيل خمسون مقاتلا تقريبا، ويقوم بعضهم باحتلال اماكن مراقبة دائمة، بيد ان ظروف المنطقة الطبيعية جعلت من الصعب ملاحظة اقتراب العدو. وكان (الجحوش) يدركون ذلك، لذا كانوا يضايقون سكان تلك المنازل دائما بهجماتهم.

وجاء الاقتراح بهذا الصدد بسيطا للغاية، ويتمثل في الخروج من اطار المنازل، وارسال قوات صغيرة الى طرف الوصول الى المنازل، واكتشاف العدو قبل ان يستعد للهجوم.

وفي يومياته، كتب تسوري قائلا: ان الاسلوب المعروف لدينا للهجوم وانجاز الحسم غريب عليهم نهائيا كما اننا لم نعثر على اي اسلوب من اساليب الدفاع المعروفة في مواجهة الجيش العراقي، ويرجع ذلك لان البرزاني يؤمن بأنه لن يستطيع مواجهة الجيش العراقي ونظرا لاننا لم نكن نعرف المنطقة الكردية، فقد تخيلنا الجيش العراقي شبيها للجيش العربي المعروف لدينا. وعرفنا ايضا ان الجيش العراقي اعتاد شن هجوم في الربيع في اعقاب ذوبان الثلوج، كما عرفنا ان المنطقة التي تجري فيها المعارك مليئة بالمغازات الصخرية الضيقة والطويلة، والتي تستمر من الشمال الى الجنوب، وترتفع من الغرب الى الشرق، حتى تصل الى ارتفاع اربعة الاف متر، وعلى المنحدرات، وفي منتصف الجبال، هناك كم هائل من الغابات الكثيفة وخصوصا، اشجار البلوط والسنديان، وممرات ضيقة فاصلة بين الصخور، ولا يمكن للمدرعات والمدفعية ان تتحرك الّا فيها.

وخلص الاسرائيليون الى استنتاج مفاده أن الجيش العراقي لا يستطيع دخول المنطقة، الا عبر طريقين الاولي محور (رواندوزر حاج عمران) وهي المنطقة التي يتمركز فيها التمرد، واخرى على طول نهر الزاب الصغير، وغور القلعة ديزه، وبحيرة دوكان. واحتلال احدى هذه الطرق كان يؤدي الى فصل كردستان الى قسمين، ويقطع طريق الامدادات الكردي.

وفي اعقاب دراستهم لساحات الميدان، خلص تسور الى استنتاج مفاده، ان بمقدور الاكراد الصمود امام هجمات الجيش العراقي، في المناطق الجبلية، لكنهم سيواجهون صعوبة بالغة في مواجهته في المناطق التي يسهل وصول الدبابات اليها،

لذا من غير المجدي تحسين اساليب القتال الكردية في مجال الحروب الصغيرة - حرب الغوار والتي تم رفع لوائها منذ بداية التمرد. ومن الافضل تعليم الاكراد اساليب الحرب الدفاعية الواسعة توطئة للهجوم المحتمل في الصيف القادم، مع اشتمال هذه الاساليب على نظرية مهاجمة المطارات، والمنشآت النفطية.

وازاء هذه الاستنتاجات، وبالاعتماد على خريطتين طوبوغرافيتين احداهما بريطانية والاخرى امريكية، بنى الاسرائيليون طاولة من الحجارة، وشرعوا بممارسة العاب الحرب عليها. وسرعان ما اتضح لتسوري ان المقاتلين الايرانيين، ورغم وجود عدد كبير من الاميين في أوساط الاكراد، الا ان قدرتهم على الاستيعاب العسكري افضل من المتدربين الايرانيين.

وفي نهاية الدورة اراد تسوري اجراء مناورة بالنيران الحية، لكن الاكراد رفضوا ذلك، بيد ان تسوري الذي كان يعتقد ان هناك اهمية بالغة لهذه المناورة لتهيئتهم للممارسة الفعلية، وارسل رسالة الى مسؤولية في اسرائيل بهذا الصدد، وفي نهاية المطاف تم العثور على منطقة جبلية في شمال اسرائيل وتم نقل المتدربين اليها بطائرة (ستارتوكروزر) التابعة للجيش الاسرائيلي، وتم اسكانهم في فندق قريب من المكان.

ويقول تسوري: قمنا بمناورات دفاعية بالنار الحية على نموذج منظومة دفاعية، وشاركت وحدات الجيش الاسرائيلي في اطلاق النار.

وفي نهاية الدورة اصطحب تسوري متدربيه في جولة في اسرائيل، واحيى حفلا حضره رئيس الاركان آنذاك اسحق رابين.

ويقول (برينج) لقد ادركنا من البداية انهم لن يصبحوا بكفاءة الجيش الاسرائيلي، لذا يجب العمل على اكسابهم اقصى ما نستطيع من معرفة الجيش الاسرائيلي مع ملاءمة ذلك مع الوسائل والمعدات الموجودة بحوزتهم، حتى يتمكنوا من الدفاع عن مناطقهم، ومهاجمة التجمعات العراقية الصغيرة، واقلاقهم بصورة دائمة بعمليات التخريب.

وفي اذار ١٩٦٦، عاد المتدربون الاكراد الى بلادهم من اسرائيل، وتوجهوا مباشرة الى ساحات القتال.

الفصل الحادي عشر

يوميات الحرب ١٩٦٦
من اليأس الى النصر

توجه اربعة اسرائيليين في اذار ١٩٦٦ نحو كردستان، وهم: كرون و (م) الذي كان يحتل مكانة كرون في طهران، وتسوري ومساعده الفني، وقد نقلهم في السيارة السائقان الايرانيان (رجبي وكاسري) اللذين كانت المخابرات الايرانية قد اختارتهما بعناية بالغة لنقل المسؤولين الاسرائيليين من ايران الى كردستان.

كان من المفروض ان يستقبل البرزاني الوفد الاسرائيلي، لكن الوفد علم لدى وصوله ان البرزاني موجود في جبهة بنجوين في القاطع الجنوبي من كردستان لادارة معارك خاطفة ومقلقة للايرانيين، وسوف يعود بعد اسبوع.

وقد شعر الاسرائيليون بالدهشة لخروج البرزاني من المنطقة في هذا الوقت الحاسم الذي يعد فيه العراق العدة لهجوم الربيع، لكنهم لم يتلقوا اية تفسيرات لذلك.

****

كانت جميع المعلومات الاسرائيلية حتى ذلك الحين حول البرزاني وعائلته والزعامة الكردية مستقاة من الانباء التي توردها الصحف والمقابلات التي تجريها معهم، والتقارير التي يوردها من تقابلوا معه وجها لوجه، ومن المعلومات الاستخبارية بيد ان تاريخ حياته لم يكن قد دون، وكل معلومة كانت مهمة جدا، وعلى هذا الصعيد قدم (كروني) معلومات شديدة الاهمية جراء الصداقة الوطيدة التي اقامها مع شمس الدين المفتي الممثل الكردي في طهران، الذي كانت مسألة معالجة الجرحى والمرضى والاهتمام بامورهم احد الجوانب المهمة من المهام الموكلة اليه، بما فيها نقلهم الى المستشفيات واعادتهم الى بلادهم، وكذلك بتدبير جوازات سفر للاكراد الذين يتم ارسالهم من قبل الزعامة الكردية الى الخارج. وكانت هذه الجوانب من عمله محبطة جدا له، لانها لم تتح له فرصة اخراج طاقاته الى حيز التنفيذ الفعلي. ومما زاد في عزلته واحباطه الذاتي وفاة زوجته الايرانية بعد ان انجبت له ابنة، وارساله اياها الى منزل والدته في اربيل، الامر الذي جعله يجد في كرون صديقا يبثه همومه، ويتحدث معه في جميع القضايا والموضوعات.

ويقول كرون: لقد عرفت من المفتي الكثير جدا من المعلومات حول

القيادة الكردية وشخوصها ورموزها، بل ان ما عرفته منه كان اكثر مما عرفته من اي شخص أخر.

ويقول فرهد البرزاني، حفيد البرزاني: لقد كانت وفاة والد البرزاني عادية، والبرزاني لم يتجاوز شهور عمره الستة. ومن الجدير بالذكر ان البرزاني قال للاسرائيليين الذين اطاحوا به الكثير من الامور المختلفة حول موت والده.

ويقول كرون ان البرزاني قال له: ان الاتراك اعدموا والده شنقا حينما كان طفلا، وقد تربى الملا مصطفى في احضان شقيقه الاكبر الشيخ احمد. وكان مصطفى يتمتع في صغره بقوة جسمانية كبيرة.

وفي رواية اخرى يقول البرزاني لمستشار اسرائيلي اخر هو اليشع روئي الذي رافقه عام ١٩٦٦: عندما اعدم الاتراك والدي كنت لا ازال في رحم امي، وفي اعقاب ولادتي حظيت بمعاملة خاصة، ودللتني امي واخي كثيرا وكان اخي الشيخ احمد آنذاك في الخامسة عشرة. وعندما بلغت السادسة من العمر طلبت من شقيقتي الكبيرة ان تحضر لي ماء، فقالت لي انت كبير بما فيه الكفاية كي تشرب وحدك، فرشقتها بحجر وشججت رأسها.

ويقول البرزاني لكرون ولروئي: حاول البريطانيون كسبي الى جانبهم باسلوب غير عادي، حيث زوجوه من امرأة بريطانية هي شقيقه احد ضباط المخابرات الذين عملوا في العراق في الثلاثينات. وقد سحرت تلك المرأة بحياة القبيلة التي كان يعيشها، وانجبت له ابنا، وفي احد الايام اختفت هي وابنه من حياته الى الابد. وهناك رواية تقول انها قتلت في حادثة طائرة بينما كانت في طريقها الى بريطانيا كي تضع ابنها. ويقول البرزاني ان ذلك الحادث كان حادثا سياسيا.

وفي اعقاب وفاتها تزوج البرزاني ثلاث نساء كرديات اخريات، انجبن له تسعة ابناء وخمس بنات. فانجبت له الاولى المسماه (محبوب) ابناءه عبيدالله ولقمان وصابر، وبنتين والثانية (حافص) انجبت له ادريس وابنة اخرى والثالثة (حمايل) وهي اصغرهن واحبهن الى نفسه، فقد انجبت له مسعود ودلشاد، وسيداد وشيهاد وفاجي، وبنتين.

لم يكن البرزاني راضيا عن ابنه عبيد الله، ويقول كروني ان عبيد الله كان من الشخصيات البارزة في قيادة التمرد عام ١٩٦١، ويحظى بشعبية كبيرة، ثم تورط في علاقة حب مع فتاة اشورية، ونتيجة لذلك قام بقتل زوجته ابنة عمه

احمد. وحينما شاعت هذه الرواية فر الى بغداد اخذا معه جميع المال الذي كان في خزينة التمرد، والمقدر بثلاثة الاف دينار. وفي بغداد توجه عبيدالله الى سفارة الاتحاد السوفياتي، وطلب السماح له بالدراسة في موسكو، فاستجابت السفارة له -على ما يبدو على ارضية الاحترام الذي كانت تكنه لوالده- وهناك سرعان ما اتضح انه ليس مهتما بالدراسة. وقد انتقل الى براغ، ومنها الى (فينا)، وعرض خدماته على الامريكيين، بيد ان المعلومات التي كان يحملها لم تعجب وكالة المخابرات الامريكية (سي آي ايه) وسرعان ما ادرك الامريكيون تقلبه وسلموه الى الايرانيين.

ويقول كرون: حكم البرزاني على ابنه بالاعدام، بيد ان عمه احمد، والد زوجته تدخل لدى والده لينقذه من هذا المصير. وتمكن من انتزاع وعد منه بعدم قتله، لكن البرزاني وضعه رهن الاقامة الجبرية.

ويقول الدكتور نجم الدين كريم: ان عبيد الله لم يستطيع تحمل هذا الوضع، وكثرت محاولات الاغتيال بين الابن وابيه، مما اضطر عبيدالله في نهاية المطاف للهرب الى عمه احمد.

بيد ان قصة عبيدالله لم تنته عند هذا الحد، فقد عمد فيما بعد، لخيانة والده والانضمام الى العراقيين.

كان الدكتور محمود الذي اشرنا اليه انفا احد الشخصيات المقربة من البرزاني، ويقول كرون، كان الدكتور محمود شخصيه ذؤوبة ماهرة، وقد تمكن من تعلم الفارسية والفرنسية اضافة للعربية والانجليزية بقوته الذاتية. وكان الدكتور محمود يدير العلاقات الخارجية للتمرد. وكلف بالقيام بمهام في اسرائيل وايران، واوروبا الى الولايات المتحدة.

ويضيف كرون: كان البرزاني وابناه القريبان جدا منه ادريس ومسعود يؤمنون ايمانا كاملا بان اسرائيل هي التي ستجلب لهم الخلاص باعتراف الولايات المتحدة بهم، كان الدكتور محمود يحمل وجهة نظر براجماتية جدا، وكان يعتبر اسرائيل "شرا لا بد منه" ويستحيل مواصلة العمل دونه.

ويقول كروني: لقد ولد البرزاني كي يكون زعيما، ولا شك ان كل من اقترب منه شعر بالسطوة التي كان يفرضها على من حوله. وكان يجمع بين الميزتين، فهو رجل عسكري عديم الرحمة، وفي نفس الوقت هو آب رحيم وشديد الاهتمام بمن حوله.

وكان البرزاني يجيد الكردية والعربية والفارسية، رغم انه اكتسف ثقافته بـاللغة العربيـة، كما انه اكتسب قدرا كبيرا ايضا من اللغة الروسية، ابان تواجده في روسيا.

****

ادرك كرون والاسرائيليـون أن البـرزاني كـان يدير التمـرد مـن ثلاث بـؤر رئيسية: فخلال الصيف كان يتواجد في "الحاج عمران" القريبة جدا من الحدود الايرانية، والتي كانت في السابق تستخدم كمنتجع صيفي لاثرياء العراقيين وعلى رأسهم الملك ومقربوه، ورؤساء حكومات ووزراء وقادة جيوش، وكانوا يسكنون في منازل من الحجر، بينما الثلوج الابدية على رؤوس الجبال حولهم توفر لهم رياحا لطيفة منعشة.

وفي الشتاء كان البرزاني يسكن في قرية "دلمان" التي تبعد حوالي اربعين كيلومترا عن "الحاج عمران" وكان وضع هذه القرية الجغرافي يجعلها محمية من هبوب الرياح الشديدة.

وبالقرب من "الحاج عمران" و "دلمان" كان المكتب التنفيذي للتمرد الكردي يقيم مقره، والذي يعتبر بمثابة المجلس الثوري والذراع التنفيذي وكذلك البرلمان الذي بدأ عمله عام ١٩٦٩، وبلغ عدد اعضائه اثنين وستين شخصا، والذي يضم ممثلا عن (الباش مرجا)، والحزب الديمقراطي الكردي، وقبائل وجهات مستقلة.

وعملت اللجنة التنفيذية كحكومة كردية، وبلغ تعداد اعضائها سبعة عشر عضوا، كانت لديهم صلاحيات واسعة، كالاشراف على (الباش مرجا)، التي بلغ قوامها عام ١٩٦٦ اربعة عشر الف مقاتل، والادارة الشاملة للمناطق الكردية في كل ما يتعلق بالقضاء والضرائب والشرطة والسجون. واستعانت اللجنة التنفيذية بجهاز مخابرات سري، وصحيفة ومحطة اذاعة.

وبدا واضحا للاسرائيليين ان مصدر الصلاحيات الوحيد هو البرزاني، الذي كان يحمل لقب رئيس المجلس الثوري ورئيس الحزب الديمقراطي الكردي.

وبين الفينة والاخرى كان البرزاني يضطر لمواجهة مشكلة داخلية خارجية، فسواء اكان ذلك برغبة ايران او رغبة منه، تسلل خصمه اللدود طالباني مع ثلاثمائة من مؤيديه الى كردستان العراقية. وقد امر البرزاني الذي شعر بالغضب الشديد جراء ذلك - بارغام الطالباني على البقاء في قرية (دولروجه) الواقعة على

بعد حوالي مائة وعشرين كيلومترا من قيادة التمرد، تحت حراسة شديدة.

ويقول البرزاني: كانت هذه العملية بمثابة مؤامرة ايرانية ترمي للسيطرة على التمرد الكردي، وادارته وفقا لاحتياجات الشاه. ورغم ان قسما لا بأس به من العائدين انضم الى (الباش مرجا) دون اية شروط هذا في حين خضعت النواة الصلبة منهم لرقابة متشددة، ورغم ذلك لم يشعر البرزاني بالارتياح، ولم يطرأ اي تغيير على عداوته للطالباني.

اكتشف المستشارون الاسرائيليون ان فروع الحزب الديمقراطي الكردي منتشرة في جميع انحاء التجمعات الكردية، وتقوم بالعديد من المهام: اجراء الاتصالات مع الجهات المعادية للنظام العراقي، وجمع اموال التبرعات، وجمع المعلومات والمعطيات وغيرها.

كان الجهاز الطبي لدى الاكراد يثير الكثير من القلق، حيث لم يكن لدى المتمردين سوى ثلاثة اطباء فقط، وقد عمل بعض المرضين كأطباء اذ لم تكن هناك خيارات اخرى امامهم. وتم الاعلان عن بعض المنازل كمستشفيات لمتابعة الحالات التي تحتاج الى نوم، كان احتياط الادوية مكبلا جدا، وبدا ان هناك نقصا في اقراص المضادات الحيوية، والمهدئات، هذا في الوقت الذي كان الكثيرون يعانون من امراض مزمنة جراء المكوث زمنا طويلا في أماكن رطبة ويكثر فيها بخار الماء.

****

بدا هجوم الربيع العراقي على الابواب، واكد الاكراد للمستشارين الاسرائيليين ان هدف الهجوم هو محور رواندوز (الحاج عمران) مثلما كان تسوري ساجي قد قدر مسبقا. وكان الاسرائيليون قد خرجوا في جولة استطلاعية الى هذا المحور منذ اليوم الثاني بوجودهم في كردستان، ويبلغ طول هذا المحور ستين كيلومترا تقريبا، وراقبوا مواقع العراقيين في غور رواندوز، وسمعوا ايضاحات من ادريس والبرزاني ومن قائد القوات الكردية الميداني.

عرض تسوري عليهم خطة دفاع وتصد وهجوم وفقا للخطوط التي تدرب عليها خلال دورة "المربية الجيدة".

ويقول تسوري: سمينا النظرية التي بلورناها نظرية (برنو). وهو اسم السلاح الشخصي الذي يستخدمه الاكراد والذي يجيدون القتال به.

وتقوم خطة الدفاع على احتلال قمم الجبال في اعقاب احتلال المناطق

المسيطرة على طرق الوصول الى تلك القمم. وكان على الاكراد استخدام سرايا قناصة للتغطية على القوات المقتحمة وارغام قوات العدوعلى البقاء في اماكنها. واكد تسوري على انه لن تكون هناك عملية تخندق كلاسيكية، كي لا يلاحظ الطيارون العراقيون والمراقبون بالاستعدادات الكردية، وبالمقابل يجب على قادة القوات ان يلجأوا الى استخدام التضاريس الطبيعية الى اقصى حد ممكن من اجل الاختباء.

* *

ويقول تسوري حول اول لقاء له مع البرزاني: كان منظر البرزاني رهيبا وهو قادم من بنجوين يخب فوق حصان ذي لون رمادي، ومحاطا بعدد كبير من المقاتلين الذين يمتطون البغال، وكان يرتدي الزي الكردي، ويتمنطق بخنجر كبير مذهب، ويحمل بندقية طويلة الفوهة وقدرا كبيرا من العيارات النارية.

وفي البداية تعامل البرزاني مع المستشارين الاسرائيليين بتردد، وعلى وجه الخصوص مع المستشار العسكري، والذي بدا وكأنه تحد لقيادة البرزاني وقدرته العسكرية.

كان الاسرائيليون يعلمون بحجم المرارة التي يعاني البرزاني منها، والمشاكل التي واجهها على الصعيدين الداخلي والخارجي، لذا امتنعوا عن ممارسة اية ضغوط عليه، بل اللجوء الى اسلوب الاقناع والنقاش. وفي اول نقاش يجري بين البرزاني والمستشارين الاسرائيليين سمعوا منه امورا مقلقة للغاية.

فالوضع الاقتصادي الصعب، كان يلحق اضرارا جسيمة بالتمرد، ~~فارساليات الاسلحة التي خصصت لرفع كفاءة القتال والقدرة التنفيذية، زادت عدد~~ المقاتلين، واثارت في نفس الوقت مشكلة الحاجة الى الاغذية والملابس، واطعام عائلات المقاتلين هذا في نفس الوقت الذي كان فيه الانتاج الزراعي في كردستان ضعيفا بسبب تواصل القصف العراقي.

ورغم ان اكراد ايران وتركيا كانوا مرفهين واثرياء، الا انهم لم يمدوا يد المساعدة الى اخوانهم اكراد العراق. وجرى تأجير مساحات شاسعة من الاراضي التي تمت مصادرتها بالقوة من قبائل الجحوش او الاراضي الحكومية، مقابل تزويد الفلاحين للمتمردين بقسم من المحصول، مع تعهد زعامة التمرد بشراء الباقي، ورغم ذلك ظل الانتاج ضعيفا.

كان تأثير الوضع الاقتصادي لدى المتمردين صعبا للغاية، الى الدرجة

التي جعلت البرزاني يستجيب للاغراءات الايرانية، فمقابل تعهد الايرانيين بتزويده بمبلغ نصف مليون دينار نقدا. وزيادة المساعدات المالية الشهرية، امر البرزاني بشن هجوم على المواقع العراقية في جبل (بنجوين) الواقع في الجنوب، في كانون الاول ١٩٦٥، وذلك بعد ثلاثة اشهر من اضطرار المقاتلين الانسحاب منه.

لم يدفع الايرانيون للبرزاني سوى نصف المبلغ المتفق عليه، ورغم ذلك، كان كافيا لتمويل المتمردين لعدة اشهر، لكن الاموال سرعان ما تبخرت، كما تبخرت المبالغ التي تلقوها من اسرائيل وايران، وعلى وجه الخصوص في اعقاب سقوط القلعة (ديزه) في ايلول ١٩٦٥، فقد احتفظ الأكراد بكمية كبيرة من (التنباك) في تلك المنطقة لبيعه الى ايران بثمن خاص، لكن الايرانيين تلكأوا في الشراء، مما جعل الكمية تسقط في ايدي العراقيين.

كان ذلك التلكؤ الايراني حلقة من سلسلة طويلة اثارت العديد من التساؤلات وجعلت الاكراد يخلصون الى استنتاج مفاده ان طهران لن تسمح للتمرد بأن ينتهي، لكنها في نفس الوقت ستجعل حياة المتمردين صعبة للغاية، لقد احكم السافاك قبضته في تعامله مع الاكراد، ونفذ الوعود التي قطعها على نفسه بصورة جزئية.

ويقول كروني: ان السبب الرئيسي الذي جعل ايران تتصرف على هذا النحو هو خشية ايران من الاقلية الكردية الايرانية، ومن ان تنساق هي الاخرى في اطار التمرد.

ويقول كروني لقد تجسد هذا الوضع في اجلى معانيه عندما فر احد زعماء الاكراد الايرانيين الى المناطق التي يسيطر عليها البرزاني، وطلب البقاء هناك، وقد طالبت ايران باعادته وتسليمه اليها، وهددت بأنها ستقطع صلاتها بالاكراد اذا لم يقم البرزاني بذلك. وهكذا وجد البرزاني نفسه في وضع لا يحسد عليه، وقرر حل هذه المشكلة باسلوب فظيع للغاية، حيث امر باعدام الهارب، وتسليم جثته للايرانيين فالبرزاني لم يكن يرغب في خلق سابقة للتسليم، وفي نفس الوقت لم يكن يسمح لنفسه بقطع علاقاته مع الايرانيين.

ادت الازمة الاقتصادية الخطيرة التي انتابت الاكراد الى احداث اثار حاسمة على (الجحوش)، فاضافة الى الازمة الاقتصادية التي كانوا يعانون منها، ادركوا ان العراقيين يعدونهم كي يكونوا طعاما للمدافع في حربهم مع اخوتهم الاكراد، لذا بادر العديد منهم الى الفرار، والالتحاق بصفوف البزاني، لكن

البرزاني لم يكن قادرا على استيعابهم بصورة معقولة، لذا تم منحهم لقب "الجحوش الجيدين" وخصوصا لانهم زودوا قوات البرزاني بذخائر سوفياتية، مصادرها من مخازن الجيش العراقي.

* * * * * * * * * * * * * * * *

وقال البرزاني للمستشارين الاسرائيليين ان تحت امرته اثني عشر الف مقاتل، موزعين الى الوية اقليمية. وكانت هذه الالوية على استعداد لتزويده بالف مقاتل للعمليات الخاصة التي يقودها البرزاني بنفسه. وكان البرزاني يدير الجهاز المقاتل ومن بعده كريم والدكتور محمود وادريس ومسعود.

اقترح الاسرائيليون على الاكراد ان يقوموا باعداد عبوات جانبية ضخمة تتمثل في براميل كبيرة ملأى بالاحجار الكبيرة والمتفجرات، والتي يؤدي انفجارها الى سد طرق الوصول الى المواقع. وقد قبل البرزاني الاقتراح بسرعة، وكلف الملازم اول طهار احد الذين خاضوا الدورة التي عقدها تسوري تحت اسم "المربية الجيدة" مسئولا عن هذه البراميل، كما كلف احد طلبة الدورة الاخرين المدعو يوسف جميل بالاشراف على عملية تصنيع قنابل يدوية محلية، بعد ان اكتشف ان احتياط القنابل اليدوية قد استنفذ بالكامل، كما تعلم الاكراد تفكيك الالغام العراقية، ونقلها الى اراضيهم ودرس البرزاني امكانية تدمير مبان حكومية وعسكرية، بما فيها منشآت نفطية. لكن تفكير البرزاني كان في تلك الاونة منصبا على الهجوم الذي يخطط له العراقيون تحت اسم "نعتمد على الله" وكان يعلم ان رئيس الحكومة العراقية الجديد عبد الرحمن البزاز يعارض العملية. وكان البزاز، قد حل في ايلول ١٩٦٥ محل طاهر يحيى، واعتقد باستحالة انهاء المشكلة الكردية بضربة واحدة، وحاول التوصل الى تفاهم، بيد ان قوة الجيش في ذلك الحين كانت كبيرة، واعتقدت هيئة الاركان العراقية ان بمقدورها اهارة التمرد عن طريق استخدام قوات وكثافة نيرانية كبيرة تجعل بالامكان التغلب على ساحة القتال الجبلية الصعبة.

وفي اذار ١٩٦٦ بدأت الوية المدرعات والمدفعية بالتحرك باتجاه خطوط الجبهة بهدف الاستيلاء على نقاط استراتيجة حيوية، وقطع خطوط امداد للاكراد. وكان هدف الخطة احتلال قاطع يتكون من خمسين كيلومترا تقريبا، ويبدأ من طريق هملتون في شمال العراق.

ويعتبر هذا الطريق اطول طريق رئيسي في كردستان، وهو يؤدي حتى

المرتفعات الايرانية وبحر قزوين، وهي مسماة على اسم المهندس النيوزيلاندي الذي شقها ارتشيبلد ميلون هملتون، والذي عمل في العراق في نهاية العشرينات، وقد تمركزت قيادة البرزاني العسكرية والسياسية في هذا القاطع.

ووضع مخططو الهجوم نصب اعينهم ايضا، هدفا اخر، يتمثل في احتلال طريق بنجوين في منطقة السليمانية الواقعة في الجنوب.

واعتقدت هيئة الاركان العراقية ان العملية ستستغرق شهرا وخصص لها اربع فرق للعمل في اربعة قطاعات.

****

بدأت المعارك في الثامن من نيسان ١٩٦٦، وفي محاولة لابعاد القوات الكردية عن مناطق الاختراق الرئيسية للخطة، ارسل العراقيون لواءا باتجاه الجبال المشرفة على (عقره) القريبة من الحدود التركية، وذلك على افتراض ان مثل هذه الخطوة ستدفع بالبرزاني الى سحب قوات من منطقة راوندوز، وبالتالي يسهل عليهم عملية الاختراق في تلك المنطقة. وفي الثالث عشر من نيسان -اي بعد خمسة ايام من بدء القتال- قتل الرئيس العراقي عبد السلام عارف في حادثة طائرة هليوكبتر، مما ادى الى وقف المبادرة الهجومية حتى اعادة الاوضاع في العراق الى الاستقرار. وبدلا من الرئيس القتيل تولى شقيقه الاكبر، نائب رئيس الاركان عبد الرحمن عارف، والذي كان يعتبر شخصية وسطية تفتقر الى الذكاء والدهاء، الذي يمتاز به شقيقه القتيل.

اعتقد تسوري ساجي، ان هذه المرحلة مناسبة جدا لتطبيق الاساليب التي عملها للمقاتلين الاكراد خلال دورة "المربية الجيدة"، وزرعها كاسلوب قتال لجميع الاكراد، لكن سرعان ما اتضح له استحالة تطبيق مثل هذا الهدف. وكل ما استطاع فعله هو جعل عدة قادة ميدانيين يهضمون الفكرة، على امل ان يورثوها لجنودهم، على المدى البعيد.

وبدأ تسوري يركز كل جهده في تقدير نوايا الحرب العراقية، وفقا للوضع على ارض الواقع، ووفقا للخرائط وخلص الى استنتاج مفاده ان الحرب ستستأنف في غضون فترة قصيرة. وهذا ما حدث فعلا فحتى نهاية شهر نيسان دارت عمليات تبادل قصف مدفعي على طول الجبهة. وفي غضون الاسابيع الاولية تمتع الاكراد بالعابهم الجديدة: الراجمات التي تراوح مداها بين ستة واربعة كيلومترات، والمدفعية ذات العيار ٢٥ رطلا، والتي وصل مداها الى حوالي اربعة عشر

كيلومترا، ومنذ الحادي والثلاثين من نيسان بدأت المدفعية العراقية تمطر الاكراد كما هائلا من القذائف لم يسبق له مثيل، ثم تلتها الطائرات لتقصف المواقع بقنابل النابالم، ثم اختتمت القوات العراقية قصفها بقصف صاروخي دون اي تمييز.

وفي اعقاب هذا القصف تم اكتشاف وجود اربعة الوية عراقية هي الاول والرابع والثالث والرابع عشر، وهي تتحرك في صورة فصائل في وضع هجومي.

وبلغ قوام هذه القوة العراقية اربعين الف جندي، من ضمنهم الفان من الجحوش، هذا في الوقت الذي بلغ فيه تعداد القوة الكردية ثلاثة الاف وخمسمائة مقاتل.

هاجم اللواء الثالث مواقع الاكراد في منطقة (جرو عمر آره) وفي جبل الزوزك. اما اللواء الاول فتمركز في الجبل المذكور، وفي قاطع (اكويان) وقامت الكتيبتان التابعتان للواء الرابع بالمساعدة في الهجوم في منطقة (هندرن)، في حين انتشرت كتيبة ثالثة على جانبي الطريق. وهاجمت قوات اللواء الرابع عشر منطقة القلعة ديزه وايلانه، وثارت شكوك حول اعتزام وحدات من اللواء الرابع التحرك عبر الطرق الجبلية الملتفة حول المنطقة، من الناحية الجنوبية للهندرن، من اجل احتلال قرية (جلاله) من اجل فصل المواقع الكردية الامامية عن غور (رواندوز). ومن الجدير بالذكر انه اتضح فيما بعد ان العملية والاتجاهات للقوات العراقية نفذت بناء على خرائط بريطانية ذات معطيات غير صحيحة.

وفي مذكراته كتب تسوري ساجي حول المعركة التي خاضها:

* الثاني من ايار: تمكنت نيران المدافعين من وقف تقدم المهاجمين في جميع القطاعات. وفي جبل زوزك التي يبلغ ارتفاعه الفا وثمانمائة متر، قامت قوة كردية بهجوم معاكس ليلي، وطوقت اللواء المهاجم والتفت حوله، ونجحت في الوصول الى مؤخرته، وفتح النار عليه، وفي البداية اعتقد العراقيون ان الذي يطلق النار هي قوة عراقية قادمة خلفهم، فأخذوا يصرخون باتجاهها لوقف اطلاق النار، بيد ان صراخهم نجح فقط في كشف مواقعهم، وتمكين الاكراد من قتل جميع اعضاء القوة العراقية الامامية تقريبا.

ويقول القائد الكردي للمعركة: لقد احصينا خمسا وسبعين جثة. وعادت القوة وهي تحمل خمسا واربعين بندقية وثلاثة رشاشات، حيث لم تتمكن من حمل المزيد بسبب نيران العدو.

وفي نهاية اليوم الاول لم ينجح العراقيون في احتلال موقع واحد، مما اضطرهم للانسحاب الى ابعد من مرمى البنادق، والعودة الى اسلوب القصف المدفعي، والجوي.

* الثالث من ايار: قامت القوات العراقية بهجمات على جميع القطاعات، بيد انها لم تنجح في تغيير اي شيء من نتيجة اليوم الاول. وتمكنت احدى سرايا العراقيين، في جبل هندرن من التسلل بين القوات المدافعة والوصول الى رأس الجبل، وفي الصباح اكتشف الاكراد القوة المذكورة، وهاجموها مما ارغمها على الانسحاب مجددا الى اسفل الجبل.

وكما يبدو فان الملا مصطفى البرزاني شعر بالاهانة جراء الاصرار الذي يبديه العراقيون، مما حدا به لالقاء التبعة والتهم على المدافعين، ووصفهم بالاهمال، وبعدم القدرة على مواجهة القوة المهاجمة.

وفي المساء تلقينا اعلاما من جميع القوات تفيد ان الذخيرة من عيار ٧,٩٢ ملميتر قد نفذت، لقد تطلب الضغط العراقي الشديد استخدام الذخائر بكثافة شديدة، وابتلعت الرشاشات المائة من طراز (مج-٤٢) التي وصلت من اسرائيل قبل اسبوعين فقط. من بدء المعارك الذخائر التي كانت موجودة، نظرا لاستخدامها بكامل قوتها.

* الرابع من ايار: اعطيت اوامر الى جميع القوات للقيام بحملة هجوم مضادة على جميع الجبهات، حتى لو تم ذلك بقوات صغيرة.

لقد قام العراقيون بست محاولات هجوم لاحتلال المواقع الكردية، وفي كل مرة كانوا يتراجعون، ويبدأون عمليات التمهيد المدفعية، لبدء الهجوم، من جديد.

وشن العراقيون هجمات جوية فوق الموقع القائم على مداخل محور رواندوز - الحاج عمران، وقامت اربع طائرات بقصف الموقع بقنابل النابالم طيلة النهار، دون ان يسقط قتيل واحد.

* الخامس من ايار: القوة الكردية التي اخلت منطقة (جروعمر آره) تزودت بالذخائر التي جمعتها من هنا وهناك، من الجبهات المختلفة، وشنت هجوما على القوات العراقية لاستعادة موقعها. وقد قتل قائد القوة الكردية المهاجمة، مما اثر على الجبهة بكاملها، بما فيها القيادة الكردية. فيما اصبح وضع الذخائر بائسا للغاية، مما اثار اراء انهزامية بدأت تتحدث عن استحالة الصمود.

كانت اللعبة انذاك، تشبه لعبة العض على الاصابع. ومن هي الجهة التي

ستعرب عن المها اولا، وقد حاول تسوري وبالاستعانة بزملائه، بث روح الصمود في نفوس الأكراد، وجعلهم يقومون بعملية تحليل لمسلكية العدو، وتحركاته.

ويقول تسوري: بدا البرزاني وكأنه يحفظ كل مكان في كردستان عن ظهر قلب، وكان يغمض عينيه، ثم يقول اين موقع هذه القوة او تلك مما ساعد كثيرا في تحديد مكان قوات العدو.

عرض تسوري على البرزاني المرة تلو الاخرى فكرة استخدام خطه (برنو) والتي تنص على ارسال وحدات عسكرية يبلغ قوام كل واحدة منها مائة وخمسين مقاتلا لاحتلال مواقع على قمم الجبال، وفي اسفل جبل زوزك، والهندرن والكورك، ومنطقة جرو عمر آره) بعرض خمسة عشر كيلومترا.

واكد تسوري ان احتلال هذه المواقع سيتم بدون التخندق، بل سيتم الاحتماء في اماكن حماية طبيعية، كما اشار الى اساليب الراجمات في الهجوم والدفاع.

كانت تلك اول مرة يتعرف فيها البرزاني على مخططات عسكرية بهذا الحجم، لذا رد قائلا: رجالي لم يؤهلوا للمواجهة العلنية والجبهوية مع الجيش العراقي، وطيلة حياتنا ونحن نقنصهم ونهرب، واذا ما هاجمنا الجيش العراقي لن نستطيع الصمود، اننا اضعف من ان نتمكن من الاحتفاظ بمنطقة ما امام هجمات الجيش العراقي.

ويقول تسوري: حدث لدى انطباع من اقوال البرزاني يؤكد انه غير معتاد على عمليات تبتعد عن مجال رؤيته، لقد كان على استعداد لخوض عمليات مضايقة، وهجمات بسيطة لكن ليس هجمات شاملة. هذا في الوقت الذي كان قائد القوات يؤمن، ايمانا كاملا، بان توفر مدافع ذات مدى ثلاثين كيلومترا، سيمكنه من احراز انتصار كبير، وكان يقول: ارسلوا لنا مدافع من هذا القبيل.

رد تسوري على هذا الطلب بالقول: المدافع جيدة، بيد انها جزء من الجهاز الحربي الهجومي او الدفاعي، وليست مسألة قائمة بصورة مستقلة. وعاد يكرر محاولاته لاقناع البرزاني بالانتقال الى استخدام اسلوب حرب جديد، وقال: اذا ما شن الجيش العراقي هجمته القادمة، فسوف يتمكن من احتلال الحاج عمران، وبالتالي سيعزل الاكراد، ويحرمهم من المساعدات الاجنبية" وقد رد البرزاني قائلا: هذا صحيح، لكن ليس لدي امكانية للحيلولة دون ذلك وفي الخامس من ايار ١٩٦٦ بدا الاكراد وكأنهم قد سلموا بالوضع الامر الذي شعر

تسوري بالاحباط الشديد.

قال الاكراد للاسرائيليين: لقد حاربنا بأفضل الصور التي استطعناها. ولا نرى اهمية كبيرة لسقوط جبل زوزك... الايرانيون يعرقلون وصول الذخائر الينا، وانتم الاسرائيليون تفعلون كل ما بوسعكم. بيد اننا لا نستطيع فعل اي شيء في ظل الشروط الحالية. ولو اننا كنا ندرك مسبقا ان شروط الحرب ستكون على هذا النحو، لما خضناها بهذه المعايير الواسعة.

يتمتع تسوري باعصاب فولاذية، وسبق له ان خاض معارك عديدة في ظل شروط صعبة للغاية، بيد انه كان يجد نفسه هذه المرة في مواجهة اختبار من نوع جديد. فهو يقاتل على ارض عدو، وبين مقاتلين شجعان على استعداد للموت، بيد انهم ليسوا من النوع الذي كان يعرفه في الوحدات الاسرائيلية الخاصة. لذا كان يقول لنفسه حينما تشتد الاوضاع قسوة: حافظ على اعصابك قوية.

ويقول مسترجعا افكاره: الشيء الوحيد الذي استطعنا عمله هو تشجيع الزعيم بسرد الروايات التي تتحدث عن المعجزات، مؤكدين ان قوافل الامداد، والذخائر ستصل قريبا. وقلنا له ان رئيس الموساد طار الى طهران للعمل على تسريع وصول قوافل الذخائر ومن الجدير بالذكر ان عميت الذي كان في تلك الاونة متوجها الى دولة اسيوية هبط في طهران بناء على طلب من بعثة الموساد هناك للعمل على تسريع ارسال الذخائر.

وفي ظل هذا الوضع الاسود، بدا قبس من الضوء، عندما تمكنت احدى قوافل الذخائر والسلاح من الوصول الى هدفها حاملة معها ذخائر من عيار ٧,٩٢ ملميتر للبنادق والرشاشات، ومدفع من عيار ٢٥ رطلا، وراجمات من عيار ٨١ و ١٢٠ ملميترا وقنابلها اسرائيلية الصنع. وحال وصول القافلة المذكورة عمت الفرحة الجميع، وانقلبت الامور رأسا على عقب.

وفي الثامن من ايار كتب تسوري في يومياته: قدرنا ان شن هجوم ضد اللواء الرابع هو وحده الكفيل بافقاد العدو توازنه وبالتالي وقف هجماته لفترة ما. وقد اقترح البرزاني ان تقوم بعزل معبر (جلي علي بك) في الشمال. بيد ان هذه العملية كانت تتطلب توفر الف مقاتل اخر، وطلب اذن للعبور في المنطقة المحايدة -برزان- والتي كان يترأسها شقيق البرزاني الشيخ احمد. وقد بدت الخطة لنا غير عملية.

وفي التاسع من ايار، ارسلت قوة فارس قائد منطقة اربيل والتي يبلغ

قوامها مائتين مقاتل لمهاجمة المنشآت النفطية، والقطار وجسور الطريق القائم فوق الزاب الاصغر، وذلك بهدف دفع العراقيين الى سحب قوات من الجبهة.

واصل الجيش العراقي هجماته، وقامت الطائرات بقصف محور الحاج عمران، وموقع اللجنة التنفيذية للحزب الديمقراطي الكردي.

وفي الحادي عشر من ايار تمكن الجيش العراقي من احتلال منطقة (جرو عمر) وجميع المواقع القائمة على منحدرات جبل زوزك.

شارك اللواء الخامس الذي كان يتمتع بسمعة حربية كبيرة في القتال، وتمكن من الوصول الى منتصف الجبل، وواصل تقدمه باتجاه القمة. وبدأ البرزاني يخشى سقوط جبل الزوزك، وتوجه البرزاني لتشجيع القوات. وخرجت باستنتاج مفاده اذا لم يتم القيام بهجوم مضاد من قبل الاكراد فان من المحتمل ان يسقط الجبل كله.

* * * * * * * * * * * * * * *

ويقول تسوري: شعرنا بأننا زججنا بانفسنا في معركة كبيرة جدا مقارنة بالوسائل المتوفرة لدينا، وكانت الامال التي يعلقها الاكراد علينا كبيرة جدا، لذا شغلنا انفسنا بطرح العديد من الافكار والاراء.

وكانت هناك، ايضا، اخطار سقوط المستشارين الاسرائيليين في اسر العراقيين، وبناءا على ذلك قام (م) وتسوري وزملاؤهم باعداد خطة فرار الى ايران، وقرروا استخدامها فقط بعد ان يتم استنزاف جميع خيارات التصدي للعراقيين وايقافهم. لكن العراقيين اتاحوا للاكراد فرصة الخروج من الازمة.

* ويقول تسوري: في الثاني عشر من ايار: وقع اختيارنا على اللواء الرابع كهدف نضربه من اجل تخفيف العبء الواقع على الاكراد. وكان من الواضح ان وضع هذا اللواء صعب. فقد كان يتقدم على طول سلسلة جبلية تقود نحو قمة جبل هندرن، ومن جانبي هذه السلسلة كانت هناك مناطق مرتفعة، ولم يكن هذا اللواء يكف عن طلب الاسناد المدفعي، والجوي. وقامت القوة الكردية بانتظار اللواء في مكان معين، وعندما وصل الى تلك المنطقة اقترحت شن هجوم مضاد عليه.

كان هناك موقع كردي يعرقل تقدم اللواء الى النقطة التي اعددنا الهجوم فيها، فوجهنا اليه امر بترك اللواء يمر، بيد ان قائد القوة رفض الانصياع للامر، فهو لم يفهم لماذا يجب ان يتراجع ويدع القوة تمر في الوقت الذي ينفذ مهمته

على افضل وجه، وعلى اتم الاستعداد لتنفيذ شعار (الباش مرجه): "نحن على استعداد للموت".

توجهت انا و(مورخان) وهو ضابط كردي رفيع من المقربين للبرزاني الى الموقع، وبعد جهد جهيد اقنعنا قائده بالتراجع، بعد ان وجه الينا نظراته شذرا وقال: تذكروا انكم انتم الذين ارغمتموني على الانسحاب.

دخل اللواء العراقي الى منطقة الموقع الذي تم اخلاؤه. كان قوامه حوالي اربعة الاف جندي، مسلحين بصورة جيدة، ولديهم عدد كبير من البغال، والمدافع.

سار اللواء العراقي في شبه نصف دائرة، وطوابير جنوده متراصة بشكل متقارب جدا، بينما الاسناد اللوائي، وقيادة اللواء تغطيه من الخلف.

بدأت القوات الكردية بقيادة قائد الهندرن فاخر محمد البرزاني تقترب من القوة العراقية من ثلاث اتجاهات، وقد قسمت نفسها الى اربع وحدات يبلغ عدد كل واحدة مائتين وعشرين جنديا بهدف التوغل الى داخلها، وفي نفس الوقت قامت قوة قوامها ثلاثين جنديا برئاسة الرقيب يونس بحركة التفاف واسعة، بهدف احتلال قيادة اللواء، والامساك بقائد اللواء حيا، لاسباب نفسية واسخبارية.

وعندما دخل اللواء منطقة المصيدة، وجهت اليه جميع النيران المتوفرة في الجهاز الدفاعي، بما فيها المدفعية التي هي عبارة عن اربعة مدافع من عيار خمسة وعشرين رطلا، وراجمتين من عيار ١٢٠مم وسبع راجمات من عيار ٨١مم. ولا شك ان قوة هذه الاسلحة المدفعية لم تكن كبيرة، خصوصا اذا ما اخذنا بعين الاعتبار الكثافة المدفعية النيرانية التي كان العدو يستخدمها، بيد ان الظروف التي استخدم فيها كانت تجعله اسنادا هائلا اكثر بكثير من قوته الحقيقية.

* *

لم تكن هناك اوامر قيادية مسبقة للقوات، بل كانت الاوامر تعطى اثناء الهجوم. بيد ان هذه المرة كانت المرة الاولى التي يستخدم فيها الاكراد مثل هذه الكثافة النيرانية والمدفعية قبل الهجوم. اضف الى ذلك انها كانت المرة الاولى التي يشعرون فيها بمدى جدوى نقل الاوامر بالراديو اثناء القتال.

وبعد نصف ساعة من القصف المدفعي انف الذكر، فوجىء العراقيون بالهجوم الكردي الذي لم يسبق له مثيل بالنسبة لهم، وقد استخدم المقاتلون في البداية البنادق، ثم لجأوا لاستخدام المدافع الرشاشة البريطانية من طراز

(سترلينغ)، وكالوا للعراقيين ضربات دون رحمة.

قامت القوة بقيادة يونس بتطويق قيادة اللواء، بيد انها لم تستطع القاء القبض على قائده حيا، ولا شك انه لولا هذا الامر لما تمكن القائد من الفرار ولما قتل يونس. فقد اتاح الامر للقائد الفرصة ليهرب، وقتل يونس وهو يطارده على بعد عدة عشرات الامتار من القاء القبض عليه.

استغرقت المعركة ساعة كاملة لم يبق في نهايتها اي جندي من جنود العدو على قيد الحياة باستثناء خمسة اسرى، وبعض الجنود الذين تمكنوا من الفرار.

اما قائمة الغنائم الجزئية، فقد شملت ستة مدافع جبلية من عيار ٧٥ ملم، واربعة مدافع غير مرتدة، وثلاث راجمات بريطانية من عيار ثلاثة انشات، واربع راجمات من عيار ٨١ ملم امريكية، وخمسة رشاشات متوسطة من طراز (فيكرس) وخمسة واربعين مدفع (برن) والف بندقية من طراز موزر، وثلاثمائة مدفع رشاش من طراز (سترلينغ). وستة واربعين جهاز اتصال، وجهاز اتصال للاسناد الجوي، وستة الاف بطانية، وكميات كبيرة جدا من الذخائر.

قدر عدد القتلى والجرحى الاكراد بمائة وخمسين شخصا، هذا في حين بلغ عدد القتلى العراقيين الفين وخمسمائة شخص.

وفي التصريح الذي ادلى به مسئول عراقي لمجلة "ميدل ايست جنرال" قال: الاسلحة التي تم ضبطها لدى الاكراد خلال العملية كانت تحمل علامات ورموز الصناعات الاسرائيلية.

وفي الثالث عشر من ايار كتب تسوري في يومياته: لقد تمكن العدو من الوصول الى قمة جبل زوزك، وواصل الهجوم. وفي الهندرن ركز جميع الاسناد المدفعي الذي استطاع تشغيله وقام بمحاولات لتخليص فلول اللواء الرابع بدون اية نتيجة تذكر.

قام الجيش العراقي بعمليات انتقامية واسعة النطاق بالطائرات، التي شنت هجماتها بجنون، وحلقت على ارتفاعات منخفضة، واطلقت النار على كل شيء يتحرك. كما قامت القوات الكردية باستخدام وحدات صغيرة لتنفيذ عمليات تخريب فدمرت جسر الزاب الصغير، وجسر (تكتك) وجسر التون كوري، ومحطة الطاقة الكهربائية في (دبس).

اقترح تسوري على البرزاني مواصلة الهجوم لاستكمال النصر الذي تم

احرازه، وخطط لارسال كتيبتين معززتين الى جبل كورك الذي يبلغ ارتفاعه الفين وخمسمائة متر، لاحتلاله، وقطع محور (جلي علي بك). وتصفية سريه ذات تسليح ممتاز كانت تقوم بحماية المنطقة، وبالتالي، السيطرة على السلسلة الصخرية كلها، وتطويق وعزل الالوية العراقية المهاجمة. لكن البرزاني كان يخطط بصورة مغايرة.

وفي الرابع عشر من ايار، توجه البرزاني الى جبل زوزك، الذي يسيطر عليه اللواء الخامس، واعلمنا (ازاد) ان البرزاني، يرغب في مهاجمة هذا اللواء، بنفس الاسلوب الذي تم اتباعه مع اللواء الرابع، مؤمنا بأن بالامكان تدمير هذا اللواء باستخدام اجهزة الاتصال ومدافع (المج) الرشاشة.

وفي الخامس عشر من ايار بدأت تنتظم قوة مؤلفة من مائتين وخمسين مقاتلا لمهاجمة اللواء الخامس، وجرى شق طريق خاص نقلت خلالها المدافع الى منطقة (كومن) لاسناد الهجوم. وتم اعداد قوة المدفعية بقيادة العقيد محمد محمود عبد الرحمن -الملقب سامي- والتي تضمنت ستة مدافع من عيار ٧٥ ملم، وثماني راجمات من عيار ١٢٠ ملم.

وفي الثامن عشر من ايار، اجتمعنا مع البرزاني في احدى المغائر بالقرب من قرية جلالة، وعرضت عليه خطة احتلال جبل (الكورك)، لكنه اعرب عن اعتقاده بأن هذه الخطة اكبر من حجم التمرد.

لقد كان البرزاني حتى تلك اللحظات يعمل وفقا للمبدأ القائل: دون العراقيين لن نستطيع فعل شيء، لذا، لم يرغب في قطع جميع الخيوط المؤدية الى التفاوض. واعتقد ان العراق، لن يغفر له هذه المرة اذا ما حقق انتصارا جديدا على قواته.

هاجم البرزاني العراقيين، وفقا لمخططاته، لكن العراقيين لم يقعوا في المصيدة، وفي الهجوم الاول خسر ثمانية عشر كرديا واوقف الهجوم. ومن ثم اعرب البرزاني عن استعداده لقبول خطتي الخاصة باحتلال الكورك. وفي المشاورات التي اجراها البرزاني مع مقربيه ثم اتخاذ قرار باشراك الف ومائتي كردي في العملية.

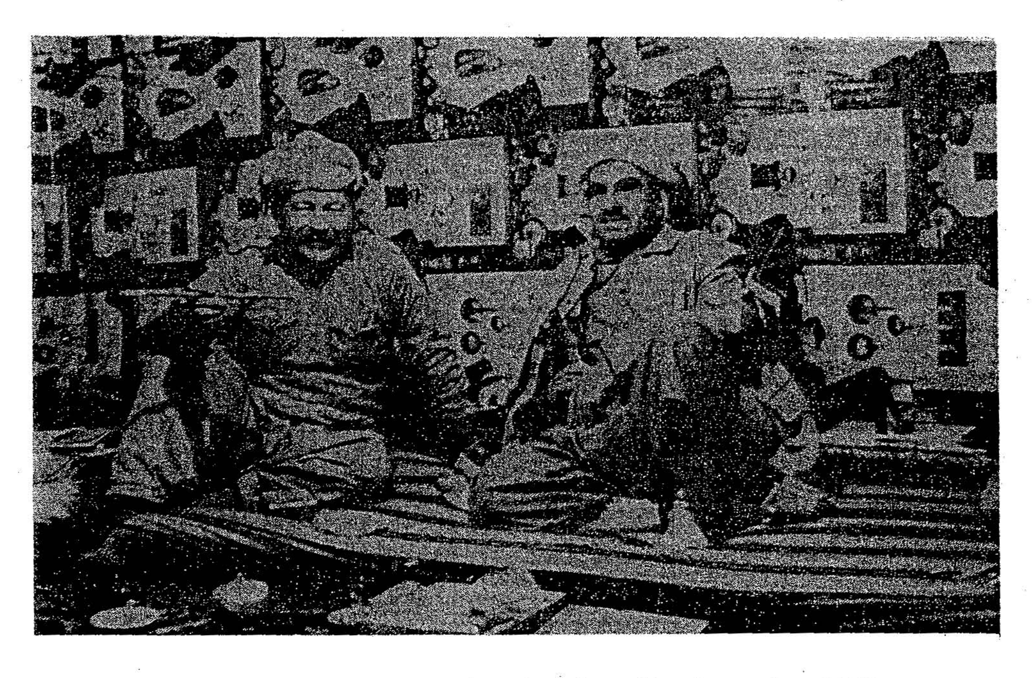
كان البرزاني يقود حرب عصابات بكل ما في الكلمة من معنى، فهو يعمل على مضايقة العراقيين واستنزافهم، وعندما يدرك انهم بدأوا يجمعون قواهم لشن هجمة لا قبل له بها، كان يسحب قواته سرا الى موقع اخر بعيد عن مكان المناوشات. وكان يقول: لماذا يجب ان اصر على البقاء في هذا الجبل او ذاك؟ الا توجد جبال في كردستان؟ اذا كان العراقيون يصرون على احتلال جبل ما، فليأخذوه

بعد ان يدفعوا الثمن بالضحايا، وسأذهب الى جبل اخر.

بيد ان الامر كان هذه المرة مختلفا تماما، لان العراقيين كانوا يهددون بقطع الامدادات القادمة للاكراد من ايران وبالتالي قطع شريان الحياة الرئيسي عنهم.



عام ١٩٦٦ : رئيس الموساد مائير عميت في كردستان يداعب دبا صغيرا



١٩٧٢ : رئيس وفد الموساد حاييم لبكوب بصحبة البرزاني

الفصل الثاني عشر

رتبة لواء لزعيم

التمرد الكردي

اثارت الانجازات الكردية اهتمام المسؤولين الاسرائيليين الثلاثة الذين كانوا يشرفون على عمليات المساعدات المقدمة للاكراد: رئيس الحكومة ووزير الدفاع، ورئيس الاركان، ورئيس الموساد. وبدا ان هناك سببا رئيسيا يتطلب منهم زيادة حجم المساعدات للاكراد ولمواجهة العراقيين.

وخلال المشاورات التي اجراها رئيس الحكومة ووزير الدفاع، ورئيس الاركان، ورئيس الموساد، وبدا ان هناك سببا رئيسيا يتطلب منهم زيادة حجم المساعدات للاكراد ولمواجهة العراقيين.

وخلال المشاورات التي اجراها رئيس الحكومة ووزير الدفاع ليفي اشكول مع رئيس الاركان اسحق رابين ورئيس شعبة الاركان عيزر وايزمن، ورئيس الموساد عميت، تم اتخاذ قرار بالقفز درجة على صعيد تقديم المساعدات الاسرائيلية، والاعراب عن هذه القفزة بارسال وفد رفيع المستوى الى كردستان. وقد اعلن عميت انه تمكن من الحصول على موافقة الايرانيين لتوجه الوفد الى كردستان.

وفي المقابلة التي اجريت مع عيزر وايزن عام ١٩٩٥، يقول: فكرت في ان الأكراد مضطهدون منذ فجر حياتهم، ومجبرون على البقاء على قمم الجبال. دون ان يكون لديهم مخرج الى البحر اذن: لماذا لا نمد يد المساعدة لهم؟ اضف الى ذلك، ان مصلحة اسرائيل كانت تقتضي ان يكون لدينا صديقا في مؤخرة العراقيين يقض مضاجعهم ويشبت قواتهم بعيدا عن اسرائيل.

ووفقا لذلك، اوصى وايزمن بضم نائبه في شعبة هيئة الاركان اللواء رحبعام زئيفي (غندي)، ويأتي اختيار زئيفي على ارضية التجربة الكبيرة التي اكتسبها في مجال عمل الاركان، وتم اتخاذ قرار خلال المشاورات بتوجه زئيفي، ومعه عميت وديفيد كرون، الى كردستان.

وفي الرابع والعشرين من ايار ١٩٦٦ طار وايزمن الى طهران للاجتماع بالشاه في طائرة نقل عسكرية كانت تحمل على متنها خمسة اطنان من التجهيزات العسكرية للاكراد.

وفي العاشر من حزيران ١٩٦٦، توجه الوفد الى كردستان في طائرة صغيرة زودهم بها السافاك هبطت بعد حوالي ساعتين في (تبريز) ومن هناك، تم نقلهم في سيارة مرسيدس الى الهدف، يصاحبهم مرافق ايراني.

ويقول زئيفي عندما اجتزنا الحدود العراقية بصحبة (كاك علي) قائد المنطقة الكردية، كان الظلام قد خيم على المنطقة وسرنا بسيارة الجيب التي جلبناها مَعنا من ايران كهدية اسرائيلية الى قائد التمرد باضواء مطفأة تجنبا لاي حادث.

وفجأة شاهدنا امامنا دمى اشخاص فاوقفنا السيارة، واقترب منا شخص ما وعانقني بشدة وقال بالعبرية "شلوم" وجدتني، وجها لوجه، امام تسوري و(م) والمستشار الفني الاسرائيلي.

وقال لي تسوري: البرزاني هنا لقد سار ثلاث ساعات متواصلة على الاقدام، هو وابناؤه وكبار رجال حاشيته، كي يكون باستقبالك هنا. وهذه سابقة لم يحدث لها مثيل.

وقبل ان ادرك ما الذي يحدث وجدت نفسي وجها لوجه امام البرزاني، ومثلما يحدث في مثل هذه اللحظات الكبيرة ضاعت الكلمات من فمي، وتبادلت واياه نظرة طويلة مليئة بالمحبة والتقدير، ثم تصافحنا بحرارة، وتوجهنا بسيارة الجيب والخيل الى مقر البرزاني على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات.

كان الوضع شديد الحساسية بين الاكراد، وبين الايرانيين الذين يأتون الى المعسكر الكردي للاشراف على الوضع ومراقبته تحت العديد من الذرائع والمبررات، وحينما شاهد البرزاني الايراني الذي رافقنا في الطريق، من ايران الى كردستان، بدا انه جن جنونه، وقال هذا كلب ابن كلب، وهو جاسوس، لقد جاء كي يراقب ما نفعل. ولن يكتفي بذلك، بل سينقل تقارير مشوهة الى اسياده.

بيد ان الاسرائيليين كانوا حريصين جدا على الحفاظ على علاقة جيدة مع الايرانيين وعدم توفير اية ذريعة لهم للشك لان الوصول الى كردستان، كان يمر عبر ايران.

دار الحوار في بيت الملا مصطفى، بين الوفد الاسرائيلي والقائد بصورة ودية للغاية، وقدم اليه الاسرائيليون هدية، عبارة عن جهاز راديو صغير، ونظارة، فقبلهما بترحاب كبير، وقدم تسوري استعراضا للوضع على الجبهات، ووصفه وصفا دقيقا جدا، ثم تحدث البرزاني نفسه، فتطرق الى تاريخ التمرد واسبابه،

واثنى على اسرائيل ودورها الكبيرة في استمرارية التمرد طيلة العام السابق عبر المساعدات التي تقدمها من تسليح وتدريب ودعم مادي ومعنوي واستشاري. وكان بين الفينة والاخرى يثني على الدور الايراني ارضاءا للمراقب الايراني الذي صاحبنا.

وكي يعطي (زئيفي) انطباعا كاملا عن المودة التي تكنها اسرائيل للاكراد، يقول: عندما انتهيت من كلامي حول التأييد الاسرائيلي للاكراد، والعدو المشترك الذي نواجهه، وكوننا شعبين مضطهدين، خلعت رتبي العسكرية وقلت له انها هدية مني كدلالة على المحبة التي اكنها له وشعبه وكانت رتبتي العسكرية قد وضعت في علبة صغيرة سوداء، وكتب تحتها بالكردية: الى الزعيم والعسكري الملا مصطفى البرزاني مع الاحترام وقد استقبلها البرزاني بترحاب، وبدا متأثرا جدا.

في اعقاب انتهاء الاستقبال جلس الوفد الجديد مع تسوري و (م) وبدأ التباحث حول الوضع، ودراسة الاحتياجات الكردية. وكان اول الامور التي تم طرحها، قضية الاحتياجات الطبية، ففي كردستان كلها لم يكن هناك سوى ثلاثة اطباء، ارسل احدهم للقيام بمهمة سياسية في اوروبا.

وبناء على التقرير الذي بعث به زئيفي الى اسرائيل بهذا الصدد، تم اتخاذ قرار بعقد دورة ممرضين في كردستان بتوجيه اسرائيلي هذا اضافة الى دورات حول استخدام اسلحة الاسناد، والتدريب على السلاح وعلى وسائل الاتصال. كما اقترح عقد دورة تكتيكية للقادة، ودورة خبراء متفجرات متقدمة.

وعندما عرضت هذه الاقتراحات على الزعيم الكردي، ركز جل ضغوطه على القضية الرئيسية التي تشغله، وهي القضية الاقتصادية، واكد المرة تلو الاخرى انه في حاجة لاطعام والباس (الباش مرجه)، وانه في امس الحاجة الى مال وطعام وملابس.

ويقول عميت: في الوقت الذي حاولنا فيه مناقشته حول الوضع العسكري، وحول تنظيم التمرد، وضرورة توجيه ضربة شديدة للعراقيين المهزومين، تمسك البرزاني طيلة الوقت بالحديث عن الاوضاع الاقتصادية الفظيعة والتي لا تطاق، والتي تقلقه الى ما لانهاية. وحينما حاولنا ان نصف له الصعوبات التي نواجهها لكوننا شعبا صغيرا، بدا انه لا يسمع ما نقول، ولا يفهم، ويصر على القول: انتم تستطيعون فعل كل شيء، وستقدمون لنا المساعدة.

بدأت اشعر بالقلق والضيق الشديد من الايمان الشديد الذي يكنه البرزاني لنا، ومن اعتقاده باننا قادرون على فعل كل شيء، ولا شك انه لو عرف البرزاني طبيعة الصعوبات التي نواجهها، والاوضاع القاسية التي نعيشها لشعر بخيبة امل مرة وبائسة.

كنت ادرك اننا سنتناول هذه المشكلة ونحاول حلها، بيد انني كنت اخشى اللحظة التي سيدرك فيها البرزاني مدى محدودية قوتنا الاقتصادية، ومحدودية ما يمكننا ان نقدمه له.

ويقول زئيفي ... سألنا البرزاني عما اذا كان يضيره اذا ما أشار العراقيون الى العلاقة القائمة بين التمرد الكردي واسرائيل. فقال: انه على استعداد لقبول ليس فقط الربط بين اسرائيل والتمرد، بل ايضا على استعداد لقبول اسرائيل بارسال طائرات ودبابات لمحاربة العراقيين من كردستان.

كانت التعليمات الايرانية تنص على مغادرة الوفد الاسرائيلي لكردستان قبل انبلاج الفجر، وفي تمام الساعة الثالثة من فجر اليوم التالي، بدأ الوفد يتحرك عائدا الى ايران.

كان يجب علينا ان نتحرك بأقصى سرعة ممكنة لان العراقيين يقصفون كل شيء يتحرك في وضح النهار، كما يتوجب على الاكراد العودة الى الجبال، والوصول الى الجبل يستغرق ساعتين من السير الجاد.

وعندما وصلنا الى الحدود ودع احدنا الاخر بمصافحة سريعة كانت كافية لتقول كل شيء نعتزم قوله، وعدنا مرة اخرى الى ايران.

الفصل الثالث عشر

من المجدي الاعلان عن الاستقلال الكردي

عاد (م) مع مائير عميت الى اسرائيل نظرا لانتهاء مهمته هناك، وكان تسوري ساجي ايضا على وشك مغادرة كردستان لاستكمال دراسته في كلية القيادة والاركان في الولايات المتحدة، وتم تحديد شخصين اخرين لشغل منصبيهما في كردستان، هما حاييم لفكوف، واليشع روئي، اضافة الى المقدم اريبه يجف، وطولب الثلاثة بالاستعداد من اجل السفر في حزيران ١٩٦٦.

وقيل لهم، ان الامور تتجه اتجاها خطيرا جدا، وان تقارير من تسوري تفيد بأن البرزاني على استعداد لاعلان استقلال كردستان تحت رعاية اسرائيل، ويجب ان تسارعوا في الذهاب لمعرفة ما وراء الاكمة.

سافر الثلاثة في طائرة نقل شقت طريقها الى قبرص وتركيا، ثم الى طهران، وحال هبوطهم هناك اجتمعوا بالملحق العسكري في السفارة الاسرائيلية نمرودي، ومع كرون والمفتي وموتازد المسؤول عن العمليات في السافاك.

وبعد يومين وصلا الى الحاج عمران، وطلبا من تسوري تفسيرا لمسألة اعلان الاستقلال.

ويقول تسوري: في الوقت الذي كانت فيه القوات الكردية تتخذ الاستعدادات اللازمة لشن هجوم على (الكورك). كانت هناك اتصالات تجري من وراء الكواليس بين الاكراد والعراقيين على ارضية الهزيمة التي مني بها العراقيون في (هندرن).

وقال لنا برزاني ان سيارات جيب تحمل ضباطا عراقيين قدمت الى المنطقة وهي تحمل اعلاما بيضاء، وطلبت التحدث معه، وقال الضباط انهم مخولون بالتفاوض معه بصورة تؤدي، في نهاية المطاف الى الحفاظ على الحقوق الكردية، وفقا لما يطالب به الاكراد.

بدا البرزاني متأثرا للغاية وهو يطلب مشورتي، فقلت له: اذا كانوا بعد تدمير لواء واحد، يرغبون في التفاوض فلا شك انهم سيتحدثون بصورة مغايرة تماما، عندما ندمر لهم باقي القوات. بيد ان البرزاني قرر عدم الانتظار حتى تدمير باقي القوات بل استغلال الوضع الذي ولدته المعارك الاخيرة والتفاوض

مع العراقيين.

كان البرزاني يخشى كثيرا من الانتقام العراقي، وكان احساسه يؤكد له انهم سرعان ما سينتقمون جراء الضحايا العديدة التي سقطت لهم في المعارك الاخيرة. وقال لتسوري: لم اكن احلم في يوم من الايام، ان يأتي الي ضباط عراقيون وهم يرفعون اعلاما بيضاء طالبين التفاوض والاستعداد للاستجابة لمطالبي. انا لاأعرف ما الذي سيحدث لاحقا، لكنني سأنتهز هذه الفرصة.

ويقول تسوري: ان البرزاني سأله عن رأيه في اعلان الاستقلال لكردستان؟ فرد عليه قائلا: لا استطيع ان اعطيك الان ردا فوريا ويجب ان ارفع هذا السؤال الى المسئولين في اسرائيل. وهكذا ولدت المسألة التي ادت الى ارسال الوفد الجديد على وجه السرعة.

ويضيف تسوري: اعتقد المسئولين في الجيش والموساد انني كنت خلف فكرة الاستقلال، وانني انا الذي دفعت بالبرزاني للتفكير به، وقالوا عني: هل جن هذا الرجل؟؟

وبعد يومين سلم تسوري عصا القيادة للفكوف وروني. واصر البرزاني، على مصاحبة تسوري حتى الحدود الايرانية. وحال وصوله الى اسرائيل اجتمع به رئيس الاركان اسحق رابين الذي قام بنقل الصورة الى اشكول، الامر الذي شجعه على مواصلة تقديم المساعدات للاكراد.

****

كان اريبه ريجف الذي حل محل تسوري ايضا ضابطا رفيعا في سلاح المظلات واحد المشاركين في جميع المعارك التي خاضها سلاحه، ومن ضمنها عملية الهبوط في ممرات (المتلا) خلال حرب ١٩٥٦. وقبل مجيئه الى كردستان عمل نائبا لقائد اللواء.

اما اليشع ريجف، فقد كان اكبر سنا من ريجف، وقد استهل حياته العسكرية في الجيش البريطاني ابان الحرب العالمية الثانية، ثم التحق بوحدة التخريب التابعة لمنظمة (البلماح) الاسرائيلية، ثم عمل كقائد لوحدات الكوماندو البحري الاسرائيلي، كما عمل لمدة شهرين في اطار وحدة المساعدات والاتصالات الخارجية في وزارة الدفاع.

انضم لفكوف رئيس الطاقم الى منظمة الهجناه وهو في سن الرابعة عشرة، ثم شارك في الوحدات الليلية التي شكلها الضابط البريطاني تشارلس اورو

وينجيت، والذي يعتبر احد كبار واضعي نظرية القتال العسكرية للجيش الاسرائيلي. واحد اوائل المستعربيين الذين عملوا عام ١٩٤١ في سورية، كما عمل في الاجهزة الامنية في الجليل الاسفل، وحارب ابان حرب ١٩٤٨ في لواء جولاني، وكان اول من عمل على تشكيل وحدة الاقليات في الجيش الاسرائيلي.

وفي عام ١٩٦٥، وعندما كان يعمل ضابطاً لخط انابيب النفط عسقلان-ايلات، سأله اللواء هروبن. فيما اذا كان يرغب في التورط في مغامرة؟ وعندما رد لفكوف بالايجاب، اعلمه هروبن بوجود الوفد الاسرائيلي في كردستان، وقال له: بان احد الاكراد سيأتي قريبا الى اسرائيل. وطلب منه ان يرافقه قائلا: هذا الرجل جاء من اجل محاولة اقناعنا باقامة محطة بث سرية في المنطقة. واريد ان اقول لك: ان هناك محطة موجودة فعلا في المنطقة الكردية، بيد انه لا يجب ان يعلم بذلك، وعليك ان تساعده في مسعاه. كان هروبن على ثقة من ان ليفكوف لن يجد صعوبة في ايجاد لغة مشتركة مع الكردي المذكور، فقد كان يجيد اللغة العربية باللهجة العراقية.

استقبل لفكوف الكردي في المطار تحت اسم ابو يوسف، وفي الطريق قال له: ان الفين من الاسرائيليين عاكفون على اعداد المحطة المذكورة. ثم رتب للكردي بناءا على طلبه لقاءا مع احدى الشخصيات الاسرائيلية الرفيعة.

ويقول لفكوف - كان المسؤول الاسرائيلي لا يجيد العربية- لذا قلت له: ما عليك سوى ان تتكلم، وتقول كل ما يحلو لك، وانا سأقول ما يجب ان يقال.

ويضيف لفكوف... المسؤول الاسرائيلي الذي قابل الكردي، لم يكن سوى (افرايم هليفي) والذي عين فيما بعد نائبا لرئيس الموساد، كلف لفكوف في اعقاب وصوله الى كردستان في حزيران ١٩٦٦ بالبحث عن احد اصدقاء البرزاني والذي يدعو داود الحاج خانو والذي كان قد هاجر الى اسرائيل، ثم اختفت اثاره. ومن الجدير بالذكر ان البرزاني ابدا اهتماما كبيرا بصديقه المذكور مع هبوط اول وفد اسرائيلي في كردستان، بيد ان مراجعة سجلات السكان في اسرائيل لم تسفر عن شيء يذكر. وبالتالي لم يبق سوى الاتجاه الى الجهات المطلعة في اوساط مهاجري كردستان، وسرعان ما تم العثور على اليهودي المذكور تحت اسم ديفيد جباي.

توجه (الفكوف) الى طبريا حيث كان جباي يعمل في محل لبيع الخضروات، واتضح ان والد هذا الرجل واسرته كانوا اثرياء جدا في منطقة

كردستان، ويعيشون في قرية قريبة من برزان وقد نشبت صداقة عميقة بين والده وبين والد البرزاني، وتطورت هذه الصداقة لتشمل الابناء ايضا. ثم هاجرت عائلة جباي الى اسرائيل عام ١٩٥١ دون ان تحمل شيئا من اموالها، وعاشت في اسرائيل على العمل اليومي.

التقط لفكوف له ولديفيد جباي عدة صور وهما متعانقان، واخذهما معه الى كردستان كي يراها البرزاني.

وعندما وصل اعضاء الوفد الى كردستان الى الحاج عمر، في الخامس والعشرين من حزيران ١٩٦٦، استقبله البرزاني بترحاب كبير، وقام لفكوف بتقديم ريجف وروني اليه باللغة العربية، ثم قال له: لقد حملنا معنا سلاحا لك من صديقك ديفيد الحاج خانو، واعطاه الصور. وعندما شاهدها البرزاني، بدا مقطب الجبين وقال انه يعيش وضعا بائسا، فالملابس التي يرتديها تدل على انه في وضع مالي صعب.

لقد كان هذا الرجل من اثرى اثرياء كردستان، ولا يوجد احد هنا يستدن منه مالا، بيد ان الصورة اسهمت في توطيد اواصر الصداقة بينه وبين اعضاء الوفد.

وفي الحادي والعشرين من حزيران ١٩٦٦، اي عشية وصول لفكوف وزملائه الى طهران، نشرت جريدة الاخبار العراقية نبأ مفاده ان الحكومة العراقية انهت الحرب، وانها تتطلع لاجراء حوار مع الاكراد. وفي السادس والعشرين من نفس الشهر نشرت الجريدة نبأ مفاده ان الحكومة ستعلن العفو عن معارضي النظام من الاكراد الذين حكم عليهم بالسجن في غضون السنوات الخمس الماضية. وان هناك وفدا عراقيا في طريقه الى كردستان للتحاور مع الاكراد.

كان البرزاني يخشى، ان تنتهي المفاوضات دون ان ينال اي مقابل سياسي، واقترح عليه المستشارون الاسرائيليون ان لا يقبل بفتح المفاوضات الا بعد ان يخلي العراق جثث قتلاه من ساحات القتال. وهذا ما حدث فعلا، وبعد وقت قصير قام العراقيون بدفن جثث ١٩٦٦ عراقيا في (بفستيان) القريبة من قرية (ديانا).

وفي التاسع والعشرين من حزيران ارسل الرئيس العراقي (البزاز) اقتراحا للاكراد يتضمن اثني عشر بندا وبدا بوضوح ان الاقتراحات تشذ بصورة كبيرة جدا عن السياسة العراقية التي كانت متبعة حتى ذلك الحين، فقد اقترحت على

الاكراد: الاعتراف بالقومية الكردية، ومنح الاكراد حكما ذاتيا موسعا، وتنفيذ قانون الالوية الكردي وتعليم اللغة الكردية كلغة ثانية في المناطق الكردية، وتمثيل نسبي للاكراد في الحكومة والبرلمان والاجهزة، ومنحهم حرية التنظيم السياسي، ومنح العفو عن المتمردين، واتاحة الفرصة لهم باصدار صحف، وترميم المناطق الكردية، ونزع سلاح القوات الكردية.

لقد صاغ البزاز وثيقته بناءا على المطالب الذي سبق للبرزاني ان بعث بها الى الحكومة الكردية في الحادي والعشرين من حزيران.

قام البرزاني بارسال محمد حبيب كريم التلميذ السابق للبزاز في كلية الحقوق في بغداد لاجراء المفاوضات باسم الاكراد. رغم المخاوف التي كانت تنتاب البرزاني من معرفة الرجلين احدهما للثاني، ومن الاحترام الكبير الذي يكنه كريم للبزاز.

وقد ازدادت مخاوف البرزاني ازاء التصريحات المتساهلة التي ادلى بها كريم للاذاعة العراقية، بيد انه عزاها الى رغبة كريم في تهدئة الاوضاع واتاحة الفرصة للاكراد لتكوين رأي بدون اية ضغوط.

قدم الوفد الكردي ورقة عمل مقابلة لوثيقة البزاز لتشتمل على عدة مطالب من بينها: عفو شامل يقوم على اساس قائمة متفق عليها تنفيذ قانون الالوية الكردي، تعيين اكراد في وظائف رفيعة في الحكومة والجيش، اعادة اللاجئين الاكرد الى اراضيهم، حل وحدات الطالباني والجحوش، اعادة الجيش العراقي من كردستان الى قواعده، وابدى الاكراد استعدادا لتجنيد جميع مقاتليهم في الجيش العراقي والشرطة واعادة الاسلحة الثقيلة التي غنموها من الجيش العراقي.

واعرب البرزاني عن رفضه التام لاية فكرة تنص على حل جيشه. ولاشك ان الاقتراحات انفة الذكر لم تغير اي شيء في تفكير البرزاني تجاه العراقيين، وكان يقول: لو انهم اقوياء لكالوا لنا ضربات لا هوادة فيها، ولا اعتقد اننا سنحصل منهم على اية اموال، ولا حتى على رغيف خبز.

واضاف... من يضمن لي ان الشخص الذي اتفقت معه اليوم سيكون على رأس السلطة غدا؟؟ اذا كانوا يفكرون جديا في تنفيذ الاتفاق فلن يكونوا مؤهلين لتنفيذه.

ورغم ذلك، لم يكن البرزاني يضيع فرصة واحدة دون ان يستغلها لمصلحة

المفاوضات.

وفي احدى المناسبات، سال احد المستشارين الاسرائيليين البرزاني، عما يحرك العراقيين ويدفعهم لمد ايديهم الى الاكراد؟ كان هذا هو رأي البرزاني في حكومة العراق والمفاوضات الجارية معها.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

اثارت المفاوضات العراقية الكردية ثائرة الايرانيين على البرزاني، وسارع ممثل السافاك في كردستان، والذي بقي هناك طيلة سنتين لايضاح رأي حكومته القائل: انه وفي اعقاب اجراء المفاوضات بين الاكراد والعراق، فان بقاء الوفدين الايراني والاسرائيلي لم يعد له ما يبرره، لانهما لن يجدا ما يفعلانه.

ثار البرزاني غضبا على تعقيب الحكومة الايرانية، وقال للاسرائيليين: لماذا لا يدرك الايرانيون ان السبب الرئيس في هذه المفاوضات هو الوضع الاقتصادي الخطير الذي نعيشه. ولو انهم كانوا يقدمون مساعدات اكبر، ولو كنا نثق بالدعم الايراني، لواصلنا القتال، ان المساعدات التي يقدمونها لا تسمح لنا ان نحيا ولا ان نموت ايضا.

رفض البرزاني المطلب الخاص بالوفدين، وقال للاسرائيليين: لن اسمح لمغادرتكم، فانتم السلاح الحقيقي والاخير الموجود بحوزتي.

واضاف... ان احلام الايرانيين تتمثل في ان يقتل الاكراد والعراقيون احدهما الاخر، هذا في حين ترغبون انتم في زوال العراقيين انشاء الله سيأتي اليوم الذي سنتحد فيه.

باشر لفكوف وروئي العمل في المجال الذي خصص لهما، اما ريجف، فقد شعر بالضجر الشديد. ويقول لفكوف: برز ريجف في جميع المجالات، فهو رجل وسيم، طويل القامة، رياضي متميز، ولاعب كرة جيد جدا. وضابط رفيع في الجيش الاسرائيلي، بيد ان معايير الجيش الكردي لم تكن تناسبه ابدا لصغرها، هذا اضافة الى ان الجبهة كانت في تلك الاونة هادئة تماما. لذا شعر بالسرور للقائه عقراوي ضابط الجيش العراقي السابق والذي اشرنا اليه بسبب علاقاته

الجيدة مع اسرائيل.

ويقول لفكوف.. شعر ريجف بالارتياح جراء تعرفه على عقراوي الذي كان يجيد الانجليزية، لذا لم يكن ريجف في حاجة لمن يترجم له، وقد قال عقراوي لريجف انه اجتاز دورات مدفعية في بريطانيا والاتحاد السوفياتي، وسأله عن طولكرم، واشار الى انه شارك في جيش الانقاذ العراقي الذي ارسل الى فلسطين عام ١٩٤٨.

ويقول احد اعضاء الوفد: خلال احاديثي مع البرزاني كان يبدو متدينا، لكنه كان يخلط في حديثه بين القرآن وشخصيات التوراة، ويحاول ملاءمة تلك الشخصيات مع الواقع، وكان يكثر من الحديث عن ماضيه الامر الذي يعطي انطباعا، وكأن الرجل وصل الى المرحلة التي يتحدثون فيها عن الماضي اكثر مما يتحدثون عن المستقبل.

في العاشر من تموز ١٩٦٦ وصل قائد الفرقة العراقية الاولى الى الحاج عمر، وطلب الاجتماع بالبرزاني، وقال له: الرئيس عارف يرغب في الاجتماع بك في بغداد. وقد رد عليه البرزاني بالقول: اجدني ملزما لرفض طلبك، فالرئيس عارف نفسه لا يشعر بالامان على حياته، اذا كيف سيحمي ضيوفه؟ وحتى لو قلت لي انك على استعداد ان تضمن حياتي بحياتك انت، وبقيت هنا كرهينة، فلن اقبل.

كان اخر طلب يطلبه عارف من البرزاني عبر قائد الكتيبة الاولى هو ان يخلي المنطقة التي قيم فيها قيادته، وان ينتقل الى مقر جديد بالقرب من برزان، اي الى المنطقة التي يسيطر عليها شقيقه الشيخ احمد.

رفض البرزاني هذا الطلب، وبعث الى عارف قائلا: لقد نقلت قيادتي مرتين الى منطقة برزان، لكن اخي طردني في المرتين بضغط من السلطات العراقية. وبالتالي لا معنى ابدا، للانتقال الى هناك مرة ثالثة. لم يكن البرزاني في حاجة الى ذكاء شديد كي يدرك ان الحكومة العراقية تسعى لابعاده عن مركز قيادته، وبالتالي اضعافه واهارة التنظيم الكردي كله. ورغم انه رفض طلب الرئيس العراقي الا ان هذا الرفض لم يقطع الاتصالات بين الطرفين.

كان البرزاني يبذل قصارى جهوده في تلك الاونة، لاخراج غريمه الطالباني من الصورة، ومثلما اشرنا انفا كان الطالباني قد انتقل للعيش في كردستان.

وفي شباط ١٩٦٦ علم البرزاني بأن هناك اتصالات تجري بين الطالباني

وبين الملحق العراقي في طهران، وذلك بهدف تثوير الجماهير الكردية ضده. فقام البرزاني بارسال قوة مسلحة لالقاء القبض على الطالباني، لكنه تمكن من الفرار الى ايران، ومن هناك اجرى اتصالات مع رئيس الحكومة العراقية (البزاز). بيد ان المعارك انفجرت انذاك بين الطرفين، مما ادى الى تدمير اللواء العراقي الذي اوردنا قصته انفا، مما حول انظار البرزاني عن الطالباني، الذي كان العراق يمول نشاطاته ويقال انه اخذ مائة الف دينار من العراق نقدا.

في التاسع من حزيران ١٩٦٦ اجتمع الطالباني مع الرئيس عارف، الذي قطع له عهدا بسن قانون مؤقت يضمن حقوق الاكراد. لقد قدر الطالباني ان انتصار البرزاني في الحرب سيجعله يتشدد في مواقفه ولن يقبل اية مبادرة سلمية لكن البرزاني عمل بصورة معاكسة تماما، وقدم في الحادي والعشرين من حزيران خطة مصالحة وسلام كاملة مع العراقيين.

وفي اعقاب الحاحه للعراقيين بأنه الجهة الوحيدة التي لها حق التفاوض معهم، رغب البرزاني في تصفية الطالباني نهائيا.

وفي العاشر من تموز ١٩٩٦، التقى البرزاني مع قائد الفرقة العراقية الذي قال للبرزاني: دع مهمة تصفية طالباني لي، فقال له البرزاني ان هذه القضية هي قضية كردية داخلية، وحذرة من ان اي تدخل عراقي فيها سيؤدي الى تفجير المفاوضات معه. بيد ان الضابط العراقي عاد، المرة تلو الاخرى، على طلبه، مما جعل البرزاني يستجيب له ظاهريا. وعندما عاد الضابط الى فرقته، امر بالعمل بكل قوة ضد الطالباني.

وقامت الوحدات العراقية فعلا بمهاجمة طالباني. وفي نفس الليلة اعلن قائد منطقة قرادحاح الكردي عن نجاحه في صيد الخونة، وان فلول قوات الطالباني الباقية قد اخليت على ايدي القوات العراقية.

لقد كان البرزاني يطلق على كل من لا ينضم اليه لقب الخونة. وقامت قوة من (الباش مرجه) بالعمل على تصفيتهم. ويقول البرزاني انه لم يخف ابدا مسؤوليته عن تصفية كل شخص قتله لانه يعمل ضد مصالح الاكراد.

كان الايرانيون يتابعون المفاوضات الدائرة بين البرزاني والعراقيين باهتمام كبير، وقد طالبوا البرزاني باستئناف حربه ضد العراق، او على الاقل التشاور معهم فيما يتعلق بالمفاوضات، وبالخطوات التي يعتزم اتخاذها بشأنها.

وفي محاولاتها لارغام البرزاني على السير وفقا لاهوائها، اعلمت ايران

اسرائيل، بأنها ستغلق حدودها مع كردستان، وستعيد الوفد الاسرائيلي من هناك، وستعيد الجرحى الاكراد الذين يعالجون في المستشفيات الايرانية الى كردستان.

طلبت اسرائيل من لفكوف ان يعمل على تسوية الامور بين البرزاني والايرانيين، وان يعمل على ان يرسل البرزاني رسالة ودية الى رئيس السافاك (ناسيري). وقد اقترح لفكوف ايضا ان يتم ارسال كريم، كي يوضح الوضع لناسيري. لكن البرزاني رفض ارسال اية رسالة الى الايرانيين قائلا: سيقوم الايرانيون بتصوير الرسالة وارسالها الى العراقيين، هذا عداك عن انه يعتقد ان الحكومة العراقية لن تنفذ اية اتفاقية اضافة الى كونه يشك في بقائها اصلا، لذا، فانه يعد العدة على الصعيد النفسي والعملي لاستئناف القتال ضد العراقيين، لكنه سينتظر حتى يتأكد من ان مقاتليه ارتاحوا او اعادو ترتيب انفسهم.

طلب البزاز خلال المفاوضات ان يقدم البرزاني بادرة حسن نية اليه لانه يتعرض لضغوط داخلية ولا يريد ان يبدو في مظهر الرئيس الذي يعطي للاكراد دون ان يحصل على شيء، لذا قام البرزاني باطلاق سراح عدة عشرات من الجنود العراقيين، واعادة اسلحة ثقيلة سبق ان غنمها من العراقيين ولم يعد يستخدمها.

لم يرق للاسرائيليين ان يقوم البرزاني بتسليم اسلحة ثقيلة، حتى لو كانت غير مستخدمة، واوضحوا للبرزاني، ان بالامكان ان يستخدم العراقيون هذه الخطوة للتقليل من حجم النصر الذي احرزه في الهندرن، لكن البرزاني قال ان الثمن الذي يأمل بالحصول عليه يستحق المجازفة.

وفي نفس الوقت واصل البرزاني استعداداته العسكرية توطئة لامكانية استئناف القتال، واعلن بما لا يدع مجالا للشك انه لن يقبل، بأي حال من الاحوال، حل (الباش مرجا) بيد انه سيقبل، في اسوأ الاحول، تحويلها الى مليشيات او شرطة محلية، وتعيينه هو (قائمقام) والتي تعني رئيس اللواء الكردي.

واصل الايرانيون ضغوطهم، مما اضطر البرزاني في نهاية المطاف للتغلب على مخاوفه وتوجيه رسالة مكتوبة الى الشاه. وسرعان ما اتضح ان الايرانيين لا يكتفون بذلك، فقد اغلقوا الحدود ومنعوا حتى دخول الاغذية الى كردستان، وايضا منعوا دخول البنادق. مما اشعل نيران الغضب والذي تجسد فيما قاله ميرخان حول خطة الحد الادنى التي يمكن اعدادها: اذا لم تستغل قوتنا في البناء والابداع فان لدينا القوة للتدمير ولجعل حياة العراقيين سوداء لسنوات طويلة

سنصعد الى الجبال بقوة قوامها يتراوح بين خمسة الى سبعة الاف مقاتل، ونقوم بذلك وليس لدينا ما نخسره.

حاول الاسرائيليون ان يوضحوا لادريس البرزاني وزملائه، ان خوض معركة انتحار غير مجد وان الحكم تقضي بمحاولة التوصل الى تفاهم مع الايرانيين هذا في الوقت الذي كان فيه الاسرائيليون يشكون في ان الخطوة الايرانية انفة الذكر تأتي في اطار اتفاق ايراني عراقي لنقل النزاع في كردستان الى مرحلة جديدة.

ناقشت الحكومة الاسرائيلية في الثاني والعشرين من نيسان ١٩٦٦ المشكلة الكردية، بمشاركة نائب وزير الدفاع الدكتور تسفي دينشتاين ورئيس الاركان اسحق رابين، ورئيس الموساد عميت، والمسؤول عن العلاقات الخارجية في الموساد هروبن، والمدير العام لوزارة الدفاع العقيد احتياط موشيه كشيت، ورئيس شعبة الاركان اللواء وايزمن وغيرهم.

وفي تقريره قال عميت: الوضع غير جيد فهناك ازمة بين الايرانيين والاكراد، وقد كنا نتوقع حدوث ذلك، فقد سمعت الايرانيين يقولون خلال زياراتي لطهران: ان البرزاني سيأتي زاحفا على اربع متوسلا الينا، واستعرض عملية اغلاق الحدود الايرانية، وقال ان الايرانيين الحوا الى ضرورة سحب الوفد الاسرائيلي من كردستان.

وبتوصية من عميت، قررت الحكومة تجاهل الالماحة الايرانية انفة الذكر، على افتراض ان التعاون الكردي الاسرائيلي يصب ايضا في مصلحة الايرانيين، واقترح عميت ايضا مواصلة ارساليات الاسلحة والذخائر الى الاكراد.

ويقول عميت: اكد رئيس المخابرات الايرانية الجنرال كمال ابان احدى زياراته لاسرائيل ان ايران تدعم الاكراد كي يقاتلوا وليس كي يصنعوا سلاما، لقد اتفقنا مع الاكراد على ان النقطة التي لا يجب ان يتم التفاوض عليها هي معارضة العراقيين لتشكيل جيش كردي، لان البرزاني لا يستطيع التنازل عن وجود الجيش وايران تقدم المساعدات للاكراد، على صعيد الاتصالات والذخائر، والاغذية، والعلاج، والجرحى، والمساعدات النقدية.

ايد رابين موقف عميت القائل: ان الازمة مؤقتة، وان هناك ضرورة للصبر والاثارة، والبحث عن الطرق الكفيلة بتسيير الامور وقد دار النقاش التالي بين رابين واشكول وعميت:

رابين: لسنا معنيين ان يخضع البرزاني.
عميت: لكن المشكلة قائمة، ونحن ملزمون بالبحث عن الطرق الكفيلة بزيادة الدعم.
اشكول: طالما تتحدثون عن المستقبل، اشعر ان الامر سيصبح اسهل.
عميت: لست اعتقد ان الوقت الحالي ملائم لطرح هذه القضية.

شعر الاسرائيليون بأنهم نجحوا في جعل موقف البرزاني اكثر اعتدالا تجاه الايرانيين، لان الخط الذي حدده اشكول كان ينص على انه رغم الازمة، فان هناك مصلحة بين اسرائيل وايران.

****

اشمل اقتراح (البزاز) للاكراد، والذي تمت صياغته من جديد في تموز ١٩٦٦ وفقا للاقتراح الذي طرح خلال الشهر الاسبق على تخصيص مبلغ خمسة عشر مليون دينار لتطوير كردستان. واعادة الجيش العراقي الى القواعد التي كان يحتلها خلال شهر اب، الا اذا كانت المصلحة الوطنية تقتضي غير ذلك، اخلاء المواطنين العراقيين الذين استوطنوا مكان الاكراد المهجرين، نزع سلاح (الباش مرجا) بصورة تدريجية، ونزع سلاح الجحوش، وضم وزير للشؤون الكردية في الحكومة العراقية.

وسرعان ما اتضح ان البزاز، يواجه صعوبة في جمع المال اللازم لتطوير العراق، وايضا لتطبيق البنود الاخرى. هذا، في الوقت الذي حرص الاكراد على ضمان تمكنهم من جمع الباش مرجا في غضون يومين، ووضعهم تحت امرة البرزاني.

وبناء على ذلك، قرروا عدم اعادة سلاحهم باستثناء الاسلحة التي غنموها من الجيش العراقي ودفنه في اماكن معروفة.

واصل الايرانيون لعب دور الغاضب، واعلموا الاكراد بواسطة الموساد انهم شديدو الغضب بسبب المفاوضات التي يجريها البرزاني مع البزاز، وبسبب تجاهلهم لايران.

وفي تلك الاونة كان ديفيد كرون يحاول اقناع الايرانيين بضرورة تغيير اسلوبهم، وقال لهم: من الافضل ان يكون لدينا برزاني شبعان ومسلحا بصورة جيدة، من البرزاني المرهق والضعيف الذي لن يجد امامه مقرا سوى المصالحة مع العراق، بيد ان الايرانيين لم يستجيبوا له، ورفضوا طلبه السفر الى كردستان

للتحدث مع البرزاني بهذا الصدد.

وقال له الايرانيون: انهم سيوافقون على استئناف تزويد الاكراد بالتجهيزات، فقط عندما تصل المحادثات العراقية الايرانية الى طريق مغلق، وانه يتوجب على الاكراد مواصلة القتال ضد العراق.

خيل للاسرائيليين في لحظة ما ان البرزاني لم يعد يعلمهم بجميع اتصالاته مع العراق، كما طرأ تغيير فجائي على التصلب الايراني تجاه الاكراد. وافاد ميرخان ان الايرانيين نقلوا تجهيزاتهم للاكراد، كما اعلن العراقيون عن منح العفو العام لجميع الاكراد المقاتلين، ولاولئك المحكومين غيابيا.

اثار العفو العراقي ثائرة الاكراد، وقالوا: من الذي طلب العفو منهم، ان هذا العفو هو العفو الرابع منذ اندلاع الثورة. وقد عقب الدكتور محمود على ذلك بالقول: ما دام العراقيون منحوا العفو العام، فان ذلك يدل على ان لديهم نوايا استيطانية تجاهنا، وهدفهم العمل على اهارتنا.

واضاف الدكتور محمود استنادا الى المعلومات التي وصلته: العراق يعتزم القيام بخطوة كبيرة: والعمل على حل مشاكله مع مصر وتركيا وايران، وفي اطار ذلك التوصل الى تسوية مع الاكراد، ثم توجه الرئيس العراقي ورئيس حكومته الى الحلفاء في موسكو ومطالبتهم بمساعدات عسكرية واقتصادية كبيرة. بيد انه لا يجب ان نستبعد ايضا من حسابنا ان العراقيين سيعملون على تركيز جهدهم في القضية الكردية، من اجل توجيه ضربة عسكرية كبيرة الى الاكراد.

شاهد المستشارون الاسرائيليون امامهم زعامة حزبية زعامة خاضت حربا كبيرة، لكنها تواجه مستقبلا مبهما وضبابيا وتضم اليها جنودا لا تستطيع دفع رواتبهم وعائلاتهم تعاني من الجوع والضائقة المالية ولهذا السبب، عملت الزعامة الكردية على جمع الاحسان والصدقات لاثبات ان واقع الثورة يضمن مستقبلا افضل من المستقبل المأمول من التعاون مع الحكومة العراقية.

* *

وخلال الفترة الواقعة بين الاول والثالث من آب ١٩٩٦، وفي ظل الهدنة وعلى ارضية الشعور بأن البزاز على وشك تقديم استقالته عقد مؤتمر قيادة التمرد، وقد امتنع الحاضرون عن ذكر الانجازات وعملوا على دراسة مواطن الخطأ والعراقيل، ووضع خطة عمل مستقبلية. وقرروا مواصلة العمل مع الحكومة العراقية بهدف التوصل الى هدنة وتجذيرها والعمل على ايجاد حل

للقضية الكردية برمتها، بيد انهم كانوا مصرين على عدم حل الباش مرجا وابقائها كضمانة رئيسية للحقوق الوطنية الكردية. وفي نفس الوقت قرر المؤتمرون توخى اقصى درجات الحيطة والحذر والحفاظ على المواقع والجيش بجميع الاساليب والصور الممكنة رغم الصعوبات الجمة التي تواجههم وعلى وجه الخصوص الصعوبات الاقتصادية.

وفي الوقت الذي اصر المؤتمرون على مطالبة الحكومة بالفوفاء بالتزماتها قرروا محاربة المشاكل القائمة، والقاء تبعة الادارة المالية على جهاز منظم خاضع لشخص مدني، واختيار ادارة للقرى، وتوزيع اراضي على الفلاحين بعد مصادرتها من الخونة، وعدم اغلاق الباب في وجه اعادة الجحوش ومؤيدي طالباني في صفوف المقاتلين الاكراد، وتشكيل جهاز استخباري قوي، وتوسيع النشاطات الدولية.

واختتم المؤتمر اعماله بانتخاب مباشر لزعامة مختلطة من المدنيين والمقاتلين، ورغم عدم الاحترام الذي يكنه البرزاني للمثقفين الا ان نصيبهم في الزعامة، كان كبيرا.

وفي السادس من آب ١٩٦٦ استقال رئيس الحكومة البزاز بسبب فشله في مواجهة الزعامة العسكرية التي عارضت بمنتهى الشدة الاتفاقية مع الاكراد، وقام الرئيس عارف بتكليف ناجي طالب بتشكيل الحكومة الجديدة وهوجنرال متقاعد واحد مؤيدي جمال عبد الناصر، والذي تعاون منذ البداية مع الطالباني ومؤيديه، واثار على نفسه ثائرة البرزاني، الذي قال: هذا الرجل خائن، وواجبي يتطلب مني تصفيته هو وزمرته في كل مكان اصطدم به فيهم، ان آن آخذ بعين الاعتبار، من الذي يقف معهم او خلفهم.

وفي يومياته سجل احد المستشارين الاسرائيليين: يبدو البرزاني في وضع سوداوي للغاية، وقد تحدث مطولا عن الوضع الاقتصادي البائس الذي يواجهه، وعن الخزانة الخاوية.

لقد فرض في بداية التمرد ضرائب على المدن، وكان في خزينته ثلاثمائة الف دينار، بيد ان هذا المبلغ اخذ يتناقص بسرعة بدءا من عام ١٩٦٤، واصبح الوضع مقلقا جدا، بيد ان الاسلحة الاسرائيلية التي وصلت الى الاكراد اشاعت جوا من التفاؤل والامل بالمساعدات الاجنبية.

واضاف... الوضع الاقتصادي في الاونة الحالية بائس للغاية، ولا يوجد

المال لالباس واطعام الجيش، والشعب الكردي مرهق، والبرزاني يعتقد انه سيفقد السيطرة عليه، وان الجماهير ستتجه نحو الحكومة. وتحدث البرزاني عن عدم قدرة ورغبة الشعب الكردي في تحمل العبء، وعن تطلع رؤساء القبائل، الى مصادر الحصول على المال، ويقول البرزاني ان وضع اللاجئين يؤثر تأثيرا سلبيا، ان الجنرال الذي سيهزمنا ليس جنرالا عسكريا، بل جنرالا اقتصاديا، وهذا الجنرال سيجعلنا نخسر الحرب كلها.

وعندما قال له (ريجف) ان هذا هو الوقت المناسب لكيل الضربات للحكومة العراقية، نظرا لان الجيش لا يرغب في القتال قال البرزاني بصورة قاطعة: مستحيل، فنحن لا نستطيع مواجهة الدمار والقتل مجددا والجوع، لذا، فان الحرب مستحيلة. وفي ظل هذه الظروف، سأبدو امام الجماهير كمن خدعها. واذا ما تم التوصل الى سلام، فلن استطيع مواصلة العيش في العراق، وفي ايران لا ارغب في العيش وربما اتي الى اسرائيل.

واضاف: لقد قال له ابو يوسف (لبكوب): لقد كان الامر بالنسبة لنا، نحن ايضا، صعبا في البداية، فقد كان علينا ان نهجر اليهود الى اسرائيل، وان نشتري الارض بالمال وتوطينه واحيائه، والقتال طيلة سبعين سنة، وفي النهاية وصلنا الى مبتغانا بعد ان سرنا على جسر من العذاب، اما انتم فأقل ما يقال انكم تقيمون على ارضكم، وكل ما في الامر هو انكم بحاجة لتنظيم انفسكم والتذرع بالصبر والشجاعة.

البرزاني: انتم لم تكونوا وحدكم، فقد وقفت بريطانيا والولايات المتحدة الى جواركم.

لبكوب: لقد قدموا لنا شيئا بعد ان وصلنا الى مبتغانا.

البرزاني: شعبكم يمتلك العقل والثقافة والمعرفة، والادارة المشتركة، اما انا، فشعبي متخلف وكسلان، ولا توجد لدينا مفاهيم مشتركة، وكل ما يعني شعبنا هو التواجد المحدود في اطار المشكلة التي تحتوينا، ولا يهتم احد بالاخر، ورؤساء القبائل اسوأ من الشعب واذا تركتهم ووقفت جانبا، ستتلاشى الثورة كلها.

واضاف المستشار الاسرائيلي: البرزاني لا يرغب في القتال في الاونة الحالية، بل في كسب الوقت وتجميع قواته، ولن يقاتل الا اذا لم يكن هناك خيار امامه.

الفصل الرابع عشر

الاسرائيليون يخشون

من الاختطاف

كشف رئيس السافاك (ناسيري) ونائبه (مونازد) سرا من اسرار دولتهم في النصف الاول من آب ١٩٦٦، اما ديفيد كروني، فقالا له: ان ايران تجري اتصالات سرية مع العراق، ولهذا السبب تم قطع الامدادات عن الاكراد. ولم يتورع الاثنان عن ابداء ارائهما بالنسبة للبرزاني وكل ما يمثله.

ويقول كرون في الرسالة التي بعث بها الى اسرائيل: لقد قال الاثنان ان ايران تعتبر البرزاني مجرد وسيلة سياسية، وبمجرد توقف هذه الوسيلة عن العمل، يجب التخلص منها. وان جميع الضغوط التي مورست عليه، كانت ترمي لوضعه في مكانه الصحيح، والتأكيد له على انه لا يعدو كونه وسيلة تقف امام الابواب بانتظار الاحسان، ويجب عليه ان يعرف مسبقا كي يجب ان يتصرف.

واكد الاثنان انهما يقولان ما يقولان ليس كاستنتاج خلصا اليه الان، بل ان هذا هو المخطط الذي وضع منذ البداية، وان العراقيين بدأوا التفاوض مع الاكراد كي يخدعوهم، ويفقدوهم الميزة التي نالوها جراء النصر الذي احرزوه، في الهندرن.

ولو ان الاكراد اتخذوا خطا متشددا لما تمكن العراقيون من انتزاع تلك الميزة منهم، ان العراقيين لم ينفذوا اي تعهد من التعهدات التي قطعوها على انفسهم، وعلى ما يبدو انهم لا يعتزمون فعل ذلك.

قرر كرون التوجه الى كردستان، للتحدث مباشرة مع البرزاني، واقناعه بأن نضاله وحربه رهن في حقيقة الامر، بالايرانيين. وخلال اللقاء الذي عقده الاثنان في الرابع عشر من آب قال كروني للبرزاني بحدة: ربما ان الايرانيين ليسوا جيدين مثلما تريد، بيد انهم افضل من الجميع.

وتساءل كروني: لماذا لا يقوم الاكراد بتخريب الطائرات العراقية؟ لماذا لا يخربون منشآت النفط؟ لماذا لا يسيئون الى العراقيين، بصورة تجبرهم على ايجاد حل سياسي للمشكلة الكردية.

وقد قاطعه البرزاني بالقول: لم يحن الاوان بعد، وحينها تدخل ريجف

الذي كان على علم بالمزاج السائد لدى البرزاني وقال لكرون: لا جدوى من بقائك في كردستان.

ويقول (لبكوب): بعثت رسالة الى اسرائيل قلت فيها: ريجف يجد صعوبة بالغة في كردستان وانه لا يجد ما يفعله وان بقاءه هنا لا جدوى منه.

ادت كل تلك الاحداث الى تغيير البرزاني لارائه وفي الرسالة التي بعث بها احد المستشارين الاسرائيليين الى تل ابيب قال: روح البرزاني تتوثب للقتال، وبدأ يطرح تساؤلات عسكرية تنفيذية مثل كيف يمكن الضغط على العراقيين والبريطانيين الذين يشاركونهم في شركة النفط؟ هل بالامكان فعل ذلك عبر شن هجمات على المنشآت النفطية وقد شجعناه على ذلك.

قال البرزاني للاسرائيليين ان العراقيين يشقون طريقا في منطقتي الكوراك والزوزك الامر الذي جعل جميع حواس الاسرائيليين تتنبه، فقد ادركوا ان شق الطرق يدل على نية عراقية للتغلب على الصعوبات التي تواجه تنقل الدبابات في تلك المناطق.

وبعد عدة ايام، علم ان الطريق الذي يجري شقه الى الزوزك، لعبور البغال، في حين ان الطريق للكورك سيستغرق سنة، وقد عقب ادريس على ذلك بالقول: ان شق الطرق لا يشير اي قلقا لديه، بيد ان الاسرائيليين لم يوافقوه الرأي. وقال له احدهم: لا يمكنك ابدا ان نستنتج ما الذي يفكر فيه العراقيون.

وفي الخامس عشر من آب قال البرزاني ان رجاله سيشنون هجمات ضد مواقع عراقية في غضون فترة تتراوح بين ١٥-٢٠ يوما، وبناءا على ذلك كف (ريجف) عن المطالبة بالعودة الى اسرائيل، لكن لبكوب حرص على تحذيره بالقول: في كردستان هناك بون شاسع بين القول والعمل.

وسرعان ما ادرك ان التحذير كان صحيحا، فقد اتضح ان البرزاني اراد اولا ان يطرق عدة ابواب سياسية، وان يرسل الدكتور محمود الى الولايات المتحدة، وان يأمر المفتي الممثل الكردي في طهران بالشروع بالاتصالات مع السفير السعودي.

****

شعر المستشارون الاسرائيليون، ان العراقيين يعلمون بوجودهم، ورغم ذلك ولسبب لا يعرفونه لا يثيرون الدنيا، وكان البرزاني ايضا يدرك ذلك، لذا حرص على وضع حراسة دائمة من الباش مرجا على الاسرائيليين.

والموساد ايضا كان على علم بأن مسئولا كرديا رفيعا سرب لجهة اجنبية نبأ قال فيه: ان هناك ثلاثة ضباط اسرائيليين موجودين في كردستان، وان اسرائيل ترسل الى الاكراد مساعدات عبر ايران. وان اسرائيل تعقد دورات ضباط للاكراد في اسرائيل، وان كريم زار اسرائيل.

وقد دارت الشبهات حول (فانلي) النشيط الكردي الذي لم يكن يتمتع بمكانة رسمية فقد قام بزيارة قيادة التمرد في التاسع من آب. وكذلك تحدث مع الاسرائيليين، بيد انه لم ينجح في الاجتماع بالبرزاني، فقد امر البرزاني بتوجيهه الى كريم والدكتور محمود.

وعندما علم البرزاني، فيما بعد، ان فانلي وصل من الحاج عمران الى طهران واجتمع مع ابراهيم احمد جليفه السابق، وخصمه الحالي قال: جميع المعلومات التي تصل الى فانلي تصل ايضا الى العراقيين وطالباني ان افضل ما يمكن عمله بهذا الخصوص هو تصفيته.

والحقيقة، هي انه لم يكن هناك اية دلائل تؤكد ان فانلي هو الذي سرب السر، بل انه واصل العمل لصالح التمرد حتى بعد ان اصبح مجردا من الوظائف الرسمية، وفي السابع من تشرين الاول ١٩٧٦، حاول عميل عراقي اغتياله باطلاق النار على رأسه، ولم ينقذه من الموت سوى عملية جراحية سريعة. وعلى اية حال، فان الموساد لم ينس مقتل ومساعدات فانلي له.

ويكشف زيد حيدر رئيس شعبة العلاقات الخارجية في حزب البعث النقاب عام ١٩٧٦، عن ان المخابرات العراقية تلقت تقريرا حول قدوم ثلاثة ضباط اسرائيليين الى المناطق الكردية ونقل اسلحة ~~سوفياتية واسرائيلية الى~~ الاكراد، من اسرائيل.

وفي السادس عشر من آب فر الطيار العراقي منير ردفا بطائرته الى اسرائيل وهبط في مطار حتسور العسكري، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد فيما بعد قال: انه قام باكبر عمليات قصف في كردستان.

ويقول احد الاسرائيليين: لقد تخيلنا العراقيين وهم ينزلون وحدات كوماندو بطائرات هليوكبتر ويهاجمون المكان، ويأخذوننا كرهائن حتى اعادة الطائرة والطيار، الم نكن سنفعل ذلك لو ان ما حدث لهم حدث لنا؟

بعثوا الينا من تل ابيب، رسالة عاجلة طلبوا فيها منا الحفاظ على اقصى درجات الحذر، وان نشرك البرزاني في مخاوفنا، وقد قال لنا ميرخان: لا

تخافوا، اذا جاءوا لاختطافكم فلن يعودوا ابدا.

تحدث البرزاني عن مؤامرة اخذة في التبلور ضد رئيس الحكومة الجديد ناجي طالب، وان البزاز هو الذي يحيكها بقصد العودة الى قمة السلطة، ورغم ذلك، قبل الاجتماع بلجنة عراقية عليا جاءت للتحاور معه حول العودة لاستئناف الحوار بين الطرفين. وقد رفض كريم السفر الى بغداد، فقام البرزاني بتعيين اثنين بدلا منه كي يحضروا الاخبار من بغداد.

في تلك الاونة بدا وباء الكوليرا يتفشى في العراق واعرب الاسرائيليون عن خشيتهم من ان يصل الى كردستان ويصيب الباش مرجا فقال البرزاني لقد تم تحصينهم قبل سنة، ورغم ذلك توجه الى الحكومة بنداء لاتخاذ الاجراءات اللازمة ضد الوباء في كردسان، وحذر من انه اذا لم تعمد الحكومة الى تحصيننا فسوف نسرق الامصال.

وذات مرة، قال لنا البرزاني انتم اصدقاؤنا الحقيقيون، ثم تطرق الى اول لقاء له مع ديفيد قمحي في ايار ١٩٦٥، وقال: لقد دهشت مما قاله في لقائنا الاول، حيث قال: نحن دولة صغيرة وضعيفة ومحدودة الموارد، وبهذا الحجم ستكون مساعداتنا. فقلت له لا اقبل ذلك، انتم تتحلون بالذكاء والمعرفة والاخلاق، اننا ندرك اننا اذا ما طلبنا من اية جهة الفا فربما نحصل في احسن الاحوال على خمسائة لكن معكم فقد كنا نطلب الفا فنحصل على الفين: ان ما تحصلوا عليه منا لا يساوي ٤٪ مما قدمتم لنا.

وقد استغل لبكوب هذه اللحظة وسال البرزاني: ما سبب المساعدات التي تقدمها لكم اسرائيل حسب رأيك؟ فتدخل ميرخان قائلا: الايرانيون يرغبون في حل قضية خوزستان والخليج عبرنا، اما نحن وانتم فلدينا عدو مشترك. وعندما نتوصل الى اتفاق مع العراق، فلن يستطيع تحريك جيشه دوننا، ونحن لن نسمح للجيش العراقي لمحاربتك مهما حدث.

هز لبكوب رأسه، وقال: هدفنا هو ان يعيش الاكراد في الدولة العراقية في مساواة وتناغم. اننا نرغب في وجود دولة تهتم بشؤونها ومشاكلها الداخلية في غضون العشر او الخمس عشرة سنة القادمة، وان تكرس جل اهتمامها للتطوير، وان تخرج من اطار الدول المعادية لاسرائيل، سواءا انجزنا السلام ام لم ننجزه.

عاد البرزاني لطرح فكرة الاقتصاد الكردي المتداعي، وضرورة دعمه، فقال له الاسرائيليون هناك وسيلة للتخلص السريع من هذه الضائقة: هاجموا مخازن

الجيش ونهبوا الطعام والملابس. هاجموا البنوك العراقية واخذوا ما فيها من مال، سدوا الطرقات وجمعوا من المواطنين الضرائب.

بيد ان البرزاني كان يفكر في شيء مختلف، يفكر في السفر الى اسرائيل سرا، ومن هناك يتوجه الى الولايات المتحدة واثقا من ان لقائه مع الامريكيين وجها لوجه سيوفر له مصادر مالية.

حرص الاسرائيليون على التأكيد له استحالة تجاوز الايرانيين -ورغم ذلك، فان السفر الى الولايات المتحدة ليس مسألة مستحيلة.

علم في تلك الاونة ان ادريس اجتمع برئيس السافاك في طهران. وقد اوضح الاسرائيليون للبرزاني، انه يتوجب عليه ارضاء الايرانيين وفي نفس الوقت عدم اغلاق المسار العراقي.

واذا اتضح ان العراقيين لا يسيرون باتجاه المفاوضات السلمية، فبالامكان مهاجمتهم داخل العراق نفسها، وبالتالي تثبيت الجيش العراقي لحماية قواعده.

وفي الرابع والعشرين من آب ١٩٦٦ اوضح الاسباب التي تجعله لا ينهج على هذا النحو فقال: نحن غير مدربين على استخدام مثل هذه الاساليب، ولا يوجد لدينا داخل المدن العراقية العدد الكافي لتنفيذ مثل هذه العمليات. كما ان من المحتمل ان يعمد العراقيون الى الانتقام من الميدانية بشدة.

وقد بعث المستشارون الاسرائيليون الى اسرائيل رسالة قالوا فيها: كما يبدو ان الاكراد لا يرون ابعد من الجبل القائم امامهم.

وفي السادس والعشرين من آب قال الدكتور محمود لهم: افكاركم تقوم على معرفتكم بالعدو العراقي، بيد انكم لا تعرفوننا نحن الاكراد، اننا نواجه العديد من الصعوبات كانشقاق الطالباني، وافتقارنا الى التنظيم، وعدم معرفتنا للكثير مما يدور هذا اضافة الى الوضع الاقتصادي القاسي جدا.

وفي تلك الاونة كان المسئولون الاسرائيليون في تل ابيب، يرسلون الرسالة تلو الرسالة الى الوفد الاسرائيلي في كردستان مطالبين باقناع الاكراد، بقبول وجود خبير اسرائيلي، يدرس مدى جدوى انشاء مشروعات في كردستان.

وفي المذكرات التي كتبها احد اعضاء الوفد قال: من الصعب ان نوضح للمسؤولين طبيعة ما نشاهده هنا، ببساطة فان الاكراد غير مؤهلين لذلك. بيد ان المسؤولين الاسرائيليين، لم يتخلوا عن الفكرة ، وبعثوا رسالة قالوا فيها: اعثروا على خمسة اكراد ممن درسوا في الخارج ، وارسلوهم الى اسرائيل لاجتياز

دورة حول التطوير.

****

تلقى الوفد الاسرائيلي من تل ابيب رسالة اثارت حماس الاكراد الى حد كبير وقد افادت الرسالة بأن رئيس الموساد عميت، حصل على موافقة رئيس السافاك على ان ترسل اسرائيل مستشفى ميداني بكامل تجهيزاته، ومعه ايضا وفد طبي، وخمسة الاف معطف شتاء وبطانية، والف وخمسمائة بندقية.

وعلم ايضا ان الحكومة الاسرائيلية قررت ان ترسل للاكراد شهريا اغذية وتجهيزات بقيمة عشرة الاف دولار. وقد اشترط ناسيري قبوله بذلك بتوجه البرزاني اليه شخصيا بطلب للسماح بوصول ما تم ذكره. وقد استجاب البرزاني للمطلب الايراني فقد كانت سعادته بالبنادق كبيرة جدا.

وفي السابع والعشرين من آب ١٩٦٦ كتب احد اعضاء الوفد في يومياته قائلا: في الصباح توجه ريجف ولبكوب بحثا عن مكان لنصب المستشفى الميداني، كما تفقدا الاماكن التي تصلح للانزال بالمظلة عند الضرورة، وقد عاد الاثنان من الميدان، بعد ان حددا مكان المستشفى الميداني بالقرب من ا(كسره) البعيدة ثلاثة كيلومترات عن الطريق الرئيسي.

وفي طريق عودتهم، اوقفتهم مجموعة من الجيش العراقي والتي كانت وظيفتها التأكد من وجود شهادة تطعيم لدى كل واحد من الاشخاص الذين يقابلونهم، ولم يكن لدى ريجف ولبكوب شهادة تطعيم ولم يفد وجود ازاد شيئا، وقد قال ريجف للبكوب بالانجليزية: ما رأيك في جولة في بغداد؟ وقبل ان يرد لبكوب، قال الضابط العراقي: بكل سرور من اين انتم؟ فقال لبكوب: من سويسرا.

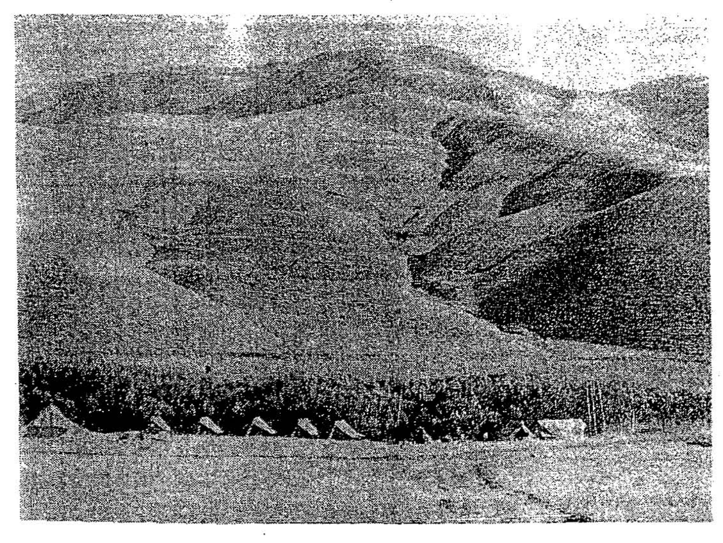
****

وفي الثامن والعشرين من آب انهى ريجف عمله بعد ان اتضح له انه لا يستطيع، في المستقبل المتطور، ان يقدم اية مساهمة للاكراد. وفي المساء قدم البرزاني لوداعه، وقال له: سنقدم احتجاجا على استبدال الطواقم كل ثلاثة اشهر، فما نكاد نتعرف على الوفد ونجعله يدرك مشاكلنا، حتى تقوموا بنقله، واخذ البرزاني لبكوب جانبا، وقال له: هل ريجف متزوج؟ فقال لبكوب نعم، فتوجه اليه البرزاني وقدم اليه مظروفا وقال له: هذا لزوجتك. وكان في المظروف سلسلة ذهبية كبيرة معلق بها نجمة داود الحمراء.

وفي تلك الاونة كان الموساد يدرس كيفية معالجة اسنان البرزاني التي تؤلمه اشد الالم، خصوصا وانه كان يرفض العلاج لدى طبيب عراقي، ولا يستطيع التوجه الى اسرائيل للعلاج في تلك الاونة وتم اتخاذ قرار بأن يرسل طبيب اسنان لمعالجته في كردستان وفي نفس الوقت ارسال شخصية اسرائيلية سياسية ذات منصب كبير وقادرة على كتم السر، الى كردستان لانارة بصيرة البرزاني بشأن قضية التطوير آنفة الذكر، في كردستان.



١٩٧٠ : مناحم بنوت ـ من اليمين، وجبرائيل دينر يلعبان النرد في كردستان



١٩٧٠ : معسكر الاسرائيليين في الحاج عمران

الفصل الخامس عشر

احتفالات تحرير جبل البيت في العراق

اتصل مكتب رئيس الحكومة بأريبه الياب الذي كان الجميع يلقبونه (لويا)، وقيل له: ان رئيس الحكومة يود رؤيته. وكان لويا في تلك الاونة، يعمل نائبا لوزير التجارة والصناعة، والمسؤول عن تصنيع مناطق التطوير.

قال اشكول للويا: البرزاني يريد منا ان نرسل اليه ممثلا للحكومة والكنيست فهل توافق على الذهاب الى كردستان لعدة ايام وتحل ضيفا عليه؟ ولم يتردد لويا للحظة واحدة في القبول، خصوصا وقد سبق ان خرج في مهمات خاصة من قبل الموساد في شمال افريقيا، وماليزيا، وسنغافورة وغيرها. وكان يعرف المنطقة معرفة جيدة منذ مطلع الستينات، عندما عمل في مجال اعمال منطقة قزوين الايرانية في اعقاب اصابتها بهزة ارضية عنيفة.

واضافة الى (لويا) حملت طائرة النقل العسكرية في الخامس من ايلول ١٩٦٦ طاقما طبيا ممتازا، عسكريا، ومدنيا، ومستشفى ميدانياً، يتم طيه بجميع تجهيزاته، ثمانمائة بندقية مع ذخائرها.

وبعد يومين، توجه لويا، والوف هروبن الذي جاء معه، وكرون من طهران الى الحاج عمران، كما تم شحن التجهيزات التي جلبها لويا معه على خمس شاحنات سارت في اعقاب سيارة الجيب التي كانت تقل الوفد المذكور.

ويقول لويا في يومياته: انطلقنا من طهران عبر قزوين وهمدان، وفي الليل تمركزنا في منطقة (كرمنشاه). وفي ساعة مبكرة جدا من فجر الثامن من ايلول، كنا نسيرعلى طريق (سنذح) حتى وصلنا الى (خانة)، وهي قرية صغيرة على الحدود الايرانية العراقية. وكانت الشاحنات تسير وراءنا متفرقة لاسباب امنية، وحال سقوط الظلام اجتزنا الحدود.

وعلى بعد عدة كيلومترات من الحاج عمران، كان (روئي) بانتظارهم على رأس مجموعة من الباش مرجا والتي رافقت القافلة حتى الحاج عمران وكان (روئي) يرتدي ملابس الاكراد فلم يتعرف الياب عليه.

نقل نائب الوزير الى بيت الضيافة واستقبل هناك بالترحاب، وقام خادم

ذو شارب عريض بالوقوف قريبا منه والسهر على خدمته، وتقديم القهوة له.

وفجأة توجه اليه (روئي) وقال له: كيف حالك لوبا؟ فقال: لوبا المندهش: من انت؟ فقال: اني اليشع روئي. والخادم الذي يقدم لك القهوة هو (حيمكه).

توجه لوبا ولبكوب وكرون فورا على الخيل الى قيادة البرزاني. وفي يومياته كتب لوبا كان الطريق يمر فوق منحدرات جبل خطرة للغاية، ولم يكن بالامكان في حلكة الليل رؤية شيء، هذا في حين كان ينتابني شعور اكيد بأن رجال الباش مرجا يسيرون من امامنا وخلفنا والى يسارنا ويمينيا.

وبعد حوال خمس واربعين دقيقة وصلنا الى خيمة لبكوب، حيث كان بانتظارنا ادريس والدكتور محمود والمفتي الذي قدم من طهران وجلسنا جميعا بانتظار قدوم البرزاني الذي جاء سيرا على الاقدام من قيادته، وقد قابل الضيوف بترحاب كبير جدا.

لقد جاء لوبا، ليس فقط كممثل عن رئيس الحكومة، بل ايضا عن رئيس الكنيست (كديش لوز) الذي كان قد تلقى رسالة تهنئة من البرزاني بمناسبة تدشين مبنى الكنيست في جبعات رام، في الحادي والثلاثين من آب ١٩٦٦.

قدم لوبا الى البرزاني علبة انيقة تضم ثلاث ميداليات، الاولى ذهبية، والثانية فضية، والثالثة برونزية. تم اعدادها خصيصا لهذه المناسبة، وقد نقش عليها: الى الجنرال مصطفى البرزاني، مع تحيات "برردران" (الاخوة بالكردية)، ثم بدأ الحوار بين الطرفين، وتواصل حتى ساعات الفجر الاولى.

بدأ لوبا عمله الفعلي، هو والطاقم المرافق له، في التاسع من ايلول. وقام مساعدو البرزاني بتقديم استعراض، وتلخيص للوضع على الصعيدين العراقي والميداني على النحو التالي:

* يسكن في المناطق الخاضعة للباش مرجا حوالي مليون نسمة، ومن ضمنهم مائتا الف من الرّحل الذين فروا من اماكن سكن كردية كبيرة، وسوف يتم طرح هذه القضية خلال المفاوضات مع الحكومة الكردية والمطالبة باعادتهم الى منازلهم.

* القصف الجوي والمدفعي، ورغم عدم دقته مس بالاقتصاد الكردي، فاحرق الحقول ودمر الجسور وطرق المواصلات، وبناءا على ذلك سيتم تضمين المفاوضات المطالبة بتعويضات على الدمار الذي حدث.

* نظرا لكون تعداد الاكراد في العراق يعادل ثلث سكان العراق كله، ويجب على الحكومة ان تستثمر ثلث دخولها في تطوير المناطق الكردية. خصوصا وان غالبية النفط العراقي يتم استخراجه من الاراضي الكردية.

واشار الاكراد الى وجود عشرات طلبتهم يتعلمون في الخارج. وقد اشار لوبا الى اعضاء الوفد الى ضرورة معرفة هؤلاء الطلبة واختيار الاشخاص المؤيدين للبرزاني والتمرد واهدافه، وتأهيلهم لوظائف رئيسية. ان اسرائيل ستكون على استعداد لاستيعاب اثنين او ثلاثة من هؤلاء الطلبة وتوجيههم لوضع ورقة عمل سياسية اقتصادية اجتماعية لاستخدامها في الحوار مع العراقيين في المفاوضات.

وتعكر الاحتفال الذي اقامه الاكراد للوبا، حينما اتضح ان الايرانيين لم ينقلوا اليهم الثمانمائة بندقية التي جلبها الاسرائيليون، وثارت ثائرة البرزاني، واخذ يسب ويشتم قائلا: هؤلاء المتلونون، انهم يتبعون سياسة "فرق تسد" بيني وبين احمد والطالباني الخونة. انهم يلعبون بي وبهما، وقد شجعاهما على الذهاب الى بغداد، رغم انهم كانوا قادرين على منعهما من ذلك، انهم يريدون تحويلي الى انسان ليس حيا وليس ميتا، ان البنادق الجديدة مخصصة للمتطوعين الجدد، وبدونها لا اعرف ما اقول لهم.

حاول كرون تهدئة ثائرة البرزاني، وقال له: من الجائز ان يكون التأخير راجع لاسباب بيروقراطية، ويجب ان تتذكر ان ايران هي حجر الزاوية في التعاون الاسرائيلي الكردي.

وفي العاشر من ايلول، توجه لوبا و لبكوب وكرون وازاد باتجاه عمق الاراضي الكردية، وكلما اقتربوا من جبل الزوزك، كلما تبدت للعيان اكثر فاكثر نتائج الحرب التي وقعت، ودلائل الحرب القادمة ايضا بين الطرفين. وبالقرب من رواندوز كانت هناك نقطة مراقبة كردية، بالامكان الاطلال منها على المنطقة، ومشاهدة موقع عراقي كبير في الجوار، وكما يبدو كان الاكراد يعتبرونه بمثابة هدفهم القادم.

شاهد لوبا الاستعدادت العراقية الكبيرة للحرب القادمة، ولاحظ ان العراقيين انتهزوا الفرصة والهدنة القادمة لشق طريق جديد، على ما يبدو انهم سيستخدمونه لجر المدفعية الثقيلة.

وفي يومياته كتب لوبا: مما لا شك فيه ان الاكراد يسيطرون على مناطق واسعة، وبدأت تظهر في هذه المناطق ممارسات تدل على السلطة، كالقضاء

والشرطة والسجون، والتي تعتبر بداية السلطة المدنية. ان الشعب الكردي بأكمله مسلح، وبجميع فئاته، بيد ان ذلك لا يعني انه شعب يسعى للحرب، بل على العكس، فهو شعب هادىء بدائي جدا، وذو وضع اقتصادي سيء للغاية، ورغم ذلك، فان حالات القتل والسرقة والاغتصاب نادرة الحدوث في اوساطه وهو الامر الذي يؤكد مدى سيطرة السلطة على الجماهير.

وادرك لوبا من خلال الملاحظة، ان الاقتصاد الكردي يقوم على فكرة "من اليد الى الفم" وان موارد التصدير كالتنباك واشجار الصفصاف المستخدمة في البناء، غير كافية للنمو، عدا عن تجهيز جيش مؤلف من عشرة الاف او عشرين الف نسمة.

واضاف لا يوجد في الاونة الحالية بديل للبرزاني، حتى ولو كان ذلك في صورة احد ولديه ادريس او مسعود، او الدكتور محمود او المفتي.

* *

وفي مذكراته كتب كرون: لا يوجد جهاز طبي لدى الاكراد، وجميع الجرحى ينقلون على ظهور الخيل والبغال الى ايران لتلقي العلاج، وهم يتلقون العلاج هناك حقا، بيد ان الفترة الزمنية التي يحتاجونها لايصال المصاب الى المستشفيات الايرانية، تجعل وضعه بائسا للغاية، فاما ان يلفظ انفاسه في الطريق، واما ان يضطر الاطباء لبتر اعضائه المصابة.

اما الان فقد تم انشاء مستشفى ميداني حقيقي في كردستان بادارة المقدم ابراهام تدمور قائد مدرسة الطب العسكري في الجيش الاسرائيلي، والذي سبق له ان عمل قائدا لسلاح الممرضين في لواء جبعاتي، وضابطا للتوجيه في قيادة السلاح الطبي، وقد ساعده في عمله ممرضان عسكريان هما موشيه اربيل وشمعون افرات.

اما الطاقم الطبي المدني فقد ضم طبيبين هما: الدكتور اورلي اسرائيل فرند، والذي كان يعمل طبيبا لوحدة مظليين احتياط، والدكتور بيسح سيجل، وانضم اليهما الدكتور دوف ايتسكوفيتش وهو طبيب اسنان، وجاء خصيصا لمعالجة اسنان البرزاني.

اشتمل المستشفى العسكري الذي اقيم بسرعة في الحاج عمران، في ظل غابة من الصفصاف، وبالقرب من مجرى نهر صغير، على خيمة واسعة تضم حوالي اربعين سريرا، وكذلك غرفة استقبال للمرضى، وعيادة صغيرة لطبيب

الاسنان، وخيمة لسكن الطاقم وخيمة للطعام.

لم تكد تمضي ستة اشهر حتى طبقت سمعة المستشفى الميداني الاسرائيلي الافاق في كردستان، وبدا المرضى يؤمونه من كل حدب وصوب والعمل يتواصل فيه حتى الساعات الاخيرة من الليل. ويقول احد اعضاء الطاقم كان الدكتور محمود عثمان الذي كان يعمل كوزير خارجية للبرزاني اول الزائرين للمستشفى، وقام بتفحص السرائر، ثم قال بجدية: ليس جيدا قال الاسرائيليون المندهشون ما هو الامر غير الجيد؟ فقال: ان المقاتل الذي سينام على مثل هذه الاسرة، لن يرغب في العودة الى الميدان.

عاد لويا الى اسرائيل وهو يحمل مرارة البرزاني معه الى المسؤولين الاسرائيليين، وقال لهم ان البرزاني قال له: تمكنه من دفع رواتب الجنود هو الذي سيحسم بقاء او انهاء التمرد. ومن الواضح ان البرزاني لا يعزو اية اهمية للمفاوضات مع العراق، ولا يصدق العراقيين وفي اي شيء يقولونه. ويعتقد ان العراقيين خدعوه، ولا زالوا يخدعونه، لذا يعتزم الحفاظ على ما تمكن من انجازه بقوة السلاح.

وقال البرزاني ايضا ان الهدنة لم تكن جيدة بالنسبة له، فالكثيرون جدا من بين المقاتلين لم يروا عائلاتهم منذ زمن طويل اضف الى ذلك، انهم مرهقون جراء اشهر القتال الطويلة، لذا يرغبون في العودة الى عائلاتهم. وهم لم يتقاضوا اجورا منذ عدة اشهر، ولا شك ان استمرار الوضع على هذه الحال فترة اخرى من الزمن سيؤدي الى حل الباش مرجا نهائيا.

واضاف البرزاني... لقد واجهتموني دائما بنفس الكلمات والمنطق.. اسرائيل ضعيفة، وصغيرة، ولا تستطيع تقديم اكثر مما تقدمه فعلا. واريد ان اذكرك بأن اسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تقدم لنا المساعدة وفي نفس الوقت، فانها تحصل على المقابل، فالاسلحة التي تمنحونها لنا، نوجهها نحو صدور عدوكم، اي ان حربنا تعزز امنكم.

لقد اعترف الياب في تقاريره، بصحة منطق البرزاني، وقال: انه دون المال اللازم، فانني اشك في قدرة البرزاني على الصمود. ان اقواله تتطابق مع اقوال نابليون، الذي قال: الجيش يسير على معدته، ومعدة الباش مرجا نصف خاوية، والبرزاني ملزم بملئها، ولا يجب ان يملأها بالطعام فقط، بل ايضا بالحد الادنى من الاجر.

* * * * * * * * * * * * * *

سأل ليفي اشكول لوبا في اعقاب عودته: ما الذي يسعى اليه الاكراد؟ فقال لوبا لا اعتقد ان اهداف التمرد واضحة تماما لقادته، ولا اعتقد ايضا ان وجهات نظرهم متساوقة ومتفقة بصدده، فاثناء القتال كل ما يرغبون فيه هو ان لا يتيحوا الفرصة لانتصار العراقيين، او السماح للعربدة في المناطق التي يسيطرون عليها، وقد تمكنوا من تحقيق هذا الغرض. والانطباع الحادث لدي، هو ان البرزاني يرغب في الحفاظ على الوضع الراهن، والاحتفاظ بالمنطقة الجبلية، ولا يرغب بمعالجة المشكلة الكردية، في المنطقة السهلية، او حتى المشكلة الكردية في المدينة. ويخيل الي انه على استعداد للاكتفاء بالمنطقة الجبلية التي يسيطر عليها، وان يحمل لقب الثائر الابدي الذي تمكن من الحفاظ على الاماكن التي يسيطر عليها كورقة قوية تجاه العراق، وكموقف مساومة تجاه الايرانيين. هذا في الوقت الذي يرغب فيه الشبان من قادة الاكراد مثل الدكتور محمود والمفتي والعقراوي في التوصل الى اتفاق ما سريع مع العراقيين والحصول على ثلاثة او اربعة مناصب وزارية، والتمتع بلقب ثوار ووزراء في هذه الدولة الهامة، بيد ان هؤلاء القادة واقعون، تحت تأثير البرزاني، وهو لن يسمح لهم بذلك فهو صقر، ولا يؤمن بالعراقيين.

واضاف لوبا: على اية حال، ستتطور الامور الى دولة، او دويلة، او كيان كردي ما لان الجيش العراقي لا يستطيع ان يمحوهم عن وجه البسيطة. والاذى الوحيد، الذي قد يؤدي الى اصابتهم باضرار جسيمة، يمكن ان يأتي فقط من داخلهم، كأن يموت البرزاني، او يعجز عن دفع اجور الباش مرجا، مما يؤدي الى حلها.

لقد حظيت اسرائيل بفائدة جراء دعمها للاكراد في العديد من المناحي، وهي على النحو التالي:

* على الصعيد العسكري: قسم كبير من الجيش العراقي كان مشدودا الى كردستان، وخسر الكثير من قواته ومعداته.

* على الصعيد السياسي: اثبتنا لانفسنا، وايضا سجل التاريخ، اننا قدمنا المساعدة لشعب صغير لم تقم اية جهة في الغرب او الشرق بمد خشبة نجاة مهما تكن صغيرة نحوه.

* على الصعيد الدولي: في وقت ما سيصبح بمقدورنا ان نقول للامريكيين او البريطانيين او الروس: اين كنتم؟

- واوصى الياب في تقريره، رئيس الحكومة، ووزير الدفاع بمد يد المساعدة المادية للبرزاني، من اجل مساعدته في الحفاظ على الباش مرجا وسلامتها، واكد أن الارباح التي ستجنيها اسرائيل من هذا الاستثمار ستكون كبيرة وطالما ان البرزاني يتحمل العبء، يجب مساعدته، ومطالبة الايرانيين السماح لاسرائيل بمساعدته.

****

في السادس والعشرين من ايلول ١٩٦٦ بدأنا عقد دورة المرضين ويقول ابراهام تدمور مدير المستشفى، وقد حدث لدي انطباع جيد من القادمين لاجتياز الدورة، وخيل الي ان لديهم الرغبة في التعلم بداية وجدنا صعوبة بالغة في العثور على من يجيدون القراءة والكتابة من الاكراد، ثم اهتدينا الى الاشوريين، وهم سلالة القبيلة التاريخية القديمة التي تذكرها التوراة، واصبحت شبه بائدة والكثيرون منهم يحملون اسماء عبرية، مثل هو شعنه، يؤنتان، ابروم، رابين.

ويقول موشيه ايل: اشتبه الاشوريين فينا واعتقدوا اننا لم نأت من اوروبا مثلما قلنا عن انفسنا، بل من اسرائيل وحاولوا التأكد من ذلك بذكر كلمات ومصطلحات ارامية قديمة لكننا تجاهلنا هذا الوضع تماما.

وعندما بدأنا الدورة قال لي لبكوب: هؤلاء ليسوا جنودا اسرائيليين، بل اكرادا ويتصرفون مثلما يتصرف سكان هذه المنطقة، لذا لا تندهش اذا ما تأخروا في القدوم الى المدارس، او ان يتصرفوا بصورة غير منظمة. بيد انني سرعان ما اكتشفت انهم شديدو الانضباط والاصغاء لما اقول.

بدأ الطاقم الطبي دورة الممرضين بنفس الوتيرة والمعايير المتبعة في الجيش الاسرائيلي، وبمعدل ثماني ساعات دراسية يوميا تبدأ في الساعة الخامسة والنصف صباحا بالركض وتنتهي في ساعات المساء. وخلال ايام الدورة الخمسة والثلاثين، حصل المتدربون على معلومات اساسية في التشريح والفسيولوجيا، ودرسوا مسببات الامراض المزمنة، وغير المزمنة، والمعدية، والطب الوقائي، ودرسوا الطب في العيادات ومن جملته قياس ضغط الدم والنبض، واعطاء الحقن وتضميد الجروح، ووقف النزيف، وتجبيص الكسور، والاحياء، وما شابه. وفي نهاية الدورة قام المرضون المتدربون بالمشاركة في مناورة، تصور حربا تدور بين الجيش العراقي والاكراد، فزحفوا الى التل الذي يفترض ان يتحصن الاكراد خلفه، وقاموا بوقف نزيف بعض الجنود، وبعمليات احياء، ونقل للجرحى الى مكان محمي، تم نقلهم

على نقالات الى المستشفى.

وحينما عاد اعضاء الوفد الطبي الى اسرائيل اهداهم جنود الباش مرجا دبا صغيرا كانوا قد اصطادوه، وقد تم وضعه في حديقة الحيوانات في اسرائيل. ومن الجدير بالذكر، ان مصطفى البرزاني كان يكثر من رواية الروايات حول صراعاته مع الدببة، ويقول انه ذات مرة قتل ثمانية دببة بضربة واحدة، ومرة اخرى خلص صديقا له من دب باطلاق عيار ناري على رأس الدب قبل ثوان من افتراس صديقه.

****

قرر عميت في ايلول ١٩٦٦ العودة مرة اخرى الى كردستان، ورغم ان اشكول لم يبد متحمسا، الا ان عميت كان يعتبر الزيارة حيوية للغاية، الى الدرجة التي جعلته يدعو رحبعام زئيفي، والوف هروبن لمرافقته فيها، وفي اعقاب موافقة رئيس السافاك توجه الوفد الى طهران. وفي الحادي والعشرين وصلوا الى الحاج عمران.

استغرق الاجتماع بين اعضاء الوفد والبرزاني سبع ساعات وكان عميت يرغب في ان يجتمع البرزاني بالشاه شخصيا والتحاور معه، لكن البرزاني رفض ذلك بشدة.

فقد كانت تسيطر عليه فكرة ان الايرانيين سيحولون دون عودته الى كردستان، اذا ما دخل ايران، ولم يقبل باجراء المقابلة الا بعد ان تعهد رئيس السافاك باعادته سالما.

وفي صبيحة الثاني والعشرين من ايلول توجه الوفد الى طهران في طريقه الى اسرائيل وقد تحدثت هناك مطولا مع ناسيري الذي لم يبد متحمسا لقدوم البرزاني الى طهران، وعندما نجحت في نهاية المطاف في اقناعه بضرورة المقابلة بين البرزاني والشاه، قال: حسنا، لكن دع البرزاني يتوجه الي، وانا بدوري سأتصل بالشاه فقلت له: البرزاني لن يطلب اجراء مثل هذه المقابلة ابدا.

بعثت اسرائيل (شماريه جونمان) عضو كيبوتس نغن، وعالم الاثار المشهور، ليحل محل لبكوب في مساعدة الاكراد. ولم تأت توصية لبكوب على جوثمان من الفراغ، فقد كان الكثيرون يدركون ان هذا الرجل قصير القامة، كان عام ١٩٤٢، احد الرسل الثلاثة الذين ارسلهم الموساد الى العراق لتهجير اليهود هناك، فيما اسمى بالهجرة الثانية. ثم عمل فيما بعد في المخابرات التابعة لمنظمة

الهجناه، وقاد وحدة مستعربين، وشكل داخل الجيش الاسرائيلي الصغير وحدة المخابرات ١٨ التي ضمت المستعربين، وعمل ثلاثة ايام حاكما للد في اعقاب احتلالها. ويفيد ملف هذا الرجل انه ولد في سكوتلندا عام ١٠٩، وهاجر الى فلسطين في طفولته، ويجيد التحدث باللغة العربية.

ويقول جوثمان: لقد جلبت لنا مساعدتنا للاكراد الكثير من الجدوى، فقد كنا نساعدهم في حربهم ضد العراق، كي نمنع العراق من شن حرب علينا، او المشاركة في مثل هذه الحرب.

****

وفي شباط ١٩٦٧، وفي اعقاب عودة جوتمان من كردستان الى اسرائيل بعد انتهاء فترة عمله هناك، ارسل الى كردستان رئيس وفد جديد هو بيني (بن تسيون) ميتيف، وهو ايضا بدأ خدمته في الجيش الاسرائيلي كضابط في المخابرات التابعة لمنظمة الهاجناه، وفي بداية خدمته عمل في المجال العربي في النقب وفي اعقاب حرب ١٩٥٦ عين حاكما عسكريا لمدينة رفح بقطاع غزة وقبل توجهه الى كردستان، ثم ادخاله في دورة خاصة في عدة مجالات كان من المفرض ان يحتاج لمعرفتها هناك.

وحال وصوله الى كردستان بدأ (ميثيف)، في اعداد مخططات للفرار من كردستان عند الضرورة، مثلما تنص اوامر الموساد ولذلك، حصل على اربعة جياد، واحد لكل عضو من اعضاء الوفد كي يفر على ظهورها حين الضرورة الى ايران عبر الجبال، ثم قام هو واعضاء الوفد بسلسلة طويلة من التجوال والبحث والتقصي في المنطقة لاختيار افضل طرق الفرار على ظهور الخيل.

ومن الجدير بالذكر ان احد اعضاء الوفد سقط من فوق حصانه وكسرت يده، وعليه فقد تم الغاء خطة الفرار على ظهور الجياد.

ويقول (ميتيف) انه في كردستان عرف أنه لا جدوى من ادارته في اي اتجاه لانه سيعود الى سيرته الاولى فقد وجد في الاكراد قدرة خاصة على التفكير باسلوبهم هم. كما وجد في ادريس ومسعود اهتماما كبيرا بالحركة الصهيونية، ورغبة لمعرفة تطورها كما شعرا ان نفسيهما ممتلئة بالمرارة جراء عدم اهتمام العالم بقضيتهما، واعتبرا هذا الاهمال بمثابة خيانة وكان يدركان جيدا ان الايرانيين سيخونون القضية الكردية، وان تأييدهم لهم هو تأييد مؤقت.

وفي السابع من نيسان ١٩٦٧، قال له العقراوي وهو يبتسم الذي كان

وفي السابع من نيسان ١٩٦٧، قال له العقراوي وهو يبتسم الذي كان من بين القلة القليلة التي تعرف حقيقته يقال ان طائرات بريطانية يقصد اسرائيلية اسقطت ست طائرات ميج مصرية.

وفي منتصف ايار ١٩٦٧ انهى ميتيف فترة عمله وعاد الى اسرائيل، وبقي الدكتور (تريستر) الذي ترأس المستشفى الميداني انذاك بديلا لسابقه، وكان تريستر يعلم ان شخصيتين كبيرتين من قيادة التمرد الكردي من بينهم (اراد) قد توجها لزيارة اسرائيل وفي الوقت الذي كان التوتر فيه يزداد في اسرائيل توطئة لخوض حرب ١٩٦٧، اجتمع الاثنان مع شخصيات اسرائيلية رفيعة من بينها سكرتيرة حزب (مباي) الاسرائيلي ووزيرة الخارجية جولدا مائير، والتي كانت من اشد المؤيدين لتقديم المساعدة للاكراد.

وفي الخامس والعشرين من ايار، عاد لبكوب الى كردستان ووجد الاسرائيليين في حالة قلق شديد جراء سماعهم للانباء التي توردها وسائل الاعلام العربية حول احتمالية الحرب، وما يعتزمون عمله بالاسرائيليين، كما وجد ان حمى القلق قد انتقلت للاكراد، فقال لهم: لا تخافوا، ونصحهم بعدم الاصغاء لاخبار المحطات العربية.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

في الثاني من حزيران ١٩٦٧، قدم الى مقر البرزاني نائب رئيس الاركان العراقي، وعدد من كبار ضباطه، وطلب من البرزاني ان يتعاون مع العراق، ضد اسرائيل.

ويقول البرزاني فيما بعد لمراسل جريدة لاموند الفرنسية (اريك رولو) طلب العراقيون مني خلال ذلك اللقاء ان اعلن تضامني مع العرب، فقلت لهم: ان الطريقة الوحيدة للحيلولة دون نشوب الحرب، هو مطالبة عبد الناصر بسحب قواته عن الحدود وان يفتح خليج العقبة من جديد في وجه الملاحة الاسرائيلية، والا فان الهزيمة ستحيق بجميع الجيوش العربية، فسخروا مني، وطلبوا ان اضع وحدات كردية تحت امرتهم لخوض الحرب ضد اسرائيل، فقلت لهم: انتم ومنذ ست سنوات تشنون حربا ضدنا، وتسعون لتدميرنا، فكيف تطلبون منا ان نمد لكم يد المساعدة؟

وعندما طلب ممثلو الحكومة العراقية من البرزاني ان يرسل قوة رمزية الى بغداد للمشاركة في الحرب، رد عليهم قائلا: انتم تتعاملون معي كقاطع

طريق، لذا لن احرك ساكنا لمساعدتكم، ولتخرجوا من الوحل الذي خضتموه بانفسكم، لقد حذرتكم، لكنكم لم تصغوا الي.

كان ديفيد كرون في تلك الاونة في كردستان، ويقول: حضر الي البرزاني في احد الايام، وقال لي: نظرا لان الجيش العراقي سيشارك في الحرب العربية الشاملة ضد اسرائيل، فقد عرض علي ممثلو الحكومة والجيش العراقي معا ان نعلن عن هدنة فوريه بيننا، وان ينضم مقاتلونا الى الحرب. وانا لا افكر ابدا في الانضمام الى الجيوش العربية في حربها ضد اسرائيل، بيد انني اميل لقبول فكرة الهدنة. فاذا قبلت الهدنة، هل ستتخلى اسرائيل عني؟ اريد ان اسمع جوابا فوريا، لان الوفد بانتظار ردي.

كانت المساعدات المقدمة للاكراد من قبل اسرائيل في تلك الاونة في اوجها على جميع الاصعدة، ومرت في ذهن كرون العديد من الافكار والبرزاني يتحدث معه.

كان يود ان يقول له: لا يكفي الا تنضم للعراقيين فقط، بل يجب عليك مهاجمتهم ايضا كي تحول دون ارسالهم قوات الى الاردن، بيد انني ادركت انه حتى لو قلت له ذلك، فلن يتصرف على هذا النحو، وقواته لا تستطيع الحيلولة دون ارسال غالبية القوات العراقية الى الاردن وقيادة التمرد لا تستطيع الوقوف سياسيا الى جانب اسرائيل ضد الجهد العربي الشامل.

ولهذا السبب قرر كرون ان يقول للبرزاني: لقد اخذت على عاتقك مسؤولية الشعب الكردي لذا سأترك لك ان تفعل ما تعتقد انه لصالح شعبك، واسرائيل ستقف الى جوارك مهما كان قرارك.

ويقول البرزاني لكرون فيما بعد انه نصح العراقيين بعدم التورط في الحرب، ولم يستجب البرزاني لمطلبهم الخاص بارسال قوات رمزية الى الجبهة مع اسرائيل، بيد انه اوفى بوعده الخاص بالحفاظ على الجبهة العراقية الكردية هادئة، ويكون بذلك قد قدم لهم المساعدة. ومن نافل القول الاشارة الى ان العراقيين كانوا سيرسلون قواتهم الى الاردن حتى لو واصل الاكراد مضايقتهم، وكان يكفي لواءان عراقيان لاشغال الاكراد واسكاتهم.

ويقول عميت فيما بعد "حاولت اقناع البرزاني بفتح جبهة ضد العراقيين، بصورة تمنعهم من ارسال قوات الى الجبهة، ضد اسرائيل، وهو لم يرفض المطلب، بيد انه قام بالقليل جدا.

ويقول لبكوب: نقلت طلب عميت أنف الذكر الى البرزاني وقد تضمن طلبا علنيا بالعمل ضد الجيش العراقي ، لكن البرزاني قال لي: دعنا من الحروب، نحن موجودان، ونفعل ما نستطيع فعله. وقد فهمت روحيته، وكنت اعلم انه يجيد تقدير قواته وامكانيته، فاتصلت باسرائيل، واعلمت عميت برده.

كان البرزاني يرى في الحرب بشري وايضا انتقام، وقال للبكوب: لقد واصلوا قتلنا وتدميرنا سنوات طويلة، قتلوا قطعانا بكاملها من الماشية، واحرقوا حقولا لاحصر لها، وعليكم ان تدمروا لهم مدرعاتهم ومشاتهم في غضون شهر، بل دعنا نقول اسبوع.

وفي الخامس من حزيران، قال لبكوب للبرزاني: ان اكبر سلاح جوي عربي باق هو سلاح الجو اللبناني، وان اسرائيل دمرت جميع اسلحة الجو العربية. وقام لبكوب باعداد خارطة يرسم عليها سير المعارك، واخذ البرزاني يرقبه، ثم غادر المكان، وعاد بعد قليل وهو يحمل خارطة رسم عليها هو ايضا سير المعارك حسب اعتقاده.

ويبدو على تلك الخارطة التي لا زالت محفوظة حتى الان في ملفات الموساد نجمة داود الحمراء وهي معلقة فوق دمشق وبغداد والقاهرة.

وكانت اسعد اللحظات تلك التي واتتنا فيها الانباء حول احتلال القدس، وكنا نحن اعضاء الوفد الاسرائيلي نجلس فوق قمة احد جبال كردستان نحتفل بهذا الانتصار الكبير. وكذلك مصطفى البرزاني احتفل بهذا الانتصار بطريقته، اذ احضر احد خدمه كبشا ضخما علق في رقبته شريطا ازرق وابيض -دلالة العلم الاسرائيلي- وكتبت عليه هنئوا اسرائيل لاحتلالها جبل البيت، الليلة سنذبح خروفا قربانا لاحتلالكم بيت المقدس.

عمت الفرحة جميع انحاء كردستان لتدمير اسرائيل سلاح الجو العراقي، الذي كان يقصف القرى الكردية بصورة متواصلة.

عندما انتهت المعارك على الجبهات، طلب الموساد من تسوري ساجي، ان يعود الى كردستان العراقية. كان العراقيون قد القوا القبض على طيارين اسرائيليين، وهما: اسحق جلنس جولان. الذي هبط بالمظلة في الاراضي العراقية، وجدعون درور الذي هبط هو الاخر من طائرة اسرائيلية اخرى بعد ان اصيبت الطائرتان في السابع من حزيران ١٩٦٧ ابان الهجوم الذي شناه على المطار العسكري المسمى (اتش-٣) الواقع بالقرب من الحدود العراقية الاردنية. وقد كلف

تسوري بوضع خطة لتخليص الطيارين من الاسر، او اختطاف ضباط عراقيين، كرهائن بيد ان العراقيين سارعوا لتسليم الطيارين الى الاردنيين الذين اعادوهما لاسرائيل.



١٩٦٩ : حلاق كردي يحلق لتصادوق أوفير



١٩٦٧ : جيورا طريسطر ـ من اليسار ، وعيزرا عميران أثناء قيامهما بجولة في كردستان

الفصل السادس عشر

الانهيار حدث

في هذه الانحاء

اخطأ جندي الراجمة خلال المناورة العسكرية التي كانت كتيبة المظليين (٨٩٠) تجريها بالقرب من قرية (زعوره) الواقعة على منحدرات هضبة الجولان في كانون الاول ١٩٦٧، وبسبب الانحراف الطفيف الذي حدث في زاوية الرماية، وقعت القذيفة بالقرب من قيادة اللواء المظلي-٣٥، مما ادى لاختراق احدى الشظايا لركبه قائد اللواء العقيد (داني ماط)، احد اشهر مقاتلي اللواء، كما اصيب بجراح ايضا ضيف اجنبي في اللواء، قدم الى الضباط باسم "الجنرال جونزالس من الجيش الاسباني".

قام الطبيب العامل في اللواء الدكتور (ميخائيل الكن) بانتزاع شظية من مؤخرة الضيف، واعطاها له هدية من الارض المقدسة. وقد تمتم الضيف، بعدة كلمات، حاول الطبيب تفسيرها، فأدرك انها ليست اسبانية، وخصوصا عندما قال الضيف باللغة العربية شكرا. واوضح الكن لمرافقي الجنرال كيف يجب الاهتمام به، ثم قال له وهو يغمز بعينه: اذا احتاج الجنرال الاسباني للعلاج، فانه على استعداد للسفر ومعالجته في بلاده. قال مرافق الجنرال والذي لم يكن سوى تسوري ساجي... سنرى.

وهكذا، ولدت قصة العلاقة بين الدكتور الكن، والقضية الكردية، دون ان يعرف من هو الشخص الذي عالجه، والذي لم يكن سوى القائد الكردي الكبير المقدم عزيز رشيد القراوي الذي اوردنا اسمه انفا.

قال العقراوي انه انهى الاكاديمية العسكرية في بريطانيا والاتحاد السوفياتي، وفي عام ١٩٦٢ فر من الجيش العراقي وانضم الى التمرد. وقام ساجي بمرافقته الى العديد من الواقع والاماكن، وعندما مرا بالسيارة بالقرب من وادي عاره، شاهدا اثنين من العرب، فصرخ العقراوي قائلا: هاهم عرب اطلق النار عليهما فورا. قال ساجي: هؤلاء عرب بيد انهم مواطنون اسرائيليون. فقال العقراوي باستغراب العرب يريدون تدميركم، الا تفهمون ذلك؟؟

لم ينس تسوري وعده للطبيب (الكن)، فاقترح على الوف هروبن ارساله

الى كردستان لعدة اشهر فطلب الكن دراسة القضية برمتها، وبدأ يتصفح ملف الموساد في كردستان، فاتضح له ان الموساد عمل في مجالات لا حصر لها في كردستان.

وعندما ودعه رئيس الموساد وهو في طريقه الى كردستان، قال له عميت: لقد خدمت حتى الان في غور الاردن التي هددتها دائما قوات عراقية والان انت تنتقل الى منطقة جديدة، يتم فيها اشغال لواء عراقي كي لا يهدد غور الاردن. وفي الحادي عشر من اذار ١٩٦٨، وصل الكن الى طهران، وهناك قال له كرون: العدو الحقيقي هنا ليس العراق، بل العزلة.

****

كان بانتظاره في مكان الوصول حسين، مدير المستشفى، وسليمان باكو رئيس حراس المستشفى وتبادل الطرفان الابتسامات والمصافحة، ثم صعدوا الى سيارة الجيب التي كان يقودها هذه المرة (يوسف لونتس)، وهو مستشرق وضابط اسرائيلي برتبة نقيب، غير عادي مثلما قال عنه زئيفي، وقد وصل في ترقيه الى رتبة عميد، وعين رئيسا للادارة المدنية في الضفة الغربية حتى وفاته، ولونتس لم يكتف فقط بالذوبان في اوساط الاكراد هناك، بل لقد كان الاسرائيلي الوحيد الذي اجاد اللغة الكردية، اندفعت السيارة بالطاقم الاسرائيلي باتجاه بلدة (ديلمان) وهي المدينة الشتوية للبرزاني.

تواصل الحوار بين الكن واعضاء الطاقم الاسرائيلي حتى الساعات الاولى من الفجر وعندما شعر الكن انه لا يستطيع فتح عينيه اكثر من ذلك، طلب منه البرزاني ان يكشف عليه ليرى فيما اذا كانت صحته على ما يرام.

وخلع البرزاني ملابسه، بعد ان امر باخراج الجميع ووقف الطبيب الاسرائيلي وفي اعقاب الفحص وتمتمة الطبيب باللغة العبرية بينما اخذ البرزاني يهز رأسه، وكأنه يفهم ما يقول، ارتدى ملابسه، وامر بعودة الجميع لاستئناف الحوار.

وطلب البرزاني من الكن ان يعالج ايضا خيول المقاتلين وعلى وجه الخصوص خيله هو، ونظرا لان الكن لم يكن قد عمل في هذا المجال، فقد بعث الى اسرائيل تفاصيل حول الامراض، وجاء العلاج من هناك كتابه، كما قيل له، ان يعطي للخيل حقن بنسلين وهي ستصبح على ما يرام. وذات مرة، قفز حصان عزيز على البرزاني من فوق سور شائك مما ادى الى تمزق بطنه وخروج امعائه

فامر الطبيب الكن ستة من الحراس ان يثبتوه على الارض، حتى قام بخياطة الجرح.

ويقول الكن: قررت تعلم اللغة العربية، لانني ادركت انه دون تعلم اللغة العربية، فلن استطيع التفاهم مع السكان او عمل الكثير، وطلبت من (عميران) ان يعلمني ليليا.

وذات مساء قدم البرزاني الى المستشفى وجلس معنا، وبدأ يتحدث، فقال: ليس العراقيون هم فقط اعداءه، بل الايرانيون ايضا، بيد انه يدرك انه لن يستطيع ادارة التمرد دون مساعدة الايرانيين او غضهم الطرف. واعرب البرزاني عن خيبة امله من العالم الغربي بصورة خاصة لتجاهله نضال الاكراد ومن الولايات المتحدة بشكل خاص التي ترى ما يحدث وتقف موقف المتفرج.

وقال البرزاني: لو ان الولايات المتحدة اوقفت الحرب التي تخوضها في فيتنام لمدة ثلاثة ايام فقط فلسوف استطيع بالمبلغ الذي سيتوفر جراء ذلك انهاء النزاع العراقي كردي بكامله. والتفت الينا قائلا: انتم الاسرائيليين لكم تأثير كبير على الرئيس الامريكي، اطرحوا قضيتنا امامه فلربما ان هذا الطرح يساعدنا، اما اذا تخلوا عنا وخاننا الايرانيون فسوف اخذ اربعين مقاتلا واصعد الى الجبال.

وبعد ان غادر المكان، انفجر المساعد الفني بالضحك، وقال: يريد ان يصعد الى الجبال، واين يظن نفسه الان؟ هل هو في السهل؟ وانفجرنا جميعا بالضحك.

****

قام شكيب العقراوي ابن العقراوي انف الذكر بزيارتنا في المستشفى وقال (لألكن) سيبدأ الطلبة الذين سيتجاوزون دورة الممرضين بالتوافد الى المستشفى غدا من جميع مناطق التمرد. ثم رافقت شكيب حتى سيارته، وفي الطريق قال لي: اخشى ان يقوم العراقيون بهجمات على المواقع الكردية في غضون الايام القليلة القادمة، فهززت كتفي بلا مبالاة، وقلت: ما العمل فليأتوا، هل سنرد عليهم بالمسدسين، والبنادق التشكيلية الستة التي بحوزتنا؟؟ وبدا شكيب قلقا للغاية.

قلت لعميران، ان من المحتمل ان تقوم طائرات العراقيين بمهاجمتنا، واوضحت له الخطر الماحق الذي قد نتعرض له، وقلت له: نظرا لاننا لا نستطيع اخفاء المستشفى، ولا يمكن العمل داخل غرف محصنة، يجب ان نفر من المكان،

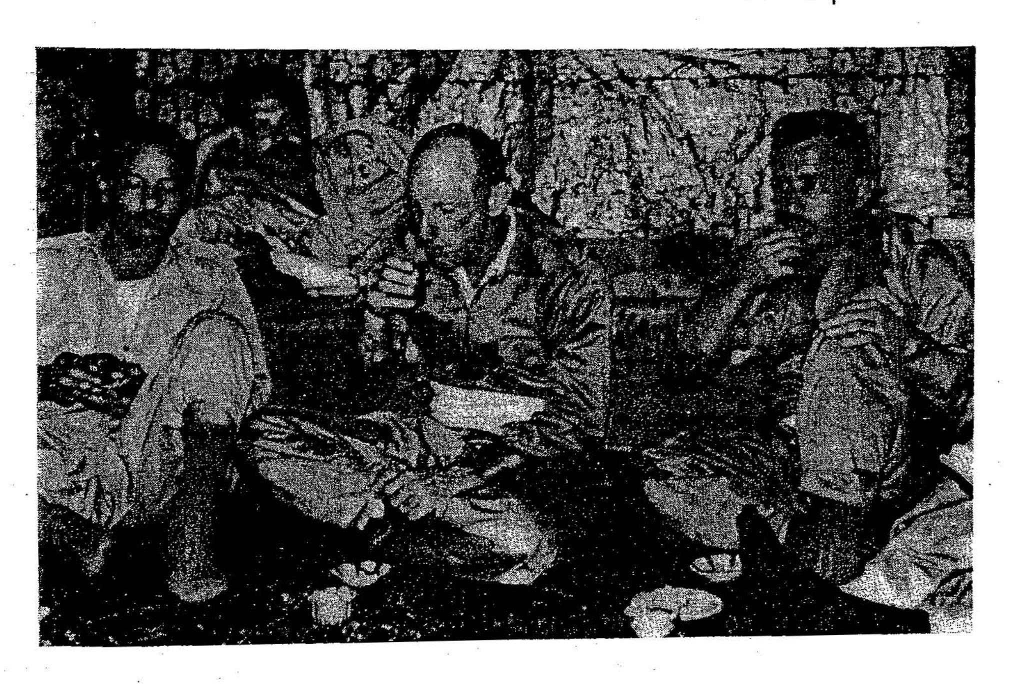
المرضى ونحن الى سلسلة الصخور في جبل (مامروط) ونختبىء هناك خلف الصخور.

وامرت حسين ان يبعد النفط من المطبخ، وان يخبىء السيارة الجيب تحت احدى الاشجار.

****

وفي الامس عشر من نيسان، وصل رسول من ميرخان مثلما نوهنا سابقا هذا الاسم هو اسم مستعار لمسؤول كردي رفيع المستوى وقال يجب توقع قيام الطائرات العراقية بقصف المواقع الكردية وان الطائرات هاجمت المناطق الكردية الشمالية حيث تدور هناك معارك طاحنة.

ويقول (الكن) قمنا بزيارة ادريس في بيته، فبدا عصبيا للغاية، وقال انه قرر ارسال زوجته المريضة (بالازمة) بعيدا عن كردستان، فالمعارك في الشمال جدية، العديد من الاكراد سقطوا قتلى وجرحى جراء القصف العراقي المدفعي وبالطائرات فقلت له: ان المستشفى غير محمي فوعد بوضع رشاش ثقيل في الساحة القريبة منه، لكنه لم يف بوعده.



١٩٦٩ : الاحتفال بعيد الفصح اليهودي في كردستان دان زيف ـ من اليمين يوسف لونتس، تصادوق اوفير

الفصل السابع عشر

البرزاني يزور اسرائيل سرا

اعتقدت الجهات الاسرائيلية في منتصف نيسان ١٩٦٨، ان هذا التاريخ مناسب لاحضار البرزاني الى اسرائيل كان هذا الموعد يصادف عيد الفصح العبري المسمى (بيسح). وكانت الجهات الاسرائيلية في الشمال، تسمي البرزاني (بيسح). وقامت لجنة خاصة من ممثلي الموساد والجيش الاسرائيلي بالعكوف على اعداد تفاصيل الزيارة.

واوصى لبكوب، بأن يتم ترتيب لقاء بين البرزاني وداود الحاج خانو -ديفيد جباي- صديقه اليهودي في كردستان لان احد اسباب زيارته، سيكون رؤية هذا الصديق، وكان جباي مطلعا على الاتصالات الجارية لاحضار البرزاني الى اسرائيل، وقال للمخابرات ان الاكراد لا زالوا يتذكرون الحكم بالاعدام الذي اصدرته السلطات العثمانية على والد مصطفى البرزاني، والجهود التي بذلها والدي لانقاذه من حبل المشنقة فقد توجه الى عاصمة الامبراطورية وهو يحمل قدرا كبيرا من الذهب، طالبا عفو السلطان عن صديقه وقد فعل الذهب فعله، واصدر السلطان عفوه، بيد ان قضاء الله نفذ في والد البرزاني ابان عودة والدي، وهو يحمل كتاب العفو.

وعندما تم اجلاء مصطفى البرزاني الى الاتحاد السوفياتي في اعقاب تصفية جمهورية ماهاباد، اتهم ديفيد جباي بمساعدة البرزاني بيد ان جباي زعم انه كان يساعد البرزاني تحت التهديد. وفي هذه المرة فعل الذهب فعله وتمكن من النجاة من الموت.

هبطت الطائرة التي اقلت البرزاني على مدرج جانبي في مطار اللد، وكان بصحبته الدكتور احمد والمفتي وخمسة حراس شخصيين مسلحين ببنادق كلاشينكوف، وقد استقبله لبكوب، وعميت وعدد من معارفه الاسرائيليين وقد حملق البرزاني في الموجودين، وتفحصهم واحدا اثر الاخر، ثم قال: اين ديفيد؟ فرد عميت قائلا: في الكيبوتس فقال البرزاني: انتم لم تجعلوه عضو كنيست، وهذا شأنكم، لكن قولوا لي متى سأراه؟

اجتمع البرزاني في البداية، مع رئيس الدولة زلمان شوفال، وحضر الاجتماع عميت ولبكوب، وكرون، ورغم جميع التوسلات، رفض البرزاني التخلي عن

مسدسه المحشو. وقد حاول لبكوب تبرير هذا الموقف بالقول: هل شاهدتم كلبا يتخلى عن ذنبه؟ وقد انسجم الاثنان معا، وتحدثا مطولا باللغة الروسية.

وفي نهاية المقابلة، قال البرزاني: قلتم لي ان وظيفة رئيس الدولة تشبه البيض للدجاجة. قبل التفقيص حيث لا يراه احد، اما الان وبعد ان قابلته فقد اتضح لي انه رجل حقا.

وبدا ان البرزاني كان متأثرا جدا بالنصيحة التي قدمها اليه شوفال، والتي قال له فيها: تخل عن فكرة الحكم الذاتي، واعمل من اجل اقامة دولة كردية. وكان كرون يصغي باهتمام كبير للحديث بين الاثنين، لذا ابتسم باستخفاف، وهو يقول لنفسه. رئيس الدولة غير مطلع على الاوضاع السياسية، ولا يعرف ما يدور في كردستان، لذا يطرح ما يشاء فهو لم يعرف ان التعاون مع الاكراد، يقوم على التنسيق مع الايرانيين، وان الايرانيين لن يسمحوا بأي حال من الاحوال، باقامة دولة كردية مستقلة.

وفي اعقاب مقابلته مع رئيس الدولة اجتمع البرزاني مع جميع الاشخاص الذين زاروا كردستان، وقد رافقه جميع هؤلاء الاشخاص، في اللقاءات التي اجراها مع المسؤولين الاسرائيليين رفيعي المستوى. ومن ضمنهم وزير الخارجية ابا ايبان، وبحضور مدير مكتبه ايتان بن تسور. ثم اجتمع البرزاني مع رئيس الحكومة ليفي اشكول بحضور مدير عام مكتبه الدكتور يعقوب هرتسوغ ورئيس الموساد عميت، وحاييم لبكوب، وتحدثا طيلة الوقت بالروسية. بينما قامت زوجة اشكول بالترجمة من الروسية الى العبرية. وقد وعد اشكول بزيادة المساعدات للاكراد، وتقديم يد العون لهم في الامم المتحدة.

واستقبله ايضا موشيه ديان، وقد حدث تفاهم فوري بين الرجلين اللذين كان بينهما الكثير من القواسم المشتركة فقد كانا مزارعين.

وفي نهاية المطاف احضرت ديفيد جباي بعد ان اختلقنا عذرا لابعاده عن البيت دون اعلام عائلته. وعندما دخلنا انا وهو الى الغرفة التي يقيم فيها مصطفى البرزاني حاول ديفيد جباي تقبيل حذاء البرزاني، بيد ان البرزاني انهضه وتعانق الصديقان الحميمان وهما يجهشان بالبكاء. وجلسا يتحدثان ساعات طويلة. ← لمنون !!

وفي نهاية اللقاء، سأل البرزاني اين سينام جباي؟ وعندما قلنا له انه سينام في الغرفة المجاورة اصر على رؤيتها، وتأكد بنفسه من ان المعاملة مع جباي تماما كالمعاملة معه، وتحسس الفرشات والاغطية، وبعد ان تأكد من ان كل شيء

على ما يرام، عاد الى غرفته.

وخلال الاسبوع التالي، استجاب البرزاني لطلب صديقه، وزاره في بيته في طبريا، وتناول معه ومع ابناء عائلته الغذاء ثم منحه هدية عبارة عن علبة سجائر كل السجائر التي فيها قام البرزاني نفسه بلفها مثلما هي عادة الاكراد.

كان من المفروض الحفاظ على زيارة البرزاني لاسرائيل سرا، بيد ان اشكول خشي من تسرب امر الزيارة جراء معرفة العديد من الجهات بأمرها لذا، امر باجراء مقابلة بين البرزاني ومحرري الصحف الاسرائيلية.

واقام الموساد احتفالا كبيرا للبرزاني حضره الكثير من الشخصيات الاسرائيلية، بما فيها مناحم بيغن زعيم حزب الليكود، والذي كان انذاك يشغل منصب وزير بلا وزارة في حكومة الوحدة الوطنية التي تلت حرب ١٩٦٧. كما دعا الموساد المغنية (شوشنه دماري) لاحياء الاحتفال بأغانيها، وقيل لها ان الضيف الذي سيقام الحفل على شرفه هو ايران.

وفي طريق العودة كادت عينا البرزاني ان تخرجا من محجريهما وهو يرى الكم الهائل من السيارات العسكرية والدبابات المتراصة والتي غنمها الجيش الاسرائيلي في اعقاب حرب ١٩٦٧، وقال لرئيس الدولة: انتم تقولون ان لا نفع من هذا الكم الهائل من السيارات، في الوقت الذي لا نملك نحن شيئا.

ورغم هذا الاستقبال الكبير الذي اعد للبرزاني ورغم المساعدات التي كانت اسرائيل تقدمها له، فقد اكد كرون ولبكوب لرئيس الموساد انه ورغم اهمية المساعدات المقدمة للبرزاني، فان علاقة اسرائيل بالاكراد لا تسير الى اي اتجاه معقول، ولا احد يتوقع ان تسفر عن فائدة ما.

بيد ان القيادة العسكرية لم تقتنع بأقوال كرون ولبكوب، واكدت ان مصلحة الاكراد تتطلب القيام بعمل عسكري افضل واوسع مما قام به الاكراد حتى الان. وبدءا بمعرفة الكادر السياسي الاسرائيلي بالاعداد لعملية (اناناس) والتي تهدف لتوجيه ضربة قاصمة للقوات العراقية في رواندوز.

كانت تلك القوة، البالغ قوامها قوة لواء تهدد بصورة دائمة طريق الامداد للقوات الكردية من ايران، وقد عكف الاكراد على تشكيل لواء جبلي جديد اطلقوا عليه اسم "هز الجورت" .

الفصل الثامن عشر

قائد سلاح المظلات في ساحة الحرب

في الثالث والعشرين من ايار تلقينا رسالة شيفرية تفيد ان ضباطا اسرائيليين سيتوجهون الى كردستان، وكان واضحا لنا ان مهمتهم عسكرية، ولم نتلق اية معلومات حول هدف الزيارة.

وصلنا الى قرية (ديلمان) مساء، ووجدنا كرون الذي وصل لتوه من طهران، وبصحبته ضابطان اسرائيليان. الاول هو تسوري ساجي والذي طبقت شهرته في كردستان الافاق، كمقاتل لا يشق له غبار، والذي انقذ الوضع ابان القتال الذي دار حول (الهندرن) عام ١٩٦٦. وبناء على القصص التي تروى، فقد طلب من الايرانيين ابان المعارك ارسال عدد من الراجمات الثقيلة، وقام بالتعاون مع العقراوي باستخدامها بصورة ناجحة وفعالة، الامر الذي ادى الى هزيمة العراقيين.

وبناء على النتائج انفة الذكر توجه العقراوي لزيارة اسرائيل.

اما الضابط الثاني فكان اهارون ديفيدي وهو قائد محنك وتكتيكي متميز. وكان هذا الضابط يعتبر جميع من في الشرق الاوسط اعداء لاسرائيل.

لقد فهمت الان سبب الجولة التي قام بها (لونشي) لمنطقة رواندوز في الثالث من ايار، وراقب خلالها زمنا طويلا اللواء العراقي المتمركز هناك.

لقد كنت اعرف الضابطين معرفة جيدة، لذا، ادرك انهما لم يأتيا للقيام بنزهة او لقضاء عطلة نهاية الاسبوع. وسرعان ما اتضح لي ان المسؤولين الاسرائيليين كانوا يخططون لعملية ضخمة هي عملية اناناس، والتي ترمي لتوجيه ضربة قاصمة للجيش العراقي في كردستان.

****

كان وزير الدفاع موشيه ديان قد اتخذ قرارا في العاشر من ايار ١٩٦٨ خلال الجلسة التي عقدها لمسؤولي مكتبه، يقضي بارسال الضابطين المذكورين الى كردستان. وكان ارسالهما يأتي في اطار تطبيق الاتفاقيات التي تم التوصل اليها خلال الزيارة التي قام بها البرزاني لاسرائيل خلال الشهر الماضي.

كان تسوري قد جاء لوقت قصير من اجل تعريف ديفيدي على البرزاني وقادة التمرد الاخرين، وللقيام بجولة معه في اماكن المعارك التي سبق له ان اشرف عليها.

قال ساجي للاكراد: ديفيدي هو ضابط متميز جدا، وهو اول ضابط يشغل منصب قائد سلاح المظلات في الجيش الاسرائيلي. انتم سمعتم عن ارئيل شارون ورفائيل ايتان كضابطين متميزين، وديفيدي لا يقل عنهما، بل انه حائز على وسام البطولة.

وفي يومياته كتب الكن في الثالث والعشرين من ايار: الليلة سيقدم الضابط للملا مصطفى البرزاني مخططهم.

جاء البرزاني مصحوبا بوالديه ادريس ومسعود، والعقراوي والدكتور احمد، وشكيب. وفي اعقاب تبادل التحية المألوفة، تم فرد الخرائط، وعكف الجميع على تدارسها. وقد ادركنا ان الحديث يدور حول منطقة رواندوز.

بدأ تسوري وديفيدي بالحديث، بينما قام لبكوب بالترجمة للبرزاني، وكان الحديث يدور حول تجنيد وحدة عسكرية كبيرة لاحتلال منطقة رواندوز.

وبدا واضحا ان الحديث يجري ايضا حول اساليب قتال جديدة، وتدريبات وهجوم واسلحة وذخائر جديدة ايضا، على ان يسبق كل ذلك جولات في المنطقة لجمع المعلومات، والتعرف على المنطقة من اجل التخطيط للهجوم. لقد نجح ديفيدي وتسوري في اضفاء جو تفاؤلي على الاجتماع، وادخلا في روع البرزاني ان العملية سهلة وقابلة للتنفيذ.

وفي اعقاب انفضاض الاجتماع، اعربت عن شكي العميق امام عميران مما سمعته ورأيته حتى الان، وقلت ان الاكراد ليسوا مؤهلين لتطوير هجوم جبهوي على اللواء العراقي وان الخطة التي تم وضعها جيدة، بيد ان بمقدور كتائب مظليين مدربة جيدا فقط تنفيذها وقد اثارت اقوالي غضب عميران.

اما في اسرائيل، فقد اتخذوا قرارا بأنه لا يجب ابدا رفض اية خطة قد تؤدي الى مقتل جنود عراقيين واحتلال مدينة هامة كرواندوز.

وفي الرابع والعشرين من ايار عاد تسوري وديفيدي من الجولة التي قام بها في المنطقة، بصحبة عقراوي. وخلال وجبة العشاء اصغيت الى اقوال ديفيدي، الذي تحدث باستخفاف كبير جدا حول مقدرة وكفاءة الاكراد. وقلت لنفسي لقد عمل ديفيدي سنوات طويلة جدا في القضية الشرق اوسطية، وهو يجيد التحدث بالعديد من اللغات باستثناء اللغة العربية وها هو يضع خطة عسكرية فذة لاحتلال منطقة رواندوز، بيد انه لا يوجد علاقة مشتركة بين هذه الخطة والتمرد الكردي.

صببت جام غضبي في الرسالة التي بعثت بها الى اسرائيل، وتوخيت ان تتسم بالحدة الشديدة، واوضحت الفارق الهائل القائم بين الخطة التي وضعها الاسرائيليون، والقدرة التنفيذية للاكراد. ولم اخف رأيي في ضرورة ان يدير الاكراد امورهم بانفسهم، وان اي تدخل من قبلنا سيؤدي الى كارثة. ولا شك ان بمقدورنا تقديم النصيحة والمشورة والمساعدة الى حد ما، لكن لا يجب علينا ان نلقي بظل هذا الثقل من اجل دفع الامور بالاتجاه المريح لنا فقط.

وفي الثلاثين من ايار، خرجنا دفعة جديدة من الممرضين العسكريين وحضر حفل التخريج ادريس والدكتور محمود وشكيب واستهل ادريس الحديث بالثناء على الممرضين واخلاصهم لكردستان الحرة، ثم اثنى الدكتور محمود على المدربين الاسرائيليين الذين يقومون بدورهم على اكمل وجه.

وخصصت كلمتي، للثمن الذي يجب على مقاتل الحرية ان يدفعه. ثم نادى الدكتور محمود كل طالب باسمه، وسلمه شهادة انهاء الدورة اضافة الى كتاب اعددناه حول اعمال الممرض العسكري.

وفي الاول من حزيران ١٩٦٨ ذهبت الى ديلمان لمقابلة لبكوب، واطلاعه على رأيي حول خطة ديفيدي وتسوري. بيد ان لبكوب قال لي: لا اعتزم معالجة مرضاك، لذا ارجو ان لا تتدخل في شئوني، وتحاول حل مشاكلي، الامر الذي جعلني اخرج بانطباع مفاده ان لبكوب ليس اهلا لحسم المسائل وانه شديد الحساسية تجاه المسائل العسكرية، ولربما انه كان يوافقني الرأي، بيد انه امتنع عن قول ذلك علانية.

****

كان ديفيدي وتسوري يعكفان حقا على التخطيط لعملية تثير جنون العراقيين، وعملا على ان تغطي العملية عشرين كيلومترا وقام رئيس الموساد، بتوجيه ديفيدي الذي كان سيشرف على العملية، بالكلمات التالية: يجب ان تكون العملية كبيرة وواسعة النطاق، لطرد العراقيين من شمال اربيل والزورك، الى ما بعد رواندوز وجلي علي بك.

كان العراقيون يحولون دون سيطرة الاكراد بصورة جغرافية متواصلة على المناطق التي يقيمون فيها. فقد تمركز العراقيون في صخور جبل الكوراك وفي رواندور، ومناطق سيطرة اخرى، بصورة منحتهم السيطرة على قوس واسع للرماية والتنص على الطرق الصغيرة والكبيرة، مثل الطريق الواصل بين كركوك واربيل.

وبالتالي فان تطهير المنطقة من السيطرة العسكرية العراقية. كان سيمكن الاكراد من السيطرة الجغرافية المتواصلة على جميع المناطق الكردية في هذه المنطقة.

اعتقد عميت، ان بمقدور الاكراد القيام بالمهمة، بعد التدريب المناسب، وكذلك تسوري ساجي وهو الوحيد الذي سبق له ان قاد الاكراد في حرب ضد العراقيين ونجح في هذه القيادة اعتقد ان فرص تنفيذ الخطة كبيرة. اما ديفيدي فكان يقول: ان الاكراد هم الاسرائيليون الذين يعيشون بين العرب، وهم شجعان، وذوو قدرة تنفيذية.

وخلال الجولة التي قام بها ديفيدي اصطدم بظواهر لو انها حدثت على الحدود الاسرائيلية لاقام الدنيا واقعدها. ويقول: سرنا على الطريق الشمالي الشرقي لرواندوز، وكان هناك فصيل من الاكراد الشيوعيين الذين سبق لهم الفرار من الجيش العراقي، يقوم بحراسة هذا المكان والتمركز فيه، وهناك شاهدت اثنين من الفصيل على الطريق، وثلاثة اخرين كانوا يجلسون في احدى الخرائب وقسم اخر ذهب لشراء بعض الحاجيات. وفكرت ماذا كان سيحدث لو ان العراقيين قرروا في هذه اللحظة، شن الهجوم؟ لا شك انهم كانوا سيتقدمون بسهولة بالغة عشرين كيلومترا شمالا، بيد ان تصرف الاكراد جاء على ارضية معرفتهم التامة للعراقيين، وادراكهم انهم لن يشنوا اي هجوم في مثل هذا الوقت.

ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي يعتبر غير مشجع، بالنسبة لديفيدي. وهو يقول: الاكراد لم يكونوا يحسنون قراءة الخرائط. ولم يكونوا يفهمون ما هي الحرب، ولحسن حظهم كانوا يواجهون جيشا كالجيش العراقي الذي يعتبر تسليحه وذخائره ضعيفة نسبيا، كما ان ضباط هم مجرد خرق باليه. كان الاكراد يطلقون النار عليهم، من بنادقهم، طويلة الفوهات، من مسافة ثمانمائة متر، فيوقعون بهم الاصابات العديدة، ثم يشنون الهجوم عليهم.

اصيب تسوري بفيروس محلي سبب له آلاما شديدة في الامعاء الامر الذي اضطره لمغادرة المكان بسرعة، اما ديفيدي فقد احضر ضابط مظلات جديدا من خيرة ضباط المظلات، وقال: ان نجاح عملية (اناناس) رهن بضابط مثل (كبوسته). وهو اسم عائلة (ميخائيل بن اري) القديم، وهو احد قدامى المحاربين في سلاح المظلات، وقد ولد في الاردن. وقدعمل والده كهربائيا في محطة الطاقة الكهربائية التي بناها بنحاس روتبيرج في منطقة (نهرايم)، ثم انتقل بعد ذلك لادارة محطة طاقة كهربائية في معسكرات الجيش البريطاني في الزرقاء، والمفرق

ومعان الواقعة في الاردن، وكانت زوجته معه، لذا كان ميخائيل احد الاسرائيليين القلائل الذين ولدوا في الاردن.

ومنذ الخمسينات التحق ميخائيل (كبوسته) بالمظليين، واكتسب تجربة غنية جدا تعادل تجربة ارئيل شارون وديفيدي ومائير هارتسيون، وكان احد الشركاء في بناء وحدات الدوريات الاولى وشارك في جميع العمليات الانتقامية واصيب بجراح مرتين.

وقبل تسريحه من الجيش خاض حرب ١٩٦٥، واصيب بجراح خطيرة في ممرات المتلا. وشارك فيما بعد بتشكيل هيئة الاركان، ثم اقام فيما بعد سرية دورية اللواء الثمانين، وقادها خلال احتلال القدس، وفي ترسيم الحدود في هضبة الجولان خلال حرب ١٩٦٧.

توجه يفيي وكبوستا والعقراوي لدراسة المنطقة، وبقوا ثلاثة ايام، في منطقة المعارك المستقبلية. ويقول الاثنان: ركبنا البغال في حين حمل بغل ثالث منظارا هائلا وتوجهنا من الحاج عمران باتجاه الغرب، اي باتجاه رواندوز وجبنا منطقة تبلغ مساحتها ثلاثين كيلومترا عرضا في ثلاثين كيلومترا طولا، وراقبنا جميع المناطق التي يتمركز فيها الجيش العراقي، ثم عدنا بنفس الطريق الى الحاج عمران.

وازاء كل موقع عراقي، قام الاثنان بدراسة الطرق المؤدية اليه، وافضل الاماكن لقطع الاسلاك الشائكة والاقتحام بل لقد قام ديفيدي بالتخطيط لعملية تضليل في منطقة بنجوين الواقعة على بعد مائتي كيلومتر من مناطق القتال الحقيقية، وذلك بهدف جذب القوات العراقية الى هناك، وتم تحديد الوحدة الكردية التي ستكلف بهذه المهمة.

ويقول (كبوسته) في مذكراته: قام رعاة اغنام، او قبائل تسكلن نفس المكان باعلام العراقيين، بالجولة التي قمنا بها، وعلمت فيما بعد، ان القوات العراقية حاولت مطاردتنا وفي اعقاب الجولة اعتقدت اننا بحاجة الى حوالي الف مقاتل من اجل احتلال المنطقة.

كان (كبوسته) يتذكر طيلة الجولة ما قيل له قبل مطاردته لاسرائيل: كلما كانت الجبهة ساخنة بين الاكراد والعراقيين كلما كان ذلك افضل لاسرائيل، لانه سيمنع العراقيين من ارسال قواتهم باتجاه اسرائيل، والتعاون مع الاردنيين او السوريين في هذا المجال، لان من الواضح ان العراقيين لن يتخلوا بأي حال من

الاحوال للاكراد عن حقول النفط التي بحوزتهم في المناطق الكردية وسيدفعون بقوات كبيرة الى المكان لحراستها.

وفي الطريق اكثر كبوسته من الحديث مع رجال (الباش مرجا) الذين كانوا يقومون بحراسة الدورية، وراقب كيف يطلقون النار على المدى البعيد باهتمام بالغ وسأل احدهم اذا ما نفذت الذخيرة منك ما الذي ستفعله؟ فقال سأخبىء بندقيتي في مكان ما، ثم سأتجه الى المنطقة التي كنت اطلق عليها النار وكأنني فلاح عادي، وسأبقى بانتظار مرور سيارة جيب عراقية تقل ضابطا وسألوح له بعشرة دنانير، واشتري منه ذخيرته، واعود لمواصلة اطلاق النار.

وقد سأله كبوسته لماذا تختار ضابطا وليس جنديا؟ فقال: الجنود لا يبيعون ذخائرهم واسلحتهم ابدا، اما الضاباط فبالامكان شراء كل شيء منهم.

وفي احدى لحظات الراحة، قال احد رجال الباش مرجا لكبوسته: انظر الى تلك الصخرة البعيدة، فنظر كبوستة لكنه لم ير شيئا، لكن الباش مرجا وجه بندقيته (البرنو) واطلق النار وسأل كبوسته هل رأيت؟ فقال كبوسته: لم ار شيئا لكن الباش مرجا ذهب الى تلك الصخرة، وعاد بعد لحظات وهو يحمل طائر (حجل)، وقال غاضبا: اردت ان اصبها في رأسها، لكنني فشلت واصبتها في جسمها. ابتسم كبوسته لنفسه باعجاب لهذه المشكلة. لكن سرعان ما اتضح لي انه وباستثناء البراعة التي يتمتع بها الباش مرجا في القنص فان قدرتهم العسكرية بائسة وتحتاج الى تدريب اكثر بكثير من المتوقع.

****

ويقول الدكتور (الكن): في اعقاب هذه الجولة اصحبت افكار الضابطين اكثر اعتدالا اضف الى ذلك، انني كنت اشعر ان الاكراد يعارضون احتلال راوندوز بصورة كاملة، وكان من الواضح لي انهم لن يعملوا ضد ارادتهم ورغباتهم.

حضر البرزاني مساء، وتحدث عن معارك الزوزك عام ١٩٦٥، وعن رحلته الدراماتيكية عبر ايران الى الاتحاد السوفياتي عام ١٩٤٥، واعطى انطباعا وكأن هذان الحادثان هما عمل واحد.

اما ديفيدي، فتحدث عن المستقبل وقال: ان جبل الكورك هو هدف الاحتلال والسيطرة التي نسعى اليها، وذلك لسببين: اولا كي يتمكن من اطلاق قنابل الراجمات منه، وثانيا كي يحول دون نصب العراقيين نقاط رقابة عليه اما الهدف الثاني، فهو معسكر الجيش العراقي المسمى حليفان بالقرب من (جلي علي

بك)، وتلة اخرى شاهقة الارتفاع الى الجنوب منه.

ويقول ديفيدي كانت التقديرات تشير الى ان مدينة رواندوز ستسقط بعد خوض معارك عنيفة، من بيت الى بيت، او ان يقوم الاكراد هناك بنقل ولائهم الى البرزاني، بعد ان يتأكدوا من انتصاره.

* *

وقع في السابع عشر من تموز ١٩٦٨ انقلاب جديد في العراق بقيادة احمد حسن البكر، وهو جنرال وسياسي، وكان شريكا في الانقلاب الذي وقع عام ١٩٥٨، لكنه لم يجد لغة مشتركة مع قائد الانقلاب عبد الكريم قاسم. وفي شباط ١٩٦٣، مد البكر يد المساعدة للانقلابيين برئاسة عارف الذين احاطوا بقاسم، وفي تشرين الثاني ١٩٦٣، ابعده عارف عن جميع مراكز القوى، بيد انه في نهاية المطاف تمكن من الوصول الى مبتغاه.

عين البكر نفسه رئيسا، ورئيسا للحكومة، وقائدا للجيش، ورئيسا لمجلس الثورة، وعمل بقبضة حديدية ضد جميع اعدائه، وكذلك ضد زملائه في الانقلاب، وابدى صلابة وصرامة شديدة جدا تجاه الخارج، واصبح حجرا اساسيا في جبهة الرفض، وهي تلك اللجبهة التي اتخذت مواقف متطرفة وصارمة تجاه اسرائيل.

ومنح الانقلاب فترة هدنة للاكراد، وايضا منحهم مهلة زمنية لتهيئة تعزيز قواتهم، كما منحهم املا في احتمال ان لا يتصرف الزعيم العراقي الجديد تجاههم على غرار سابقيه.

بيد ان امال البرزاني سرعان ما انهارت عندما قام البكر بتعيين احد مقربي الطالباني وزيرا في حكومته، ومنح الطالباني نفسه مساعدات مالية واسلحة، كي يقض مضاجع الباش مرجا.

ومن الجدير بالذكر انه لم يمض زمن طويل حتى اكتشف البكر ان الطالباني وقواته هم سند ضعيف. ولم يجد البرزاني ايضا اي سبب يجعله يطالب الاسرائيليين بالكف عن التخطيط لعملية "اناناس".

بدأت عملية تجميع الالف مقاتل من جميع ارجاء كردستان العراقيَة، والذين بدأوا يتوافدون على اماكن التجمع على ظهور البغال وسيرا على الاقدام. وفي نفس الوقت بدأت عملية اختيار مائة وعشرين كرديا كي يقودوا العملية. وتم ارسالهم لاجتياز دورة قادة خاصة تحت اشراف ايراني اسرائيلي في منطقة محمد

الواقعة في الاراضي الايرانية. وقد ترأس الطاقم الاسرائيلي في الدورة المقدم احتياط (اليشع شليم)، وهو احد كبار ضباط سلاح المظلات الاسرائيلي، والذي خاض حروبا عديدة خلال العمليات الانتقامية، وخاض حرب ١٩٥٦، وايضا حرب ١٩٦٧.

لم تكن المشكلة الكردية غريبة على (اليشع) فقد اطلعه صديقه تسوري ساجي على السر، كما سمع الى تفاصيل دقيقة من رفائيل ايتان، الذي يفترض ان يحل في تلك الاونة محل ديفيدي قائدا لسلاح المظلات، وقال له ديفيدي: ان الدورة مخصصة لرفع الاكراد درجة وتعليمهم كيفية الانتقال من الدفاع الى الهجوم.

توجه (اليشع شليم) ومعه ثمانية ضباط من خيرة ضباط اسلحة المشاه والمظليين في طائرة نقل الى ايران، كما حملت الطائرة كمية كبيرة من الاسلحة التي غنمتها اسرائيل خلال حرب ١٩٦٧. ومن طهران توجهت المجموعة الى مزرعة كبيرة، في منطقة حمدان تبعد حوالي مائة وستين كيلومترا غربي العاصمة الايرانية، وكان السافاك قد صادر هذه المزرعة لكونها مخبئة بين الجبال، وهيأها لعقد الدورة.

ترأس طاقم التدريب الايراني المؤلف من خمسة ضباط العقيد (فهلافن) وفي التوجيهات التي تلقها اليشع، قيل له ان العقيد المذكور يعتبر كرامته فوق كل اعتبار، وهو شديد الحساسية لها، لذا، عليه ان يبدي تجاهه الكثير من الاحترام. وقيل له: عندما تشعر انه سيخرج عن طوره: قل له: انك ستقدم شكوى الى يعقوب نمرودي، الملحق العسكري الاسرائيلي في ايران، والذي كان يشبه في تأثيره تأثير نائب الشاه.

اما اعضاء الطاقم الايراني الاربعة الباقون، فقد كانوا ضباطا برتبة نقيب وقد دلت ازياؤهم على انهم من الكوماندو الايراني، وكان اثنان منهما قد تلقيا تدريباتهما في الولايات المتحدة وبريطانيا (اهرش وكورش)، والثالث هو ضابط تركماني، والرابع ضابط ادارة.

بدأت دورة القادة، في الاول من آب ١٩٦٨، واستغرقت خمسة وعشرين يوما، وتضمنت تدريبات حتى مستوى قادة فصائل، بما فيها الانضباط الليلي، ومهاجمة الكمائن، وادارة النيران، واجراءت منح الاوامر، والاتصال، وطوبوغرافيا، وجمع المعلومات الاستخبارية الخاصة بالعمليات، والتنظيم والتجهيز، وتخزين

الاسلحة والعناية بها.

ارتدى المتدربون ازياءا عسكرية ذات الوان ايرانية ثم تمت صناعتها في مصنع (آتا) الاسرائيلي، وتم تقسيمهم لثلاث مجموعات تتلاءم مع ما اقرته الخطة. مجموعة الشمال والوسط والجنوب. وبذل المدربون جهودا كثيفة كي يؤكدوا لهم مدى فعالية واهمية الاسلحة الاتوماتيكية التي زودوا بها. وجدواها مقارنة بالبنادق البريطانية القديمة التي يستخدمونها.

وفي اطار هذه الدورة اجرى (شليم) دورة اخرى لقادة القطاعات، حيث كانت هناك ضرورة لاكسابهم مقدرة على تقدير الوضع، واستقراء الاتجاهات، وبناء المخططات التنفيذية.

قام ديفيدي وكبوسته بزيارة الدورة، وزودوا القائمين عليها بالاستنتاجات التي خلصوا اليها اثناء الجولة التي قام بها في كردستان. واكدا ان نجاح العملية يعتمد على احتلال المواقع العراقية المسماه (ربايه). والحقيقة هي ان كل موقع من هذه المواقع كان عبارة عن نموذج عراقي (لتل حي) عام ١٩٢٠، ومؤلف من ساحة كبيرة واسعة الارجاء بصورة غير محددة، ومحاطة باسيجة حجرية ورمل ومحمية بنقاط مسلحة، وقنوات اتصال من الداخل والخارج، وقد حمت هذه المواقع وحدات عسكرية واسلحتها الثقيلة، وسائل مواصلاتها، واستخدمت كنقاط متقدمة لمراكز السيطرة. وكان احتلال هذه المواقع سيمهد الطريق للهجوم الشامل.

وجلب معه ديفيدي رسما نموذجيا لاحدى (الربايه)، وطلب ان يتم بناء نماذج مشابهة والتدرب على احتلالها وقد استجاب المدربون له، بيد ان احد المقاتلين سقط ابان الهجوم عليها، وقتل جراء اصابته برصاصة من سلاحه، مما ادى الى هز معنويات الطلبة، وحدا بعدد منهم لمغادرة الموقع وعدم العودة اليه.

ويقول (امير كيرن) احد ضباط دورية المظليين، والذي كان يدرب الطلبة على استخام المدافع غير المرتدة: لم اجد لديهم مستوى ذكاء معقولا، لقد قدموا من قبائل شتى، وتحدثوا لهجات مختلفة. انهم قادرون على اصابة اي هدف من ابعاد لا تصدق، بيد ان تحويلهم الى جنود حقيقيين، كان يتطلب عملية صهر واسعة وحقيقية.

انتهت الدورة باجراء مناورة بالنيران الحية استغرقت ثماني ساعات، واشتملت على مناحي الدورة. وقد حضرها عزيز عقراوي كضيف شرف.

****

ويقول ديفيدي: خلال دورة (حمدان) الايرانية ادركت ان كفاءاتهم متدنية جدا فقد بنينا (رباية) ودربناهم عل اقتحامها، وجعلناهم يعملون تحت قصف الاسلحة الثقيلة على بعد سبعين او ثمانين مترا منهم وشعرت انهم يخافون خوفا مميتا وحينما قتل احدهم واصيب اخر بشظية، هي اول مرة، في حياتهم، يقومون خلالها باجراء مناورة من هذا القبيل.

ان المقاتل الجيد، وفقا لمعاييري، هو ذلك الجندي الذي لا يتحجر عقله في اللحظات الصعبة والحاسمة، وهذا ما نجده في الجندي الاسرائيلي، اما في اوساط الاكراد، فلم اعثر سوى على قلة قليلة جدا تتمتع بهذه الصفة.

ويقول ديفيدي: كانت التدريبات ترمي الى الاعداد لخوض الحرب، وبدأت الاسلحة والذخائر تتوارد من ايران ببطء شديد، مما اثار شكوكي تجاه النوايا الايرانية، وجعلني اعتقد ان الايرانيين لا يرغبون في تنفيذ المهمة. كنت ارغب في الوفاء بالجدول الزمني الذي وضعناه، لذا سافرت الى اسرائيل اربع مرات خلال عمليات الاعداد. وتواصلت التدريبات، وتجمع المقاتلون بالقرب من (ديلمان).

اثار التباطؤ الايراني قلق ديفيد، فتوجه الى طهران لمعرفة الاسباب.وصادف في تلك الاونة ان قام وزير الخارجية ابا ايبان بزيارة طهران، واجتمع بالشاه، وطرح قضية العملية المذكورة، فقال له الشاه، ستنفذها انا اؤيد العملية.

اجتمع ديفيدي مع رئيس السافاك "ناسيري" وبدأت الذخائر والاسلحة الايرانية تتدفق على كردستان. وقد طلبت كميات محددة من الذخائر والاسلحة وقد ارسلوها فعلا بيد ان الايرانيين لم يرسلوا اجهزة التفجير، لان ديفيدي نسي ان يطلبها، واعتبر الامر بدهيا.

قال ديفيدي لعميت وموشيه خلال سفرياته الى اسرائيل، ان بالامكان تنفيذ العملية. بيد ان ديان بدا مترددا ومتحفظا وكان يقول: حسنا، مادمتم قد اتخذتم قرارا، فانا موافق عليه.

كان من المفروض، ان توكل مهمة قيادة المتمردين الاكراد الى عزيز العقراوي، والذي اعتبرته الكثير من وسائل الاعلام بعيدا جدا عن ان يكون قائدا لمتمردين، بل هو جنرال نموذجي لجيش حديث.

وحدث انطباع لدى ديفيدي، بأن العقراوي، لا يحظى بثقة الاكراد الكاملة رغم كفاءاته العسكرية. فقد تذكروا انه كان في الماضي يخدم العراقيين، ثم خانهم، وانتقل الى جانب المتمردين، فمن يضمن لهم انه لن يخون هذه المرة ابناء شعبه؟

اضف الى ذلك ان الاكراد لم يكونوا راضين عن عدم سكن عائلة العقراوي في المناطق التي يسيطرون عليها، ورغم ادراكهم ان تلك العائلة تتعرض في (عقرا) ايضا للموت.

ويقول ديفيدي... مهما كانت المحبة او الكراهية، فان العقراوي كان الوحيد الذي يفهم خريطة الهجوم والمعارك.

ويقول كرون بعد ثمان وعشرين عاما: عكف ديفيدي والعقراوي على الاعداد للعملية، وتعمقا في الخرائط واعدا طرق وجداول الامداد وعدد القنابل. ووصل الاثنان الى وضع جداول ذات كميات هائلة من الاسلحة والذخائر. وكان من الصعب مناقشة ديفيدي، لانه عسكري محترف ويضع مخططاته بصورة مدروسة، ويعمل على ان يضمن الذخائر والتسليح نجاح المهمة.

ويقول لبكوب: كان هدف العملية ارغام الحكومة العراقية على الاعتراف بالاكراد كقوة لامناص من الاستجابة لطلباتها ومنحها حكما ذاتيا وكانت نواياي منذ اللحظة الاولى ترمي نحو ان افعل ما هو في مصلحتهم.

* *

عاد العراقيون يلمحون الى رغبتهم في التوصل الى اتفاق مع الاكراد، الامر الذي اثار الامال لدى الاكراد بأن من المحتمل ان تكون الزعامة العراقية الجديدة مختلفة عن سابقتها. ولربما ان هذه الالماحات هي السبب في عدم تنفيذ العملية، وربما ان السبب في ذلك يرجع الى التهديدات الايرانية من قيام الاكراد بأية عملية غير عادية.

ومن الجدير بالذكر، ان جميع المستشارين الاسرائيليين الذين زاروا كردستان، كانوا يحاولون التفكير في مصلحة اسرائيل وايضا مصلحة الاكراد، والمزج بين هاتين المصلحتين والمشورات التي قدموها للاكراد، والنظريات العسكرية، كانت مهمة كنظريات، اما على صعيد الواقع الكردي، فلم يكن لها مفعول عملي، ولهذا السبب كان المستشارون الاسرائيليون يدفعون بالاكراد للعمل، وحينما لم يجد حثهم، طرحوا بينهم وبين انفسهم افكارا شتى، ومن ضمنها العمل على اثارة العراقيين وتحريضهم بصورة تجعلهم يوجهون ضربات الى الاكراد، وبالتالي اضطرار الاكراد للرد عليهم بالشروط المريحة لهم.

ويقول ديفيدي: لقد وصلت خطة الهجوم الى الدرجة التي استدعيت فيها قادة القطاعات والمجموعات لاعطائهم التوجيهات الاخيرة مثلما تنص عليه

الاجراءات العسكرية والواقع الذي تعيشه. وكانت الصواعق التي كنا بانتظارها، قد وصلتنا اخيرا من ايران، اي انها كانت ستركب في قنابل الراجمات وتضمن لنا النصر. وكانت تقديراتي تشير الى ان العراقيين لا يستطيعون الصمود امام القصف المكثف، مما سيتيح لنا فرصة اختراق (الرابيات) وتصفية العراقيين او فرارهم. وفي ظل هذا الوضع، بدأت ادرك ان العملية لن تخرج الى حيز التنفيذ.

* *

كانت التوجيهات، من القيادة الاسرائيلية، تطالب بمواصلة تثبيت القوات العراقية امام الحشود الكردية، وبالتالي الحيلولة دون بلورة جبهة شرقية عربية من وجهة نظر اسرائيل.

كان البرزاني راغبا جدا في كيل الضربات الموجعة للعراقيين. وقد اوضح (لونشي) وهو رجل ذكي - لديفيد، ما اسماه نظرية البقاء التي يتبعها البرزاني فقال: ان البرزاني لن يخاطر بالقيام بعملية تؤدي الى افقاده حلم الحصول على حكم ذاتي من العراقيين بشكل او بآخر.

ولم يكن يرغب في ان تصل الامور حدا يعمد العراق فيه الى اثارة وتوجيه الجيش العراقي باكمله لتصفية الاكراد، خصوصا، انه لم يكن واثقا من ان المساعدات الاجنبية للاكراد ستتواصل طويلا.

كانت الحدود الوحيدة المفتوحة امام الاكراد، هي حدود ايران، والبرزاني، يخشى دائما، من ان يمسك الايرانيون يدهم في لحظة ما، ويجد نفسه فجأة وحيدا في مواجهة اعدائه العراقيين.

وحينما حلت اللحظة الحاسمة، قام ديفيدي بفرضها على البرزاني، الذي قال بهدوء: الان يجب الحصول على موافقة الشاه.

ويقول لبكوب، الذي حضر الاجتماع: ان رد البرزاني هو رد شرقي ماكر، فهو يدرك ان الايرانيين يرغبون في تحجيم العراقيين، لكنهم لا يوافقون على اثارة ثائرتهم الى حد كبير جدا.

ويقول تسوري ساجي... لقد فعل الاكراد اشياء بنصف رغبة، فقد كان لديهم تفكيرهم الخاص، ونحن لم نفرض عليهم اي شيء، بل تقديم المشورة لهم لعمل ما يرغبون في عمله على احسن وجه ممكن. ورغم ذلك، لم افكر ابدا في تحرير كردستان من نير العراقيين، عدا عن انني كنت اعتقد باستحالة ذلك.

وفي ايلول ١٩٦٨ ماتت خطة اناناس الى الابد. وحينما سئل ديفيدي عن

السبب في ذلك، قال: لا يوجد لدي رد شاف وربما يرجع السبب الى طبيعة البرزاني نفسه، فقد كان شعبه غير متجانس، ويتكون من قبائل تحارب احداها الاخرى، ان البرزاني هو ابرز زعماء شعبة، لكنه لم ينجح في توحيده لذا بقي زعيما لقبيلة ليس الا، ولهذا السبب كان من الصعب عليه قبول خطة مثل خطة (اناناس) والحق انني لم اشعر ان البرزاني شعر بالندم، جراء عدم قبوله الخطة.

وسرعان ما خابت امال البرزاني في النظام العراقي الجديد. فالقانون المؤقت الذي اعلنته الحكومة العراقية في الثالث والعشرين من ايلول ١٩٦٨، لم يتطرق من قريب ولا من بعيد الى حق الاكراد في الحكم الذاتي اما عبد الرحمن البزاز الذي كان عراب الاتفاق مع الاكراد، فقد اعتقل عام ١٩٧٠، واختفت اثاره الى الابد.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

انهى عميت الذي كان يعتبر احد اشد مؤيدي تقديم المساعدات للاكراد مهام عمله كرئيس للموساد في ايلول ١٩٦٨، وحل محله اللواء (احتياط) تسفي زمير.

وفي التاسع من كانون الاول ١٩٦٨، اتهم حردان عبد الفاخر التكريتي نائب رئيس الحكومة العراقية، ووزير الدفاع البرزاني، بالتعاون مع ايران، وتلقي اسلحة من اسرائيل، ولا شك ان التكريتي، عندما وجه اتهامه انف الذكر، لم يكن يعتقد انه سيطاح به من مهمته في تشرين الاول ١٩٧٠، وسيقتل بأمر من بغداد في الكويت في اذار ١٩٧١.

وقد رد البرزاني على هذا الاتهام بشدة، واتهم العراق بمحاولة تصفية الشعب الكردي وتوجه الى الامم المتحدة، طالبا من سكرتيره العام التدخل لصالح الشعب الكردي، دون جدوى.

وفي السادس والعشرين من شباط ١٩٦٩، توفي ليفي اشكول، فقدم البرزاني وابناؤه الى لبكوب، وطلبوا منه ان ينقل تعازيهم الى اسرائيل، لانهم كانوا يدركون انه دون اشكول، ما كان القرار في اسرائيل سيتخذ لمد يد المساعدة للاكراد.

تسلمت غولدا مائير زمام السلطة في اسرائيل في اعقاب اشكول، وواصلت سياسة سابقها في تقديم المساعدات للاكراد.

ويقول كرون: لقد آمن البرزاني بأن مستقبل واستمرارية التمرد الكردي،

رهن باعتراف الولايات المتحدة به، وان اسرائيل هي الوحيدة المؤهلة لدفع الولايات المتحدة بهذا الاتجاه وبأن تؤمن بمدى اهمية التمرد الكردي للغرب تحت زعامته، ولا شك ان مثل هذا الاعتراف سيجعل الايرانيين يغيرون طبيعة تعاملهم معه تغييرا جذريا.



المستشفى الميداني الاسرائيلي في كردستان



الطاقم الطبي: في الوسط اريبه الياب، ومن اليمين الدكتور اوري برنر والدكتور بيسح سيجل

الفصل التاسع عشر

الاكراد يوجهون ضرباتهم لمنشآت النفط

اندلعت النيران في الاول من اذار ١٩٦٩، في مصافي النفط في كركوك، والتي تعتبر اكبر منشآت نفطية عراقية، وبعد يومين افادت وسائل الاعلام الدولية: ان الاكراد نفذوا عملية تخريبية في مصنع نفط في شمال العراق، ولا شك ان دقة العملية يؤكد على الاحتراف والتخطيط الجيد.

وافادت جريدة ديلي تلجراف البريطانية في الحادي عشر من اذار ١٩٦٩، ان العراقيين يعتقدون ان الاسرائيليين هم الذين نفذوا العملية.

ومن الجدير بالذكر ان الاسرائيلي المتورط في عملية التخريب، بصورة مباشرة، لم يكن ساعة تنفيذ العملية في كردستان، بل كان في كيبوتسه في اسرائيل (دجانيه-أ) وادرك من التقارير التي وصلته ان عملية (الكسندر) وهو اسم مستعار للعملية قد سارت على ما يرام.

ويدعى الاسرائيلي المذكور، اسحق عبادي وهو ضابط برتبة، رائد في وحدة الاحتياط التابعة للمظليين، وقد توجه الى كردستان كاعارة للموساد. وقد ولد عبادي، الذي كان الجميع يلقبونه (ايني). في سورية، وكان يتحدث اللغة العربية بصورة ممتازة. وقد فهم من خلال الاوامر التي تلقاها في تل ابيب، انه يتوجه لتحسين بنى تحتية قائمة، ويتمثل التحسين المطلوب منه في تدريب فصائل كردية على احتلال المواقع المحصنة، ولتحسين التدريب على عدة انواع من الاسلحة، وبناء اطر مقاتلة حديثة بدلا من الاطر التقليدية، ومعالجة مخازن الاسلحة والذخائر ودراسة وسائل الدفاع التي يمكن اتخاذها ضد الطائرات وايضا تقديم المشورة في مجال الزراعة والاقتصاد.

وفي اعقاب وصوله الى كردستان في الاول من كانون الاول ١٩٦٨، اكتشف ان الواقع القائم في كردستان، يحول دون تنفيذه للمهام التي اوكلت اليه، فالكتيبة التي يجب ان يدربها، كانت اجازة، وسيمضي زمن طويل حتى تأتي كتيبة بديلة اضف الى ذلك ان الشتاء كان صعبا والثلوج تراكمت الي ارتفاعات كبيرة، والباش مرجا لم يكونوا مزودين بالملابس المناسبة لمواجهة هذا الوضع، وفيما يتعلق بالوضع والاستشارات الزراعية وجد (عبادي) ان الاكراد يفتقرون الى فهم بهذا الصدد، ولا

يقدرونه حقا قدره.

وخلال فحصه للذخائر والاسلحة، وجد ان هناك كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر المدفعية والمضادة للدبابات، وايضا كميات كافية من الذخائر الخفيفة لخوض المعركة الاولى، وفي نفس الوقت هناك نقص خطير في الذخائر المضادة للطائرات. اما وضع المخازن فقد كان بائسا جدا، ولم تكن تلقى اي اهتمام، وكان الاهتمام قد فعل فعله فيها. وحاول اقناع الاكراد بأن التخزين الجيد مهم جدا، واستغل فرصة الهجوم الذي شنته الطائرات العراقية، لاقناعهم بأن اقصى تخزين هو الذي يجب ان يقوم على استخدام المخابىء الطبيعية المحمية.

وفي كانون الاول ١٩٦٨ وصل الى كردستان الطبيب العسكري الاسرائيلي الدكتور الكسندر بريشمان، والذي سبق ان عمل ضابطا في لواء جولاني والمظلات.

وفي رسالة الى زوجته ذكر بريشمان سامي، وهو محمد محمود عبد الرحمن، والذي يعتبر مقربا للبرزاني بصورة تشبه قرابه ابنائه. وقد تعلم سامي اللغة الفرنسية من بريشمان.

وقد كشف سامي النقاب لعبادي عن ان قيادة التمرد قررت توجيه ضربة الى المنشآت النفطية العراقية في كركوك. وان ذلك يرجع الى ثلاثة اسباب هي:

* خلق تهديد لاصحاب اسهم شركة النفط من اجل ارغامهم على ارسال اموال الى الاكراد لاتقاء شرهم في المستقبل، ومنعهم من تدمير المصانع.
* اضعاف الاقتصاد العراقي الامر الذي سيؤدي الى اضعاف الضغط العراقي العسكري على الاكراد.
* خلق اصداء واسعة لدى الرأي العام العالمي بالنسبة للقضية الكردية.

وقد بعث عبادي الى المسؤولين الاسرائيليين معلومات حول الخطة، ونصح بتأييدها. ويذكر ان هذه الفكرة طرحت عدة مرات ابان المشاورات الكردية مع المستشارين الاسرائيليين، اما الان فقد اتخذت هذه الخطة كعمل لا مناص منه.

وفي السادس من كانون الاول ١٩٦٨، تمت مناقشة الخطة خلال الجلسة الاسبوعية لهيئة وزير الدفاع، وتم الاتفاق بيننا على رأي موشيه ديان: دراسة امكانية الوصول الى تعاون تنفيذي مع الاكراد وكان من الواضح ان من المستحيل تنفيذ مثل هذه العملية بدون موافقة الايرانيين. وبناءا على ذلك توجه رئيس الموساد (زامير) ومعه هروبن في كانون الاول ١٩٦٨ الى طهران، وشرعوا في نقاش القضية بحضور كرون مع زملائهم من السافاك.

كانت الطريق الى الهدف طويلة وشديدة الالتواءات واستغرق الوصول ثلاثة اسابيع وكان المقاتلون وبغالهم يتحركون فقط في ساعات الليل، كي يحولوا دون اكتشافهم، او تعرضهم للطائرات، وكان كل بغل يحمل صندوق ذخائر تبلغ زنتهما خمسين كيلوجراما، وفي بعض قطاعات الطريق الصعبة، كان على المقاتلين ان يحملوا تلك الصناديق على ظهورهم، كما كان عليهم اجتياز احد روافد دجلة المسمى الزاب الصغير. لقد حسبت جميع الصعوبات مقدما، لذا تم اتخاذ قرار بتعويض المقاتلين بالمال، في بعض المقاطع الصعبة من الطريق.

وصل المقاتلون الى الهدف بأحمالهم، ووزعوا مدافعهم وفق للتحديد الذي اقره العبادي، وفي الخامس عشر من شباط ١٩٦٩، وعندما اصبح كل شيء جاهزا للعمل قرر العبادي العودة الى اسرائيل. وقبل عودته حلق الذقن التي رباها في كردستان، والتي جعلت الاكراد يطلقون عليه اسم "ابو ريشه".

وفي الخامس عشر من اذار ١٩٦٩ نقلت وسائل الاعلام نبأ قصف المنشآت النفطية في كركوك، ثم سمع النبأ الذي وزعته شركة النفط العراقية، والذي جاء فيه انه تم تدمير عشر وحدات من الاثنتي عشرة وحدة الخاصة بفصل الكبريت، والتي كانت جميع كمية النفط المنقول الى الانابيب الموصلة الى ميناء بنياس في سورية، وميناء طرابلس في لبنان، تمر بها مما ادى الى تخفيض مستوى انتاج النفط الى ٥٠٪.

وافادت وسائل الاعلام ايضا ان المنشآت قصفت بالمدافع، وان الاكراد هم وحدهم الذين يوجد لديهم مدافع في المنطقة.

****

وفي ايار ١٩٦٩، اي بعد حوالي عشرة اسابيع من العملية، نشرت جريدة الصندي تايمز تقريرا مفصلا بتوقيع (جون كيلبراكن، وهو صحفي بريطاني، كان قد اجرى مقابلة مع سامي، تقريرا مفصلا حول العملية، بيد ان سامي اخفى الدور الذي قام به العبادي في القضية.

وفي السادس والعشرين من كانون الاول كتب (كيلبراكن) قائلا: ان سامي توجه برفقة اثنين من رجاله في جولة في منطقة العملية في لباس رعاة اغنام، وقد ركبوا على بغالهم طيلة اربعة ايام حتى دخلوا الى منطقة كركوك. وعندما عاد الى كردستان، شكلا وحدة هجوم من مائتي جندي مختارين، وجميعهم من المتطوعين الذين اجتازوا تدريبات خاصة.

وفي تلك الاونة كان سامي مشغولا في حل الشكلة الصعبة المتعلقة بكيفية نقل التجهيزات على ظهور البغال. فالبغل الواحد قادر على حمل ثلاثة الاف عيار ناري او ست قنابل راجمات. وكانت هناك ضرورة لتفكيك كل راجمة لثلاثة اجزاء، ونقل كل جزء على ظهر بغل وقد تم نقل ست راجمات ومائتي قنبلة من اجل اتمام العملية.

واضاف... توجهت وحدة الهجوم الى هدفها في الثالث والعشرين من شباط ١٩٦٩، في قافلة مكونة من (١٠٩) بغال. وفي الثامن والعشرين من شباط وصلت القافلة الى قرية صغيرة والتي تم اعتبارها قاعدة وارسلت احدى الوحدات للحصول على وسائل نقل وعادت ومعها ثلاث عشرة شاحنة وسيارة. تم تحميل المدافع على الشاحنات والسيارات، وانطلقت تحت جنح الظلام، ووصلت الى موقع اطلاق النار في الساعة الثامنة مساءا.

واضاف... لقد نجحنا في الوصول الى الهدف تماما، وكنت قادرا على رؤية مكان سقوط كل قذيفة واصدار امر بتعديل النار بصورة افضل. قصفنا الهدف حوالي ساعتين الا ربعا، ورغم اننا لم نواجه اية مقاومة، ورغم بقاء حوالي مائة قذيفة، الا انني قررت ان هذا كافي، وغادرنا المكان بدون ان نترك خلفنا اي اثر حتى ولا صناديق فارغة.

عندما بدأت عملية اطلاق النار، اصاب الذعر الحراس الليليين، ومضت خمس دقائق حتى تمكنت طائرة هليوكبتر غير مسلحة من اكتشاف موقع اطلاق القذائف على احدى التلال المرتفعة والواقعة على بعد خمسة كيلومترات شمال شرق الهدف. كانت القذائف تنطلق بسرعة كبيرة جدا باتجاه الهدف.

سقطت اخر القذائف، ورقمها ١١٧ في منطقة مصافي النفط في حوالي الساعة العاشرة والنصف مساء وبعد عشرين دقيقة من اطلاق اخر القذائف شوهدت قوة عراقية مؤلفة من الف جندي وهي تقترب من الطريق الرئيسي من كركوك، وقد قامت قوة اعتراض كردية بفتح النار على هذه القوة من اسلحتها الخفيفة، وكان هذا الاشتباك، وهو الاشتباك الوحيد مع القوات العراقية، في حين عادت قوة الهجوم الكردية بسرعة الى قاعدتها.

بلغ حجم الخسائر في التجهيزات والانتاج بعشرة ملايين جنيه استرليني ونيف، وعطل المصنع تعطيلا تاما لمدة اسبوع.

وفي تعقيبها على هذه العملية، قالت مجلة (بترول ينفرماسيون) الفرنسية للشؤون النفطية في عددها الصادر في الرابع من نيسان ١٩٦٩، ان الهجوم الحق اضرارا جسيمة يصل الى حوالي مليون جنيه استرليني لكل وحدة تكرير نفط خام، وان هذه الوحدات لن تعود الى طبيعتها وانتاجها السابق قبل شهرين على الاقل.

وفي الرسالة التي بعث بها سامي العباي في السادس عشر من اذار ١٩٦٩، جاء: صديقي الغالي امل ان تكونوا جميعا بخير، العملية كانت ناجحة، ونحن واثقون من ان نصيبك كان كبيرا. ولولا مشاركتك لما نجحت العملية.

وبعد فترة وجيزة وصل سامي الى اسرائيل في زيارة قصيرة واستضافه عبادي، وانتهز هذه الفرصة لاستجوابه حول العملية وظروفها. واتضح ان المسيرة استغرقت اسبوع، قطع خلالها المقاتلون مائة واربعين كيلومترا واجتازوا نهر الزاب الصغير بقوارب من تلك التي تنقل الحنطة بين الضفتين لقد حمل مائة وخمسون بغلا عشرة اطنان من الاسلحة والمدافع غير المرتدة، والراجمات وذخائرها، وقد وجهت المدافع الى المنطقة التي كان يعمل فيها احد عشر بئرا، والراجمات باتجاه (مزرعة) الحاويات النفطية والصهاريج، وقد اصابت القذائف عشر ابار اصابة مباشرة.

وابدى عبادي اهتماما، فيما اذا كانت العملية قد اوقعت ضحايا ام لا، فزامير طلب منه، منذ البداية، ان يضع الخطة بحيث لا يصاب فنيون او عمال، وعلى وجه الخصوص الاجانب منهم، ولا شك ان مدى القصف كان بعيدا جدا عن المنطقة السكنية، اضافة الى ان القصف تم بصورة تدريجية، لاتاحة الفرصة لمن اراد ان يهرب من المنطقة.

وعلى بعد قليل من حقل النفط كانت هناك قاعدة تضم كتيبة كوماندو محمولة جوا، ولكن وكما يبدو لم يصل اي جندي عراقي الى مكان اطلاق القذائف، ولم يطارد القوات الكردية ابان انسحابها نحو المنطقة الكردية.

وقام العبادي بمرافقة سامي في جميع جولاته في اسرائيل، بما فيها اجتماعه برئيسة الحكومة جولدا مائير.

* *

ادت الهجمة التي شنها الاكراد على كركوك، الى ارغام نظام البعث الى استئناف المفاوضات مع الاكراد، ومنح البرزاني وعدا بتنفيذ اقتراح رئيس الحكومة البزاز، الذي منحه للاكراد في حزيران ١٩٦٦ ، والمتعلق بمنح

الاكــراد حقوقهم.

وقد حذر البرزاني من ان مقاتليه لن يتورعوا عن العودة لمهاجمة حقول النفط من جديد، بل والسيطرة عليها، اذا لم يتم تخصيص قسم من العوائد لتطوير كردستان.

وفي حقيقة الامر، كان العراقيون يستعدون ويعدون العدة لخوض الحرب، ولا ادل على ذلك، من التهم التي وجهوها لايران بدعوى انها عززت امدادات للاكراد وان ضباط ارتباط ايرانيين يعملون في صفوف الاكراد وهم الذين يوجهون المساعدات. ويبدو ان العراقيين لم يكونوا يعلمون ان هناك ضباط ارتباط اسرائيليين ايضا، وان الاكراد يفضلونهم عن الايرانيين. ويرجع السبب في هذا التفضيل الى طبيعة تصرف الاسرائيليين، فهم لم يكونوا يخصون انفسهم بأي شيء ابدا، وكانوا يأكلون من اكل الاكراد، ويشربون مما ادى في بعض الحالات الى اصابتهم بامراض، واعادة البعض منهم الى اسرائيل على عجل اما الايرانيون فقد كانت المآكل تأتيهم من ايران يوميا، وعملوا على التأكيد دائما على ان وجودهم في كردستان لا يروق لهم.

ويقول تسدوق اوفير الذي حل محل لبكوب في اذار ١٩٦٩ لا زلت اتذكر تذمر نظيري الايراني، واحد رجال السافاك، الذي قال هناك في طهران تنام في افضل الاماكن، اما هنا فلا يوجد شيء: لا يوجد نساء، ولا طعام، وفقط السماء والجبال.

كان اوفير خلال الاشهر نيسان وحزيران ١٩٦٦ قد درب اكرادا في اسرائيل، وها هو الان يلتقي احدهم في كردستان. وكانت المهمة التي كلف بها هي فحص اوضاع مخازن الاسلحة والذخائر ولهذا السبب استعان بضابطين من سلاح الهندسة في الجيش الاسرائيلي. وفي تلك الاونة وصل الى كردستان ضابط مظلات اسرائيلي اخر هو يورام زموش، والذي اتى كي يقدم المشورة للعقراوي وللعمل على تشكيل وتدريب كتيبة جديدة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

وخلال فترة التدريبات تراكمت عدة مخططات مثل شن هجوم على مطار عراقي في مدينة كركوك وعلى انبوب النفط الذي كان ينقل النفط الى احدى الموانىء الكبيرة. بيد ان ايا من هذه المخططات لم يخرج الى حيز التنفيذ في عهد زاموش ويرجع ذلك الى الوحل والامطار الغزيرة.

ويقول ديفيد كرون: لم يكن جميع الاكراد مسرورين وراضين عن المساعدات الاسرائيلية. فخلال احدى زياراتي لكردستان وجدت البرزاني غائبا في مسقط رأسه، فاجتمعت (بميرخان) الذي كان يعتبر في غياب البرزاني مسئولا عن موضوع الاسرائيليين، وتناقشنا في جميع القضايا المطروحة على جدول الاعمال، وعندما تطرقنا الى النشاطات التي يقوم بها المستشفى الميداني، قال فجأة: ان الضرر الذي يلحقه المستشفى اكثر من جدواه، فقد تناهت انباؤه الى العراقيين، فاصبح بؤرة للمشاكل.

شعرت بالدم يغلي غضبا في عروقي، وقلت: ان ما نفعله هو لمصلحة الاكراد واذا كان المستشفى قد اصبح مثارا لمشاكلهم، فان الامر بسيط للغاية، سأطوي الخيام، واخذ الاطباء معي الى اسرائيل.

حاول ميرخان تهدئتي قائلا: انه لم يكن يقصد ذلك بيد انني كنت مصرا على رأيي فحتى المعروف يجب ان نضع له حدودا. طوينا الخيام، والمعدات، واخذت معي الاطباء الى طهران، ومن هناك الى اسرائيل.

وكان على الاكراد ان يطلبوا بصورة افضل كثيرا، بعد ذلك، كي نقبل بفتح مستشفى جديد، ومنذ ذلك الحين لم يعد اي منهم يقول شيئا عن الاضرار التي نلحقها بالاكراد.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

تجددت النزاعات بين ايران والعراق في نيسان ١٩٦٩ حول شط العرب، وقام الايرانيون بالغاء الاتفاقية القائمة بين الدولتين منذ عام ١٩٣٧ من جانب واحد، بعد ان اتهموا العراقيين بتحدي الزوارق الايرانية، بيد ان المبرر المذكور لم يكن سوى ذريعة، فقد اعتقد الشاه، ان النظام العراقي اضعف من ان يستطيع الاحتجاج على خطواته، وهذا ما حدث حقا، فقد رد العراقيون بالصراخ، وبطرد ايرانيين وشيعة، والضغط على الجماهير الشيعية العراقية. كما حاول العراقيون تعميق نشاطاتهم السرية في (خوزستان) ضد الايرانيين وبدأ العراقيون يدعون لاعادة هذه المنطقة الغنية بالنفط والتي تم اقتطاعها من اراضيهم في عهد الانتداب البريطاني.

ونتاجا لهذا الوضع كان من البدهي ان يعمق الايرانيون تدخلهم في كردستان ففي العشرين من نيسان، قال موظف ايراني لسفير الولايات المتحدة في طهران: ان الوضع العراقي الداخلي على وشك الانهيار، وان الجيش العراقي يتعرض

لهجوم تركي.

وكما يبدو فان التهديد الايراني احدث اثره، وجعل بغداد تعيد النظر في مسألة منح الاكراد حكما ذاتيا، وتجعل مواقفها بهذا الصدد اكثر اعتدالا، وقد برز هذا الاعتدال في التصريح الذي ادلى به ميشيل عفلق، مؤسس حزب البعث، وايديولوجيها في حزيران ١٩٦٩ ان الحكومة العراقية لا تعارض حق الاكراد في نيل نوع معين من الحكم الذاتي بيد انه حرص ايضا على ان يقول: ان الحركة الوطنية الكردية هي جزء مشروع من الثورة العربية، واتبعته صحيفة الثورة العربية، خلال الفترة الواقعة بين نيسان وتشرين الاول ١٩٦٩، بسلسلة من المقالات التي تصب في نفس الاتجاه.

عمل البرزاني الذي اعتاد التغيير الدائم في الاقوال على الاعداد لخوض المعارك وفي حقيقة الامر، كانت المعارك في العديد من المواقع مثل قلعة ديزة على اشد ما يكون.

والقلعة (ديزه) هي حصن عراقي على رأس تلة مرتفعة محاطة بالصخور في قلب المنطقة الكردية. وكان العراقيون ينقلون التموين والذخائر اليها في قوافل، ويرغمون الاكراد المحليين على المسير في رأس تلك القوافل كي يضمنوا عدم مهاجمة القوات الكردية لها.

وقد توجهت قوة كردية الى القلعة عبر طريق ترابي مسلحة براجمتين من عيار ١٢٠ملم، ولم تصل اليها الا بعد حوالي اسبوع. وجاءت الاستعدادات بطيئة، وكان الاكراد يقومون باستخدام الراجمتين مرة او مرتين يوميا وفي ساعات غير محددة، بيد ان هذا الاسلوب مثلما يقول اوفير، اربك العراقيين.

وذات يوم اعلمت القوة الكردية اوفير انها احتلت القلعة، فقال كيف كان القتال؟ فردت القوة قائلة: لم يدر اي قتال، قد انسحب العراقيون صبيحة احد الايام من القلعة ودخلناها نحن ولا ندري سببا لانسحابهم.

* *

اضافة الى الدورة التي كان اليشع يديرها، ادار نتن راهب ايضا، دورة مكثفة، في منطقة (حبلة). بمشاركة اربعة متدربين. كما عمل راهب ايضا، في تحسين الاسلحة، ودرس امكانية انشاء صناعة عسكرية صغيرة في مناطق المتمردين تتيح الفرصة للاكراد لحل مشاكل فورية، وعثر بين الاكراد، على مهندس منسوجات، فاوصى بارساله الى اسرائيل للتدرب كما نجح في تشغيل

ورشة ميكانيكية داخل مغارة، وقامت اسرائيل وايران بتمويل شراء مخرطة ومولد كهربائي كبير، وعملت هذه الورشة على صناعة المتفجرات، التي استخدمت، فيما بعد، في العديد من العمليات التخريبية.

وفي الاجتماع الذي عقد في الاول من ايار ١٩٦٩، في قيادة البرزاني، في ديلمان)، ناقش رئيس الموساد زمير وهروبن، وممثل السافاك الايراني قضية تزويد الاكراد بصورة منتظمة بالاسلحة والذخائر، ومسائل الامن الشامل، والقيام بعمليات اخرى موسعة ضد منشآت النفط العراقية في كركوك، وتخريب سد دوكان.

هذا، وقد احضر زمير الى الاجتماع اقتراحا كان وزير الدفاع موشيه ديان قد عرضه، ولا زال هذا الاقتراح حتى الان، سرا لم يكشف النقاب عنه. وكان هذا الاقتراح يقوم على ارضية حرب الاستنزاف التي تديرها مصر ضد اسرائيل، والتي ولدت في نهاية المطاف المبادرة المصرية لخلق الجبهة الشرقية بالمشاركة الفعلية للعراق، وقد وضع ديان خطته على اساس احباط المبادرة المصرية عبر اشغال الجيش العراقي، وارغامه على البقاء في بلاده.

ويقول هروبن انه رد على اقتراح ديان بالرفض، وكذلك البرزاني رد بالنفي بأدب.

هذا اضافة الى ان اسرائيل كانت تريد ان يشرف مستشاروها على العمليات بصورة اوسع بكثير مما كان الاكراد على استعدد لقبوله. وقد عقب البرزاني على ذلك قائلا لتسدوق اوفير تخيل ان يقع احد مستشاريكم جريحا او سليما ابان احدى العمليات في ايدي العراقيين، انك في هذه الحالة ستفقد مقاتلا اما انا ككردي عراقي، فسأتهم بالخيانة.

الفصل العشرون

التوربينات العملاقة لم تنفجر

عاد (ميخا بن اري) كبوسته للانضمام الى الطاقم الاسرائيلي في كردستان في الثلاثين من ايار ١٩٦٩، وقد جاء انضمامه من اجل الاعداد لتنفيذ عمليات عسكرية وفقا لما تم الاتفاق عليه بين البرزاني وزمير.

وقبل قدومه تحدث اوفير مع ازاد الذي قال له: ان مجيء كبوسته مبكر للغاية، لذا علي الانتظار مطولا قبل البدء بالعمل.

وعندما قال اوفير لكبوسته، ان قدومه جاء مبكرا جدا، قال كبوسته ان زمير وهروبن قالا له ان هناك ضرورة لعمليات فورية وكان كبوسته يعد العدة لتقديم اقتراح (الفارس) للاعداد لعملية الكسندر موسعة، تنقسم الى مرحلتين: الكسندر (ب)، وديفيد، واللتين تهدفان الى تدمير توربينات عملاقة يستخدمها العراقيون من اجل ضغط مياه نهر الزاب الصغير الى ابار النفط من اجل دفع النفط للطوفان الى الاعلى، ولا شك ان تدمير التوربينات وفي نفس الوقت قصف المنشآت النفطية قصفا شديدا سيكون كافيا لوقف تدمير النفط زمنا طويلا، اضافة الى الحريق الهائل الذي سيشب في اكبر حقول النفط في العراق.

ويقول كبوسته... اجتمعت بلونتسي الذي عاد لتوه من جولة واسعة في مناطق العمليات، وتبادلنا وجهات النظر، وتقاسمنا العمل، بيد انه ومنذ هذه اللحظة، بدأت عملية مماطلة وارجاء متكررة بدا خلالها بوضوح، عدم رغبة الاكراد في ضمي الى الكوماندو الكردي الذي ارسل الى مواقع العمليات.

وفي الخامس عشر من حزيران كتب كبوسته في الرسائل التي كان يرسلها الى زوجته افيفه قال لي مرخان هذا المساء: الكوماندو الكردي منح اسبوعا اجازة، وان بمقدوري ان اقوم بعد اسبوعين بالتوجه لاعداد الكوماندو، ثم ابدأ في الاعداد لعملية (ديفيد)، الجو سيء، والامطار تنزل بغزارة والبرودة قارسة.

وفي الثاني والعشرين من حزيران كتب قائلا: تم ارجاء عملية الكسندر-ب، ومنحت عملية ديفيد التي اعتبر مسئولا عنها الاولوية، لذا انا سعيد وقد طالبت بتحديد موعد دقيق لانضمامي الى وحدة الكوماندو في مكان العملية نظرا لانه لم يعد لدي ما افعله هنا. تلقينا معلومات تفيد بأن (فارس بأوأه) قام بتدمير مركز شرطة.

- ٢٣- حزيران: عكفت على اعداد العبوات الناسفة التي ستستخدم في عملية ديفيد.
- ٢٥ حزيران: هذا هو اليوم الذي انتظرت ان اتلقى موافقة لتنفيذ عملية ديفيد وتوجهي الى مكان التنفيذ وبدلا من ذلك اعلموني ان فارس في طريقه لاتخاذ قرار وسأحاول اقناعه بأن يسمح لي بالاعداد للعملية من قاعدته. ولدي احساس بأن فارس امر بالتوجه لي كي لا اذهب انا اليه، اي الى مكان التنفيذ.
- ٢٦ حزيران: مللت الانتظار، كم بمقدور الانسان ان يجلس مكتوف الايدي؟؟ انني هنا منذ شهر ولم افعل شيئا، ولا يبدو ان هناك في الافق ما سيحدث قريبا. اذا لم يؤكدوا على رغبتهم في التنفيذ قريبا، سأعود الى اسرائيل.
- ٢٨ حزيران: في المساء قدم اراد وفارس، وقمنا بدراسة جميع التفاصيل الخاصة بعملية ديفيد التي اعدت لها المتفجرات اعدادا تاما بيد انني لم اكن على علم بمكان الهدف. ولم انجح في اقناعهما بضرورة توجهي الى مكان التنفيذ لان رؤيتي له عن كثب ستمكنني من التخطيط له بصورة افضل.
- ٢٩ حزيران: قدم ازاد للتحدث معي، واتضح لي انهم غير معنيين بالقيام بجولة في مكان العملية ويرغبون في ان يقوم فارس فقط بالتنفيذ. واقترح علي ان اعود الى اسرائيل، واذا ما احتاجوا لي سيستدعونني، فقلت: انني ارغب في تسليم المعدات لفارس. فوعدت ان يأتي لزيارتي في المساء.
- الاول من تموز ١٩٦٩: وصلت رسالة من شخصية اسرائيلية رفيعة الى البرزاني يطالبه بالوفاء بالوعد السابق الذي سبق ان قطعه على نفسه بتمكيني من الانضمام الى الكوماندو الكردي في مكان العملية، وقد رد البرزاني بالايجاب على الرسالة، لكنه لم يحدد موعدا لذلك. وفي المساء، تلقيت تقريرا حول المحادثات التي اجراها (راهب واوفير) مع ازاد: لقد مارس الاثنان ضغطا شديدا عليه، مما حدا به للموافقة على ذهابي الى الموقع لكنه لم يحدد ايضا موعدا، اي انه لم يبق امامي خيار سوى الانتظار.
- ٢ تموز: قلت لاوفير ان يعلم ازاد انه اذا لم يقل لي حتى الثامن من حزيران الموعد الدقيق الذي سأذهب فيه الى الموقع فسوف اغادر كردستان الى اسرائيل، لكن اوفير رفض ترجمة كلامي الى ازاد بسبب حدته.

وبدأ صبري ينفذ، فمن الواضح انهم لا يرغبون في ذهابي الى الموقع، واذا ما توجهت الى هناك رغم انفهم، فلا شك انني لن احقق مهمتي، ولن اجلب

نتائج حسنة. لذا، اعلمت الجهات المسؤولة انه اذا لم اذهب الى هناك حتى قدوم (ناحيك) مناحم بنوت والذي تسلم قبل فترة وجيزة منصب رئيس وفد الموساد في طهران - فسوف اغادر كردستان معه الى اسرائيل. وقدقيل لي ان الايرانيين يقفون خلف تأخير نزولي الى الموقع، لذا يجب ان انتظر بعض الوقت، الامر الذي اثار مللي، وافقدني الرغبة في التوجه فعلا الى (سافين)، وهو المكان الذي يتواجد فيه رجال الكوماندو الاكراد.

- ١٢ حزيران: من الجائز ان اتوجه غدا الى الموقع، بعد ان وافق الايرانيون على نزولي الى هناك، وبدأوا يلحون على سرعة تنفيذ عملية (ديفيد). وكان من المفروض ان يأتي ازاد الساعة الحادية والربع ليلا لاخباري بموعد نزولي، بيد ان رسولا له جاء وقال لي: لقد تعذر عليه القدوم.

وفي الثالث عشر من تموز جاء ازاد وقال لي: ان من المفروض انني سأتوجه غدا الى الموقع.

- ١٤-١٧ تموز: اربعة ايام من السير على الاقدام وركوب البغال في طريقي الى الموقع وقد رافقني مترجم، وستة حراس. وفي الطريق كنا نتوقف هنا وهناك، لتناول الطعام.

وفي (سافين) لمسنا اثار النشاطات الجوية التي تقوم بها الطائرات العراقية على المكان، وعلى السكان العزل. ومن فوق احدى الصخور المرتفعة شاهدنا مياه بحيرة (دوكان) وشاهدنا ايضا اضواء مصانع النفط في كركوك.

وفي التاسع عشر من تموز قدم فارس في ساعات الصباح. وكان اللقاء بيننا مؤثرا وتحدثنا عن عملية (ديفيد)، ولم ترق له الخطة لاني طرحتها لدخول المضخات. وكنت قد اعددت خمس خطط منفصلة للعمل، فقبل ثلاثة منها، ورفض اثنتين وقد اقترح هو خطة سهلة، وجيدة للقيام بجولات في المنطقة، وقد قدم لرؤيتي شخص يدعى (محسن ديزهاي)، وهو محام سابق كان يعمل في بغداد، وهو الان يعمل كعضو في اللجنة التنفيذية للحزب الديمقراطي وبصحبته فارس.

تحدثت مع فارس ونجحت في اقناعه بافراد اربع خلايا كل واحدة منها مؤلفة من خمسة عشر فردا، لتنفيذ مهمات مثل الهجوم على مراكز الشرطة، وقطع اعمدة الضغط العالي ونصب الكمائن للسيارات وتفجير جسر كبير يقع بين اربيل والموصل، فوافق، فقد سبق لرجاله ان نفذوا عمليات من هذا القبيل. وبعد

خمسة عشر يوما تلقيت تقريرا يفيد بأن القسم الاعظم من المهام التي سبق ان شرحتها قد نفذ فعلا.

وفي الساعة السادسة مساءا انطلقت انا وفارس في طريقي كنا نعلم ان العدو يراقبها وسرنا تارة على الاقدام، وتارة اخرى على البغال باتجاه جسر (تكتك) القائم على الراب الاصغر بين خطي (سنجق) وكركوك، ووصلنا اليه في ساعات المساء الاولى وشاهدته جيدا. راقبت الجسر جيدا وتمكنت من بناء خطة هجوم عليه. وكان بصحبتنا قائد المنطقة الذي يفترض ان يشرف على تنفيذ الخطة.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

لم يكن الاكراد مؤهلين للتعامل مع العراقيين باسلوب السن بالسن، وعلى وجه الخصوص قتل كل ما يتحرك. وحتى في الحالات التي كانوا يردون على ممارسات عراقية بالانتقام فان انتقامهم لم يكن يصل الى القسوة التي تعامل بها العراقيون مع سكان قرية (دوكان) الواقعة في لواء الموصل، في الثامن عشر من آب ١٩٦٩، مثلما وصفه راديو الاكراد، وجريدتهم المسماه، كورديش افييرز بيولتين.

ودوكان قرية صغيرة تقع عل ضفاف نهر (الخادير) في لواء الموصل وقد احتلتها القوات الكردية، وحرص السكان على ان لا تصبح قريتهم منطقة نزاع وقتال.

ويقول المذيع في الراديو الكردي: في اعقاب الهزائم التي منيت بها قوات الحكومة العراقية دخلت وحدة من الجيش الى (دوكان) لاعتقال الرجال فيها، بيد ان الرجال فروا منها قبل ذلك، في حين اختبأت النسوة والاطفال في مغارة صغيرة بالقرب من الجبل، تاركين القرية للغزاة، بيد ان العراقيين كانوا يفتشون عن الفارين ووصلوا الى المغارة فقام بعض الجنود بحراسة المغارة كي لا يفر ساكنوها، في حين قام البعض الاخر بجمع الحطب والاخشاب ووضعه في مدخل المغارة ثم سكبوا النفط على الخشب وراقبوا النيران وهي تلتهم سبعة وستين امرأة وطفلا.

الفصل الحادي والعشرون

عملية دوكان ... فوز وهزيمة

ارسل الرائد (احتياط) دان زيف حامل وسام البطولة خلال حرب ١٩٥٦، ونائب قائد كتيبة في اللواء الخامس والخمسين (احتياط) المظلي في نيسان ١٩٦٩، الى كردستان، في مهمة خاصة، تتمثل في تدمير سرب طائرات ميج-٢١ عراقي في مطار مدينة كركوك.

بيد ان دراسة هذه العملية على ارض الواقع، اشارت الى ان نسبة نجاحها ضئيلة، لذا طلب منه تنفيذ مهمة اخرى، تتمثل في تدمير سد دوكان.

بني سد دوكان عام ١٩٥٩ على نهر الزاب الاصغر الذي يصب في نهر دجلة جنوبي محور رواندوز، شمال شرق كركوك، وهدف السد، هو الحيلولة دون حدوث فيضانات، اضافة الى توليد الكهرباء بقوة ستين ميجاواط وتخزين ستة مليارات متر مكعب من الماء لري مليوني دونم من الارض. وقد كلفت كتيبة عراقية بحراسته. ولا شك ان السيطرة على هذا السد كانت ستمنح الاكراد ورقة مساومة جدية تتيح لهم الحصول على تنازلات كبيرة من الحكومة العراقية.

وقد تمت دراسة خطة تدميره خلال الاجتماعات التي عقدها اوفير مع الضابط الايراني (بهلوان). وفي نهاية ايار ١٩٦٩ توجه (زيف) وعزيز عقراوي والذي اوكلت أليه مهمة الاشراف على تنفيذ العملية وبهلوان الى منطقة السد لدراسة المعطيات على ارض الواقع. وقد استغرقت الجولة اسبوعا وكانت صعبة للغاية، وقد انسحب منها بهلوان في اليوم الاخير خشية منه على حياته.

راقب زيف والعقراوي ومعهما قادة الكتائب الثلاثة الخاضعة للعقراوي السد والقوة التي تقوم بحراسته من بعد عدة مئات من الامتار واصبح بحوزة زيف حقيبة معلومات مفصلة حول السد اشتملت على خرائط، ووصف دقيق له، اضافة الى صور.

****

ارتكزت الخطة التي اعدها زئيف والعقراوي بناء على الصور والخرائط والمعطيات التي توفرت في اعقاب الجولة على احتلال منطقة السد، بما في ذلك محطة الطاقة، ومساكن المدنيين الذين يشرفون على تشغيل السد والمكاتب في هجوم ليلي مفاجىء. وكي يصبح ذلك ممكنا كانت هناك ضرورة للسيطرة على

كتيبة الحرس، التي كانت منشورة في معسكر واسع وكبير، وفي موقعين اخرين.

وقد القيت هذه المهمة على عاتق ثلاث قوى كردية، والتي كان من المفروض ان تهاجم في آن واحد. كما وضعت قوتان عرانيتان اخريتان قبل الهجوم بليلة كاملة للقيام باعمال قطع الطرق والاسناد. وامرت هذه القوة المسلحة بالمدافع غير المرتدة، والمدافع الرشاشة المتوسطة باغلاق الطريق المؤدي الى الهدف، في وجه اية تعزيزات عراقية مدرعة، وقد انتشرت هذه القوة في المغائر على بعد يتراوح بين ٥٠٠-٧٠٠ متر من الطريق، وكان يفصلهم عن الطريق المياه العميقة لنهر الزاب الاصغر، والتي توفر لهم الحماية من الهجوم المعاكس المحتمل من القوة العراقية التي قد تدفع الى المنطقة.

وكانت الخطة تنص على ان تبدأ قوة الاسناد المعركة بقصف تليين براجمات من عيار ١٢٠ملم، على تجمعات العراقيين على ان تستمر عملية التمهيد (التليين) نصف ساعة بدءا من الساعة الثامنة مساء وحتى هبوط الظلام.

ثم كان على القوات المهاجمة التوجه نحو الهدف دون اي خوف من هجمات الطائرات العراقية نظرا لانها لا تعمل ليلا. كانت المسيرة باتجاه الهدف ستستغرق ثلاث ساعات حتى الساعة التاسعة والنصف. واعتقد زيف ان العراقيين سيعتقدون خلال، هذه الساعات الثلاث، من السير الهادىء للقوة المهاجمة، ان القصف المدفعي ليس سوى عملية مضايقة وسيعودون الى حياتهم العادية.

وتنص الخطة ايضا على ان تستأنف قوة الاسناد قصفها في التاسعة والنصف لمدة نصف ساعة اخرى، حتى العاشرة، وهي ساعة الصفر لبدء الهجوم على التجمعات الثلاثة للكتيبة العراقية، والسيطرة عليها، وعلى منطقة السد.

بدأ زيف والعقراوي وقادة الكتائب بالعودة فوجدوا بهلوان بانتظارهم في نقطة اللقاء. فتوجه الجميع الى مكتب البرزاني للحصول على موافقة وقد اصغى البرزاني باهتمام ثم صادق على العملية.

نقل زيف جميع التفاصيل الى اسرائيل، مع قائمة بالاسلحة والتجهيزات المطلوبة. ونصح بالشروع بالعملية فقط في اعقاب موسم الحصاد، كي لا يتيح الفرصة لسلاح الجو العراقي بالرد -كعادته- باحراق المحاصيل.

وكانت هناك ضرورة للاستعداد الشامل، بما في ذلك توفير اربعمائة بغل لنقل المعدات والاجهزة الى مكان الهدف. وقد راقب (زيف) عملية الاعداد،

والاستعداد حتى اخر التفاصيل ثم عاد الى اسرائيل، وفي احد ايام ايلول وبينما هو يتناول وجبة الافطار في كبوتسه، استدعي بسرعة الى الهاتف، حيث اعلمه ممثل الموساد، بأن العملية نجحت وفقا للخطة الموضوعة، لكن فرحة (زيف) لم تكتمل فقد علم بعد ثمان واربعين ساعة، ان القوة المساندة، والتي كان يجب ان تقطع الطريق على القوات العراقية التي دفعت الى المنطقة، انسحبت قبل الموعد المخصص لها، وقامت قوة التعزيز العراقية بمهاجمة القوة الكردية، وقتل كل من لم يتمكن من الفرار.

ولولا هذا العيب في الخطة، لتمكن الاكراد من السيطرة على مصدر الماء الذي يروي قسما كبيرا من الاراضي العراقية، ولاصبح بمقدورهم الحصول على تنازلات كبيرة من العراق، او الحاق اضرار جسيمة وطويلة الامد به.

عندما اتضح لوزير الدفاع موشيه ديان ولرئيس الاركان بارليف ان الوضع في كردستان في حاجة الى هزة عنيفة، قررا ارسال قائد سلاح المظلات والمشاه رفائيل ايتان، الى هناك.

ويقول ايتان، في الكتاب الذي الفه تحت عنوان "رواية جندي" اعرب البرزاني عن رغبته في توسيع معايير الحرب في كردستان وتغيير طابعها فهو لم يعد يرغب في شن حرب عصابات، بل هجمات علنية ضد الجيش العراقي، وقد تم ارسالي لدراسة شروط القتال في هذه الساحة.

استقبل رفائيل ايتان بالقرب من مكتب البرزاني شخص يتحدث العبرية، وقال له اسمي ايتان، فقال رفائيل ايتان: انا ايضا اسمي ايتان. كان ايتان الاول هو الدكتور ايتان روبنشتاين الطبيب الاسرائيلي الذي يدير المستشفى خلال الفترة ايلول وتشرين الثاني ١٩٦٩.

ويقول رفائيل ايتان في كتابه: اجتزنا الحدود الايرانية، وسافرنا يوما كاملا جنوبا، حتى وصلنا الى المنطقة المسماة (سرداشت) ومن هناك اجتزنا الحدود مرة اخرى الى العراق، ووصلنا الى القلعة (ديزه) التي يسيطر عليها الاكراد والواقعة على نهر (دوكان) وبدت معالم الحرب بارزة جدا، في الصخور المحترقة، والبغال الممزقة جراء القصف الجوي العراقي.

وفي الصباح، سار ايتان ومرافقوه على الاقدام واجتازوا النهر باتجاه صخر دوكان والمواقع العراقية، وقد حلقت الطائرات العراقية في الجو، وقصفت اهدافا على بعد قليل من خط سيرنا، وعندما اقترينا من المواقع العراقية على رؤوس

الجبال، وجه الينا قصف مدفعي، فقد تمكنوا من مشاهدتنا احتميت بصخرة، ولم اترك كاميرتي، واخذت التقط الصور لاماكن الانفجار، اما الايراني فقد كان يرتعد خوفا، في حين كان المقاتلون الاكراد معتادين على القصف، لذا احتموا بالصخور بانتظار هدوء القصف، ثم عدنا الى القرية.

يقول رفائيل ايتان، ان شعوره كان غريبا، حيث لم تخبره جهة ما بهدف جولته او الهدف النهائي منها، وقد توسلت للاكراد كي يقولوا لي الى اين نتجه؟ فكانوا يقولون لي: الى الجبل، سنتسلق الطريق الجبلي، وكنا نقطع غابات وانهارا كثيرة في الطريق سيرا على الاقدام حينا وركوبا على ظهور البغال حينا اخر حتى شعرت بأن عظامي تكاد ان تتحطم.

واخيرا، وصلنا الى منطقة خيام، وقيل لي، ان البرزاني سيأتي لرؤيتي وبعد قليل قدم ورأيته فعانقني، ومنحني سيفا معقوفا هدية. وقال لي المترجم: ان البرزاني يمنحني هذا السيف، لانه يدرك، انني قدمت للاكراد يد العون لقد اعلمني المرافقون كيف تصرفت ابان القصف في القلعة (ديزه).

وفي اعقاب اللقاء، توجهنا الى الهدف الحقيقي الذي احضروني من اجله. كانت هناك فرقة عراقية تتمركز بالقرب من مدينة (رواندوز، وكان الاكراد يعتزمون مهاجمة هذه الفرقة، لذا كانوا في حاجة الى رأيي.

تقدمنا بحذر على طول الحاجز الكردي الاخير القائم امام القوات العراقية، كانت هناك شجرة سنديان كبيرة ملقاة على الطريق، وخلف احدى الصخور اختبأ مقاتل كردي ببندقيته يراقب ما يحدث على الجانب الاخر، الذي تتمركز فوقه القوات العراقية. ومن فوق تلة مرتفعة راقبنا القوة العراقية، ثم انطلقنا من هناك شمالا فوق ظهور الجياد حتى وصلنا الى موقع كردي في حضن الطبيعة، يوجد فيه عدة مدافع.

وفي الليل نمنا على منحدرات الجبل، حيث اختار كل واحد منا شجرة وجلس خلفها واضعا قدميه عليه كي تقيه من السقوط، وكان اقل حركة كفيلة بجعله ينحدر ساقطا حتى ادنى الجبل.

ويقول روفائيل ايتان: لم يستوعب الاكراد ما اقول حول استخدام الاسلحة الحديثة والهجوم العلني على الجيش العراقي. وقد قال للبكوب: هذا ليس جيشا، وهؤلاء الاكراد ليسوا جنودا.

ارني لو ان اسرائيليا يعيش فقط على الشاي والسكر والحد الادنى

من الطعام؟

وعندما عاد ايتان الى اسرائيل، قال لدان زيف بشأن عملية دوكان: هل جننت؟ كيف تكلفهم بمثل هذه المهمة؟

زيف: لكنهم نفذوها.

رفائيل: لكن الجيش العراقي قتل القوة المساندة.

زيف: لست مسئولا عن الاخطاء لو انهم سمحوا لي بالبقاء معهم والاشراف على العملية، لما حدث ما حدث.

رفائيل: ورغم ذلك، ما كنت لاكلفهم بمثل هذه المهمة ، فهم غير مؤهلين للقيام بها.

-زيف: رغم تقديري الكبير لك، لا اقبل رأيك، لو انهم تلقوا ارشادات صحيحة، لسارت الامور على ما يرام.

****

اوصى ايتان بارسال دبابة او اثنتين من طراز (تي-٣٤) من غنائم حرب ١٩٦٧ للاكراد. وقد طرح كرون هذا الاقتراح امام نظره في السافاك، والذي قال: اوافق، شريطة ان يتمكن الاكراد اولا من الاستيلاء على دبابة من الجيش العراقي. وعندما يتم الاعلان عن ذلك. وفي ظل الضجة التي تقوم جراء فشل الجيش الكردي، سيصبح بمقدور اسرائيل ان ترسل اليهم دبابة او اثنتين ولربما ان هذا الشرط كان الاسلوب الايراني في قول: لا لان الايرانيين كانوا يدركون ان الاكراد لن يستطيعوا الاستيلاء على دبابة من الجيش العراقي. لكن المعارضة لم تقتصر على الايرانيين، فقد عارض الفكرة ايضا شخصيات في الجيش الاسرائيلي، وتزعم هذه المعارضة رئيس شعبة التخطيط اللواء اسحق حوفي، والذي كان قد بدأ يعالج مسألة امداد للاكراد بالاسلحة، حيث قال: ان الاكراد مؤهلين لمواجهة العراقيين عبر خوض حرب غير تقليدية، لان استخدامهم اساليب اخرى ستزيد من كشفهم امام سلاح الجو العراقي.

****

يقول (كريس كونشره) في البحث الذي اعده تحت عنوان "الحركة الوطنية الكردية" والذي نشر عام ١٩٧٩. كانت الحكومة العراقية امام خيارين لا ثالث لهما: فاما ان تتوصل الى اتفاق مع الاكراد، واما مع ايران، وفي الحقيقة لم تكن هذه هي المرة الاولى التي يواجه فيها العراقيون هذا الاختبار، وكانوا يميلون دائما

للتوصل الى اتفاق مع الايرانيين، لان الاتفاق مع ايران كان سيؤدي ايضا لتصفية النزاع اللانهائي بين الدولتين، اضافة الى انه سيؤدي الى اغلاق الممر الوحيد، الذي تصل عبره المساعدات الى الاكراد.

وهذا ما حدث فعلا، حيث توجه وفد عراقي الى طهران، لاقناع الشاه بالتوقف عن تقديم الامدادات الى الاكراد، مقابل تقديم العراق تنازلات كبيرة لايران. بيد ان الشاه رفض العرض، الامر الذي لم يدع امام العراقيين، سوى التوجه نحو الخيار الاخر، لكن الاكراد لم يأتوا الى المفاوضات.

وكانت الاحصاءات تشير الى ان عدد الاكراد الذين اصيبوا في القتال منذ عام ١٩٦١ حتى ذلك الحين بعشرين الف شخص، هذا اضافة الى عشرات الاف النساء والاولاد. فقد دمر سلاح الجو العراقي مائتي قرية. ورغم ذلك ابدى الاكراد قدرة صمود هائلة، والحقوا بالعراقيين خسائر فادحة.

كان البرزاني يدرك ان قدرة شعبه على الصمود ليست ابدية، لذا، كان يتطلع الى اجراء مفاوضات مع العراقيين بصورة تدفعهم لمنح الاكراد حكما ذاتيا.

****

قدم مناحم سيلع - الملقب مراك الى كردستان في تشرين الثاني ١٩٦٩. وكانت مهمته تتمثل في اعداد الاكراد لمواجهة الهجوم العراقي في الربيع، في اعقاب ذوبان الثلوج كما هو متوقع سنويا. وقد حدث لديه انطباع يفيد ان الاكراد ليسوا على استعداد كاف لمواجهة هجوم العدو. وكانت استعداداتهم تتمثل في السكن في مساكن واطئة مبنية من الطين، ويسكن في كل مسكن ١٠-١٥ كرديا.

وحينما سألهم (مراك): الا تقيمون نقاط مراقبة؟ قالوا له: نحن نعتمد على مخابراتنا الميدانية، وتأكد ان العراقيين لا يستطيعون الاتيان بأية حركة دون ان نعلم بذلك فورا.

كان الخوف الاكبر بالنسبة للاكراد من قبل القبائل الكردية الاخرى، التي تتنقل من جانب الى اخر، وخصوصا القبائل المعادية للبرزاني وقيادته، ولهذا السبب كانوا ينفذون تعليمات البرزاني حرفيا، والتي تنص على ضرورة الحراسة المشددة لكل اجنبي او غريب. وهكذا اضطر (مراك) مثله مثل اي اسرائيلي او اجنبي اخر، ان يقضي حتى حاجته تحت ابصار رجال الباش مرجا الثاقبة.

قام (مراك) بتدريب الاكراد على الراجمات، وعلى استخدام المتفجرات

لقطع الطرق والمحاور الرئيسية على الدبابات ووسائط النقل، في الوقت الذي قام فيه فنيون اسرائيليون ببناء محطة بث حديثة اطلق عليها اسم "صوت الثورة".

ويقول مراك: توطئة لهجوم الربيع طلبت من الاكراد تعزيز مواقعهم في جبل (الزوزك) بقطع اشجار (الصفصاف) ودعمها بالحجارة بيد ان العمل كان بطيئا جدا بصورة تثير الغضب والخنق.. وفي صبيحة اليوم التالي، وعندما هممت بالتوجه الى الموقع لمواصلة العمل، قيل لي ان من غير الممكن العمل اليوم لان البغال فرت اثناء الليل. وعنندما ذهبت لقضاء حاجتي وراء التل، شاهدت البغال جميعا مربوطة هناك.

قال البرزاني في المقابلة التي منحها لمراسل جريدة (الوموند) الفرنسية جواد الامير: ان ما نصبوا اليه هو وحدة شعبنا وحكما ذاتيا خاصا بنا داخل العراق الديمقراطي واشار الى النصر الذي احرزته قواته في منطقة اربيل، واشار الى ان الهدف القادم هو احتلال المناطق الكردية الواقعة شرقي الموصل واربيل وتطويق حقول النفط في كركوك. وقال: اننا نسيطر الان على مناطق حرة تشمل نصف اراضينا، ويسكنها حوالي مليون ومائتي الف مواطن كردي، ونحن نسعى لتحسين مستويات حياتهم بصورة انسانية.

واضاف... اننا نطالب بأن تكون الجمهورية العراقية دولة موحدة، وتتألف من العرب والاكراد، على ان يتعايشوا سوية وفقا لقوانين الشعوب، وان يتمتعوا بحقوق متساوية. ويجب ان تقوم الهيئة التشريعية العراقية بتشكيل مؤسسة عراقية عليا، وتعيين رئيس وتحديد صلاحيات الحكومة، وتمكين الاكراد من استخدام حقوقهم في المجال التشريعي، والتنفيذي والقضائي داخل كردستان. وعلى ان يكون نائب الرئيس كرديا، وان يجري توزيع المناصب الوزارية داخل الحكومة بصورة تناسبية.

وحدد البرزاني حدود كردستان التي يريدها بالقول: يجب ان تضم السليمانية وكركوك واربيل التي تدار في الاونة الحالية كأقضية اضافة الى المناطق التي تسكنها اغلبية كردية في قضاء الموصل وديالة.

وفي معرض رد البرزاني على سؤال حول فيما اذا كان بالامكان التفاوض مع حكومة البكر؟ قال: يستحيل التفاوض مع زمرة البعث الحاكمة، ان هؤلاء الاشخاص يشبهون الذئاب ونحن لا نستطيع السماح لانفسنا بالجلوس الى طاولة واحدة مع الذئاب. انهم يذبحوننا بقنابل النابالم، ولا يراعون ابسط الاسس

الانسانية، ويستحيل التعامل معهم الا بلغة واحدة هي لغة القوة، ونحن اتخذنا قرارا باستخدام هذه اللغة حتى النهاية.

****

ادركت الحكومة العراقية انها لن تستطيع في هذه المرحلة، وضع حد للاكراد بالصورة التي ترغب فيها، لذا، قررت بعد جدل عميق، ان تسير باتجاههم، وان تستجيب لمطالبهم. وجاء قرار الحكومة العراقية وكأنه يقول: ان الحل العسكري ليس واردا لحل المشكلة الكردية، وهو الامر الذي وجه صفعة شديدة الى القيادة العليا.

وتقول الباحثة عفرة بنجور التي اجرت العديد من الابحاث بشأن الاكراد: كان قرار الحكومة العراقية بمثابة تحد لايران وتركيا وسورية، التي كانت تخشى دائما من التمرد والغليان في اوساط الاكراد الذين يعيشون على اراضيها.

كان البرزاني شديد الشكوكية، بتعهدات واقوال الحكومة العراقية، وقال المرة تلو الاخرى انها لن تنفذ تعهداتها، وايده في رأيه ابنه ادريس، في حين ايد ابنه الاخر مسعود فكرة انجاز الاتفاقية، لان اغلبية الاكراد كانت ترغب في ذلك، وعلى رأسهم الزعامة الشابة من امثال الدكتور محمود وسامي. والتي كانت قد ملت القتال، واعتقدت ان من المجدي تجربة مسار اخر، وبالتالي ارغموا زعيم التمرد على ان يوافق، لكنه اكد ان الاتفاق سيتفجر ان عاجلا ام اجلا.

كان .... عراب الاتفاق مع الاكراد، فقد كان قد انضم في صباه الى الذراع السري لحزب البعث، وشكل فيه الوحدة الضارية ضد اعداء الحزب، وفي عام ١٩٥٩ شارك في مؤامرة لقتل عبد الكريم قاسم، ثم فر الى سوريا، ومن هناك الى مصر.

وفي اعقاب الاحاطة بقاسم عام ١٩٦٣، عاد الى العراق وانضم الى قيادة حزب البعث، وبعد حوالي ثلاث سنوات، عين نائبا للسكرتير العام للحزب وعندما ابعد حزب البعث عن السلطة عام ١٩٦٤، سجن، لكنه تمكن من الفرار من المعتقل. وفي عام ١٩٦٨، وفي اعقاب الانقلاب الذي نجح الحزب في تنفيذه عاد لتولي منصب نائب رئيس المجلس الثوري.

ونظرا لان البكر رئيس المجلس بدا شخصا غير حاد او قاطع، اصبح صدام حسين الرجل القوي في الحزب، فانشأ مليشيا حزبية مسلحة، وجهازا امنيا

سريا قويا تحت امرته الشخصية، وتخصص في مجال اجراء التطهيرات، التي تضمنت اقالات وتصفيات جسدية في اجهزة الدولة والحزب، وطارت الرؤوس هنا وهناك، بما فيها رؤوس اولئك الذين عارضوا السياسة الانقلابية الجديدة تجاه الاكراد، وضم الى اسمه لقبا جديدا هو مهندس الحكم الذاتي.

كانت هناك ثلاثة اسباب حدت بصدام حسين للسير بهذا الاتجاه هي:

* دون حل المشكلة الكردية لم يكن هناك اي امل لنظام البعث في تجذير قوته وذاته.

* تطلع نحو ابعاد الجيش عن السياسة، وبالتالي كسر دائرة الانقلابات العسكرية في العراق.

* الرغبة في اخراج ايران من دائرة التدخل في الشؤون الكردية الداخلية، واضعاف مقدرتها في المساومة تجاه العراق في النزاعات الاخرى مثل النزاع حول شط العرب.

بدأت المفاوضات في ايلول ١٩٦٩، وتواصلت على ثلاث مراحل حتى عام ١٩٧٠. وكان على صدام حسين مواجهة عدة جهات سياسية وعسكرية كانت تهدد زعامته ومخططاته، ومثلما هو اسلوبه تمت تصفية هذه الجهات، وواصل ايضا مواجهة الجيش الذي كان يعارض اي حلول مع الاكراد لا تستند الى الحل العسكري.

شارك البرزاني نفسه في المفاوضات، وفي حالات اخرى، اكتفى بالتوجيه لممثليه الذين كان يترأسهم الدكتور محمود والى جانبه ادريس ومسعود ودزهاي. كانت المفاوضات طويلة ومضنية لطرفين لا يؤمن احدهما للاخر، لذا مر بالكثير من حالات المد والجزر.

وفي الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٩٧٠، تم اكتشاف مؤامرة مدبرة ضد النظام العراقي بمساعدة ايران والولايات المتحدة واسرائيل، وقد وجهت الى المتآمرين سلسلة من التهم بما فيها تهمة محاولة احباط تفاهم ثم التوصل اليه مع الاكراد، وصدرت احكام في نفس اليوم لاعدام ثلاثة وثلاثين ضابطا وبعد وقت قصير عزل صدام حسين وزيري الدفاع والداخلية، واجرى تعديلات داخلية واسعة في قيادات الجيش ويبدو ان هذه التغييرات تمت بموافقة مجموعة ضباط اخرى، حصلت مقابل دعمها على مناصب رفيعة.

وفي الثالث من شباط ١٩٧٠ اعلن راديو الاكراد ان تطلعات الشعبين

العربي والكردي لانجاز حل سلمي قد تحققت وانه تم فتح صفحة جديدة في تاريخ الشعب العراقي. وقد بث الراديو نبأه انف الذكر، خلال المفاوضات المكثفة في بغداد، والتي كان من المتوقع ان يتم الاعلان في نهايتها، (الثامن من شباط) عن التوصل الى اتفاق.

كان البيان سابقا لاوانه، فبعد يومين فقط، وفي الخامس من شباط، غادر الوفد الكردي بغداد، بعد ان صفق الباب خلفه بعنف. فقد اتضح ان تأثير المعارضين لمنح الاكراد حكما ذاتيا اقليميا قد يتحول الى دولة مستقلة في المستقبل قد ازداد، وبدا انهم على استعداد لمنح الاكراد في احسن الاحوال حكما ذاتيا شخصيا.

القى صدام حسين بكل ثقله لحل المشكلة. وفي الثامن من اذار وصل على رأس وفد عراقي الى المكان الذي اقترحه البرزاني، قرية (ناوفردان) الكردية الواقعة في منطقة اربيل، وشرع بالتفاوض مع وفد كردي برئاسة الدكتور محمود. وفي العاشر من نفس الشهر وقع الطرفان -صدام والبرزاني على اعلان- بالمفهوم العراقي- او اتفاقية -بالمفهوم الكردي- يشتمل على خمسة عشر بندا.

وقد منحت الوثيقة المذكورة الاكراد حكما ذاتيا اقليميا ووصفتهم بالقومية المساوية للقومية العربية، ويتمتعون بكامل الحقوق المترتبة على هذا الوضع. وبدا وكأن الوثيقة هي نتاج للخنوع العراقي الكامل للاكراد، بيد ان المشكلة كانت تكمن في الشرط الشفهي، الذي وضع امام الاكراد، والذي ينص على المصادقة على قانون الحكم الذاتي للاكراد، ويبدأ العمل به فقط بعد فترة انتقالية قدرها اربع سنوات.

لم يتم نشر الوثيقة بكاملها، وسارع العراق الى ايضاح مسألة عدم التوقيع عليه الان وتفسيرها بأسباب تتعلق بالامن القومي، واشارت بعض الصحف الى المعركة المصيرية للامة العربية حول فلسطين، واكد وزير الدفاع ان بمقدور الجيش تجنيدجميع موارده وامكانياته للوقوف في وجه الامبريالية والصهيونية، كما جرى الحديث المرة تلو الاخرى عن ضرورة الوقوف في وجه التطلعات الايرانية في الخليج، وابرز العراق ثمن الحرب، قائلا ان الحرب كلفته حتى الان اربعين الف مصاب، وكميات هائلة من الاسلحة والذخائر، ومليارا ومائتي مليون دولار.

ادرك البرزاني ان الاتفاقية منحته الشرعية العراقية كزعيم للاكراد، الامر الذي اتاح له الفرصة لتحطيم خصومه من زعماء الاكراد.

وفي الثاني عشر من اذار احتفل العراق بيوم السلام، وظهر البكر في الاحتفالات والى جانبه الدكتورمحمود وولدا البرزاني مسعود وادريس واعلن باسم البرزاني ان الاكراد سيقفون الى جانب العرب في حربهم ضد اسرائيل. ورغم ان البرزاني امتنع عن المشاركة في الاحتفالات الا انه اكد في البرقية التي ارسلها تأييده للنضال العادل الذي تخوضه الامة العربية ضد اعدائها.

وفي الحادي والعشرين من اذار قدم صدام حسين الى المنطقة الكردية للاحتفال مع البرزاني بالتحولات التي حدثت، وحينها جاء دور الايرانيين، وفي الكلمة التي القاها صدام قال: ان جنود العراق قادرون على تعليم الشاه درسا وهذا ما سيحدث قريبا.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

بعث البرزاني الى اسرائيل تقريرا حول المفاوضات، وتطرق الى السلام الناجم عن تلك المفاوضات كنصف مصدق ومؤمن به، وقال: توقعاتي من الاتفاق ليست كبيرة، ولا اشعر بالسعادة منه.

ويقول الدكتور جبرائيل ديناري الذي وصل الى كردستان العراقية في شباط ١٩٧٠، وغادرها عائدا الى اسرائيل في اذار من نفس العام: لقد كنت شاهد عيان على التردد والارتباك الذي استشرى في اوساط الاكراد تجاه العراقيين.

وبدا للحظة ان التدخلات الاسرائيلية وصلت الى نهايتها في كردستان، بل وجرى الحديث حول حل المستشفى، لكن الاكراد طلبوا ابقاءه بتجهيزاته، وقام الدكتور ديناري بتسليمه الى المرضين الاكراد.

عاد الرائد (احتياط) العبادي الى كردستان في الخامس عشر من ايار ١٩٧٠، وقد وجد خلال الاسابيع الخمسة التي مكثها هناك حتى العشرين من حزيران ١٩٧٠، ان الجماهير تتنفس بارتياح تام، فقد توقفت الغارات الجوية، واخذ الاكراد والباش مرجا يتمتعون بحرية التجوال في جميع انحاء العراق والمواطنون والجيش العراقي يتمتعون بحرية التجوال في جميع انحاء كردستان هذا اضافة الى زخم البناء في كردستان، وهو الامر الذي اكد ان العراقيين والاكراد، لم يعودوا يعتقدون ان مصير كردستان الى الدمار والخراب، مثلما كان الامر عليه في السابق.

شرع العراقيون في تطبيق العديد من البنود الواردة في الاتفاقية، فرفعوا الحظر الذي كان مفروضا على المناطق الكردية، وسمحوا ببيع الدخان والاخشاب

من كردستان في العراق. وفتح السوق الكردي ابوابه للمنتجات العراقية كما سمحت المبالغ المالية التي وضعها العراق تحت امرة البرزاني، له بدفع خمسة عشر دينارا لكل جندي من جنوده، مما اسهم في رفع مستويات الحياة.

وفي متابعته لتحركات الجيش العراقي، تأكد العبادي ان العراق اخلى القسم الاعظم من قواته في المنطقة الكردية، ونقله الى جنوب الدولة، والى الجبهة الشرقية مع اسرائيل لكنه كان واثقا من ان المبادرة باقية في ايدي العراقيين اذا ما ارادوا استئناف القتال وانهم سيتمكنون من دفع قواتهم الى المنطقة دون ان يكلفهم ذلك الكثير من الجهد.

لم يسارع البرزاني، الذي كان متشككا في مدى مصداقية العراقيين الى تقليص عدد قواته مثلما تنص على ذلك، الاتفاقية وعمل على تمويل عملها وبقائها بالاموال التي يتلقاها من الدولة، وبالاحتياطيات المالية الباقية في خزينته، وواصل قادة وجنود الباش مرجا البقاء في قواعدهم والاحتفاظ بأسلحتهم الخفيفة والثقيلة وقد اعرب العبادي عن قلقه وخشيته على الاسلحة اذا لم توضع في حالة تخزين مناسبة.

واكتشف العبادي، ان العراقيين بدأوا ببناء معسكر في احدى المناطق الكردية الحيوية بحجة تخصيصه لاستقبال رحلات صيفية والاشخاص الراغبين في قضاء فترات استجمام الا ان هذا المعسكر كان قادرا على استيعاب كتيبة كاملة من الجنود بكافة اسلحتها حين الحاجة. ورغم انه كان بمقدور الاكراد السيطرة على المعسكر حينما يريدون، الا ان بناءه دل على النوايا العراقية المستقبلية، واكد ظنون وشكوك البرزاني.

واتضح مع مرور الزمن ان العراق رفض الشخص الذي رشحه الاكراد -حبيب محمد كريم- لتولي منصب نائب الرئيس كما لم يتم تعيين اي كردي في مجلس الثورة وفي نفس الوقت رفض البرزاني الاقتراح العراقي القاضي بتعيين ازاد نائبا للرئيس وفي نفس الوقت تم تعيين خمسة وزراء اكراد في الحكومة العراقية من ضمنهم سامي، الذي يحظى بتقدير كبير لدى البرزاني، ورغم لك، عقب البرزاني على هذا التعيين بالقول: ان وزراءنا في حاجة الى مصادقة واذن، اذا ما ارادوا تحريك كأس ولم يطرأ اي تقدم على صعيد اقامة حكم ذاتي كردي في المناطق الثلاثة اربيل والسليمانية وداهوق.

عمل العراقيون بنشاط كبير على صعيد اعداد الاحصاء السكاني الذي

سيحدد مناطق الحكم الذاتي، وفقا لحجم الجماهير الكردية، فادخلوا تغييرات على الحدود والالوية والاقضيه دون ان يصطدموا بأية معارضة رغم انه كان من الواضح ان التغييرات لن تكون لصالح الاكراد، وكذلك الامر فيما يتعلق بالسيطرة على مناطق النفط، وتقاسم العوائد والدخول الوطنية مثلما نصت عليه الاتفاقية.

ورغم ذلك، اعتقد العبادي ان قسما من الاكراد سيوافقون على كل هذا الاجحاف مقابل عدم استئناف القتال.

اكتشف الاكراد في تلك الاونة ان الحكومة تطرد اخوتهم الاكراد من كركوك، وتوطن بدلا منهم عربا، كما لم يتم انجاز اي إتفاق بشان نصيب المنطقة الكردية في دخول الدولة، وعلى وجه الخصوص عوائد النفط، بل ولم يتم الحفاظ على الهدنة بصورة كاملة.

وعلى خلفية كل هذه الاوضاع طلب البرزاني من العبادي مواصلة الاتصالات والعلاقات مع اسرائيل، ويقول العبادي كان البرزاني يدعوني بإبنه، وكنت انا ادعوه ابي، وكنت انذاك عاكف على اقامة محطة ارسال حديثة للاكراد، وكنت ايضا شديد التأثر جراء المصطلحات التي يطلقونها حول الشراكة في المصير، ولم يكن بالامكان عدم التأثر في الوحشية التي ابداها العراقيون تجاههم بدون رحمة. واعتبرت نفسي ممثلا لدولة حليفة على استعداد لفعل كل شيء من اجلهم اذا فقط تمكنت من فعل ذلك لكنني شعرت ان المسؤولين في اسرائيل يعتقدون انني ابالغ رغم انني وفيت بكل ما هو مطلوب مني. "كان هناك شيء ما في السياسة الاسرائيلية ضبابي بالنسبة لي، وشعرت انني امثل سياسة ممزقة. وكان من الواضح لي ضرورة العودة الى اسرائيل لايضاح الامور، خصوصا ان حرية عمل الجيش العراقي في المناطق الكردية، والترهل الذي اصاب الاكراد عزز المخاوف على حياة الممثلين الاسرائيليين. هذا رغم ان تواجد المستشارين الاسرائيليين كان قريبا من الحدود الايرانية خلال الفترة التي يتوقع فيها ان يشن الجيش العراقي هجومه الشتوي، مما يتيح لهم الفرار السريع والامن الى ايران. اما خلال الصيف، فان الامر يصبح مختلفا حيث يتوجه المستشارون الى منزل البرزاني الصيفي الواقع في عمق الاراضي الكردية.

ويقول احد المرضين الاسرائيليين: في عيد النيروز الكردي جلسنا بصحبة مسئول كردي رفيع المستوى، ولم نسمع منه اي شيء يسيء لنا، لكن بعد فترة وجيزة سمعناه يتحدث في راديو بغداد، ويوجه اقوالا شديدة جدا ضد اسرائيل. وقد

دهشنا جدا، لكنه اوضح لنا الامر فيا بعد قائلا: ان لا مناص امامهم سوى تشنيف اذان العراقيين بين الفينة والاخرى بالقول: ان الاكراد لم يسلموا بالوجود الصهيوني.

الاكراد بصورة عامة لم يغيروا تعاملهم معنا ابدا حتى ابان فترة التفاوض مع العراقيين، وعندما بدأت العائلات العراقية تتوافد الى المنطقة حرصوا على تخبئتنا عن اعينهم.

وفي السادس عشر من حزيران ١٩٧٠، وبينما كان عبادي يقضي حاجته طعنه شخص بسكين وفر من المكان. ولا زالت هذه القضية لغزا من الالغاز، ولا ندري من الذي حاول اغتياله، لكنه يقول ان الذي قام بالمحاولة هو شخص من المحليين الاكراد. وقد نقل الى طهران حيث ادخل المستشفى في وضع صعب للغاية ثم نقل الى اسرائيل.

وقد بدا البرزاني متضايقا جدا، ووعد بأن يبذل قصارى جهده من اجل القبض على الفاعل، ويقول مسئول الموساد في طهران ان البرزاني لم يقدم اعتذاره عن الحادث ولم يسمح ايضا لاحد بالاعتذار باسمه.

ويقول كيرن ان عبادي اخطأ خطأ يعتبر من المسلمات في كردستان، فقد قام بالتقاط صورة لثلاث نسوة كرديات وهن يغسلن ملابسهن وهو ما لا يقبله اي كردي على الاطلاق، وعلى ما يبدو انه عوقب لهذا السبب.

الفصل الثاني والعشرون

انقاذ اخر اليهود

كان الوقت ملائما جدا لتخليص اخر يهود العراق، الذين بلغ عددهم حوالي ثلاثة الاف نسمة، والذين كان وضعهم بائسا للغاية، وخصوصا في اعقاب حرب ١٩٦٧، حيث تعرضوا للملاحقة، وقامت الحكومة باقالة جميع اليهود العاملين في الاطر والوزارات الحكومية ثم تمت ايضا اقالة اليهود العاملين في القطاعات الخاصة. وحظرت الحكومة على اليهود بيع او شراء او تأجير اية عقارات ثابتة، او تسجيل او نقل ملكية اية ممتلكات، وامرت البنوك والجهات المالية الاخرى بعدم دفع اكثر من مائة دينار لليهودي شهريا، ولم يسمح للمحامين والاطباء اليهود بمعالجة اي شخص غير يهودي. ووضعوا تحت الاقامات الجبرية في مناطقهم السكنية، وقطعت جميع الهواتف في منازلهم وعياداتهم واماكن عملهم، واغلقت جميع المنتديات في وجوههم، وتم اعتقال الشخصيات البارزة منهم ومحاكمتها وتعذيبها. وصودرت الاماكن اليهودية المقدسة، الامر الذي جعل الكثيرين منهم بلا مصدر رزق، وواجه العمال اليهود واصحاب الاعمال من غير اليهود، الذين يشغلون اليهود، لحملة ارهاب وتعذيب جسدي، بل وشرعت الحكومة في اعداد مركز لتجميع اليهود في بلدة (بعكوبه) الصغيرة القريبة من بغداد. اجبرت هذه الحملة الكثيرين من اليهود على البقاء في منازلهم، وعدم الخروج الى الاماكن العامة.

ويقول نسيم القزاز، وهو يهودي عراقي -ان ١٠٪ من ابناء الطائفة اليهودية كانوا حتى مطلع عام ١٩٦٩ رهن الاعتقال، والكثيرون منهم - حوالي ٤٠٪ قتلوا شنقا او تعذيبا وهناك من يقول ان العديدين قتلوا دون محاكمات، وسلمت جثثهم الى عائلاتهم بدون اية توضيحات.

واصبح واضحا للجميع ان انقاذ بواقي اليهود في العراق لا يمكن ان يتم الا عبر المناطق الكردية القريبة من الحدود الايرانية.

ادى هدوء القتال الى تخفيف القيود التي كانت مفروضة على الوصول الى الطرقات المؤدية الى المناطق الكردية، رغم ان مجرد الخروج من الاماكن السكنية اليهودية كان ايضا بمثابة انتهاك للقانون.

كان من المفروض ان يتوجه الراغبون في الفرار الى المناطق الكردية التي

تستخدم كمناطق استجمام، والتي تبدو بريئة في مظهرها، والتي احب الكثير من العراقيين التوجه اليها خلال الصيف، مثل: منطقة صلاح الدين، وشقلاوه، ودربند، ومن هناك تصبح الطريق الى الحدود الايرانية قصيرة.

ويقول اول الهاربين ماكس فؤاد سوداي وهو صناعي يهودي عراقي، في الكتاب الذي الفه فيما بعد تحت عنوان "الجميع بانتظار حبل المشنقة: كانت الحياة آنذاك تشبه ايام بومباي الاخيرة، باستثناء انني كنت اتمسك بالقيم المقدسة، وارفض الخنوع لاساليب الدمار الشيطانية المقبولة لدى الشيطان في الحكومة العراقية.

ويضيف.. اجل ما كان يشغلني هو: ما الذي يجب ان افعله بزوجتي سعيدة وابنتاي؟ هل اتركهما وافر انا بجلدي كي ابقيهما لقمة سائغة للعراقيين كي ينتقموا منهم جراء قراره؟ ام يأخذهم معه، ويعرضهم لمغامرة قد تنتهي بالموت؟ ولماذا من الناحية الاخرى لا انتهز الفرصة الذهبية التي تلوح جراء الهدوء الذي يعم الشمال، واحاول النجاة؟ وما الذي سأخسره؟ هل سأخسر سوى حياتي؟ واذا بقيت هل اضمن حياتي وحياة ابناء عائلتي؟

ان الفرصة السانحة الان لن تتاح لي ولابناء عائلتي بعد ذلك، لذا فاما ان افر الان، والا ان ابقى هنا الى الابد.

وفي السابع والعشرين من اذار ١٩٧٠ شق سوداي طريقه بصحبة صديق يعرف العراق التي يجب ان يقطعها في الطريق التي تمتد خمسمائة كيلومتر حتى اراضي الاكراد. وقد اضطروا لابراز هوياتهم اربع مرات في اربع محطات رقابة حتى القرية الكردية صلاح الدين ثم توجه الى الحاج عمران، وهناك حاول عبثا الالتقاء بالبرزاني او بابنه ادريس.

وفي نهاية المطاف تقابل مع تاجر واعرب له عن رغبته في الوصول الى طهران، بيد انه لم يلق اذانا صاغية، فعاد الى بغداد بخفي حنين، ليواجه الواقع المعروف.

وفي الاول من حزيران ١٩٧٠ تلقى اشارة من التاجر المذكور، الذي قال له: ان بالامكان الفرار الى ايران بالاستعانة بشيخ كردي من مناوئي البرزاني، والذي يتعاون مع الحكومة العراقية، وموجود حاليا في بغداد.

اجتمع سوداي بالكردي المذكور في منزله في بغداد، وتعهد بكتمان السر اذا ما القي القبض عليه، وعدم البوح باسم الشيخ حتى لو عذب وذلك مقابل

الف دينار.

كان سوداي يدرك انه سيترك خلفه والده ووالدته، وشقيقه وزوجته وابناء هذا الشقيق، وان من المحتمل ان يعتقلهم العراقيون جميعا عندما يتناهى اليهم نبأ فراره هو وزوجته وابنتاه.

وفي التاسع من حزيران توجه الاربعة في سيارة اجرة الى قرية صلاح الدين الكردية، وهناك حل الاربعة في شقة خالية كانت بانتظارهم، حتى جاء رئيس القبيلة المذكور لاعطائهم التوجيهات الاخيرة: منذ هذه اللحظة اسمك احمد، وانت ضابط في الجيش العراقي، وترغب في الوصول انت وابناء عائلتك الى الحدود الايرانية، واسم زوجتك ليلى، ولن تفصح عن اسمك وكونك يهودي الا عندما تصل الى اول محطة ايرانية، ولم يكن هناك من يعلم بهويتهم من الادلاء الثلاثة الذي رافقوهم بامر من شيخ القبيلة سوى شخص واحد فقط.

انطلق الاربعة وادلاؤهم حتى القرية الكردية (حرير)، ثم حتى (جلي علي بك) ومن هنا بدأت الرحلة الحقيقية حتى الحدود الايرانية على ظهر خمسة بغال.

كان الطريق شاق وطويل، على رؤس الجبال، مما ادى الى سقوط زوجته وابنتيه واصابتهم بجراح. ورغم ذلك واصل الهاربون فرارهم بصورة متواصلة من الساعة السادسة صباحا وحتى الساعة الثالثة ظهرا. وبعد ستة ايام من السير على الاقدام، وفوق ظهور البغال وصلوا الى الحدود الايرانية، ومن ايران توجهت عائلة سوداي الى ايطاليا، ومن هناك الى بريطانيا، حيث بقيت هناك.

****

شجع فرار سوداي العديد من اليهود الاخرين على الفرار من العراق. وجاءت اول جولة من جولات الهروب الكبير لليهود بالاستعانة بالاكراد خلال شهري تموز وآب ١٩٧٠ ووصلت الى ذروتها خلال شهري ايلول وتشرين الاول من نفس العام حيث اجتاز الحدود الايرانية، حوالي خمسين يهوديا يوميا في المتوسط.

****

وفي ايلول ١٩٧٠ تم العثور على مائتين وخمسين يهوديا في شمالي العراق ابان محاولتهم الفرار وفي الرابع عشر من ايلول القت الشرطة العراقية في شقلاوة وصلاح الدين على ١٣٧ يهوديا، وذلك في اعقاب وفاة احد الفارين ابان تناول وجبة العشاء، مما اضطر المحليين الى استدعاء الشرطة، التي اكتشفت الفارين. واعادتهم الى بغداد، حيث تم اعتقالهم في محراب البهائيين الذي كان

يستخدم مقرا للمخابرات العراقية. وقد طولبوا بايداع خمسمائة دينار لكل فرد كي لا يحاولوا الفرار بعد ذلك. وادى القاء القبض عليهم الى وقف عمليات الفرار الثانية والتي بدأت من منتصف كانون الاول ١٩٧٠ وحتى شباط ١٩٧١.

وفي نيسان ١٩٧١ اعلنت الحكومة العراقية عن اعتقال مجموعتين من الفارين يبلغ عدد كل مجموعة ستة عشر شخصا، وقد اتهم قسم بالتهريب جراء العثور على ثلاثمائة وخمسين جنيها ذهبيا، وسبعة وثلاثين الف دينار في حاجياتهم.

ويقول احد اعضاء هاتين المجموعتين والمدعو سمير شم طوف. ان وسطاء يهودا قاموا بتخليصهم من العراق مقابل مبلغ يتراوح بين ٣٠٠-٤٠٠ دينار "للرأس الواحد" واخذوا تلك الاموال لجيوبهم نعم لقد خاننا اليهود انفسهم.

ويضيف... لقد اخذ اليهود المذكورين واحدهم يعمل حاليا طبيب اسنان معروف في اسرائيل المبالغ المطلوبة، وسلمونا الى اشخاص لايصالنا الى الحاج عمران، ومن هناك الى الحدود الايرانية، وسرعان ما اتضح ان هؤلاء الاشخاص مهربون وفي الطريق حاولوا اغتصاب اختي وامي وامرأتين اخريين كانتا ضمن الجماعة ولن انسى ما حييت منظر ابي وهو راكع على ركبيته يتوسل اليهم ان لا يغتصبوهن. وفي النهاية قبلوا ان لا يغتصبوهن مقابل ان نمنحهم ساعاتنا.

* *

كان البرزاني فخورا بعملية فرار اليهود من العراق. والدور الذي لعبه في اتمامها. وفي المقالة التي كتبها الصحفي الامريكي (جاك اندرسون) في جريدة واشنطن بوست في السابع عشر من ايلول ١٩٧٢، قال: ان رئيس الموساد (زامير) طرح فكرة مساعدة يهود العراق على الفرار من العراق على البرزاني.

وتقول جهات مقربة من البرزاني: انه كان متحمسا للفكرة، لان اليهود فعلوا شيئا ما من اجلنا، وكانت عملية الفرار مرتبطة بتعريض اكراد للخطر. وقد تابع البرزاني وابناؤه عمليات فرار اليهود بأنفسهم.

ويقول لبكوب: قال لي البرزاني في احدى جلساتنا: لقد كنت السبب في مقتل العديد من الاشخاص، سواء اثناء المعارك او بالامراض او غيره. لكن نحن نعيش ثورة، وهذه هي حياتنا. وبالامس شعرت ان قسما كبيرا من اخطائي قد غفر. فقد جاءت الى احدى اليهوديات الغارات، وقالت لي: لقد شنق العراقيون زوجي، وها انا واولادي نتمكن من الفرار بفضلك. وحينها شعرت بالدموع تملأ

جنون !!

عيني، وان قسما من اخطائي قد غفرت.

وفي مرحلة ما، لاحظ الاسرائيليون ان هناك جهة ما تعمل على تعطيل خروج اليهود من العراق، فسافر (ديفيد فتال)، عضو كنيست سابق عن العراق، ودفعهم للهجرة الى اسرائيل وليس الى اوروبا والولايات المتحدة. وهناك فهم ان للاكراد يد في تأخير فرار اليهود، فقد ثارت شكوك العراقيين في اعقاب اختفاء عائلات يهودية بأكملها اثر توجهها للاستجمام في المناطق الكردية، فقدم وزير الداخلية شكوى للبرزاني على المساعدات التي يقدمها الاكراد للفارين: فانكر البرزاني ان تكون للاكراد يد في ذلك، بيد انه امر في نفس الوقت رجاله بتعطيل عمليات الفرار.

ويقول (فتال) لم يوقف الامر الذي اصدره البرزاني عمليات الفرار، لان سائقا كرديا من المؤيدين للبرزاني ويدعى يونس، واصل مساعدة اليهود في الفرار مقابل مبلغ مالي جيد، وعندما ادرك البرزاني ان عمليات الفرار لازالت متواصلة، القى القبض على يونس ومعه اثنان من اليهود.

لم يكن جميع الفارين يرغبون في التوجه الى اسرائيل ويرجع السبب في ذلك -مثلما قالوا لفتال- الى الرسائل التي تلقوها من ذويهم الذين سبق ان هاجروا الى اسرائيل، فالوضع الاقتصادي في اسرائيل صعب، اضافة الى ان ابناء الطوائف الشرقية يعاملون معاملة سيئة مقارنة بابناء الطوائف الغربية، اضف الى ذلك ان الذي يدخل اسرائيل لا يستطيع الخروج منها. وقالت امرأة لفتال: لقد شنق زوجي في بغداد، ولم يبق لي سوى، هذين الولدين، وحينما سأصل الى اسرائيل سيأخذونهما مني ويزجون بهما في الحروب.

ورغم ذلك، هاجرت غالبية الفارين الى اسرائيل، وقد استقبلتهم رئيسة الحكومة جولدا مائير، وقالت لكرون: من كان يتصور ان الاكراد سيساعدون اليهود في الفرار من العراق الى اسرائيل.

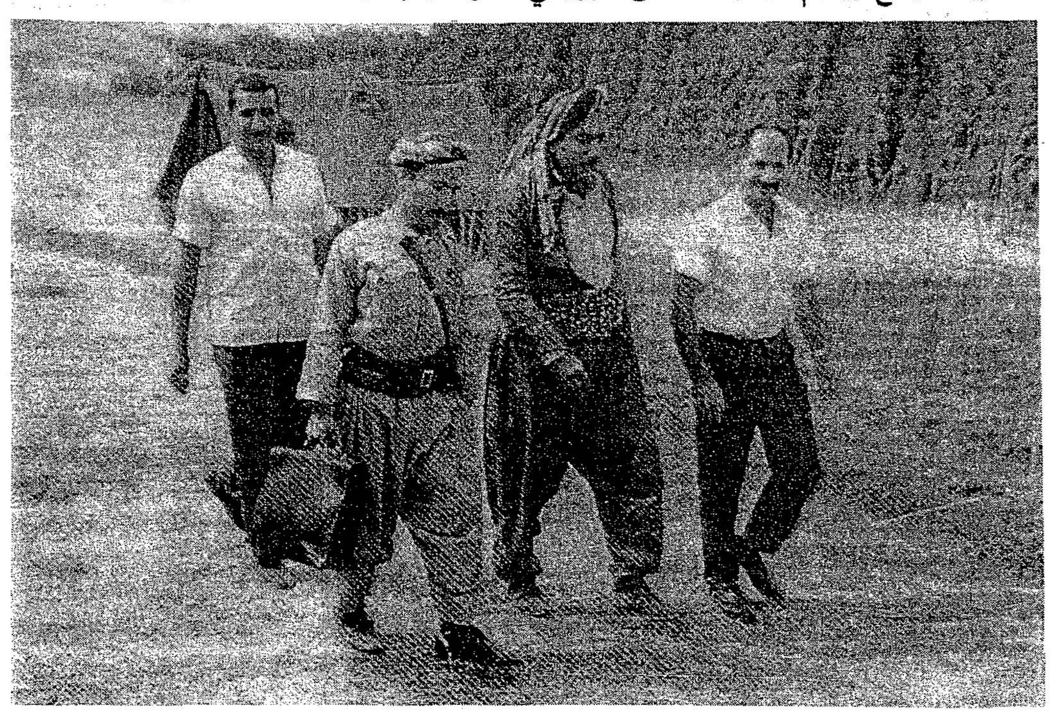
نجحت عمليات الفرار في اخلاء العراق تقريبا من اليهود. وفي نهايتها لم يبق في العراق سوى عدد من اليهود يتراوح بين ٥٠٠-١٥٠٠ شخص ثم انخفض عددهم، حتى لم يبق سوى عدة عشرات. واولئك الذين بقوا ذاقوا العلقم، واختفت اثارهم، ثم تم العثور على يهودي مقتولا في بيته. ثم جرى اختطاف تسعة اخرين خلال الفترة الواقعة بين شباط ونيسان ١٩٧٣، ثم قتل خمسة اخرون من عائلة واحدة ابان فرارهم.

لقد كان العراقيون على علم بما يحدث، لكنهم لم يكونوا على علم بكل شيء. وفي الثالث من كانون الثاني ١٩٧٣ كتبت جريدة الثورة العراقية قائلة: انه ومقابل المساعدات التي تقدمها اسرائيل للاكراد، فان الاكراد يساعدون اليهود العراقيين في الفرار الى اسرائيل.

والحقيقة، هي ان البرزاني كان الشخصية المركزية التي تدير عملية فرار اليهود من العراق، وبعد اثنتين وعشرين سنة يقول مصطفى قرداحي الذي كان سكرتيرا للبرزاني في الستينات ان البرزاني امر بانقاذ اليهود وتقديم جميع المساعدات اللازمة لهم.

لقد كان المنطق السليم يؤكد على ان البرزاني في حاجة الينا والى وجودنا كتعبير عن القوة، اضف الى ذلك اننا بالنسبة له، جسر الى العالم الخارجي الى حد ما، لان الجسر الحقيقي هم الايرانيون الذين لا شك سيحافظون على "شعرة معاوية" مع البرزاني بهذا الشكل او ذاك في جميع الاحوال.

بيد ان سرعان ما بدا ان الافتراض الاخير كان متفائلا جدا، ففي اعقاب الاتفاق العراقي الكردي، تدهورت العلاقات الكردية الايرانية. وقد حاولت اسرائيل تسوية الوضع بينهم، وعرضت على البرزاني اقتراحان بشأن استئناف الحوار.



١٩٦٦ : ابراهام تدمور ـ من اليمين ـ قائد المستشفى وعزيز العقراوي والدكتور محمد عثمان

الفصل الثالث والعشرون

العراقيون يحاولون اغتيال البرزاني

رغم اتفاقية الحادي عشر من ايار، واصلت الحكومة العراقية تعرضها وملاحقتها لمحرري الصحف العراقية، وتم العثور على جثة مترجم من اللغة الفرنسية في جريدة (التاجي) الكردية ملقاة على قارعة الطريق في بغداد.

وليلة السادس من كانون الثاني ١٩٧٠ جرت محاولة لاغتيال ادريس ابن البرزاني، والذي كان قد قدم الى بغداد موفدا من قبل والده في السيارة الفاخرة التي تلقاها البرزاني هدية من الحكومة العراقية في اعقاب توقيع الاتفاقية، لتهنئة زعماء النظام الحاكم بمناسبة عيد الاضحى. وابان وقوف السيارة بالقرب من احد الفنادق اطلقت باتجاهها صلية من بندقية اتوماتيكية، بيد ان ادريس كان قد غادر العراق سرا الى كردستان خلال الليلة السابقة وبذلك نجا من الموت.

وقد زعم مصطفى البرزاني ان خمسة من الذين حاولوا اغتيال ابنه هم من بين مؤيدي غريمه الطالباني. وقد اعلنت الحكومة العراقية فيما بعد انه تم القاء القبض على الفعلة وسيقدمون الى المحاكمة.

وفي السابع من كانون الاول ١٩٧٠، قال البرزاني في المقابلة التي اجرته معه جريدة نيوزويك الامريكية: العديد من الجهات ترغب في تخريب السلام، ومن ضمنها عدد من رجال النظام البعثي من تجار الحروب الذين يتغذون من المعارك، وعدد من العسكريين.

وفي اعقاب هذه المحاولة الفاشلة، سارع العراقيون الى تنفيذ عدد من البنود الواردة في الاتفاقية، ومن ضمنها دفع تعويضات لكل عائلة كردية سقط ابنها في القتال في غضون العقد الماضي، ومنح مبلغ شهري لكل (باست مرجه) يضع السلاح ولا يجد له مصدر رزق، وتفضيل الاكراد في تسليم الوظائف الحكومية، كما خصص مبلغ اربعة ملايين دينار لتطوير الشمال، بيد ان هذه التحسينات لم تكن تفي باحتياجات الاكراد.

وفي كانون الاول ١٩٧٠، وخلال الحوار الصريح الذي اجراه مع (ناحيك) وجه البرزاني انتقادات شديدة لاسرائيل جراء عدم مساعدتها له للحصول على الدعم والتأييد الامريكي. كما تحدث الدكتور محمود حول التخبط القائم في اوساط الزعامة الكردية، فيما اذا كان يجب السير على طريق السلام مهما كان

الثمن، ام استئناف القتال. وقد اعرب الاثنان عن رغبتهما في مواصلة اسرائيل تقديم المساعدات لهم ومواصلة العلاقات مع ايران.

ورغم الانطباع الذي خلص اليه (ناحيك) من ان الاكراد يحاولون الامساك بالعصا من الوسط، الا انه اوصى لدى المسؤولين الاسرائيليين بزيادة المساعدات للاكراد. لكن المسؤولين الاسرائيليين رفضوا طلبه بحجة ان اسرائيل لا تستطيع حل مشاكل البرزاني الاقتصادية. لقد قدمنا له يد المساعدة ولشعبه كي نمنحه احساسا بالقوة عبر المساعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية. لقد قدمنا له المساعدة لاننا نعتقد ان من حق الاقليات في المنطقة وليس العرب فقط ان يعيشوا فيها، ولاننا نعتقد ان من واجبنا مساعدة شعب ضعيف وصغير على العيش ولاننا نرغب في ان نكون عنصرا من عناصر الشرق الاوسط، ونشاطاتنا وتواجدنا في كردستان هما جزء من اللعبة السياسية في المنطقة، سواء اكان ذلك يأتي في اطار محاولاتنا اضعاف النظام العراقي، او في اطار تعاوننا مع الايرانيين.

وفي السادس والعشرين من كانون الثاني قال الدكتور محمود (للناحيك): ان البرزاني ليس قادرا على فعل كل شيء. وانه بدأ يفقد قدرته على العمل. وهو لا يستطيع مواجهة الحكومة العراقية التي تبدو اذكى من سابقاتها. واذا لم تسارعوا بمد يد العون للبرزاني، فسوف تخسرون كل ما بذلتموه حتى الان. اننا لا ندري بالضبط ماهية التعاطف الذي تبديه اسرائيل مع مصالحنا؟ لماذا لا تساعدوننا كي نصبح جزءا من معسكر الغرب في الشرق الاوسط؟ واذا كان الاساس الذي تقوم عليه العلاقة الكردية الاسرائيلية هو مد يد المساعدة لشعب مضطهد وضعيف، لتمكينه من اثبات حقه وحق الاقليات في العيش في هذه المنطقة، وان هذا الحق ليس قصرا على العرب فقط، فان الواجب يقضي بأن تفعلوا الكثير من اجل مساعدتنا.

رد ناحيك على هذه الانتقادات بالقول: ان كل ما حدث منذ اذار ١٩٧٠ يتطلب سفرك الى اسرائيل كي تضع جميع الاوراق على الطاولة وحينها سنرى الامور على حقيقتها. ونعرف ما يتوجب علينا فعله.

وكان (ناحيك) يبذل قصارى جهده في تلك الاونة من اجل تحسين العلاقات الكردية الايرانية.

توترت العلاقات، في ايار ١٩٧١، بين العراق والاكراد، حيث قدم

البرزاني شكوى الى (البكر)، قال: ان العراق يعمل على توطين المناطق الغنية بالنفط في كركوك بالعرب. كي يثبت الاحصاء الذي سيجري في هذه المنطقة، بناء على نصوص الاتفاقية ان اغلبية سكانها ليسوا اكرادا. ودعا البرزاني لعقد اجتماع طارىء لزعماء حزبه، بما فيهم الوزراء الاكراد في حكومة البعث، حيث تم اتخاذ قرار بمواصلة الحوار وتوخي اقصى ايات الحذر خشية حدوث تدهور في العلاقات.

كان صدام، طيلة تلك الفترة، يحاول تسوية الخلافات وتطويقها، بيد ان وحدة عراقية قامت مطلع تموز ١٩٧١ وبصورة فجائية، باحتلال الطريق المؤدي الى برزان، وقام سلاح الجو العراقي ايضا بقصف المنطقة. وفي رد البكر على شكوى البرزاني، قال: ان العملية كانت مبادرة شخصية من عدد من الضباط العراقيين دون معرفته. بل واشارت بعض الشائعات الى ان هذه العملية تمت في اطار مؤامرة تم الكشف عنها لاحقا، لاعتقال البكر وكبار زعماء حزب البعث، ابان الاحتفالات بالعيد السنوي لتأسيس الحزب.

لكن البرزاني رفض التفسير، وقال ان الحكومة عادت لمحاولات الخداع والمراوغة، وفي الثاني من ايلول ١٩٧١ سجل (ناحيك) في يومياته: هناك خلافات بين البرزاني والوزراء الاكراد في الحكومة، وهذا ليس امرا مفاجئا، فقد كان الجميع بمن فيهم البرزاني يدركون ان وزراءه سيتلوثون بقاذورات الحكومة، ولهذا السبب لم يوافق على انضمام الدكتور محمود الى اولئك الوزراء. ومن الجدير بالذكر ان الدكتور محمود كان نشيطا جدا في الاتصالات التي اجريت مع الحكومة وفي مجال تركيب القائمة الوزارية، والتوقيع على الاتفاقية، ورغم ذلك، لم يحصل على مقعد وزاري، كما لم يحصل على منصب سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي، وهو المنصب الذي حظي به محمد حبيب كريم، والذي رشح ايضا لمنصب نائب رئيس الحكومة، ولم يكن البرزاني يخشى من ان يقلب له كريم ظهر المجن، لانه كان من الطائفة (الفيلية) التي تعتبر قوميتها موضع خلافات. ومكروهة لدى العراقيين.

وهكذا بقيت الزعامة الكردية المهمة (كريم ومحمود) نظيفة، ومعها ايضا الغالبية العظمى من القيادة العسكرية. اما اولئك الذين راق لهم التمرد على البرزاني، فهم الاقل اهمية على الصعيد الكردي الداخلي.

اما ادريس، فقد كان في البداية احد المقربين جدا للزعامة الحاكمة في بغداد، واتخذ في جبهة واحدة مع كريم وسامي. لكن، وفي اعقاب محاولة

الاغتيال، اعاده البرزاني رويدا رويدا الى احضانه.

ومن الجدير بالذكر، ان كريم حافظ على ولائه للبرزاني حتى النهاية وفي نهاية المطاف كان من بين اولئك الذين صفاهم صدام بمنهجية حيث اعدمه عام ١٩٨٠.

غضب البرزاني جدا جراء المؤامرات، التي كان النظام العراقي ينظمها ضد الاكراد، وازداد هذا الغضب الى اقصى مدى عندما تمكن النظام من بسط عباءته على ابنه عبيدالله الذي سافر الى بغداد وبدأ يتعاون مع صدام.

وفي مذكراته كتب ناحيك: هذه خيانة لا تغتفر، ولا شك ان البرزاني لن يوافق بعد الان على اي اعمال مصالحة، ولهذا السبب عاد للامساك بزمام القيادة بين يديه، ولن يمنح السياسيين الاكراد بعد ذلك حرية عمل، وكما يبدو فان مرحلة النشاطات السياسية التي كان السياسيون الاكراد يقومون بها قد آلت الى نهايتها.

ورغم ذلك يتوقف عبيدالله عن الاساءة الى والده وتشويهه، وفي المقابلة التي اجراها معه مراسل وكالة الانباء الامريكية هلجر جنسون في الثالث من نيسان ١٩٧٥، قال: ابي زعيم دكتاتور، يتعامل مع الاكراد كقبائل بدائية، وقد كان اخي مسعود ذراعه الايمن، والذي يدير نظام ارهاب، جعلني حتى انا، اخشى على حياتي منه. اضطررت للهرب من سجن ابي، كي انضم الى الحكومة العراقية، وانا اعرف ان ابي سيقتلني اذا ما تمكن من وضع يده علي.

* *

كان العراقيون يخططون لمسألة اوسع مما حدث، فقد حاولوا اضرام النيران بين القوات الايرانية والكردية لكن البرزاني لاحظ المؤامرة واوقف الاحداث قبل وصولها الى حالة التدهور.

ثم عثرت ذهنية صدام على مؤامرة اخرى، ففي نهاية ايلول ١٩٧١، استضاف البرزاني رئيس الموساد زامير، ورئيس شعبة (تيبل) العالم وهي الشعبة التي تعالج القضايا العالمية (ناحوم ادموني).

وفي التاسع والعشرين من ايلول توجه زامير وادموني الى منطقة رواندوز، التي كانت تعسكر فيها غالبية القوة العراقية المحلية، وقد صحبهما في سيارة الجيب (ميرخان وازاد) وفي اعقاب الجولة الواسعة التي قام بها الاربعة ودرس الاسرائيليان خلالها طبيعة الانتشار العراقي العسكري وعلى بعد قليل من الحاج

عمران، شاهدوا تجمعات على الطريق وسمعوا انه جرت محاولة لاغتيال مصطفى البرزاني، وأنه نجا منها بأعجوبة.

وبعد وقت قصير، سمعوا الرواية من البرزاني نفسه، الذي قال: قدم تسعة علماء دين جميعهم من الشيعة، من بغداد، الى الحاج عمران، للتحاور معي. واجتمعوا معي في خيمة الضيافة، الساعة الخامسة مساء، وعندما توجه الخادم الذي يقدم القهوة الى الضيوف، اصطدمت قدمه بقنبلة يدوية فانفجرت وادت الى مقتله فورا، وكما يبدو ان القنبلة سقطت من ملابس احد علماء الدين المذكورين قبل الموعد المحدد لعملية الاغتيال وخربت العملية كلها.

وقد سارع حراس البرزاني الى الخيمة وقتلوا جميع العلماء، وقد قتل حارسان من حراس البرزاني، كما اصيب عشرة اخرون بجراح هذا ولم يصب الدكتور محمود، الذي كان يجلس الى جوار البرزاني بأذى، بينما اصيب البرزاني في وجنته اليسرى بجرح طفيف، كما احترقت ملابسه.

ويقول البرزاني: انه لا يشك للحظة في ان العملية خططت لاغتياله. اما ادموني الذي ترأس الموساد فيما بعد فيقول: ان هذه العملية كانت اول نموذج لعملية انتحارية شيعية.

ويقول البرزاني، ان المؤامرة بدأت قبل خمسة عشر يوما، حينما قدم اربعة ممثلين من حزب البعث، جميعهم من رجال الدين الى الحاج عمران، للتحاور معه، حول دفع المفاوضات مع الحكومة العراقية الى الامام. وقد اعرب البرزاني امامهم عن تذمره جراء عدم تنفيذ الحكومة العراقية للاتفاقيات مع الاكراد، فوعد الاربعة بنقل شكواه الى بغداد، ومواصلة الحوار.

وبعد عدة ايام انضم خمسة علماء اخرين الى الاربعة، وارسلت قائمة باسمائهم مسبقا الى البرزاني، بيد ان ايا منهم لم يثر شكوكه.

وفي المقالة التي اوردتها جريدة الحياة اللبنانية فيما بعد حول هذه العملية، جاء في الرابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧١: اجتاز المغتالون عمليات تأهيل مسبقة على ايدي ذراع عسكري ذي معرفة واسعة، وقد اقنعهم المدربون انه سيتم تخليصهم في اعقاب العملية بطائرات الهليوكبتر.

وقد وصل التسعة في سيارتين من طراز (تيوتا ستيشن) وسيارة (شفروليت) وقد انفجرت سيارتا التيوتا، اثناء المعركة. وقد تم العثور في سيارة (الشفروليت) على حزام ناسف بوزن عشرين كيلوجراما، وصواريخ جاهزة للعمل في

الجزء الامامي من السيارة والجزء الخلفي ايضا، وعلى قنابل يدوية. وكانت كل هذه الاسلحة، معدة لتصفية الزعامة الكردية في اعقاب اغتيال البرزاني، وتمثلت المرحلة الثانية في احتلال مفاجىء لمواقع الاكراد، وكان الجيش العراقي على اهبة الاستعداد، بالتعاون مع سلاح الجو لتنفيذ العملية.

سرعان ما ادركت بغداد العواقب المترتبة على ما حدث، وارسل الرئيس العراقي الى البرزاني مبعوثا شخصيا رفيع المستوى هو وزير المعارف الدكتور احمد عبد الستار الجويري لشجب المحاولة وتمنى الشفاء العاجل له. وايضا عمد فرع حزب البعث الاقليمي الى توزيع بيان شجب فيه العملية، وجاء في البيان "ان منفذي العملية هم رسل جهات متآمرة وامبريالية" وارادت تخريب اتفاقية الحادي عشر من اذار.

وقيل للبرزاني انه تم تشكيل لجنة خاصة، للتحقيق في الحادث المؤسف، برئاسة نائب وزير الداخلية، وعضوية حاكم السليمانية، وقاض من بغداد وقائد الشرطة ومدير الامن في اربيل، وخبير شرطة في المتفجرات.

شكر البرزاني الوفد على امنياته له بالسلامة، لكنه لم يصدق كلمة واحدة مما قيل له، ولم ينس ان يؤكد ان جميع الدلائل تشير الى ان القتلة جاءوا من بغداد.

وخلال الطريق وحتى وصولهم بسياراتهم المحملة بالمعدات التخريبية، اجتازوا عشرات الحواجز، ورغم ذلك، فاننا نترك امر التحقيق في القضية لممثلي الدولة، في كل من اربيل والسليمانية".

ولم تتمكن لجنة التحقيق، من الخروج بأية استنتاجات او التوصل الى اية حقائق وتراوحت التخمينات حول سبب الحادث، في ان يكون قد وقع على ارضية نزاعات عراقية، داخلية او ان صدام حسين ادرك ان اتفاقية الحادي عشر من اذار لم تعد تخدم اهدافه، وبالتالي سعى الى قتل زعماء التمرد ومهاجمة كردستان بعد ذلك مباشرة.

وافادت جريدة بيروتية صادرة باللغة الانجليزية، تدعى "النهار عرب ريبورت" في عددها الصادر في الحادي عشر في تشرين الاول ١٩٨١، ان صدام حسين ورط في هذه العملية ابن البرزاني عبيدالله، الذي كان الروح المخفزة لتنفيذ العملية.

كانت العملية ترمي الى تحقيق عدة اهداف، من بينها: القضاء على

مجموعة من شخصيات النظام العراقي التي لم تعد تروق لصدام حسين، وتسجيل انجاز للجيش العراقي، عبر اغتيال البرزاني. في قلب المنطقة الكردية. وهكذا لم يعد لدى البرزاني اي شك، في ان ....، الذي كان يسمى مهندس الحكم الذاتي مع الاكراد، انقلب عليهم.

* *

في اعقاب استرداده انفاسه، اثر عملية الاغتيال، اراد البرزاني الاجتماع بزامير للتشاور معه حول استمرارية العلاقة مع العراق. وقد دعا البرزاني ابناءه، والدكتور محمود، ومقربيه لحضور الاجتماع مع زامير، كي يقولوا رأيهم بصراحة. بيد ان ايا منهم لم ينصح بوقف الحوار والتحدث بلغة الرصاص.

وفي اعقاب ذلك، سأل البرزاني زامير عن رأيه؟ فقال زامير: كل ما يجب ان تفعلوه، يجب ان يكون حسب مصلحتكم انتم ودون الانجرار خلف العراق، لان الحادث الذي وقع، كان مبادرة عراقية، ولا يجب ايضا ان تكون هذه العملية سببا باتخاذ قرار عام. ويبدو ان البرزاني كان يريد ان يسمع هذا الرأي بالضبط، لذا، قال للحاضرين اصغوا لرأي الضغيف جيدا.

* *

وفي رواية اخرى للبرزاني، امام تسوري حول الحادث، قال: وهو يجلس فوق نفس المقعد الذي كاد ان يلقى حتفه وهو جالس عليه: لقد جلست على هذا المقعد، وانظر الى غطائه لقد تمزق، وهذه الدماء التي تراها هي دماء رجل الدين الذي كان يحمل القنابل.

ادى وصف البرزاني للحادث، الى جعل تسوري يؤكد ان خطأ ما، قد حدث، ادى الى الانفجار قبل الوقت المحدد، وكما يبدو ان بقية علماء الدين الاخرين كانوا يحملون اجهزة تسجيل ملغومة دون ان يدروا وان هذه الاجهزة كانت ستنفجر حسب توقيت معين، او بتفجير عن بعد من السيارات التي كانت تقف في الخارج.

وايا كانت الحقيقة، فقد بدأت الجهات المحيطة بالبرزاني بالرد على الحادث بحادث مماثل ضد صدام، على ان تنجح عمليتهم وتصيب هدفها، بيد ان تخطيطهم لم يخرج الى حيز التنفيذ الفعلي.

* *

اصغى البرزاني جيدا للاصوات الصادرة عن بغداد، وقد اكدت تلك

الاصوات ان هناك ميثاقا جديدا يجري اعداده، وقد نص هذا الميثاق على تجميد الاتفاقية مع الاكراد في تشرين الثاني ١٩٧١.

وفي الرسالة التي بعث بها البرزاني والتي اوردتها جريدة النهار البيروتية، الى الرئيس العراقي، اتهمه بانتهاك الاتفاقية التي تم التوصل اليها، وانه ضرب بجميع البنود عرض الحائط. وان مكانة الاكراد في الحكومة العراقية لم تتساوق مع الوعود التي اعطيت لهم، ولم تعط لهم موطىء قدم حقيقيا في قيادة الجيش.

وفي رده وخلال المؤتمر الصحفي الذي عقده، القى الرئيس العراقي (البكر) الكرة الى منعب البرزاني، واتهمه بتوتير ودهورة العلاقات القائمة بين الاكراد والعراق. واشار الى ان اية جهة ترغب في التغلغل في صفوف الجيش العراقي لممارسة الدعاية والتحريض ستبوء بالفشل الذريع.

وزعم البرزاني، أن هناك العديد من الدلائل التي تشير الى ان العراق بدأ يعد قواته لاستئناف الهجمات على الاكراد. هذا في حين اكد العراقيون ان سياستهم تجاه الاكراد تنحو نحو الحوار، في حين ان سياستهم تجاه ايران تنحو نحو المواجهة.

وفي الثلاثين من تشرين الثاني استولت ايران على ثلاث جزر تقع على ابواب الخليج، مما منحها مكانة سيطرة استراتيجية في الخليج.

ورأى العراق ان جميع الجهات والمجتمع الدولي لم يعقب او يبد اهتماما لهذه الخطوة العدوانية بل ربما كان الامر على العكس تماما، فقد بدأت الولايات المتحدة تعلن تأييدها لايران ونصب الاسلحة والذخائر في ترسانتها، كما ان الدول العربية لم تستجب لتوسلات العراق، بالرد على الخطوة الايرانية.

وفي الاول من كانون الاول، ١٩٧١ قطع العراق علاقاته الدبلوماسية مع ايران ورد الايرانيون بخطوة مماثلة، وقال وزير الخارجية الايراني: نحن لم نعرض حتى الان على الاكراد مساعدات عسكرية، بيد اننا قد نفعل ذلك، اذا ما نشبت حرب علنية.

بقي البرزاني يعتبر الولايات المتحدة، بمثابة الرجاء الذي يسعى اليه لحل جميع مشاكله، واراد توسيط وزير الدفاع الاسرائيلي موشيه ديان، في هذه القضية فبعث له رسالة في الثاني من شباط ١٩٧١ جاء فيها: لا شك انك مطلع على الموقف الامريكي تجاه القضية الكردية ومكانة هذه القضية في السياسة الامريكية في الشرق الاوسط، ولاسفي البالغ فان هذه السياسة لم تتغير ولا اتوقع ان يطرأ

تغيير عليها قريبا.

كان ديان يعلم عبر مصادره، ان الولايات المتحدة تدرس امكانية تقديم المساعدات للاكراد، بيد انها لم تفعل ذلك. وفي نفس الوقت قرر ديان مواصلة تقديم المساعدة لهم.

وقد رد على البرزاني برسالة جاء فيها: انا واثق من ان ممثلينا على اتصال بك، ويدركون طبيعة المشاكل التي تواجهها، ونحن نصر على مواقفنا القائلة: بتقديم المساعدة لك في الساعات الصعبة والاوقات العصيبة. كما قام ديان بارسال اربعة مدافع مضادة للطائرات من عيار (٢٠ملم) ومعها مدرب بيد ان تلك المدافع تأخرت في الوصول الى هدفها بسبب تراكم الثلوج آنذاك.

بدأت وفود عن الحكومة السوفياتية خلال شهر اذار ١٩٧٢ في التهافت على البرزاني فقد كان الاتحاد السوفياتي يسعى آنذاك لابرام معاهدة صداقة مع العراق، وكان يدرك ان النزاع الكردي العراقي سيعرقل هذه الجهود. وقد علم الاكراد بنبأ المفاوضات الجارية لتوقيع اتفاقية الصداقة، ورغبوا في الاطلاع على خفاياها قبل توقيعها.

تساءل الاسرائيليون عن السبب الحقيقي الذي يحدو بالسوفييت لمغازلة الاكراد. وفي اعقاب الاجتماع السري الذي عقد في مكتب رئيس الحكومة، بحضور رئيس الموساد، ثم اتخاذ قرار بلفت نظر الولايات المتحدة الى احتمال تدخل السوفييت.

بدأ الاسرائيليون بالقيام بعمليات اقناع لاثناء البرزاني عن قبول المغازلة السوفياتية. وفي الحادي والثلاثين من اذار، اعلمت شخصية اسرائيلية رفيعة البرزاني، بموقفها على النحو التالي: ان التوجهات السوفياتية اليك هي تهديد جاء لخدمة المصالح السوفيتية فقط، فالسوفييت معنيون بالحصول على موطىء قدم، للمشاركة في لعبة القوى الداخلية، اضف الى ذلك، ان اي تواجد سوفييتي، يرمي الى اضعاف قوتكم ونضالكم.

واضافت الشخصية الاسرائيلية: ومن الجائز ان يؤدي الاهتمام السوفياتي بما يجري في بلادكم، الى زيادة الاهتمام الامريكي بقضيتكم، هذا اذا صمدتم امام هذه المحاولة السياسية، مثلما صمدتم حتى الان، في قضية الحرب والسلام. ولا شك لدينا، في ان هذا هو الاختبار الحقيقي لك ولزعامتك ولحركة التمرد الكردية كلها، اننا ومنذ عرفنا الالام التي تتحملونها، ونحن نقف الى جانبكم، وخصوصا

في ايام الحرب الصعبة، واملنا ان يؤدي دعمنا، والاسلحة التي زودناكم بها، والتدريبات في انجاح نضالكم العسكري، ذلك النضال الذي الحق الهزيمة بالجيش الذي سعى لتدميركم.

واضاف... ان ما تحقق خلال اتفاقية اذار ١٩٧٠، جاء نتاجا لنضالكم المتواصل، ورغم ذلك، فان العدو لم يسلم بوجود الامة الكردية المستقلة، رغم محدودية هذا الاستقلال.

واضاف.. لقد وقفت اسرائيل، وهي لا زالت في مهدها، امام الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي معا، فالشعوب الصغيرة المصرة على النضال، قادرة على مواجهة التحديات.

وبشر الكاتب، البرزاني، بأن حكومة اسرائيل واضافة الى موقفها ودعمها لكم ولشعبكم، ستستغل قدرتها، للعمل لدى حكومة الولايات المتحدة وجهات اخرى، من اجل صالحكم، ومن اجل اثارة اهتمامها بما يدور في بلادكم. ويجب ان نؤكد، على ان هذه المهمة ليست سهلة، وتتطلب زمنا طويلا. ورغم ذلك، فاننا سنقف الى جانبكم مهما كان قراركم وفقا لما تقتضيه مصلحتكم، ايمانا منا بأن صالح الشعبين يتطلب ذلك.

وفي التاسع من نيسان ١٩٧٢ وقع السوفييت والعراقيون اتفاقية الصداقة بينهما، وتناهت الانباء حول ذلك الى الاكراد، من خلال وسائل الاعلام، ورفض طلبهم الخاص باعلامهم بفحوى الاتفاق قبل توقيعه. ورغم ذلك وعد السوفييت الوزراء الاكراد في حكومة العراق بطرح القضية الكردية امام الحكومة العراقية. بيد ان طرحها لم يسفر عن اي فائدة تذكر.

اعتبر البرزاني الاتفاقية موجهة ضده، وقال في المقابلة التي منحها، في الحادي والعشرين من نيسان لجريدة (لوفيجارو) الفرنسية: ان التقارب السوفياتي العراقي يأتي على حسابنا، فكميات الاسلحة الهائلة التي سيزود السوفييت العراق بها، لن تستخدم ضد ايران التي يقيم السوفييت معها علاقات جيدة جدا، وايضا لن تستخدم ضد الاسرائيليين الذين لن تقوم بغداد بمهاجمتهم ابدا رغم التصريحات التي تطلقها بهذا الصدد. وسيقوم العراقيون باستخدام هذه الاسلحة ضدنا نحن.

وفي تعقيب (فاتلي) على الاتفاقية السوفياتية العراقية، قال: لقد جعلت هذه الاتفاقية الاكراد يقفون وظهورهم الى الحائط.

الفصل الرابع والعشرون

رسالة سرية من الشاه للعراق

في الثلاثين من ايار ١٩٧٢، وبعد حوالي شهر من توقيع اتفاقية الصداقة السوفيتية العراقية، اجتمع شاه ايران بالرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون.

لقد فسرت اتفاقية التعاون السوفياتية العراقية، والتي تقوم على خطة تسليح هائلة. على انها حركة كماشة لتطويق ايران من الشمال والغرب.

وفي التاسع عشر من نيسان ١٩٧٢ بعث راديو طهران الماحة مزدوجة الى بغداد ان النظام العراقي غير مؤهل لخوض الحرب، لكن اذا كان صدام يتحدث عن الحرب مع ايران، فلن تكون هناك اية مشكلة في معاقبة من يؤيده.

ازاء التهديد السوفييتي، وجد الشاه نفسه في حاجة الى دعم الولايات المتحدة ولا شك ان التحالف بينه وبين الامريكيين كان قويا، وقد جاءت زيارته لواشنطن لتعزيزه، ولم يبق امام الشاه سوى بناء قوة دفاعية هجومية قادرة على وقف اي هجوم سوفييتي محتمل حتى يتمكن الامريكيين من التدخل.

وفي الكتاب الذي الفه هنري كيسنجر، تحت عنوان "سنواتي في البيت الابيض" قال: حاول الشاه ان يحظى بتأييدنا، ليس فقط عبر ابراز حاجة بلاده الماسة الى الدفاع والحماية، وابراز مدى اهمية بلاده على الصعيد الاستراتيجي للولايات المتحدة، بل ايضا عبر الوقوف الى جانبنا وابداء الصداقة في الاوقات التي كان بمقدوره ان يقف موقف المتفرج. وتحت قيادة الشاه كان الجسر البري الذي يربط اسيا واوروبا ذلك المحور الذي كثيرا مادار التاريخ العالمي حوله مواليا للامريكيين ولاوروبا بدون ادنى شك.

وباستثناء اسرائيل، كانت ايران بمثابة الدولة الوحيدة في المنطقة، التي جعلت الصداقة مع الولايات المتحدة بمثابة نقطة الانطلاق لسياستها الخارجية. كما ان رؤية الشاه للمشاكل السياسية العالمية كانت تتواءم تماما مع الرؤية الامريكية لها.

لقد كانت ايران تحت حكم الشاه احدى افضل اصدقاء امريكا، واشدهم اخلاصا، واهمية وبناء على ذلك امرت وزارة الدفاع الامريكية بمنح ايران اية منظومات اسلحة تحتاجها مهما كانت باستثناء الاسلحة النووية.

****

وخلال الحوار الذي اجراه الشاه مع الرئيس الامريكي طرح مبادرة جديدة: تقديم اسلحة الى المتمردين الاكراد في العراق قائلا: ان مثل هذه المساعدة، يمكن ان توجه الى العراقيين ضربة شديدة، دون الدخول معها في حرب مباشرة، او اثارة وتحريض الاكراد الايرانيين، ودون تحريض الاكراد الايرانيين، ودون تحريض العرب في خوزستان.

لم يبد الرئيس نيكسون وكيسنجر موافقتهما الفورية على المطلب الايراني، واكدا انهما سيعكفان على دراسته اولا، وكلف الرئيس عدة جهات امريكية بدراسة القضية، والتي خلصت الى نتيجة ادت الى ولادة وثيقة فريدة من نوعها، تلك الوثيقة التي وردت في تقرير لجنة الشؤون الاستخبارية التابعة للبيت الابيض في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٧٦، والذي اثار عاصفة شديدة في البيت الابيض والكونغرس. وقد ترأس اللجنة عضو مجلس النواب (اوتيس بييك).

اشتملت الوثيقة انفة الذكر، عى ٣٣٨ صفحة رتم تسريب فحواها بسرعة رغم قرار اللجنة الذي نص على اعتبارها سرية.

وقد تحدثت الوثيقة التي نشرت الاجزاء الرئيسية منها في جريدة (فيلج فايس) الامريكية، في السادس والعشرين من كانون الثاني ١٩٧٦ عن حليفتنا ايران، واعداء حليفتنا (العراق) والجماعة العرقية الكردية.

وافادت الوثيقة المذكورة الى ان القضية الكردية عولجت في واشنطن قبل قيام الشاه بطرحها على الامريكيين لقد تم طرح القضية في آب ١٩٧١، وفي اذار ١٩٧٢ ناقشها كيسنجر للمرة الثانية على موظف رفيع في وزارة الخارجية، وتم الاتفاق على ارجاء معالجتها في الآونة الحالية والسبب في الارجاء هو حسبما جاء في الوثيقة: لا نرغب في التدخل حتى ولو بصورة غير مباشرة والقيام بعمل يؤدي الى اطالة التمرد، ويشجع الرغبات الانفصالية، ويهيء للاتحاد السوفياتي الفرصة المواتية لخلق صعوبات لاثنتين من الدول المتحالفة معنا (اسرائيل وايران).

واقتبست الوثيقة اقوالا بعث بها السفير الامريكي في ايران، حول هذه القضية، يعارض فيها تقديم الدعم للاكراد، ويقول: لا انصح بذلك، الا اذا كانت هناك اسباب سياسية قهرية لا علم لي بها، واود في هذه الحالة ان انوه الى ان تقديمنا المساعدة، ثم تراجعنا عنها سيفسر تفسيرات غير صحيحة تؤثر على علاقتنا بايران بصورة غير ايجابية.

ويقول كيسنجر في كتابه: بيد انه لم يمض شهران، حتى وافق نيكسون

على التعاون مع الشاه في منح، الدعم والتأييد للحكم الذاتي الكردي في العراق، مع الحفاظ على اقصى درجات السرية داخل الحكومة الامريكية. بل ان لجنة الاربعين، وهي اللجنة السرية المنبثقة عن مجلس الامن القومي والتي تصادق على جميع العمليات السرية، وضعت امام حقائق جاهزة.

لقد اتضح ان البيت الابيض لا يخشى من تسرب معلومات قد تسيء الى الايرانيين بل حرص ايضا على تسرب النبأ الى وزارة الخارجية الامريكية التي كانت تعارض مثل هذه المغامرات في المنطقة. وقد طولب اعضاء اللجنة بالتوقيع بالاحرف الاولى على الوثيقة، بل ان التقديرات التي طالب البيت الابيض وكالة المخابرات الامريكية بوضعها لم تتعلق حسب طلبه فيما اذا كان بالامكان القيام بالعملية، بل كيف بالامكان تنفيذها؟

وقبل مصادقة اللجنة على الوثيقة ارسل الرئيس نيكسون مبعوثا خاصا الى الشاه، كي يعلمه باستجابته لمطلبه الخاص بتقديم المساعدة للاكراد، ولم يكن هذا المبعوث سوى جون كونولي سكرتير وزارة المالية السابق، والذي كان الرئيس على وشك تعيينه في وظيفة رفيعة لقيادة حملته الرئاسية القادمة، الامر الذي يشير الى مدى الاهمية التي كان نيكسون يعزوها لهذه القضية.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

ترى ما هي الاسباب التي حدت بالولايات المتحدة للاستجابة لطلب الشاه، رغم رفضها السابق له؟

وفي معرض رد تقرير بييك على هذا السؤال جاء: ان السبب يرجع الى الرغبة في اسداء معروف لدولة حليفة هي ايران، والتي كانت تتعاون مع استخبارات الولايات المتحدة، وتشعر بأنها تتعرض لتهديد العراق.

وفي اعقاب القرار الامريكي، استدعي البرزاني للاجتماع بالشاه، وخرج من المقابلة وهو يشعر بالسعادة والرضى التام. وفي حزيران ١٩٧٢ توجه وفد كردي الى واشنطن بمبادرة امريكية بهدف مناقشة الامريكيين في ماهية المساعدات التي يحتاجها الاكراد.

وفي طريقه الى الولايات المتحدة عرض اعضاء الوفد على اسرائيل، وطلب ادريس والدكتور محمود من الاسرائيليين، ان يزودوهم بنصائحم واقتراحاتهم.

وفي التاسع عشر من كانون الاول ١٩٧٧، كشف (وليام سافير) الصحفي الامريكي المعروف في جريدة نيويورك تايمز النقاب عن ان اعضاء الوفد اجتمعوا

برئيس وكالة المخابرات الامريكية -سي اي ايه- رينشارد هيلمس، والعقيد ريتشارد كندي مساعد كيسنجر في البيت الابيض. وقد استقبل الامريكيون المطالب الكردية بتعاطف كبير، ووعدوهم بتزويدهم بأسلحة من الغنائم السوفياتية، بما قيمته خمسة ملايين دولار. وفي نهاية الحديث قيل لاعضاء الوفد، انه لا يجب عليهم كشف فحوى الحوار الذي دار، للاسرائيليين، وحينما اكد اعضاء الوفد انهم لا يستطيعون اخفاء المعلومات عن رئيس الموساد الاسرائيلي، تراجع الامريكيون عن موقفهم، ومنحو ادريس جهاز اتصال حديثا، ومنحوا الدكتور محمود معدات طبيب.

وقد وعد الشاه الاكراد، فيما بعد، بأنه اذا لم يف الامريكيون بوعودهم الخاصة بتزويدهم بالمال اللازم فانه سيقوم بنفسه بتزويدهم باحتياجاتهم منه.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

وفي الاول من حزيران ١٩٧٢ امم العراقيون ابار النفط الخمس والخمسين، الموجودة في كركوك وضواحيها، ولم يستطع الاكراد الاعتراض على هذه الخطوة، التي تنص على مصادرة موارد طبيعية هامة من شركات خاصة، بيد ان المصادرة افقدتهم حقهم في المطالبة بقسم من العوائد النفطية التي اصبحت الان تدخل الى الخزينة العامة للدولة.

وفي اعقاب التأميم اندلعت حوادث شغب دموية، قام سلاح الجو العراقي خلالها بقصف قرى كردية. وفي نفس الوقت لم يتوقف العراقيون عن محاولاتهم لاغتيال البرزاني.

ويقول مصدر كردي، ان شخصا قدم الى مقر البرزاني في الخامس عشر من تموز ١٩٧٢، وادعى انه مراسل وكالة الانباء العراقية، وحاول اغتياله ابان المقابلة التي اجراها معه. وعندما القي القبض عليه، اعترف الرجل خلال التحقيق ان وزير الداخلية ومدير الامن العام في وزارة الداخلية العراقية هما اللذان بعثاه لاغتيال البرزاني.

محمد حبيب كريم، هو الرجل الذي يعتبر الرجل الثاني بعد البرزاني، والذي يطمح في اقامة ما هو اكثر من حكم ذاتي للاكراد، او بالمعنى الاصح دولة للاكراد تمتد من الاراضي العراقية وحتى اراضي الاكراد في سورية وايران وتركيا، وتضم احد عشر مليون كردي. قال في مقابلة مع جريدة اخبار اليوم المصرية في السادس والعشرين من آب ١٩٧٢: انه لا يوجد شيء واحد على ما يرام في

العلاقات القائمة بين الاكراد والعراق، وعدد العديد من البنود في اتفاقية الحادي عشر من اذار، التي لم يقم العراق بتنفيذها مثل: تعريب مناطق كردية، ومحاولة قتل البرزاني وابنه ادريس، وعدم ضم ممثلين اكراد الى رئاسة المجلس الثوري والحكومة، وهيئة الاركان العامة، والاجهزة الامنية، وتجاهل مكانة الاكراد في الاتفاقيات التي يبرمها العراق مع الدول الاخرى.

وفي معرض رده قال صدام حسين للصحيفة المصرية: ان العراق طبق حوالي ٩٠٪ من الاتفاق، وان العشرة في المائة الباقية، ستطبق فيما بعد.

وفي الثالث عشر من آب، زعم الاكراد ان العراقيين يقومون بقصف قرى كردية بالطائرات ويدمرونها، ويجلون سكانها، ويوطنون تلك القرى بالعرب. ويتضح من المقابلات التي منحها البرزاني للمراسلين الذين زاروا مقره انه يتخذ الاستعدادات اللازمة لاستئناف القتال.

واصل الاتحاد السوفييتي محاولاته الرامية للوساطة بين الاكراد والعراقيين، وفي التاسع عشر من آب وصل الى موسكو بدعوة من الزعماء السوفييت مسئولان كرديان رفيعي المستوى. احدهما سامي الذي قاد العملية ضد منشآت النفط في كركوك، وعين منذ اتفاق الحادي عشر من اذار وزيرا. لقد وجهت الدعوة السوفياتية في الاصل الى البرزاني نفسه، لكنه رفضها، لانه كان غاضبا من الرئيس السوفيتي لعدم زيارته في مقره عندما وقع على الاتفاقية مع العراق، ولانه كان يشك في صحة نوايا السوفييت في تقديم المساعدة للاكراد، وخشية اغضاب الامريكيين الذين تزايدت مساعداتهم للاكراد في تلك الاونة.

كان السوفييت يفتشون عن وسيلة لارضاء البرزاني، وعلى هذا الاساس، ولدت خطة التبادلية التي تنص على ان يقوم الاتحاد السوفياتي بتزويد العراق بتجهيزات لبناء مصانع في المناطق الكردية، مقابل تزويدها بالنفط العراقي.

وقد ادت هذه الصفقة التي تم ادراجها في اتفاقية اقتصادية، بين الاتحاد السوفياتي والعراق، الى فتح الحوار، من جديد، بين العراق والاكراد، مما اشعل الضوء الاحمر في طهران.

****

ألمح الشاه، لمرة تلو الاخرى، للعراقيين، باستعداده للتحاور معهم، واحلال السلام بين الدولتين شريطة موافقة حكومة العراق على الالغاء العلني لاتفاقية السيطرة العراقية التامة على شط العرب. وفي التقرير الذي قدمته وكالة المخابرات

الامريكية الى الرئيس الامريكي افادت بأن الشاه نقل الاقتراح الى العراقيين عبر وزير خارجية دولة ثالثة.

ولم يكن البرزاني على علم بمحاولات الشاه، وكذلك لم يقم الشاه باعلام كيسنجر او ا لرئيس نيكسون بتلك المحاولات.

اعتقد البرزاني، ان الوقت موات جدا لتحسين مواقعه، وبناء على ذلك، طُلب من اسرائيل تزويده بدبابات سوفياتية من غنائم حرب ١٩٦٨. وفي النقاش الذي دار حول هذا الطلب في مكتب وزير الدفاع الاسرائيلي في الرابع من آب ١٩٧٢، قال ديان: انه لا يرى مانعا سياسيا يحول دون تزويد الاكراد بالدبابات من طراز (تي-٣٤) والتحفظ الوحيد، تمثل في ان لايتم وضع هذه الدبابات في حالة جيدة، وترميمها على حساب ترميم دبابات الجيش الاسرائيلي.

وفي الرابع والعشرين من ايلول ١٩٧٢ اصدر ديان امرا، يقضي بتدريب ثلاثة طواقم دبابات كردية على مستوى سرية. وكلف بمتابعة عملية التدريب، العقيد جدعون التشولر، والذي قام في اعقاب حرب ١٩٧٦، بتشكيل لواء دبابات من الغنائم السوفياتية، وقيل له، ان عليه التوجه الى كردستان لاختيار طلبته تحت اشراف ممثل الموساد. وسيتم نقل ثلاث دبابات من اسرائيل عبر البحر الى ايران، ومن هناك الى كردستان. وكان من المفروض ان يقوم الاكراد بالهجوم على الكتيبة العراقية المتمركزة بالقرب من رواندوز، واخذ الدبابات اللازمة لاستكمال بنيته السرية المذكورة.

وفي كردستان اجتمع التشولر مع البرزاني، وفي اعقاب تسليمه هدية من كرون، طرح عليه طبيعة التدريبات التي سيعلمها لطلبته، والقوة والكثافة النيرانية التي ستمنحها سرية دبابات مزودة بمدافع من عيار (١٠٠) مليمتر الى القوة الكردية.

ثم قام الضابط الاسرائيلي بجولة في المنطقة التي قد تدور فيها المعارك، فحص خلالها جسورا معينة، وفيما اذا كانت قادرة على حمل الدبابات، ودرس في جولة اخرى ايضا اساليب الوصول والهجوم ضد القوة العراقية في رواندور، كما راقب تلك القوة.

ويقول التشولر، بعد اربع وعشرين سنة من ذلك التاريخ: حدث لدي انطباع بأن الجسور قادرة على حمل الدبابات وان عملية الهجوم ممكنة.

اجتمع التشولر بالطلبة، المتدربين والذين اوصى قادتهم بأنهم يتمتعون

بقدرة فنية وكفاءة وفحص ابصارهم، وقدرتهم على تمييز الالوان، ثم عاد لاسرائيل وعكف على اعداد معسكر التدريب بمساعدة مدربي مدرعات يجيدون اللغة العربية.

ويقول التشولر: وصل المتدربون، فيما بعد، في رحلة جوية، حيث نقلوا فورا الى معسكر تدريب صحراوي، ودرسوا كل ما يتعلق بمهنة الدبابات. وفي نهاية الدورة استعرض المتدربون قدرتهم وما تعلموه في مناورة هجوم سرية، حضرها رئيس سلاح المدرعات اللواء ابراهام ايدن، وبعض ضباطه، وممثلون عن الموساد. وقد اثبت المتدربون ان لديهم حقا حوافز وقدرة جيدة على التعلم وعادوا الى كردستان، وهم يحملون شهادات، لكن دون ان تتاح لهم الفرصة لاثبات قدرتهم الحقيقية في المعارك. وقد شاءت الظروف الا ترسل اسرائيل مدرعات، وان لا يهاجم الاكراد كتيبة الدبابات العراقية، ولا يستولوا على شيء منها.

****

بعث حزب البعث في الثالث والعشرين من ايلول ١٩٧٢، رسالة تشبه الى حد بعيد لائحة اتهام، الى الحزب الديمقراطي الكردي، جراء ما اسمته عدم تنفيذ الاكراد لالتزاماتهم في اتفاقية اذار ١٩٧٠. واكدت الوثيقة على تنفيذ الاكراد لالتزاماتهم رغم حدوث اخطاء في التنفيذ هنا او هناك كما وجهت اصابع الاتهام للاكراد لمواصلاتهم اقامة العلاقات مع الايرانيين، وهو الامر الذي يمس مسا خطيرا بالوحدة الوطنية العراقية، والسيادة العراقية. ورغم ذلك، فان العراق لا زال على استعداد تام لمواصلة الحوار.

وقد رد الحزب الكردي الديمقراطي بابداء استعداده لتنفيذ بنود اخرى من الاتفاقية، بيد انه طالب باقالة وزير الداخلية، ومدير جهاز الامن، لتورطهما في المحاولة الفاشلة لاغتيال البرزاني في الخامس عشر من حزيران ١٩٧٢. بيد ان وجه الامور كان قد اختلف تماما. وقد عبر البرزاني عن هذا الاختلاف بالكلمة التي منحها لمراسل جريدة (لوفيجارو) الفرنسية في كانون الاول ١٩٧٢، حيث قال: ان ما يقوله العراقيون مجرد اكاذيب والامور لا تسير بصورة معقولة ابدا، بل ان الوضع خطير للغاية، والحكومة العراقية لم تقم بأي خطة لحل مشاكلنا، ان هؤلاء العراقيين، ذوو نوايا سيئة واذا ما واصلوا انتهاج سياستهم، سنضطر لاستئناف القتال.

واضاف.. يمكننا اجمال سنتي السلام على النحو التالي: محاولة لاغتيال

ابني ادريس في بغداد محاولة لقتلي نظمها صدام حسين في هذا المكان، طرد اربعين الف كردي، من ضمنهم ثمانمائة من حزبي من الجنوب بتهمة كونهم جواسيس لايران، والتهديد بطرد جميع الاكراد الذين يعيشون على الحدود التركية بتهمة التجسس لتركيا.

هذا من جانب اما من الجانب الاخر فرغم جميع الوعود والتعهدات، لم يتم منحنا اي صلاحيات: فلا يوجد كردي واحد في المجلس الثوري، والذي يعتبر بمثابة الحكومة الحقيقية، ولا في هيئة الاركان، ولا وزارة الخارجية او في قوات الامن ان الشرطة هي التي تدير هذه البلاد بأمر من صدام حسين، لقد قتل وزير الدفاع ونائب رئيس الحكومة التكريتي، وقتل عماش وزير الداخلية ونائب رئيس الحكومة، وعمل على تصفيتي وسوف يقتل الرئيس البكر، ومنذ شهرين ليس له هم سوى تشويه مصر وسورية، ثم وبصورة فجائية يقترح الوحدة مع مصر وسورية. وهو يزعم ان ايران ترغب مهاجمة العراق، ويجلب الصحفيين الى الحدود، كي يروا بأنفسهم الحشود الايرانية رغم عدم وجود اي عسكري ايراني هناك.

* *

لم يكن البرزاني يعلم بكل شيء، فهو لم يعرف مثلا ان صدام حسين طرح مبادرة للتفاوض مع ايران في كانون الاول ١٩٧٢، ولم يعرف انه واصل طرحه ايضا في نيسان ١٩٧٣، دون ان يتمكن من احراز اي تقدم.

وصل الى كردستان رئيسا جديدا للطاقم الاسرائيلي، وهو شبتاي شبيط، والذي عين في التسعينات رئيسا للموساد ويقول شبيط: اتسمت تلك الفترة بالهدوء النسبي، وكان لدى الكثيرين انطباع يفيد بأن الحكم الذاتي سيتحول الى واقع، وبناء على ذلك ساد الهدوء في المنطقة. ولم تقم الطائرات العراقية بقصف المناطق الكردية ونمت المحاصيل، وتحسن الغذاء، وواصل المتدربون الاكراد الانخراط في الدورات العسكرية في الجيش الاسرائيلي.

تدفقت المساعدات الامريكية على البرزاني، الامر الذي رفع معنوياته الى حد كبير جدا. وجعله يحاول جعل ما هو خفي وسر من الاسرار الى مسألة علنية، فطلب في المقابلة التي منحها لجريدة واشنطن بوست في الثاني والعشرين من حزيران ١٩٧٣ ان تمنحه الولايات المتحدة مساعدة سياسية انسانية وعسكرية.

اتجه تفكير اسرائيل ايضا، نحو التطوير الزراعي في كردستان، فبعثت (يجآل ادموني) مدير شعبة الاستيطان في الوكالة اليهودية، الى هناك، كي يقدم المشورة حول تطوير بيض الطيور. ويقول ادموني عام ١٩٩٦، حدث لدي انطباع ان الانتاج الزراعي، ورغم اهميته للشعب الكردي، لايحتل مكانة هامة في تفكير الزعامة، لان المسألة الوحيدة التي كانت تقض مضاجع البرزاني هي المساعدات السياسية والعسكرية الامريكية.

وفي تصريح ادلى به البرزاني، قال: اذا كانت المساعدات الامريكية كبيرة بما فيه الكفاية، فسوف يصبح بمقدورنا الاشراف على جعل النفط في كركوك، وتسليم ادارته الى شركة امريكية. ولا شك ان هذا التصريح، كان تحديا علنيا لصدام حسين الذي سارع للاعلان قائلا: يجب على الجميع ان يدركوا ان هذا الوطن سيبقى في اطار حدوده الجغرافية الحالية الى ابد الابدين.

لم يكن البرزاني يعلم بأن هناك في الادارة الامريكية جهات تحتج على تقديم المساعدات له، وفي نفس اليوم، الذي نشرت له جريدة واشنطن بوست المقابلة انفة الذكر، طلب وزير الخارجية وليام روجرز، اجراء نقاش على اعلى المستويات الحكومية، حول هذه المساعدات، وذلك في ضوء السياسة الامريكية القائلة بعدم زرع آمال في المجموعات العرقية، للحصول على تأييد الولايات المتحدة او اعترافها بها.

وسيتضح للاكراد فيما بعد ان المساعدات الامريكية التي اعتمدوا عليها الى حد كبير جدا، كانت في حقيقة الامر هشة.

****

بدأت الارض في بغداد في نهاية حزيران ١٩٧٣، وكأنها تكاد ان تميد بمن فوقها فقد قام صدام حسين بمحاولة فاشلة للاطاحة بالرئيس البكر، ومثلما هو الامر في مثل هذه الحالات، انتهت القضية بالاعدامات وزج البعض في غياهب السجون، وقد اشعر ما حدث، البرزاني، بالارتياح، لان من بين الشخصيات التي تم اعدامها كان الجنرال ناظم كزار مدير عام الامن العام في وزارة الداخلية الذي سبق ان نفذ المحاولة الفاشلة لاغتيال البرزاني.

وبينما كان صدام بانتظار فرصة مواتية اكثر للاطاحة بالبكر، نشبت معارك دموية بين الاكراد والعراقيين ففي التاسع عشر من آب فتح الجيش العراقي مدافعه في قصف ثقيل، اضافة الى قصف الطائرات لمنطقة (سنجار) وذلك ردا على

الاعمال التخريبية الكردية واسعة النطاق، كما تم اعدام سياسيين اكراد.

وفي ايلول ۱۹۷۳، وصل البرزاني في زيارة ثانية لاسرائيل. وكان ديفيد جباري قد قام بزيارته قبل ذلك بشهرين في تموز بطلب منه وبمساعدة الموساد. وحينما عاد الى اسرائيل كان يحمل معه كما كبيرا من الهدايا، من ضمنها كمية من الدخان.

وخلال زيارته التي حل فيها ضيفا على وزير الخارجية واجتمع بوزير الدفاع ورئيس الحكومة تأكد البرزاني ان اسرائيل لن تتخلى عنه في يوم من الايام. بيد انه وايضا الاسرائيليين لم يتخيلوا ان تحتاج اسرائيل لمساعدة الاكراد ويرفضوا تقديمها لها.





١٩٦٩ : البرزاني في الوسط ومن اليمين موشيه ايبل ، ومن اليسار الدكتور ايجال جينات

الفصل الخامس والعشرون

١٩٧٣: توقعنا ان يفعل الاكراد شيئا ما...

في السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ فوجئت اسرائيل بالحرب التي شنها المصريون والسوريون عليها بعد ان خططوا لها بصورة جيدة جدا، فيما الحق بها خسائر بشرية هائلة، ودفعها في غضون الايام الاولى الى التراجع عميقا على الجبهتين.

لم يكن العراقيون مطلعين على الخطة المصرية السورية، وقد فوجئوا هم ايضا بنشوب الحرب، بيد انهم اعلنوا كالعادة بعد عدة ايام من نشوب الحرب عن استعدادهم لارسال قوات للمشاركة فيها. ولا شك ان الوفاء بهذا الوعد بالنسبة للعراق لم يكن سهلا ابدا، لان جيشها كان مشغولا في اماكن اخرى: على طول الحدود العراقية الايرانية، وامام الاكراد.

لقد ادت الشكوك العراقية في نوايا البرزاني، وتوقعها لاندلاع المعارك معه في كل لحظة، وتجدد المعارك في الشمال، الى ارغام القيادة العراقية الى دفع حوالي ٧٠٪ من سلاحها البري، و ٣٠٪ من قوتها المدرعة نحو الحدود الشرقية والجنوبية من الجيب الكردي.

بيد ان البرزاني لم يفرض اي تهديد في هذه المرحلة على وحدة العراق، بل ابدى تضامنه مع الدول العربية، وامر جنوده بالامتناع عن اي مواجهات مع الجيش العراقي، بل وبعث الى الرئيس البكر رسالة اعرب فيها عن استعداده لاستئناف الحوار معه.

تجاهل البكر التوجه الكردي، وعمل على استغلال الوضع في المنطقة لانهاء النزاع المتواصل مع ايران تجاه شط العرب، والشرط الوحيد الذي طرحه على الشاه هو خروج ايران من دائرة الدعم الكردي، اي ترك الاكراد وشأنهم.

وعشية اندلاع الحرب عام ١٩٧٣ اعلم العراق ايران باستعداده لاستئناف العلاقات الدبلوماسية معها بين الدولتين، والتي انقطعت عام ١٩٧١، واستئناف الحوار بين الدولتين فورا، وقد اعلنت ايران، انه ورغم علاقاتها الخاصة مع اسرائيل، فانه لن تعرقل توجه الجيش العراقي باتجاه الجبهة الاسرائيلية السورية، ومن المحتمل ان يكون العراقيون قد اعلنوا في هذه المرحلة عن استعدادهم للتنازل

عن شط العرب.

لم تكن المخابرات الاسرائيلية تعلم بالاتصالات الجارية بين العراق وايران. وفي نفس الوقت بدا لها التأييد الكردي العلني للدول العربية في حربها ضد اسرائيل مسألة محتومة، ولا يمكن توجيه الانتقادات اليها، بيد انهم كانوا يتخيلون ان الاكراد سينتهزون فرصة ارسال القوات العراقية الى الجبهة ليوجهوا ضربة الى القوات العراقية ترغم الزعامة العراقية على الاعتراف بالحكم الذاتي، وحتى ما هو اكثر من الحكم الذاتي، رغم ادراك اسرائيل ان الاكراد يخشون من ان تؤدي مثل هذه الخطوة الى ادانتهم على صعيد العالمين العربي والاسلامي كله.

وفي السابع من تشرين الاول، ١٩٧٣، شاركت الطائرات العراقية مع الطائرات المصرية في قصف اهداف اسرائيلية. وبناء على التسجيلات الرسمية العراقية لمسيرة الحرب، فقد ارسل العراق الى الجبهة ثلاثة ارباع سلاحه الجوي، وثلثي قوته المدرعة، وخمس وحداته البرية ولا شك انه لم يكن بمقدور العراقيين ارسال كل هذه القوات الى الجبهة دون الموافقة الايرانية والتعهد بعدم القيام بأي تحركات عسكرية على الجبهة العراقية الايرانية. وكما يبدو فقد كان هذا الوضع كافيا لاثارة مخاوف الاكراد.

****

يقول تسفي زامير: طلبت من ممثل الموساد في طهران ان يرسل رسالة الى البرزاني يطلب منه فيها ان يدفع برجاله للقيام بنشاطات مهددة للعراقيين، ان يتحركوا، ان يردوا، ان يطلقوا النار، ان يفعلوا اي شيء لجذب الجيش العراقي اليهم. "وكنت اعرف ان تحركات الاكراد لن تحدث ثورة، فالوضع الذي كانوا يعيشونه لم يؤهلهم لعمل اكثر مما فعلوا حتى الان، بيد ان الاكراد لم يفعلوا شيئا في نهاية المطاف.

ويقول ممثل الموساد في طهران انه لم يقل للاكراد ما يتوجب عليهم عمله، بيد انه ترك لديهم انطباعا بضرورة القيام بالعمليات التي لن يستطيعوا ان ينكروا اية علاقة بينهم وبينها، لكنهم رفضوا ذلك متذرعين بشتى الذرائع.

ويقول ادموني: لقد توقعنا ان يقوم الاكراد بعمل اي شيء، ولو حتى كان اقل القليل، لان وقف اية قوة عراقية عن التوجه الى الجبهة كان له جدواه الكبيرة بالنسبة لنا، بيد ان الاكراد خيبوا امالنا ولم يقوموا بأية خطوة من هذا القبيل.

وفي نفس الوقت طرحت اسرائيل نفس المطلب على ايران. وفي الكتاب الذي الفه الامير "اسد الله علام" وزير البلاط في عهد الشاه ورئيس الحكومة السابق، قال : سأل الاسرائيليون بواسطة الامريكيين هل من الجائز ترتيب هجوم كردي في العراق. وقد اعرب السفير الامريكي في ايران ريتشارد هلمس والذي كان قد انهى مهام عمله كرئيس لوكالة المخابرات الامريكية قبل فترة وجيزة عن اعتقاده، بأن مثل هذه العملية لن تكون حذرة لان الاكراد لا يملكون الوسائل اللازمة التي تسمح لهم بشن حرب او القيام بمعارك بعيدا عن الجبال التي يتمترسون فيها.

ويقول علام: ان الشاه تبنى موقف السفير الامريكي، وقال: قل لهلمس انني اوافقه تماما ولا ارغب في ان ارى الاكراد وكأنهم مجرد اداة في ايدي اسرائيل او الولايات المتحدة.

لقد ادلى السفير برأيه بعد ان تشاور مع المسؤولين عنه في واشنطن. وكما يبدو توجه البرزاني من ناحيته الى الولايات المتحدة حيث اوصى رئيس وكالة المخابرات الجديد وليام كولبي بعدم الاستجابة لمطلبه. وقد وافق نيكسون وكيسنجر على موقف كولبي المتحفظ.

وفي السادس عشر من تشرين الاول ابرق كيسنجر الى هلمس قائلا: الرئيس يوافقك الرأي لذا يجب عليك ان تعلم الاكراد بما يلي: اننا نعتقد انه ليس من الفطنة تنفيذ الهجوم الذي اقترحته عليكم دولة اخرى (اسرائيل). ونود اعلامكم اننا تشاورنا مع ايران، وهذا هو ايضا رأيها.

وفي الكتاب الذي الفه كيسنجر قال: ان القرار الخاص بمنع الاكراد من شن حرب على العراقيين ابان حرب ١٩٧٣، قام على اساس اتفاق الاراء، بين جهاز المخابرات الامريكي وجهاز المخابرات الايراني، والشاه، لان الاكراد سيهزمون، وقد وافقت جميع الجهات على هذا الموقف.

ويضيف كيسنجر في كتابه... لقد اتضحت صحة القرار الذي اتخذناه قبل مرور عام على اتخاذه، حيث علمنا ان فرقة عراقية مدرعة واحدة شاركت في حرب ١٩٧٣.

ويختلف اللواء موشيه باركوخبا، الذي قاد الحرب ضد العراقيين في هضبة الجولان عام ١٩٧٣، في الرأي مع كيسنجر، فيقول في كتابه "المراكب الفولاذية": شملت القوة العراقية المهاجمة على الفرق المدرعة الثالثة والسادسة

ولواءي مشاه، ووحدات كوماندو، وبلغ قوام تلك القوة خمسمائة دبابة، وسبعمائة ناقلة جنود مدرعة، وثلاثين الف جندي، ولو ان هذه القوة تأخرت في الوصول ما بين اثنتي عشرة ساعة حتى اربع وعشرين ساعة، لتمكنت القوات الاسرائيلية من السيطرة على مناطق واسعة في عمق الاراضي السورية باتجاه دمشق. لقد تمكنت القوات العراقية من ايقاف تقدم القوات الاسرائيلية.

ويبدو انه لو شن الاكراد هجوما على القوات العراقية لمنعتها من التوجه الى هضبة الجولان، او على الاقل لعرقلتها بعض الوقت.

وفي الرابع عشر من نيسان ١٩٧٤ يقول الدكتور محمود لصحيفة (لوموند) الفرنسية: لو ان الاكراد شنوا حربا شاملة ضد العراق في تلك الاونة، لصب ذلك في طاحونة اعداء الاكراد ولاثبتوا ان الاكراد على استعداد لطعن الامة العربية في الظهر.

وبعد اثنتين وعشرين سنة، يقول زامير ان المصلحة الكردية الايرانية كانت انذاك في الا يشن الاكراد هجوما شاملا ضد العراق. فحينما اعرب رئيس الموساد امام البرزاني عن استياء اسرائيل من الموقف الكردي السلبي، عزا البرزاني عدم التحرك الكردي الى الموقف الايراني.

ويضيف زامير: لقد شعر الايرانيون بخيبة امل مرة، مما حدث خلال الايام الاولى للحرب، فقد كانوا يتصورون اننا سنقلب الدنيا خلال الحرب رأسا على عقب، وسرعان ما اتضح لهم اننا لسنا اسودا مثلما كانوا يتصورون.

الفصل السادس والعشرون

مناورة امريكية هزلية

نجح العراق الذي لم يكف عن تدبير المؤامرات ضد البرزاني- في نهاية عام ١٩٧٣ في كسب تأييد ثلاث شخصيات كردية بارزة، اثنان منهم هما: عزيز رشيد العقراوي، وهاشم حسن رشيد العقراوي، والاثنان كانا معروفين جيدا لاسرائيل. فقد فر عزيز العقراوي عام ١٩٦٢ من الجيش العراقي وانضم الى المتمردين الاكراد، وزار اسرائيل، وكان على اطلاع على الاتصالات التي تجريها اسرائيل مع الاكراد والاستشارات التي تقدمها لهم بل وشارك في مخططاتها ضد العراق وشارك في قيادة الحملات التي نظمها ضد الجيش العراقي. ومما لا شك فيه انه كشف النقاب لاسياده الجدد (العراقيين) عن الكثير من الجوانب والخفايا للتدخلات الاسرائيلية في التمرد الكردي.

بيد ان ذلك لم يفده كثيرا. فبعد ان قام باصدار جريدة مواليه للعراق، وبعد ان عين وزيرا بلا وزارة في الحكومة العراقية، تم اعتقاله في شباط ١٩٧٦، واختفى عن الحلبة السياسية، وهناك من يقول انه يعيش حاليا في دمشق.

اما هاشم العقراوي والذي عين وزيرا للشئون البلدية في الحكومة العراقية، فقد قام بزيارة باريس كعضو في الحكومة العراقية كي يوضح التعامل المعقول للحكومة العراقية مع الاكراد وقال لمراسل وكالة الانباء (اسوشيتد بريس) انه شاهد بأم عينيه مستشارين اسرائيليين في قيادة البرزاني، وان البرزاني زار اسرائيل مرتين.

وقد قام صدام حسين بتعيين القادة الثلاثة كمسئولين في حكومته، عن الشئون الكردية، وكانوا يوافقون على خطة الحكم الذاتي، بالمفهوم العراقي.

بدا، لاول وهلة، ان العراق يعمل وفقا لخطة الحكم الذاتي التي تم الاتفاق عليها مع الاكراد. وبعد اربع سنوات، اي في الحادي والعشرين من آذار ١٩٧٤ ان الاوان لنشر قانون الحكم الذاتي الكردي. واتضح ان هناك فارقا كبيرا بين فحوى هذا القانون، وبين الوعود التي قطعها العراقيون على انفسهم للاكراد.

لقد رمى صدام حسين بالقانون المذكور، الى تمييع طابع الاكراد المتميز عن العراقيين. لذا اقترح تشكيل مؤسسات عاجزة، يقوم صدام بتحديد القائمين عليها بصورة غير مباشرة وكما يبدو فانه كان يرمي الى القيام عبر هذه

المؤسسات باهارة التمرد الكردي، وتنفيذ عملية ترانسفير واسعة جدا للاكراد الى منطقة الجنوب، على ان يحظى كل ذلك بمباركة الزعماء الثلاثة المذكورين، ومباركة اثنين من عائلة البرزاني، هما: ابنه عبيدالله، وابن شقيقه الشيخ احمد الذي كان يترأس منطقة برزان الحيادية.

وفي الثالث عشر من اذار ١٩٧٤ ابرق عبيدالله الى حكومة العراق قائلا: مطلوب من شعبنا الكردي الان ان يجسد حقه المشروع في الحكم الذاتي، بالتعاون مع الشخصيات النبيلة، والطيبة من ابناء شعبنا العراقي، ومع جميع القوى الوطنية التي لا هم لها سوى وحدة وسعادة العراق.

وفي الحديث الذي منحه عبيدالله لجريدة الرسالة الكويتية، تحدث للمراسل عن زيارة والده وشقيقيه برزاني ومسعود لتل ابيب، وعن وجود المستشارين الاسرائيليين في قيادة والده، والمساعدات والاستشارات التي كانوا يقدمونها اليه، والتدريب الذي تلقاه الجنود الاكراد على ايدي الاسرائيليين والعمليات التي خططها الاسرائيليون ضد القوات العراقية.

واضاف لقد اعتمد والدي بصورة مطلقة على الاسرائيليين، وكان هناك دائما ضباط اسرائيليون ملازمون له ابي خائن، وشقيقاي برزان ومسعود غبيان قاما بتنفيذ تعليمات ابي الكهل دون اي تفكير مستقل.

عين صدام حسين، عبيد الله وزيرا، وعضوا في البرلمان العراقي حال اعلان الحرب على ايران في ايلول ١٩٨٠. وكما يبدو انه اعرب عن تحفظه من دعوة الرئيس العراقي للشعب تقديم التضحيات للجهد الحربي في الوقت الذي لم تحل فيه مشكلة الاكراد. وقد اثار هذا التحفظ ثائرة صدام حسين، وبعد عدة ايام جاءت الشرطة السرية العراقية الى منزله ليلا، وطلبت منه القدوم فورا لمقابلة الرئيس، فقال لزوجته: على ما يبدو انني لن اعود. وفعلا لم يعد منذ تلك الليلة حيث اعدم.

ولم يكن حظ لقمان شقيق عبيدالله من نفس الام اوفر من حظ شقيقه، ويقول ابنه فرهد: لعب والدي دورا في قيادة التمرد، وشارك في عمليات التصفية التي جرت ضد مؤيدي احمد والطالباني عام ١٩٦٦، والتي قتل خلالها الكثيرون من هؤلاء المؤيدين مما جعل والده يفرض عليه الاقامة الجبرية في بيته، الامر الذي اصابه بحالة اكتئاب، دفعته للانسحاب من التمرد، والعودة لفلاحته ارض الاسرة.

ويضيف، وفي اعقاب انهيار التمرد عام ١٩٧٥. دعا عبيد الله شقيقه لقمان الى بغداد لكن جدي مصطفى رفض ذلك، وطلب منه ان يعيد الطلب الى عبيدالله فورا، مما اثار غضبه، وجعله يتوجه الى سفارة العراق في طهران التي ارسلت طائرة خاصة واحضرته الى بغداد.

وفي ايلول ١٩٨٠، وفي اعقاب اختفاء عبيدالله، بدا ابي يسأل عن اخيه، فحذره العراقيون من مواصلة البحث والا فان مصيره سيكون كمصير شقيقه، لكنه لم يصمت فاعتقلته الشرطة العراقية، واختفت اثاره.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

رفض مصطفى البرزاني قانون الحكم الذاتي، ورفض طلب العراق الخاص بأن يعلن الاكراد قبول القانون في غضون خمسة عشر يوما، ووجه نداءا في راديو الاكراد، الذي كان قد صمت منذ اربع سنوات الى الشعب الكردي كي يعود لحمل السلاح لانقاذ الاراضي الكردية من ايدي العراقيين.

وكعادتهم كان الايرانيون يؤيدون منح الاكراد الحد الادنى من الحكم الذاتي. وفي الكلمة التي القاها الشاه امام موظفي وزارة الاعلام الايرانية، قال: نحن لا نؤيد اقامة دولة مستقلة للاكراد في العراق، ونحن معنيون بحقوق الاكراد في العراق، الاكراد غير العرب.

وفي تقرير لوكالة المخابرات الامريكية في الثاني والعشرين من اذار ١٩٧٤، قيل: اننا نعتقد ان الشاه لا يؤيد اقامة حكومة حكم ذاتي رسمية مثلنا تماما، والشاه ايضا يرى ان من المجدي بقاء الوضع على ما هو عليه، بحيث يصاب العراقيون بالضعف بصورة جوهرية بسبب رفض الاكراد التنازل عن فكرة الحكم الذاتي، اننا نتفق مع الشاه في ضرورة عدم حسم الوضع الكردي الى هذا الجانب او ذاك.

لم يكن البرزاني يعتقد، ان هذا هو اتجاه التفكير الامريكي فيما يتعلق بالقضية الكردية.

ومنذ انجاز الاتفاق الايراني الامريكي، تحول كيسنجر الى فارس احلام البرزاني. هذا في الوقت الذي كانت فيه التصرفات والتفكير الامريكي تجاه الاكراد، بمثابة مناورة هزلية.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

ازداد عدد القوات الكردية في تلك الاونة زيادة كبيرة نظرا لايمان الاكراد،

بأنه وفي غضون ستة اشهر ستقوم كردستان المستقلة او الحكم الذاتي. وكان من بين المنضمين الى التمرد ستون طبيبا، واربعة الاف معلم. وخمسة الاف ضابط شرطة وشرطي، وثلاثمائة مهندس ومائة ضابط في الجيش وتراوح عدد الجنود النظاميين بين ٤٠-٥٠ الف شخص، هذا اضافة الى حوالي ستين الفا من رجال الميليشيات والاحتياط. ومن الجدير بالذكر ان نصف الجنود، كانوا في حاجة الى تدريب عسكري اساسي. وكانت كميات الاسلحة اكبر بكثير مما كانت عليه في السابق اضعافا مضاعفة، بيد انها كانت لا زالت تتلاءم وحرب العصابات، اكثر من ملاءمتها للجيش النظامي.

وكان الامداد بالسلاح رهنا بمشيئة الايرانيين، ورغم ذلك، كان البرزاني يفاخر بأن الايرانيين وضعوا تحت امرته وحدات مدفعية لمساندته عند الحاجة، سواء من الاراضي الايرانية، او من داخل الحدود العراقية.

كان العراقيون على استعداد لدفع خمسة وثمانين الف جندي الى الجبهة مع الاكراد، وعشرين الفا من الجحوش -بمستويات تدريب مختلفة- وستمائة دبابة ومائتي طائرة وطائرة عمودية. وكانت هذه القوة تضم قطاعا كبيرا جدا من الجيش العراقي الذي قدر انذاك بمائة الف جندي، و ١٣٩٠ دبابة، و ١٢٨ طائرة.

كان الجيش العراقي آنذاك، يعتقد اعتقادا جازما، ان بمقدوره تصفية الاكراد، والقضاء على المشكلة الكردية، التي تنخر جسد العراق منذ ثلاثين عاما.

وفي الوقت الذي كان فيه الجيش العراقي والحكومة العراقية مترددين في شن الحرب، قرر البرزاني المبادرة الى الهجوم ويقول البرزاني في اعقاب انهيار التمرد (لليست اكولس) احد نشطاء حركة حقوق الانسان في نيويورك مبررا قراره: كنت ادرك ان قيام العراق بشراء كل تلك الكميات من الطائرات من الاتحاد السوفياتي موجه ضدنا. وفي تلك الاونة قدم مسؤول من وكالة المخابرات الامريكية الى قيادتي، وقال لي: نحن نؤيد اهدافك، الحكومة العراقية لا تعتزم الوفاء بوعودها، وهي تخطط لشن هجمة شديدة جدا ضدكم، وحكومة الولايات المتحدة على استعداد تام لمساندتك، واذا شنت هجوما الان، فسوف تقف خلفك بكل قوتها.

ويضيف... وعندما سألت ذلك المسؤول: كيف ستصلنا المساعدات الامريكية؟ قال عبر ايران. فقلت له: لكن الايرانيين ليسوا اصدقاء للاكراد، فقال

لي: لا تخشى شيئا، الامور في طهران تحت سيطرتنا، وانا لم اكن لاشن هجوما لم اكن مستعدا له، لولا الاستعداد الذي ابداه مسؤول وكالة المخابرات الامريكية. وبدأت المساعدات تصلني فعلا، بيد انها كانت دائما قليلة جدا، ومتأخرة جدا، وقد اعتقدت في البداية، ان ذلك يرجع لاسباب لوجستية، ثم علمت بعد ذلك، انها تجري بقصد وتدبير.

ويقول الدكتور (نجم الدين كريم) في مرحلة لاحقة: ان البرزاني عقد اجتماعا لقيادة التمرد، وقال: ان العراقيين يعتزمون استخدام الاسلحة الكيميائية ضدنا، فقمنا بجمع جميع الاقنعة الواقية، ووضعها قريبا من قيادته لكنه قال لنا: لا تخشوا شيئا، اذا لجأ العراقيون لاستخدام الاسلحة الكيميائية، فان الاكراد سيلجأون الى نفس السلاح، وكذلك الامر اذا لجأوا لاستخدام الطائرات او الدبابات. وكما يبدو انه آمن بأن الولايات المتحدة، هي التي ستفعل ذلك.

وفي تقرير لجريدة (كريستان سيانس مونيتور) افادت ان الولايات المتحدة ايدت شن البرزاني للحرب، كي تجعل من الصعب على الاتحاد السوفياتي التغلغل الى الخليج عبر العراق. والحيلولة دون تمكين العراق من مد يد المساعدة للقوى المتمردة في الخليج بصورة عامة، وفي ايران بصورة خاصة، ومنع العراق من تقويض المسارات السياسية في الشرق الاوسط، والحد من قدرته على المشاركة في الحرب العربية الاسرائيلية في المستقبل.

الفصل السابع والعشرون

يوميات الحرب ١٩٧٤:
الكمين المزدوج

في الحديث الذي ادلى به صدام حسين لوكالة الانباء العراقية، قال: ان الحد الادنى الذي يمكن ان نقبله هو ان يرفع البرزاني العلم الابيض، لكن البرزاني لم يكن يعتزم عمل ذلك. فبين الخامس والسابع والعشرين من عام ١٩٧٤، كانت تدور معركة كبيرة بمبادرة من قوات البرزاني، وتمكن الاكراد خلالها من السيطرة على منطقة يبلغ طولها ٧٢٥ كيلومترا على طول الحدود مع تركيا وايران، وتبلغ مساحتها خمسة وعشرين الف كيلومتر مربع.

وافادت وسائل الاعلام الامريكية، ان مؤسسة الباش مرجا، كانت تطوق القوات العراقية في سبعة مواقع مهمة، وان اثني عشر الف جندي عراقي كانوا داخل الحصار الكردي. واعلن الاكراد، الذين لم يكونوا حتى ذلك الحين، قد سيطروا على اية مدينة كردية كبيرة- انهم احتلوا رواندوز.

وفي الخامس من اذار سجل وزير البلاط الايراني علام في يومياته ان مزاج الشاه متعكر للغاية بسبب الصدامات الحدودية الايرانية العراقية.

وفي السادس من اذار اقام الشاه مأدبة عشاء حضرها رؤساء قبائل كردية، حيث افادوا بأنهم الحقوا بالعراقيين هزيمة ساحقة، وانهم تمكنوا من قتل خمسين جنديا عراقيا، وتدمير ناقلتي جنود مدرعتين.

وفي الحادي عشر من نيسان ١٩٧٤ اجتمع ممثلان كرديان مع سكرتير الامم المتحدة واطلعاه على الوضع الخطير الذي يعيشه ابناء شعبهما. كما اجتمعا مع رئيس المؤتمر الرئاسي للمنظمات اليهودية الامريكية الحاخام اسرائيل ميلر، ومع السكرتير العام للمؤتمر يهودا هلمان، وذكراه بأن يهود العراق استعانوا بالاكراد في فرارهم من العراق في مطلع السبعينات، وذلك في اطار المحاولات الرامية لتجنيد المنظمات اليهودية للعمل لصالح الاكراد. واكد في مقابلة صحفية بعد ذلك: ان هناك عدوا مشتركا للاكراد واسرائيل، يحاول الحيلولة دون حصولهما على الاستقلال.

****

بدأ العراقيون يعدون العدة لهجوم الربيع عندما تذوب الثلوج، وحددوا

يوم الهجوم الخامس عشر من نيسان ١٩٧٤، وهو نفس اليوم الذي حدده صدام حسين لقبول الاكراد لقانون الحكم الذاتي. وفي الرابع عشر من نيسان شنق العراقيون في اربيل احد عشر عراقيا بعد ان حكموا على بعضهم بقطع الايدي، او فقاء الاعين قبل الاعدام. وسار الهجوم على النحو التالي.

* ٢١-٣٠ نيسان: قصف بلدة زاخو بالطائرات والمدفعية، مما ادى الى اضرام الحرائق فيها.
* ٢٣-٢٧ نيسان: قصف منطقة (بلك) بما فيها قرية جلالة الكبيرة، مما ادى الى مقتل اربعين شخصا، واصابة واحد وخمسين اخرين بجراح.
* ٢٤ نيسان: قصف بلدة قلعة ديزة مما اسفر عن مقتل ١٣١ شخصا، واصابة ثلاثمائة بجراح.
* ٢٥-٢٦ نيسان: قصف بلدة داهوك.
* ٢٨ نيسان: قصف بلدة حلبشه وتدمير اكثر من مائة منزل، مما ادى الى مقتل اثنين واربعين شخصا، واصابة اكثر من مائة بجراح.
* الاول من ايار: الجيش العراقي يدخل قرية زاخو ويطلق النار دون تمييز ويقتل ثلاثة وستين شخصا ويصيب مائة وخمسين اخرين بجراح.

وحتى ذلك التاريخ، بلغ عدد القتلى الاكراد وفقا للاحصاءات الكردية سبعمائة شخص، والفي جريح. كان الهدف الذي يسعى اليه الجيش العراقي هو فك الحصار عن القوات العراقية المحاصرة، واختراق المواقع التي سيطر عليها الباش مرجا، منذ اذار ١٩٧٤. وبعد المعارك الطاحنة التي خاضها، تمكن الجيش العراقي من استعادة السيطرة على (زاخو) التي تسيطر على الطريق الرئيسي الممتد من العراق الى تركيا، وعلى اماكن سكنية اخرى، بيد انه فشل في احتلال عقره ورواندوز والقلعة ديزه.

وفي الخامس والعشرين من نيسان امر صدام حسين بفرض حصار اقتصادي محكم جدا على المنطقة الكردية للحكم الذاتي القريبة من الحدود التركية. ومن الجدير بالذكر، ان هذا الحصار تواصل حتى تشرين الاول ١٩٧٤، مما عرض نصف مليون كردي لمجاعة خطيرة جدا. وقد قام سلاح الطيران العراقي وفقا لما نشرته جهات دولية بشن ثلاثة الاف واربعمائة هجمة جوية على اماكن السكن الكردية مما خلق ظاهرة نازحين ومهاجرين كبيرة، تقدر بمائة وخمسين الف نسمة.

عمل العراقيون على وضع حد للتمرد الكردي بصورة نهائية، وفي التاسع عشر من آب ١٩٧٤ تمكنوا من احتلال القلعة ديزه، وبالتالي حرموا الاكراد من الموقع الذي كان يهدد اربيل والسليمانية وكركوك.

وفي الثاني والعشرين من نفس الشهر احتلوا رواندوز.

وفي نهاية ايلول ١٩٧٤ سيطر الجيش العراقي على قسم من جبل الزوزك. وقد ادرك البرزاني ان سقوط الزوزك سيؤدي ايضا الى سقوط الهندرن وفي هذه الحالة، سيقطع طريق الامداد الرئيسي للاكراد، مما سيؤدي الى سقوط التمرد الكردي كله.

ولم يبق امام البرزاني سوى ان يرسل اصوات الاستغاثة باتجاه طهران طالبا منها المساعدة وقد استجاب الايرانيون له، وقامت قوة مدفعية ايرانية بالعمل من داخل الاراضي الايرانية والكردية، وقصفت تجمعات واهدافا عسكرية عراقية، مما عطل الهجوم الحاسم على اخر معاقل الاكراد، ومد في عمر التمرد الكردي فترة اخرى.

وفي نفس الوقت اتصل البرزاني بالموساد، وطلب ان يرسلوا اليه تسوري ساجي، كان ساجي في تلك الاونة يقود لواءا في اعقاب حرب ١٩٧٣، وقد اتصل به زامير واعلمه بطلب البرزاني، واطلعه على الوضع الصعب الذي يعيشه الاكراد، وقال له: ان التمرد الكردي كما يبدو على شفا الانهيار.

حزم تسوري حقائبه، واتصل بخبير المتفجرات (نتن راهب) شريكه السابق في حربه ضد العراق، من بين صفوف الاكراد، وقال له: خذ جواز سفرك وتعال غدا الى مكتبي سنسافر سوية، وقبل سفرهما تلقى الاثنان توجيهات من الموساد، ثم انطلقا في طريقهما الى طهران.

وفي طهران، استقبلهما (ص) احد قدماء جهاز الامن العام والموساد والذي كان آنذاك يترأس الطاقم الاسرائيلي، وتوجه الثلاثة للاجتماع بالبرزاني في احدى المغائر التي كان (راهب) قد وسعها ابان تواجده السابق في المنطقة، وجعل منها بيتا وثيرا الى حد ما.

ويقول راهب بدا البرزاني في وضع يائس للغاية، وقال لي: الان جئتم؟ لقد انتهى الامر، ان الجيش العراقي بأكمله يعمل ضدي، لم يعد هناك اي امل.

حاول تسوري ساجي، في البداية، تهدئة روع البرزاني، حتى انضم اليهم ابناء البرزاني، وبعض القادة الاكراد الاخرين، وقال البرزاني ان الهجوم الكردي

بدأ بمبادرة ايرانية في الثاني عشر من اذار ١٩٧٤، وتمكن الاكراد في البداية في احراز انجازات عديدة، لكن يد الجيش العراقي تغلبت عليهم رويدا رويدا، مما ادى الى ولادة وضع شبيه بالوضع الذي كان عام ١٩٦٦.

قال تسوري: صورة الوضع صعبة، بيد ان الفرصة لم تضع بعد، لقلب الاوضاع رأسا على عقب، قام تسوري بوضع خارطة باسماء الفرق العراقية، وطلب من (ازاد) مسئول المخابرات الكردية، ان يحدد له على الخريطة مواقع هذه الفرق، بيد ان ازاد لم يستطع تحديد اماكنها فادرك تسوري، ان القيادة الكردية مشلولة تماما، والوضع الصعب الذي تعيشه يجعل من الصعب عليها ان تتخذ القرارات اللازمة.

وبناءعلى اقتراح (ص) تم استدعاء قادة القطاعات والمناطق الى المغارة للاطلاع منهم على الوضع ثم اتخاذ قرار. واتضح من التقارير التي قدمت، ان سبب نجاح العراقيين يكمن في اسلوب الرد الكردي، الذي اتاح للعراقيين امكانية اكتشاف مصدر النيران، ومهاجمتها والقضاء عليها.

واتضح ايضا، ان الاكراد قاموا بتدمير جسر ابان انسحابهم في منطقة (جلي علي بك) وان العراقيين في حاجة الى اسبوعين لاعادة بنائه. بيد ان العراقيين قاموا بجهد فوق العادي وتمكنوا من تمهيد طريق ترابي على صخور جبل كورك، ونقل سرية مدرعات الى سهل (رواندوز).

اشتملت القوة العراقية على فرقة مدرعة، تضم ثلاثة الوية دبابات، واربعة الوية سلاح مشاه مدرعة، وخمسة الوية سلاح مشاه وخمس سرايا كوماندو، اضافة الى كتيبتين من القوات الخاصة، وخمسة الاف من الجحوش.

اما القوة الكردية، التي كانت تواجههم، فقد كانت في وضع افضل مقارنة لعام ١٩٦٦.

فقد كانت مزودة بعدد اكبر من المدافع والراجمات، ومئات قواذف البازوكا، والرشاشات الروسية ومخازن الذخيرة، كما كانت سبع كتائب مشاه على استعداد للانضمام الى القوة الامامية حين الحاجة. كما كانت هناك كتيبتان ايرانيتان مدفعيتان مسلحتان بمدافع (هوبيتشر) وبصواريخ ارض-ارض على اهبة الاستعداد للعمل.

قدر ساجي، في اعقاب سماعه هذا التقرير ان العراقيين سيحتاجون الى يومين في اعقاب استكمال بناء الجسر، من اجل ادخال قوتهم بكاملها الى العمل

وبناء عليه، اقترح خطة عمل تقوم على اربعة بنود على النحو التالي:

* احتلال مواقع مشاه امام قوات سلاح المشاه العراقية على المنحدرات وفي المناطق المسيطرة على الهندرن والزوزك وعومر عره.

* تركيز جميع قواذف البازوكا والمدافع غير المرتدة في جيبي كمين، في الجبهة الخلفية الكردية.

* توجيه نيران كثيفة جدا، الى الدبابات العراقية، حال وصولها الى الجانب الشرقي من القاطع الذي لا توجد فيه اي امكانية للقيام بمناورات او تراجع.

* اعداد الكتائب الكردية السبعة لشن هجوم مضاد.

اصغى البرزاني الى ما قاله تسوري ثم اعرب عن خشيته من ان المقاتلين الاكراد، لا يستطيعون الصمود امام الدبابات العراقية. فقال تسوري: الجنود الاسرائيليون ايضا بشر ويخشون الدبابات، لكنهم تعلموا كيف يتصرفون في ساعات الضرورة. وبالامكان اعداد الجنود الاكراد للتصرف على هذا النحو، بيد ان البرزاني لم يقتنع.

قال البرزاني لتسوري، انت لا تدرك جيدا مخططات العراقيين، لقد قيل لي ان الجهد العراقي الرئيسي موجه نحو سد دوخان، وذلك من اجل تطويق القوات الكردية في منطقة رواندوز من الجنوب، وطلب من تسوري تغيير خطة الانتشار.

ويقول تسوري: لم اقبل تصورات البرزاني، وكي ادرسها كان علي ان ادرس مكان تواجد جميع القوات العراقية وقياداتها. واتضح من التقارير ان الموقع الذي اشار البرزاني اليه في الجنوب. وقال ان التطويق سيبدأ منه، توجد فيه فرقة ممكنة ولواء سلاح المشاه الرابع، ورغم ذلك، بدا واضحا ان تطويق الاكراد من الجنوب يتطلب قوة اكبر بكثير من القوة المذكورة، وهو الامر الذي كان متوفرا في منطقة رواندوز، ولم تكن هناك اية دلائل تشير الى ان قوة رواندوز ستتحرك للالتحام مع القوة في الجنوب. وتمكن تسوري من اقناع البرزاني بصحة تقديراته، فقال البرزاني: انا اعتمد عليك، واذا ما خرجت الى الميدان ستشاهد كل شيء على ارض الواقع، وماستقره سأقبله.

استبدل رئس الموساد (ص) بكرون نظرا للارهاق الذي عاناه (ص) خلال الفترة السابقة وبعد عدة ايام قام كرون وتسوري وازاد و(ب) الذي قدم من طهران وعدد من القادة الاكراد، في جولة واسعة في اراضي العدو على ظهور البغال،

وتوغلوا اربعين كيلومترا في كل اتجاه، وتأكدوا، بما لا يقبل اي شك، ان جميع تقديرات تسوري كانت صحيحة. وحال عودتهم اكد الاسرائيليون للبرزاني ان جميع تقديراتهم بشأن التحركات والنوايا العراقية صحيحة.

****

استكمل العراقيون بناء الجسر، ورغم ذلك، لم يبدأ الهجوم المتوقع، مما اثار تساؤلات تسوري، فارسل دوريات الى عمق الانتشار العراقي، وحينما عادت، قالت له، ان الجسر انهار تحت وطأة نقل اول دبابة حاولت اجتيازه، وكما يبدو، فان سلاح الهندسة العراقي لم يضع اعمدة وسط، بسبب السرعة، وهكذا حظي الاكراد بمهلة زمنية جديدة لمدة اسبوعين، استغلوها في التدريب واقترح بعض القادة الاكراد العمل على تعطيل وعرقلة العمل العراقي في بناء الجسر، بيد انه سرعان ما اتضح ان العراقيين على اهبة الاستعداد لاحباط اي محاولة من هذا القبيل. كما رفض تسوري اقتراحا للسيطرة على سد دوخان وتدميره، وقال لا زال من السابق لاوانه عمل ذلك.

استكمل العراقيون بناء الجسر وشرعوا بالهجوم، في الوقت الذي انتظرهم الاكراد في كمينهم، ولم يطلقوا النار الا عندما وصلت الدبابات العراقية الى منطقة خلف انتشارهم. ويقول تسوري ساجي، في غضون ثلاثين دقيقة، تمكن الاكراد من تدمير ستين دبابة. ويتضح من التقارير العراقية ان مائتي وتسعين دبابة من طراز تي-٥٤، ٥٥ دمرت خلال هذه المعركة وقد رفعت هذه النتيجة معنويات الاكراد الى حد كبير جدا، فقد كانت الدبابات هي رعبهم الوحيد، وحينما شاهدوها وهي طعم للنيران انقلب يأسهم املا.

واصل العراقيون هجومهم واندفعت الوية المشاه الثلاثة الى الامام في الشمال على صخور ومرتفعات (جارو عومر عره)، في حين شنت الالوية الثمانية الباقية هجومها من الجنوب في الهندرن والزوزك. وكان الاكراد بانتظارهم في حالة دفاع بالقرب من (جارو عومر عره)، وعندما اصبحت الالوية في مرمى النيران وجهوا اليها نيران رشاشاتهم وبنادقهم بصورة مكثفة، مما ادى الى توقف العراقيين، وحينها شن الاكراد هجوما مضادا، حيث شنت من الشمال كتيبة كردية بالاستعانة بمدافع غير مرتده، وتوغلت داخل الالوية العراقية، والحقت بها خسائر جسيمة. وبدأ الجنود العراقيون في الانسحاب والقوات الكردية تطاردهم.

صدر الامر للقوات العراقية باعادة الكرة في الهجوم، وقامت قبل الهجوم

بتمهيد مدفعي شديد، ثم هاجمت القوة الكردية، ووصلت الى بعد ثمانين مترا من مواقع الاكراد، وحينها شن الاكراد هجومهم، واختلط الحابل بالنابل، مما فأجأ العراقيين تماما، وجعل بعضهم يطلق النار على البعض الاخر.

شن العراقيون هجماتهم ثلاث مرات، وفي كل مرة، قاموا بعملية تمهيد مدفعي واسع، بل واستعانوا بسلاح الجو، بيد انهم لم ينجحوا في تحطيم الخط الكردي الدفاعي. ورغم ذلك كانت المخاوف لا تزال تساور البرزاني.

****

قدر الاسرائيليون والاكراد عدد القتلى العراقيين بسبعة الاف قتيل، في حين تحدثت التقديرات والتقارير العراقية الداخلية عن ستة الاف وخمسمائة. وعندما سئل رئيس الاركان العراقي عبد الجبار عن عدد القتلى ذكر الرقم (١٦٤٠) قتيلا، و (٧٩٠٣) جرحى هذا في حين نسبت جريدة الثورة العراقية الى صدام حسين قوله أن ستة عشر الف جندي قتلوا او اصيبوا بجراح في تلك المعارك.

لم تؤد هذه الهزيمة العراقية الى وقف القتال، فقد بدأ العراقيون يشنون هجوما في مكان اخر، فقد امرت سريتا كوماندو باحتلال المرتفعات الغربية في جبل الزوزك، واستعانت بوحدات كبيرة جدا من المدفعية، وبسلاح الجو العراقي للتمهيد، وتمكنت في نهاية المطاف في تشرين الثاني من الوصول الى هدفهم، ورفع العلم العراقي عليه.

****

كتب وزير البلاط الايراني (علام) في العاشر من تشرين الاول ١٩٧٤: ان صاحب الجلالة الشاه، بأمل في تحسن وضع الاكراد حينما يتسلمون المدافع بعيدة المدى والصواريخ المضادة للدبابات.

وفي الرابع من كانون الاول ١٩٧٤ كتب علام في يومياته: ان الشاه طلب منه اعلام رئيس الاركان ان عليه سحب المدافع بعيدة المدى من الجهة للحيلولة دون سقوطها بأيدي العراقيين، اذا كان يعتقد ان الاكراد لن يستطيعوا الصمود في وجه الهجوم العراقي.

بناء على طلب من الاكراد، قام المدربون الاسرائيليون باعادة تدريب طواقم الدبابات التي تم تدريبها في ايلول ١٩٧٢. كما طالب الاكراد ايضا بمنحهم دبابات من طراز تي-٥٥. وفي تلك الاونة وصل ضابطان من سلاح الجو

الاسرائيلي الى كردستان، لتدريب الاكراد على الدفاع الجوي، وعلى وجه الخصوص استخدام صواريخ الكتف من طراز (ستريلا) وصيانة المدافع المضادة للطائرات. وكلف ضابطان من الناطقين باللغة العبرية، والعاملين في قيادة قائد سلاح المظلات، بتشكيل وحدة هجوم مؤللة. وارسل الى كردستان مدفعان من عيار ١٥٥مم مع مدرب برتبة رائد لتدريب طاقمين على استخدامهما. وارسل ضابط اخر لتدريب الاكراد على التعامل مع الاسلحة والذخائر وعمليات تخزينها. وفي مطلع ١٩٧٥ تم عقد دورة استغرقت ٢٣٣ ساعة في جميع المناحي ذات العلاقة بالاسلحة المضادة للدبابات.

وفي تلك الاونة بدأ السفير الاسرائيلي في واشنطن باجراء اتصالات مع وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر حول تزويد الاكراد باسلحة مدفعية ومضادات للدبابات ثقيلة. نصت عملية التسليح انفة الذكر على تحويل الباش مرجا الى جيش صغير. ورغم ان كمية الاسلحة خفضت الا ان الكمية التي كان سيجري تزويد الاكراد بها، كانت تعتبر مساعدة كبيرة جدا لهم.

وكانت الولايات المتحدة قد تعهدت بتزويد اسرائيل باسلحة بديلة احدث. ويقول دينيتس ان الولايات المتحدة زودت اسرائيل فعلا باسلحة بديلة.

كانت الدبابات العراقية في تلك الاونة قد انتشرت بعيدا عن مرمى الاسلحة الكردية، وواصلت رميها وقصفها للمواقع الكردية، وقد حاول الاكراد الرد بالمدفعية، لكنهم لم يحققوا سوى نجاح جزئي.

وبناء على هذا الوضع توجه ساجي الى اسرائيل لاقناع الجهات المسئولة بتدريب مقاتلين اكراد على اطلاق صواريخ ساجر مضادة للدبابات من الاسلحة التي غنمها الجيش الاسرائيلي ابان حرب ١٩٧٣. وقد جرت هذه التدريبات خارج كردستان، وعكست نتائجها بسرعة كبيرة على ارض الواقع، فقد اطلق المتدربون صواريخهم على الدبابات العراقية في سهل رواندوز وتسببوا في انسحابها السريع من المنطقة.

* *

بدأت الحكومة الاسرائيلية، برئاسة اسحق رابين، عملها في حزيران ١٩٧٤، وذلك في اعقاب العاصفة التي احدثتها حرب ١٩٧٣، وادت الى استقالة رئيسة الحكومة جولدا مائير. وواصل رئيس الحكومة الجديد الذي كان ذا علاقة بالوضع الكردي ابان شغله لمنصب رئيس الاركان سياسة جولدا مائير، كما تبنى

وزير الدفاع جديد، شمعون بيرسن نفس الخط. وفي الرابع من كانون الثاني ١٩٧٥، استدعى بيرس تسوري الى مكتبه واجرى معه الحوار التالي:

بيرس: متى كنت لدى الاكراد آخر مرة؟

تسوري: عدت قبل اسبوع، وطيلة الصيف، ومنذ ان نشبت المعارك كنت هناك، والبرزاني يعرف القليل من العبرية، واقوالي تترجم الى العربية، وانا الذي ادير القتال هناك.

بيرس: هل هو (اجنبي) -غوي- ذكي.

تسوري: انه شخص غير عادي، ومعرفته العسكرية هي معرفة زعيم قبيلة، تحول الى زعيم وطني روحاني ذي مقدرة على التبنؤ. والبنية العسكرية في كردستان هي بنية جيوش قبلية اقليمية على غرار ما كان الوضع عليه في عهد التوراة.

وبناء على فهمه، فان الشعب الاسرائيلي اكثر الشعوب مصداقية وجدية، بيد انه لا يملك القوة الكافية، والقوة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها، هي الولايات المتحدة، وهو يأمل في ان نحتل نحن سورية، ويحتل هو العراق وهو يؤكد ضرورة ذلك صبح مساء، وعندما تسأله: كيف يمكن احتلال سورية وفيها خبراء روس؟ يقول: توقفوا عن التذرع وايراد المبررات، لقد اسقطتم ديجول الرئيس الفرنسي الذي استقال في نيسان ١٩٦٩ في اعقاب هزيمتة في الاستفتاء الشعبي حول تعديل القانون وانتم اسقطتم نيكسون الذي استقال في آب ١٩٧٤ على ارضية تورطه في قضية ايران غيت، ان ما ينقصه هو المعطيات العسكرية التي تمكنه من تقدير الوضع، لقد خاض الحرب في اذار ١٩٧٤ دون تقدير الوضع العسكري، وقد هاجمه العراقيون على محورين رئيسيين.

لقد كانت هناك اتفاقية بين الاكراد والحكومة العراقية حول المناطق التي يتواجد فيها الاكراد بدون حكم ذاتي. واقترح العراقيون على الاكراد حكما ذاتيا دون النفط (اي دون كركوك)، وشرعوا في تطويق العراقيين بدون اي تقدير للوضع، فشق العراقيون طريقا ووصلوا الى الجبهة الكردية الخلفية، وحينها استدعاني البرزاني، وعندما وصلت قال لي: لقد وصلتم متأخرين. وطلب طواقم اسرائيلية للدبابات والاجهزة الايرانية الحديثة، وطلب طواقم ضد الدبابات، فقلت له: انني اعارض ان تقوم طواقم اسرائيلية بالعمل -ضد العراقيين- واذا كان الامر يتعلق بالخوف، فالاسرائيليون ايضا يخافون ويستحيل نقل الجرأة من دولة الى اخرى.

جلست معه ومع ميرخان وازاد، واجرينا تقديرا للوضع، واكتشفت ان المشكلة تكمن في عدم توفر معطيات لديهم، فقررت الخروج الى الميدان والحصول على المعلومات والاطلاع على الوضع، واتضح لي ان الاكراد دمروا جسرا على واد، بعد ان التف العراقيون حوله.

وادركت ان الخوف الكردي هو من الدبابات العراقية، رغم ان الاسلحة المضادة للدبابات متوفرة لديهم، فقررت نصب كمين للدبابات فسألت عن قواذف البازوكا، واتضح ان الاكراد وزعوها، وانه لا توجد لديهم اية فكرة عن مسألة تركيز الجهد والكثافة النيرانية. ان الاكراد قناصة، وقد طوروا لانفسهم تقنية عمل خاصة، وهم قادرون على اصابة الراجمات من الطلقة الاولى. فأمرت بتجميع جميع قواذف البازوكا، وان يحضروا لي جميع الشجعان والمجانين، وبنينا جيوبا من الكمائن بالبازوكا والمدافع غير المرتدة.

بيرس: كم عدد مقاتليهم؟

تسوري: حوالي مائة الف مقاتل، لكن الذين يصلحون للقتال لا يتجاوزون ربع هذا لعدد. واقمنا هناك استحقاقات، وطلبت ان يعملوا على القاء القبض على جنود عراقيين، وتمكنا من استقاء معلومات استخبارية مهمة منهم. وعرفت منهم ان للعدو ثلاث فرق مشاه، بما فيها كوماندو وجحوش اكراد، وفرقة مدرعة مجهزة بثلاثمائة دبابة، لواءين ممكنين وحينما بدأ القتال تمكنا من تدمير ثمان وعشرين دبابة، مما رفع معنويات الاكراد لقد تمكن مدفع غير مرتد واحد من تدمير ست دبابات وبلغ عدد القتلى العراقيين الذين عددناهم ستمائة قتيل، في حين قتل من الاكراد اربعة عشر شخصا. وقد هاجمنا العراقيون بعد ذلك ثلاث مرات، بين كل هجوم والاخر يومان او ثلاثة. وتمكن العراقيون في نهاية المطاف من احراز نجاح كبير بثمن ستة الاف قتيل، كنت مسئولا عن مقتل ثلاثة الاف منهم وفي النهاية طلب بيرس معلومات حول ما يدور لدى الاكراد وداخل العراق:

بيرس: ما حجم الجيش العراقي؟

تسوري: ثلاث فرق مدرعة، واربع او خمس فرق مشاه.

بيرس: هل الاصابات التي لحقت بالجيش العراقي كبيرة؟

تسوري: المدرعات العراقية لم تصب باضرار جسيمة، وهي القوة التي يمكن ارسالها الى الجبهة الشرقية في مواجهة اسرائيل، اما سلاح المشاه، فهو المتضرر الرئيسي. وهناك معلومات تفيد بأن الجيش العراقي سيسعد بترك الاكراد وشأنهم، والاتجاه

الى الجبهة الشرقية. وقد تمت اقالة العديد من الضباط من الجيش العراقي، وهو الامر الذي اضعفه.

بيرس: كم عدد الاكراد في العراق؟

تسوري: ثلاثة ملايين.

بيرس: ما هي المساهمة الايرانية الحقيقية؟

تسوري: مساهمة جدية لقد استوعبوا مائتي الف لاجىء كردي، كما ان الشاه منح المتمردين الاكراد كما كبيرا من المال. وقد اكد البرزاني انه سيحقق الانتصار، اذا ما منح مدفعين يصل مداهما الى ثلاثين كيلومترا. وهو يطالب الان بثمانية مدافع. وق وصلت قوة ايرانية مؤلفة من ثلاث كتائب بعد انتهاء المعارك.

بيرس: ما الذي يحدث للقرية الكردية التي يحتلها العراقيون؟

تسوري: الاكراد يفرون منها، لان العراقيين لا يتركون لاجئين.

بيرس: هل يهاجم الاكراد القرى العراقية.

تسوري: لا، وانا لم انصح بذلك، لان مثل هذا الوضع يشتت الجهد.

بيرس: اذا مات البرزاني، من الذي سيحل محله؟

تسوري: على الصعيد العسكري هو يسهم في رفع المعنويات، والالتفاف حوله، اما على الصعيد العملي فهو لا يسهم كثيرا، واعتقد ان الدكتور محمود هو الذي سيحل محله، وهو رجل ذو عقلية متفتحة.

~~بيرس: هل يقدم الايرانيون اموالا للاكراد؟~~

تسوري: اربعة وعشرين مليون دولار سنويا.

س- هل الجميع على علم بتدخلنا؟

ج- القيادة الكردية تحاول اخفاء ذلك، لكن العديد من الدورات العسكرية وغيرها جرت في اسرائيل، وهناك كثيرون يعلمون بتدخلنا، لكنهم لا يتحدثون حول ذلك.

بيرس: هل هناك امل في ان يسيطر الاكراد على العراق؟

تسوري: هذا ليس عمليا، ولو انهم قبلوا بالنزول من الجبال، كنت سأنصح بمنحهم دبابات، وانا اختلف بهذا الصدد مع رئيس الموساد. والايرانيون لا يرغبون في ان يكون الاكراد اقوياء، وايضا ليسوا ضعفاء لانهم يخشون من وجود خمسة ملايين كردي على الاراضي الايرانية، يرغبون، هم ايضا، في الاستقلال.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

ويقول زامير: عندما كان البرزاني يسألني عن رأيي في افضل الاوضاع؟ كنت اقول له: ان افضل الحلول التي اعتقد انها قاسية على صعيد الاكراد تتمثل في اقامة اتحاد فدارالي عراقي مركب من العرب والاكراد، على ان يكون للشعبين حكم ذاتي على صعيد اللغة والثقافة في المناطق التي يعيش كل منها فيها. بيد ان البرزاني لم يكن يثق بصدام حسين. وكان البرزاني يقول بتردد: سنتعاون مع اية حكومة عراقية تتوجه الينا. وقد تمكنا من خلق اتصال بينه وبين شخصيات عراقية كردية كانت تشغل مناصب رفيعة في السلطة، لكنه لم يكن يثق بأي شخص، سواء اكان سنيا ام شيعيا عراقيا.

كان البرزاني يفكر في الحرب القادمة التي ستنشب حال ذوبان الثلوج في جبال كردستان في ربيع ١٩٧٥، وكان واثقا من انه قادر على صد القوات العراقية، بل وايضا استعادة السيطرة على المناطق التي احتلها العراقيون عام ١٩٧٤ وبناء على ذلك، حدد مطلبه الخاص بارسال ضابط اسرائيلي رفيع لمساعدته، ومن اجل دقة التحديد ذكر اسم تسوري ساجي. وكان اسحق حوفي قد حل في صيف ١٩٧٤ محل زامير رئيسا للموساد. وفعلا توجه تسوري وراهب الى كردستان وحال وصولهما الى هناك، قيل لهما ان الجيش العراقي شرع في تقليص المناطق الكردية، وعلما ايضا، ان صدام حسين اجرى عملية تطهير واسعة في الجيش، واقال قادة رفيعي المستوى واعدم واحدا وعشرين ضابطا واجرى تغييرات في قيادات الحكومة العراقية تشير الى انه عزز مواقعه وقوته.

لقد ادرك صدام، ان ايران كشفت خلال الحرب الاخيرة، عن انيابها تجاهه، اكثر مما فعلت خلال الحرب السابقة، ولم يكن في حاجة للكثير من التفكير كي يدرك ان العلاقات الاخذة في التطور بينه وبين الاتحاد السوفياتي كانت لغير صالحه.

وبناء على ذلك، بدأ يغير اتجاهه بصورة تدريجية، فشرع في تطوير علاقات اقتصادية مع الولايات المتحدة، واستأنف علاقات بلاده مع بريطانيا، ووقع العديد من الاتفاقيات مع فرنسا، وعمل على التقارب مع دول عربية موالية للغرب، كالسعودية والاردن ومصر، وكي يكسب ثقة هذه الدول، قلل من شأن التحالف الذي ابرمه مع الاتحاد السوفياتي، وسرب شائعات تفيد بأن هناك خلافات بينه وبين الاتحاد السوفياتي. وكانت جميع هذه الخطوات، هي بمثابة الماحات لايران.

الفصل الثامن والعشرون

الآمال التي انهارت

عاد العراق وايران للتفاوض من اجل حل الازمة القائمة بينهما منذ زمن طويل، وخلال الفترة الواقعة بين ١٢-١٨ آب ١٩٧٤ ناقش ممثلو الطرفين في اسطنبول كيفية حل المشكلة على ارضية السيطرة على شط العرب. وكان الجميع يدركون ان الايرانيين سيقدمون تنازلهم على حساب الاكراد.

بيد ان الامور لم تسر كما اشتهى صدام، ووقعت خلال فترة المفاوضات صدامات على حدود الدولتين، واتهم العراق ايران بالمبادرة الى اختلاف هذه الحوادث من اجل ممارسة ضغط على العراق لدفعه لتقديم التنازلات من ناحية، ومن اجل تقديم المساعدة الى عميلها مصطفى البرزاني. وقد دعا راديو بغداد في الثلاثين من آب الى تصفية الاكراد الخونة.

اوقف العراق المفاوضات، وقدم شكوى الى الامم المتحدة حول التجمعات والحشود الايرانية على طول الحدود العراقية، ورغم ذلك، امتنع العراق عن قطع علاقاته مع طهران، وفي اجتماع القمة العربية في تشرين الاول ١٩٧٤ القيت مهمة الوساطة بين العراق وايران على اكتاف الرئيس المصري انور السادات، وملك المغرب الحسن الثاني، والملك الاردني الحسين.

حرص الشاه على ان يوضح لجميع الوسطاء رفيعي المستوى بأن الشرط الوحيد الذي يطالب به هو تنازل العراق عن السيادة في شط العرب، وشرع في تقديم الثمن الكردي بصورة تدريجية، فالمح لصدام، انه لا يشجع الاكراد على المطالبة بالاستقلال عن العراق، بل فقط بنيل حكم ذاتي الى حد معين.

وخلال الفترة الواقعة بين ٦-١٢ كانون الثاني ١٩٧٥ زار الشاه كلا من الاردن ومصر، وكانت القضية المركزية التي ناقشها هي النزاع مع العراق.

وخلال الفترة الواقعة بين ١٤-١٨ كانون الاول استؤنفت المفاوضات في اسطنبول في صورة حوار مباشر بين وزيري خارجية الدولتين بيد ان الامور لم تحل مما وتر الجبهة مع الاكراد، وادى الى تبادل اتهامات شديدة بين العراق وايران.

في السادس عشر من كانون الثاني بعث البرزاني رسالة الى واشنطن، اقترح فيها تحويل كردستان الى الولاية الحادية والخمسين للولايات المتحدة. وقد

ادرك الامريكيون أن الرسالة هي تعبير عن الخوف من ان يتخلوا عنه.

وفي هذه الاونة قتل صدام حسين من هجماته ضد الشاه، وركزها على البرزاني. ففي المقابلة التي منحها لجريدة الاهرام المصرية في الحادي والعشرين من شباط ١٩٧٥ قال: ان الاكراد بدأوا يتخلون عن البرزاني، وانه بقي وحيدا مع مستشاريه الاسرائيليين. ولم يتطرق صدام حسين في المقابلة الى المساعدات التي تقدمها ايران الى البرزاني، واشار الى رغبته في حسن الجوار مع ايران. ولم يتطرق الى حق العراق في السيادة على شط العرب.

وفي السادس والعشرين من شباط، توجه البرزاني الى ايران، بيد انه لم ينجح في الاجتماع بالشاه، ولم يحاول الايرانيون ان يخفوا عنه احتمال التوصل الى اتفاق مع العراق، بيد انهم حرصوا على طمأنته بأن الشاه لن يتخلى عنه.

****

بقيت المفاوضات العراقية الايرانية غامضة، وكل ما اشيع عنها هو ان ايران طالبت طيلة الوقت بتعديل الخط الحدودي في منتصف شط العرب. والمساواة في الحقوق الناجمة عن ذلك، في مجال الملاحة، والجمارك والاجراءات الملاحية الاخرى.

لم يستطع المثلون العراقيون ابتلاع، القرص، شديد المرارة، الذي يقدمه الايرانيون، وقدموا حلولا بديلة لهذا المطلب، بيد ان الايرانيين اصروا على موقفهم، فاما حصولهم على حقوق متساوية مع العراقيين في شط العرب، واما بقاء الوضع الراهن على ما هو عليه، والذي يعني تقديم المساعدات للاكراد بما يعنيه ذلك من الحاق اشد الاضرار بالعراق.

كان صدام حسين يدرك مدى اهمية السيطرة على شط العرب على الصعيد الاقتصادي، وفي نفس الوقت كان يدرك انه طالما بقي الدعم الايراني للاكراد، فانه لن يستطيع وضع حد لتمردهم الذي يلحق بالعراق خسائر سنوية تقدر بأربعة مليارات دولار، ويقلص قوة الجيش العراقي.

كان الشاه، في تلك الاونة، قد اصبح الرجل القوي في الخليج، وتجرأ على نشر كتيبتي دبابات على الاراضي العراقية، وهي مسلحة بمدافع من عيار ١٣٠ملم وصواريخ من طراز هوك. كما سمح لوحدات المدفعية الايرانية بالعمل من داخل الاراضي الايرانية لمساندة الاكراد، بل وسلح الوحدات الكردية بصواريخ مضادة للدبابات موجهة. وقد ولد هذا الوضع سباق تسلح توجه خلاله صدام الى

الاتحاد السوفياتي الذي زوده بصواريخ ارض ارض حديثة. بيد ان هذا السلاح تقزم ازاء الاسلحة الايرانية، والجيش الايراني الذي بلغ قوامه ضعفي الجيش العراقي.

لقد حدا التحالف الايراني مع الولايات المتحدة الى دفع الشاه لاطلاق افكار حول تقسيم العراق الى ثلاث دول: سنية وشيعية وكردية. بيد انه كان في البداية يرغب في الحصول على السيادة في شط العرب.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

ويقول وزير البلاط الايراني في يومياته في الثاني من اذار ١٩٧٥ اعلم الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي يقوم باعمال الوساطة بين العراق وايران، الشاه، ان صدام حسين اخبره انه سيستغل مؤتمر الدول الثلاث عشرة المصدرة للنفط الذي سيعقد في العاصمة الجزائرية خلال شهر اذار ١٩٧٥ من اجل التوصل الى اتفاق مع ايران.

وحال هبوط الشاه في الرابع من اذار في الجزائر، طلب بومدين الاجتماع به على انفراد واستغرق اللقاء ساعتين وحينما قدم نائب الرئيس العراقي صدام حسين الى المؤتمر اجتمع به الشاه ايضا.

وفي السادس من اذار وبعد لقاءين اخرين بين صدام حسين والشاه، اعلن الرئيس الجزائري ان النزاع العراقي الايراني انتهى، وتعانق الشاه وصدام علنا، واعلنا شكرهما للرئيس بومدين.

وامام اعضاء (اوبك) قال بومدين ان العراق وايران قررا حل نزاعهما نهائيا، وان خط الحدود بين الدولتين سيمر في منتصف نهر شط العرب، كما تنازل العراق عن مطالبته بخوزستان -عربستان- وهي اغنى مناطق النفط الايرانية كما تم الاتفاق على ان يأخذ العراق مائتي كيلومتر مربع من اراضي ايران، وتم تشكيل لجنة لتحديد هذه المساحة. ومن الجدير بالذكر ان صدام تذرع عام ١٩٨٠، بهذا البند، من الاتفاق كمبرر لغزو ايران ما بعد الشاه.

وضم الاتفاق ايضا بندا يتحدث عن: تعهد الطرفين بالحيلولة دون حدوث اي تسلل من اراضيهما الى اراضي الطرف الاخر ذي طابع تآمري، وبمعنى اخر تصفية التمرد الكردي الذي لم يكن قادرا على البقاء بدون ايران.

وفي الثالث عشر من حزيران ١٩٧٥، اصبح الاتفاق عقدا مكتوبا على الورق، ووقعه وزيرا خارجية الدولتين بحضور شاهد اخر وهو وزير خارجية الجزائر.

****

وفي التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٩٠، قال طه ياسين رمضان - احد كبار المسؤولين في الحكومة العراقية لجريدة تادمون الصادرة في لندن: لقد جاء توقيع الاتفاق في ظروف ارغمتنا على الحسم بين ان تخسر العراق في القتال الذي لا ينتهي ضد الاكراد، وبين خسارة نصف شط العرب، وقد املت علينا مصلحة العراق ان نوقع الاتفاقية.

كان صدام يسعى الى الوصول لرئاسة العراق، واعتقد ان عليه اولا ان يتخلص من الرحى الكردي الذي يطحن الجيش العراقي. واعتبر تنازله عن شط العرب بمثابة تنازل مؤقت سيتمكن بعد فترة من استرداده، واسترداد كرامة العراق، وهذا ما حدث فعلا عام ١٩٨٠، حيث امر وهو رئيس للعراق باقتحام ايران، بعد ان حظي بشهرة الرئيس المرن الذي يعمل وفقا للظروف.

ويقول الصحفي المصري، محمد حسنين هيكل: قال لي صدام، انه عندما توجه الى الجزائر خوله اعضاء مجلس الثورة العراقي، بأن يقدم اي تنازلات يراها ضرورية، من اجل وضع حد للحرب مع الاكراد، شريطة ان لا يتناول هذا التنازل عن مناطق اقليمية وطنية او عن امن الثورة.

****

ويقول وزير البلاط الايراني، علام في مذكراته: عاد الشاه من الجزائر صبيحة السابع من اذار، وبدا مليئا بالتفاؤل وقال لقد سارت الامور في مؤتمر (اوبك) على ما يرام، وكذلك على صعيد النزاع مع العراق. لقد كان علي ان اواجه مشكلتين عويصتين ورثتهما عن ابي الاولى توسيع اتفاقية النفط مع الشركة الانجلو ايرانية والتي تم تمديد سريان مفعولها عام ١٩٩٣ بشروط تبدو هزيلة جدا بالنسبة لايران. والثانية معالجة الاتفاق الذي وقعه والدي عام ١٩٧٣، والذي منح فيه العراق السيطرة التامة على شط العرب. وقد تمكنت من حل هاتين المشكلتين لصالح ايران.

وحول مصير الاكراد كتب علام قائلا: لقد اصدر الشاه امرا الى رئيس السافاك كي يعرض على الاكراد ملجأ في ايران. وفي معرض رد الشاه حول قضية منح الاكراد حكما ذاتيا في العراق قال: هذه الفكرة مجرد لغو لاطائل تحته، فهم بدون مساعداتنا لن يتمكنوا من الصمود حتى عشرة ايام امام العراق وجيشه. لقد جلست مع صدام حسين اربع ساعات ونصف في الجزائر، وقد اعترف بأن

وجود المدفعية الايرانية هو وحده الذي حال دون تحقيق الجيش العراقي الانتصار.

ويقول علام: لقد كان العراقيون في الاونة الاخيرة على وشك قبول الاقتراحات الكردية بيد ان الاكراد رفضوا هذه الموافقة العراقية. بفضل المساعدات التي كانت ايران تقدمها لهم.

وفي الثاني من ايلول ١٩٧٥ اجرى محمد حسنين هيكل مقابلة مع الشاه ونشرها في جريدة الوطن الكويتية، قال فيها الشاه: لقد قدمنا حقا المساعدة للاكراد، وفي نهاية المطاف كنا، نحن الوحيدين الذين يقدمون يد المساعدة للاكراد، وحينما رفعنا ايدينا انهار التمرد.

واضاف .. لقد ضايقنا العراقيون واثاروا غضبنا بالدعايات المعادية ومحاولات المساس باراضينا، ورأيت في التمرد الكردي قوة يمكن استغلالها لذا قررت دعمه.

س- كم من الوقت تطلب اتخاذ قرار بهذا الصدد؟

الشاه: ساعة واحدة. لم اكن ارغب في الرد بقوة اكثر مما ينبغي على العراق باستخدام الاكراد، نظرا لان لدينا اقلية كردية في ايران، لكنني، فقط، اردت ان اوجه صفعة للعراقيين. وعندما توقفوا عن اثارة حفيظتنا توقفنا عن مضايقتهم. لقد كلفنا هذا الوضع ثلاثمائة مليون دولار وهو مبلغ ضخم بيد ان الواقع تطلب منا ذلك.

****

لقد جاءت اتفاقية الجزائر مفاجأة، حتى لوزراء الشاه. ويقول السفير الامريكي في طهران انذاك ريتشارد هلمس لمراسل جريدة (ميدل ايست كواترلي) ديفيد كرون: كنت بانتظار الشاه حال عودته من الجزائر في المطار، بصحبة العديد من الشخصيات الايرانية، في السادس من اذار ١٩٧٥، وشاهدت الدهشة الشديدة التي كست وجوه وزرائه، عندما امر بوقف جميع المساعدات المقدمة الى الاكراد فوارا، واغلاق الحدود في اسرع وقت ممكن بين ايران وكردستان العراقية.

ويضيف... لقد اجتمعت مع الشاه صبيحة اليوم التالي، ووجدته كما عهدته دكتاتوريا، ولم يقدم الاعتذار على خطواته الفجائية التي ادت الى قطع العلاقات الامريكية ايضا مع الاكراد، ولا شك انه كان مدينا بالاعتذار للامريكيين على وجه الخصوص، بسبب كونه هو الذي طرح فكرة تقديم المساعدات الامريكية للاكراد. وبرر الشاه خطوته انفة الذكر بالقول: ان السبب في

خطوتي هو ان البرزاني لم يشن حربا حقيقية على العراق، وبدلا من ان يفعل ذلك، جمع قواته في الخلف، واخذ يطالب الاخرين بالقتال بدلا منه.

ويقول هلمس: انه اعتبر الاتفاق بمثابة خطوة ايجابية، ستجلب الاستقرار الى المنطقة وان الادارة الامريكية ستستقبلها بالترحاب. بيد انه سرعان ما ادرك خطأ تقديراته.

فقد رد كيسنجر على الخطوة بشدة عصبية اثارت دهشته. لقد توقع كيسنجر، ان يواصل الاكراد قتالهم، ويحولوا دون تمكين العراق من الكيد لاسرائيل، لذا لم يكن مسرورا من خطوة الشاه، لكن الولايات المتحدة لم تكن قادرة على عمل اي شيء، فقد كان الشاه احد الاعمدة الاساس للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط، وكانت الولايات المتحدة ترى فيه رمز الاستقرار والحيوية في المنطقة.

والاسرائيليون ايضا ادركوا ان الاتفاقية كانت مفاجئة جدا حتى للسافاك الايراني، وقال رئيس الموساد، اسحق حوفي، امام الحكومة في التاسع من اذار، يخيل الي ان مسئولي السافاك، الذين كنا على صلة بهم، لم يكونوا على علم بالاتفاق.

وفي الثامن من اذار استدعى احد كبار رجال السافاك مسئول الموساد في طهران (ب) الى مكتبه، وقال له باختصار: لقد توصل الشاه خلال مؤتمر الجزائر الى اتفاق مع العراق، لذا ستوقف نشاطاتنا في كردستان وبناء عليه، فانت مطالب باخراج جميع رجالك من كردستان حتى الحادي عشر من نيسان المصادق يوم الثلاثاء. ويقول (ب) انه شعر بذهول شديد جراء ذلك، فقال له مسئول السافاك: كما يبدو انكم لن تتعلموا من البريطانيين كيفية ادارة امبراطورية يجب ان تتعامل مع الاكراد كعميل عندما تنتهي مهمته، تنتهي ايضا قصته.

واضاف ان من الافضل لاسرائيل ان تؤيد الاتفاق لان مشكلة اسرائيل الرئيسية العراق لذا من مصلحتها ان تؤيد الانجاز الذي حققته ايران في شط العرب.

وعندما ابدى (ب) معارضته لتلك الاقوال قال له رجل السافاك: ان ضعف اسرائيل يكمن في خلطها بين العواطف والسياسة. ان تقديم المساعدات للاقليات، لا يجب ان يعتبر هدفا في حد ذاته، بل وسيلة لابتزاز تنازلات من الاغلبية وفي حالتنا من العراق.

ان السياسة الجيدة، هي تلك السياسة التي تعرف متى يجب التوقف عن تقديم المساعدة للاقلية لابتزاز اكبر قدر من التنازلات من الاغلبية.

سارع (ب) الى الاتصال برئيس البعثة الاسرائيلية في كردستان، وامره بالعودة الى طهران هو واعضاء بعثته، ثم اتصل برئيس الموساد حوفي، واعلمه بما حدث ويقول نائب رئيس الموساد آنذاك (ناحوم ادموني): لقد وقع علينا النبأ كوقع الصاعقة.

سارع رئيس الموساد الى اعلام رئيس الحكومة اسحق رابين، الذي اعلن في التاسع من اذار، امام الحكومة الاسرائيلية قائلا: ايران والعراق توصلا الى اتفاق يشتمل على التخلي عن الاكراد.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

جاء في تقرير (بيكي) ان الاكراد ايضا فوجئوا بالاتفاق. وكان البرزاني ابان توقيع الاتفاقية، موجودا في طهران، وهناك اعلمه رئيس السافاك (ناسيري) عن الاتفاقية، والتي تعني اغلاق الحدود الايرانية مع كردستان، واخلاء القوات الايرانية فورا، ومنح المقاتلين الاكراد ملجأ في ايران.

وفي البرقية التي بعث بها ممثل وكالة المخابرات الامريكية (سي أي ايه) الى مسئوليه في واشنطن، قال: لقد قدم ممثل عن السافاك الى قيادة الاكراد، وقال لهم:

* الحدود ستغلق في وجه الجميع اكرر في وجه اي تحرك.
* لا يجب ان يتوقع الاكراد اية مساعدات من ايران.
* يجب على الاكراد التوصل الى اتفاق مع العراق مهما كانت شروط العراق.
* سيمنح المقاتلون الاكراد ملجأ في ايران على ان يأتوا في مجموعات صغيرة وشريطة ان يسلموا اسلحتهم للجيش الايراني.

عقد قادة التمرد المذهولون اجتماعات طيلة يومين متتاليين بمشاركة مسعود وادريس، وصبوا جام غضبهم على العالم الغربي الذي خذلهم وجاءت ردودهم الاولى بضرورة مواصلة القتال حتى ولو كانت ظهورهم الى الحائط بيد انهم قرروا الانتظار حتى عودة البرزاني من طهران.

وفي العاشر من اذار بعثت قيادة التمرد البرقية التالية الى كيسنجر: يأس تام يستشري بين قواتنا، وخطر لم يسبق له مثيل يرفرف فوق شعبنا، فالدمار

الشامل بانتظارنا، ولا يوجد اي سبب لذلك، اننا نتوجه اليك والى حكومتك، للتدخل بناء على وعودك. وان لا تدعو حليفكم الكردي ينهار، وان تنقذوا حياة وشرف عائلاتنا، وتعثروا على حل مشرف لمشكلتنا.

وبعث ممثل وكالة المخابرات الامريكية في طهران برقية الى مسئوليه في الوكالة، قال فيها: اذا لم تعالج الولايات المتحدة هذه القضية بسرعة، وتركت عند الاكراد انطباعا يفيد بأننا تخلينا عنهم، فان من المحتمل ان يعلنوا عن كل ما حدث. ان الخطوة الايرانية لم تدمر امالهم السياسية فقط، بل عرضت حياة الالاف للخطر.

وقام البرزاني ايضا بارسال برقية لكيسنجر من طهران، وصلته على ما يبدو ابان احدى الجولات التي كان يقوم بها في الشرق الاوسط للتوسط بين مصر وسورية واسرائيل، في اعقاب حرب ١٩٧٣، جاء فيها: آمنت دائما بالحلول السلمية للنزاعات الدولية، بما فيها النزاع العراقي الايراني، بيد ان قلوبنا تنزف دما، وهي ترى ان نتيجة هذا الاتفاق هو القضاء على شعبنا غير القادر على الدفاع عن نفسه، نظرا لان ايران اغلقت حدودها في وجوهنا، في الوقت الذي يشن فيه العراق اشرس هجماته ضدنا، ان حركتنا واهلنها يقتلون، في الوقت الذي يصمت الجميع، اننا نشعر ان الولايات المتحدة مسئولة اخلاقيا تجاه شعبنا الذي التزم بسياسة بلادك.

وبناء عليه، فاننا نطالب الولايات المتحدة بأن تتخذ خطوات فورية وبأسرع وقت ممكن، في القضايا التالية:

* وقف الهجمة الموجهة ضدنا، والعمل على بدء حوار بيننا وبين العراقيين يضمن على الاقل امن رجالنا.

* ممارسة جميع التأثيرات الامريكية على ايران لدفعها لمساعدة رجالنا في هذه اللحظة التاريخية المأساوية بالنسبة لنا بصورة تمكنهم من اعالة نفسهم والقيام باعمال الانصار على ارضنا حتى تجد مشكلتنا حلا لها في اطار اتفاق شامل. اننا ننتظر برعب، لكننا واثقون من ان الولايات المتحدة لن تقف موقف المتفرج في هذه المرحلة الحاسمة والمأساوية.

قبل الشاه باستقبال البرزاني في الحادي عشر من اذار ١٩٧٥، وقد قدم الشاه وبصحبته الدكتور محمود، والسفير الكردي في طهران شفيق القزاز كان الثلاثة مهانين اذلاء حتى النخاع.

ويقول الدكتور محمود القزاز فيما بعد: كان الشاه حادا وقال: انه غرق في الحرب اعمق مما كان يتوقع، عندما قبل بمساعدة الاكراد، وهذه الحرب كانت عبئا ثقيلا عليه، وكان يتوجب عليه التوصل الى اتفاق مع العراق. وانه لا يعرف فيما اذا كان العراقيون سيخدمون الاتفاق ام لا؟ بيد انه لا يجد لزاما عليه وقف المساعدات للاكراد.

واضاف .. الحدود الايرانية ستبقى مفتوحة امامكم ثلاثين يوما كي يعبر الاكراد الراغبون في اللجوء الى ايران، وسيستقبلون هنا بالترحاب وسيحصلون على وظائف، مثلم مثل المواطنين الايرانيين، ثم ستغلق الحدود.

وقال الدكتور محمود بحدة: هل نضال الاشخاص الذين يضحون وضحوا بدمائهم وابنائهم، لا يساوي اكثر من توقيع او عدم توقيع اتفاق مرض لهذا الطرف او ذاك. عندما وعدتنا بتقديم المساعدة لم تقل اية كلمة حول الانسحاب؟ فقاطعه الشاه بحدة قائلا: انا اقول لك ما هو قراري ولا مكان للجدل او المناقشة.

انصت البرزاني بصمت لاقوال الشاه، واقوال الدكتور محمود وغادر المكان مع زميليه بصمت، كان اشمئزازه واليأس الذي يشعر به، اكبر بكثير من ان يستطيع قول شيء او ان يطلب من الشاه اعادة النظر في قراره.

وافادت بعض التقارير الصحفية، ان الشاه هدد البرزاني اثناء اللقاء، بأنه اذا لم يضع الاكراد سلاحهم حتى الاول من نيسان، فان ايران ستكون هي التي ستشن عليهم الحرب.

ويقول وزير البلاط علام في يومياته: وجدت الشاه في اليوم الثاني للقائه البرزاني، في وضع نفسي افضل فقد كان يشعر بالحرج من الاجتماع بزعيم التمرد وجها لوجه، على الرغم من انه لولا المساعدات الايرانية لانتهى التمرد الكردي منذ زمن بعيد.

لقد وضع الايرانيون حوالي مائة مدفع ميداني، اضافة الى عدد كبير من صواريخ (سام) في خدمة المعركة الكردية. وكان على الايرانيين تدمير كل هذه الاسلحة لانه لم يكن بالامكان اعادتها.

ان المجتمع الدولي يتهمنا بما آل اليه مصير الاكراد، بيد ان هذا المجتمع لا يعلم ما الذي كان سيؤول اليه مصيرهم لولا المساعدات الايرانية. وعلى اية حال فان الاستقلال الكردي لم يكن يتناسب مع مصلحتنا.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

عاد البرزاني من ايران، وفي السادس عشر من اذار اجتمع في قيادته مع كبار المسؤولين الاكراد. ووصف الاتفاق الايراني مع العراق، كتراجع مؤقت عن الاهداف الكردية. واعرب عن ثقته بنسبة ٩٠٪ بأن الاوضاع ستسير على افضل ما يرام. بل وهناك من يقول ان البرزاني تحدث عن هجوم كردي على جبهة رواندوز.

فاجأت الملاحظات والالماحات التي اشار اليها البرزاني دهشة اعضاء حزبه، وفي اعقاب خروجه من الغرفة، تجمعوا حول القزاز، وتساءلوا عن مصدر تفاؤل البرزاني؟ ولم يستطع القزاز الاجابة عن هذا السؤال. وبدا وكأن البرزاني اما انه كان على اطلاع على امور لم يشرك فيها زملاءه، لم يطلعهم عليها، او انه حاول بث التفاؤل ورفع معنوياتهم في هذه اللحظات العصيبة.

بيد ان هذا التفاؤل انتهى. وتحطم الى شظايا بعد يومين، ففي الثامن عشر من اذار اجتمع زملائه مرة اخرى، وقال لهم: نحن وحدنا، دون اصدقاء. وقال لهم: انه لا يستطيع بعد الان قيادة التمرد، وانه سيذهب الى ايران.

واضاف البرزاني: ايران ستغلق حدودها معنا في الثلاثين من نيسان. وتركيا اغلقت حدودها فعلا، والجيش العراقي سيغلق الطريق الى الجنوب والغرب، ولا اعتقد ان هناك اي امل. اما اذا اراد اي شخص منكم ادارة النضال بدلا مني فسوف امنحه كامل دعمي وتأييدي.

طلب بعض القادة مهلة زمنية كي يدرسوا اقوال البرزاني مع مقاتليهم، في حين خرجت الغالبية من الاجتماع وهي في اشد حالات اليأس وعندما شاعت اقوال البرزاني، خلقت حالة من الفوضى في صفوف الباش مرجا فحطم البعض اسلحته، والقاه البعض الاخر الى الوديان والانهار بينما تحدث قسم اخر عن الانتحار.

كان الوضع بائسا للغاية، ويؤكد ان الامال انهارت والاحلام تبخرت، وان الخيارين الوحيدين الباقيين هما:اما الفرار الى ايران، واما البقاء في العراق، على امل ان يعلن حزب البعث عفوا عاما. والذي يعني الاجلاء او السجن او القتل.

ترى ما الذي قلب التفاؤل الذي ابداه البرزاني في السادس عشر من اذار الى يأس مطلق في الثامن عشر من نفس الشهر؟ هناك من يعزون ذلك الى المستجدات التي وقعت في السابع عشر من الشهر، حيث اجتمع وزيرا خارجية

ايران والعراق، واتفقا على اساليب تنفيذ الاتفاق. وقد اوضح الوزير العراقي لنظيره الايراني انه يتوجب على الاكراد ان يضعوا السلاح. وحينها اوضح الايرانيون للاكراد ذلك، وحذروهم بأنه اذا لم يفعلوا ذلك، فان جبهة ايرانية عراقية ستقوم ضدهم. وهناك من يقول ان الامريكيين ايضا بعثوا تحذيرا الى البرزاني بهذا الصدد.

وفي التاسع من اذار، رد البكر وصدام حسين على طلب الاكراد، من الحكومة العراقية الشروع معهم بمفاوضات لحل المشكلة برسالة جاء فيها: الى من يسمون انفسهم "المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردي: اننا عازمون على تطهير العراق من الخونة والفارين، الذين الحقوا بالعراق والشعب العراقي خسائر بشرية فادحة، يستحيل على التاريخ ان ينساها" والامل الوحيد الذي منح للاكراد هو ان الحكومة العراقية ستصدر في الاول من نيسان عفوا.

جرت الامور بسرعة فائقة، وصدرت الاوامر الى القوات الايرانية المتركزة في المناطق الكردية، والمؤلفة من كتيبتين مدفعية ونصف الكتيبة وبطاريات مضادة للطائرة، بالانسحاب الى الاراضي الايرانية بكامل اسلحتها ومعداتها. ولم يصدق الاكراد والاسرائيليون اعينهم، وهم يرون شركاءهم في الحرب يحزمون امتعتهم ويغادرون المنطقة. وفي غضون ثماني ساعات من توقيع الاتفاقية، سحبت ايران اثنين واربعين مدفعا ميدانيا وذخائر واغذية.

* *

وفي تقرير سري، قدمه اسحق رأبين قال: كان كيسنجر في اسرائيل انذاك، وقد جلست معه مطولا، فقال لي: انه تلقى اعلانا رسميا عن الاتفاقية في الثامن من آذار.

* *

ومن الجدير بالذكر، ان عددا من الجهات ربطت بين الاتفاق العراقي الايراني، وبين الاتفاق المصري الاسرائيلي.

وبدأت قصة هذه العلاقة بين الاتفاقين في الصعوبات التي برزت امام وزير الخارجية الامريكي كيسنجر خلال جولاته المكوكية في الشرق الاوسط بين مصر واسرائيل كي ينجز ما اسماه (اتفاق سيناء الثاني) وقد اشارت احدى الجهات ابان هذه الجولات، الى المعارضة السورية، الامر الذي جعل كيسنجر يفكر في امكانية اشغال سورية بمسألة اخرى، كالعراق مثلا، والذي يعتبر اشد اعداء

السوريين اللدودين، والذي وضع عداءه لسورية جانبا في تلك الاونة، نظرا لمواجهته جبهتين هما الجبهة الايرانية والكردية.

ولربما فكر كيسنجر في ان توصل العراق وايران الى تسوية، حول الخلافات القائمة بينهما. قد يؤدي الى نفض الرماد عن المشاكل السياسية القائمة بين سورية والعراق. وصديق كيسنجر الحميم الرئيس المصري انور السادات، كان يدرك تماما، كيف يمكن احراز هذه التسوية. خصوصا وانه كان يعمل كوسيط بين ايران والعراق.

ويذكر، ان سورية نعتت العراق في اعقاب انجاز الاتفاق الايراني العراقي، بأقذع النعوت، ووصفه الاسد، بأنه مؤامرة سرية مع الامبريالية. تتمثل في تسليم اراض عربية -عربستان- الى ايد اجنبية وخيانة للثورة وتجددت النزاعات السورية العراقية بصورة شديدة جدا. وفي ايلول ١٩٧٥ تم توقيع الاتفاق الاسرائيلي المصري (سيناء الثاني).

****

اعلم الايرانيون الاسرائيليين انهم عرضوا امام الاكراد عدة بدائل: وقف الحرب او البقاء على الاراضي العراقية والتوصل مع حكومة العراق الى اتفاق ما حول وضعهم، نقل ثلاثين الف مقاتل كردي الى الجانب الايراني، ويعتقد رئيس الموساد الاسرائيلي، ان خيار الايرانيين الاخير يرمي الى تشكيل تهديد دائم على العراقيين لضمان تطبيق الاتفاقيات.

وفي العشرين من اذار، سجل وزير البلاط الايراني علام في يومياته قائلا: الاكراد يطالبون بفسحة اكبر من الوقت لاتاحة الفرصة لعائلاتهم لاجتياز الحدود الايرانية، فالبرزاني يخشى على مصير العائلات الكردية. وقد اصر الشاه على ان لا يمس العراقيون بعائلات المقاتلين الاكراد واطفالهم. ومن الجائز ان يفي العراقيون بهذا المطلب، بيد انه من الصعب اقناع الاكراد بأن العراقيين سيفون به. وقد اقترح الشاه ان يتم وضع العائلات تحت حماية الصليب الاحمر، ووعد بترتيب هذا الوضع لانه لم ير ان هناك اي خيار اخر اذا اراد الاكراد احترام الاتفاق الايراني العراقي.

ويضيف سفيرنا في الاردن، جاء في الحادي والعشرين من اذار الى طهران حاملا رسالة من الملك الحسين تضم قائمة باسماء وطنيين اكراد يدبرون مؤامرة ضد الشاه.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

كان على البرزاني ان يختار واحدا من ثلاثة خيارات احلاها شديد المرارة: فاما ان يواصل القتال وظهره الى الجدار، او ان يستسلم لبغداد، او ان يذهب كلاجيء الى ايران. وقد اختار الخيار الاخير. وقد قام الاكراد الذين ساروا خلفه باضرام النيران في منازلهم قبل مغادرتها في حين اقدم البعض الاخر على الانتحار وقام بعض ثالث بقتل قادته الذين ابلغوه ان نضاله قد وصل الى خط النهاية. في حين اعلن عشرة الاف شخص من عزمهم مواصلة القتال حتى الموت.

الفصل التاسع والعشرون

رؤية شعب يموت

اعلن العراقيون ان مائة وخمسة وثلاثين الف كرديا عبروا الحدود الى ايران قبل اعلان الحكومة العراقية منح العفو العام للاكراد، وان تسعين الف كردي استسلموا للعراقيين خلال فترة العفو.

ويقول الدكتور محمود الذي اجتاز الحدود الى تركيا: لقد قتل خمسة الاف امرأة وطفل وكهل كردي ابان فرارهم من الجبال في شمالي العراق في ظل احوال جوية وصلت درجة البرودة فيها الى ما تحت الصفر. وان هناك الاف اللاجئين لا زالوا يعيشون هنا وهناك بالقرب من الحدود التركية والايرانية، بانتظار قبول اية دولة من الدولتين لهما، لكن الدولتين اغلقتا حدودهما في وجوههم.

****

سيطر الجيش العراقي بسرعة وبدون ادنى مقاومة على مناطق الشمال، بما فيها المعابر الجبلية الواقعة بين العراق وايران، وعبر ضباط عراقيون بموافقة ايران الحدود من كردستان العراقية الى الاراضي الايرانية للتأكد من ان الحدود مغلقة حقا. وفي الثالث من نيسان ١٩٧٥ عادوا عبر طريق الحاج عمران اي في نفس الطريق الي كانت المؤن والذخائر تعبره من ايران الى كردستان.

وفي معرض تعقيبه قال الرئيس البكر: انه حدث تاريخي كبير، لقد صفيت حركة التمرد الرجعية الخطرة، التي كانت قائمة في اجزاء من الشمال العراقي، تصفية نهائية.

وفي المقابلة التي اجراها مراسلا وكالتي الانباء "يو بي آبي" ورويتر مع البرزاني قال: لقد انتهت المعارك، وها نحن وحدنا بدون اصدقاء، وبشائر الزمن الاسود تطل برؤوسها وتخيم علينا. ان خطر القتل يهدد نصف مليون من ابناء شعبي، الا اذا تمكنوا من الفرار الى ايران قبل ان يقتلوا.

واضاف.. لقد غادر جنودنا الميدان دون ان يهزموا، لقد هزمنا في الساحة السياسية وانه نفسه سيذهب الى دولة اجنبية، ربما الولايات المتحدة. وناشد المقاتلين بالفرار كي لا يقعوا فريسة في ايدي الجيش العراقي الذي بدأ يتحرك بسرعة شمالا، والحدود بدأت تغلق في وجوههم.

وعاد البرزاني لتوجيه اصبع الاتهام الى الولايات المتحدة وايران، وقال: لقد وعدونا بتقديم مساعدات غير رسمية لنا، واكدوا انهم لن يتخلوا عنا حين الازمة، اما ايران، فقد باعت القضية الكردية خلال اتفاقها مع العراق. وكما يبدو فان للدولتين مصلحة خاصة بذلك. والاتفاق بينهما كان على حسابنا.

ويقول اطباء وموظفون من وكالة الغوث الذين قاموا بزيارة القرى الكردية: ان هناك مجاعة في تلك القرى، والعديد من الاطفال ماتوا، وسيموت الالاف الاخرون في غضون الايام الخمسة عشر القادمة بسبب قلة الطعام. وشاهدوا الالاف من اللاجئين الاكراد في طريقهم الى الحدود الايرانية، والمئات من مقاتلي البرزاني وهم يسلمون اسلحتهم على النقاط الحدودية قبل العبور الى الاراضي الايرانية.

لقد رفضت الحكومة التركية السماح للاجئين باجتياز حدودها، بدعوى ان العراق اعلن العفو العام من جانب والحدود الايرانية مفتوحة في وجوه المهاجرين من الجانب الاخر، بيد ان الحقيقة، هي ان الاتراك كانوا يخشون من الصلة التي قد تنشأ بين الاكراد الجبليين القادمين اليها، وبين اكراد تركيا والخوف من ان لا تأتي هذه الصلة لمصلحة الاكراد.

ويفيد تقرير (بيك) ان اكثر من مائتي الف لاجيء كردي اجتازوا الحدود الايرانية، وعندما تجمعوا في معسكرات، لم تقدم الولايات المتحدة وايران لهم مساعدات كافية، ثم قامت ايران باعادة اربعين الف منهم بالقوة الى العراق.

ورفضت الولايات المتحدة السماح لاي شخص منهم دخول اراضيها كلاجيء او لاجيء سياسي رغم ان الشروط التي يتمتعون بها تجعلهم اهلا لذلك.

الفصل الثلاثون

موت اسطورة

اجتاز البرزاني واتباعه في الثامن والعشرين من اذار ١٩٧٥، الحدود الايرانية، وتم اسكانهم في مزرعة معزولة في (نجاده) الواقعة على بعد ثمانين كيلومترا جنوبي (ريزايه) تحت الرقابة الصارمة للسافاك.

ويقول الصحفي جون كرافت، الذي زار البرزاني في المزرعة: المكان لاشك مريح، ويوجد فيه بركة سباحة، وجهاز تليفزيون، وبيانو واوعية مليئة باللوز والفستق والبرتقال والتفاح.

وجاء في تقريره ايضا، والذي نشرته جريدة دافار الاسرائيلية، في الخامس والعشرين من نيسان ١٩٧٥: ان البرزاني موجود تحت الحراسة الايرانية المشددة جدا وقد تم استبدال ملابسه الكردية التقليدية بحلة رخيصة ذات لون بني، وواسعة جدا عليه، وقد القى في البداية المسؤولية على السياسة العالمية، ثم عاد وقلص هذه المسؤولية وحصرها في الاتحاد السوفييتي الذي منح العراقيين طائرات ودبابات واسلحة وتدريب.

واعترف البرزاني، ان الايرانيين تحملوا في غضون سنوات القتال الاخيرة عبئا يفوق طاقتهم، ولو اننا واصلنا القتال لفقدنا نساءنا واولادنا ولما قادنا القتال الى نتائج تذكر، سوى مقتل الالاف.

وفي معرض رده على سؤال عما اذا كان التمرد الكردي قد انتهى الى الابد؟ قال: لا اعرف من الجائز ان يحيا الشعب الكردي من جديد، لقد غادرت المنطقة، ولا اعتقد انني سأعود اليها بعد ذلك ابدا.

❊ ❊

وهكذا وفي الثانية والسبعين من العمر ادرك البرزاني ان رواية حياته انتهت، وقد جرت ثلاث محاولات لاغتياله ابان تواجده في طهران، بيد انها باءت بالفشل لكنه لم يعد يحمل اي امل في العودة الى كردستان والقيام برحلاته الطويلة على رؤوس الجبال الثلجية، لقد انتهت القصة دون ان يحدد من الذي سيباشرها من جديد.

وفي معرض تعقيب الدكتور كريم على الاسباب التي حالت دون تحديد البرزاني وريثا لاستمرار النضال، قال: لقد اراد البرزاني ان يحقق انجازا لشعبه،

شريطة ان يكون هو صاحب هذا الانجاز، لقد كان انانيا حتى تجاه اولاده، واعتقد انه الوحيد القادر على تحقيق هذا الانجاز، واراد ان ينسبه لنفسه. ولهذا السبب جلس خانعا امام الشاه في الحادي عشر من اذار ١٩٧٥، ولو انه كان اصغر من سنه، لاعلمه انه سيواصل القتال. انه لم يكن يتصور ان تمسك اية جهة اخرى غيره، بعصا القيادة التي امسك بها هو كل، تلك السنوات الطويلة.

وبدأ البرزاني يشعر بالام في صدره من الناحية اليمنى، واثبتت الفحوص انه مصاب بسرطان الرئة. ونصحه الدكتور كريم بعرض نفسه على طبيب ايراني وعمل صور أشعه، لكن البرزاني رفض ذلك مفضلا الذهاب الى الولايات المتحدة للمعالجة هناك، على امل ان يتمكن من عرض قضية الاكراد على كيسنجر، لكن الشاه، وكيسنجر ايضا لم يكونا يرغبان في فضح السر الخفي، واعلان القصة برمتها، واشاعة قضية المساعدات الامريكية للاكراد، ثم التخلي عنهم بهذه الصورة.

وخلال المشاورات التي جرت بين الشاه وكيسنجر، اتخذ قرار بنقل الشاه الى الولايات المتحدة، مع منعه من اجراء اية مقابلات مع شخصيات سياسية وصحفيين وتعاون السافاك مع وكالة المخابرات الامريكية في تمويل تذاكر السفر والاقامة والعلاج. وفي الثلاثين من حزيران ١٩٧٥ هبطت طائرة البرزاني في مطار كندي في نيويورك حيث كان بانتظاره شخصان بلباس عادي يبدو كلباس رجال الاعمال العاديين، وتم وضعه مع مرافقيه الثلاثة في سيارتين شقتا طريقهما خارج المطار.

قضى البرزاني ومرافقوه ليلتهم في فندق في نيويورك، وفي صبيحة اليوم التالي اقلعت بهم الطائرة الى ولاية (مينسوتا) لعيادة (مايو بروتشستر). وهناك تلقى البرزاني العلاج اللازم بالمواد الكيميائية، مما ادى لسقوط شعر رأسه.

وفي اعقاب انتهاء العلاج، اخذه رجال وكالة المخابرات الامريكية واشنطن، ورافقوه في جولاته في المدينة هو وحاشيته دون ان يسمحوا له بالاجتماع مع اية شخصية امريكية، او الالتقاء بالصحفيين ثم اصر مسئولو الوكالة على ضرورة عودته الى ايران. لكن البرزاني اعلن انه لن يعود الى ايران لانه لن يتلقى علاجا جيدا هناك، وانه يفضل السفر الى سويسرا او السويد لضمان تلقيه علاجا جيدا. بيد ان الرد الذي تلقاه دائما كان: الشاه يريدك في ايران.

خشي البرزاني من ان يؤدي مواصلته الرفض الى الاساءة لاسرته ومؤيديه

في ايران، لذا، طالب بالسماح له على الاقل بالاجتماع بكيسنجر، معتقدا انه سيتمكن خلال لقائه به، من ايجاد حل للمشكلة الكردية. ووجد كيسنجر انه لا يستطيع تجاهل الزعيم الكردي نهائيا، لذا طلب من جوزيف سيسكو نائب وزير الخارجية لشئون اللاجئين الاجتماع به، وقال له: اصغ الى البرزاني، ودعه يفرغ كل كبته، وليس اكثر من ذلك.

لم يكن سيسكو على علم بمسألة المساعدات المقدمة للاكراد، والتي تم قطعها، وقد وصل الى المنزل الذي يحل فيه البرزاني تحت جنح الظلام، وقام البرزاني بالقاء خطاب مليء بالالم على مسامعه، واسهب بحضور ابنه مسعود والقزاز في تفاصيل العلاقة الكردية الامريكية، واوضح انه لم يثق بالشاه في اي يوم من الايام، وانه كان واثقا من ان الامريكيين لن يتخلوا عنه ابدا، والا لما شن الحرب على العراق. وقد رد سيسكو الذي لم يكن على علم بأي من الامور التي طرحت امامه بالقول: ان المساعدت قدمت الى الاكراد بطلب من الشاه، واوقفت ايضا بطلب من الشاه. ونظرا لانه كان مقيدا بتعليمات كيسنجر فلم يسمح لنفسه بمنح البرزاني اي قبس من الامل.

انتهت زيارة البرزاني للولايات المتحدة في نهاية تشرين الاول ١٩٧٥. وفي طريق عودته زودته وكالة المخابرات الامريكية بأدوية تكفيه لمدة ستة اشهر. وكان الطبيب قد قال للقزاز ان السرطان الذي اصيب به البرزاني استشرى في الجزء العلوي من جسده، وانه سيعيش فترة تتراوح بين ثمانية اشهر وسنة. ورغم ذلك عاش البرزاني ثلاث سنوات ونصف السنة بعد ذلك.

* *

عاش البرزاني في طهران معزولا، بعيدا عن رجاله، الذين عاد الكثير منهم او اجبروا على العودة الى العراق، اما الذين بقوا فقد تم وضع غالبيتهم في معسكرات محروسة جيدا، ودون عمل حيث يتم تزويدهم بوجبات محدودة من الطعام، وتهديدهم بصورة دائمة بالعودة الى العراق او التفرق في مناطق ايرانية نائية. لقد كانوا في الماضي يسيرون باعين مغمضة خلف البرزاني، اما الان فقد اصبحوا يحتقرونه، ويتهمونه بالتسبب في الكارثة التي لحقت بهم.

بقي البرزاني، يطالب عبر القزاز واخرين بالعودة الى الولايات المتحدة كي يخرج من السجن الذي وجد نفسه فيه وهدد بالاتصال بوسائل الاعلام ورواية قصته مع الامريكيين.

وبعد فترة وجيزة قال الشاه ان طهران ستسمح له بمغادرتها، وسيمنح جواز سفر ايرانيا للتوجه الى الولايات المتحدة، شريطة ان يكون علاجه وبقاؤه هذه المرة على حسابه الخاص، وان يتعهد بعدم الالتقاء بوسائل الاعلام، او الادلاء بأية تصريحات كانت. وفي حزيران ١٩٧٦ هبط مرة اخرى في مطار كندي. وقام السافاك باستئجار مجموعة من الغرف لصالح البرزاني وحاشيته في فندق شيراتون في واشنطن. وبعد فترة حاولت وكالة المخابرات الامريكية اقناعه بالعودة الى ايران، بيد انه رفض ذلك رفضا مطلقا وفي نهاية اب ١٩٧٦ كفت وكالة المخابرات عن تقديم اي دعم له.

وفي نهاية عام ١٩٧٨، بدأ السرطان ينتشر بصورة سريعة جدا في جسد البرزاني، وتضخمت يده اليمنى بصورة مخيفة، وعندما ادرك ان الاطباء لم يعودوا قادرين على عمل اي شيء له طلب ان يعيدوه الى ارض الوطن كي يموت هناك ولو حتى في كردستان الايرانية. بيد ان اي شركة طيران لم تقبل بنقله على متنها اذا لم تحصل من الطبيب المعالج على تقرير يفيد انه سيصل خلال الرحلة بسلام.

وفي مطلع اذار ١٩٧٩ تحسن وضع البرزاني الى حد ما، واصبح قادرا بمساعدة حفيده فرهود الذي بقي ملازما له على النهوض من سريره والجلوس في المقعد المتحرك.

وفي الثالث من اذار ١٩٧٩، وبينما كان فرهود يحاول نقله من السرير الى المقعد، توفي البرزاني وهو بكامل حواسه.

وفي الخامس من اذار نقل نعشه في طائرة بوينج ايرانية الى طهران ومعه ابنه وحفيده وبعض اعضاء حاشيته الذين صاحبوه ولم يتخلوا عنه. وهناك تم نقله الى قرية اشنوبيه الحدودية، وهناك جاء حوالي نصف مليون كردي للوداع الاخير.

ومن الجدير بالذكر ان قرية اشنوبيه لم تكن مثواه الاخير، ففي عام ١٩٩٣ تمكنت عائلته من الحصول على تصريح عراقي وايراني لنقله الى (برزان) مسقط رأسه ودفنه هناك.

****

وفي السادس عشر من كانون الثاني ١٩٧٩ اطيح بالشاه محمد رضا بهلوي عن عرشه، وخرج مهاجرا الى مصر، وفي الثاني والعشرين من تموز ١٩٨٠ مات الشاه هو ايضا بالسرطان في احد المستشفيات العسكرية في جنوب القاهرة وهكذا شاءت الاقدار ان يموت الاثنان بنفس المرض، وايضا في المهجر وان يبقى

الشاه مدفونا في ارض غير ارض وطنه.



١٩٦٥ : ديفيد قمحي من اليسار في كردستان



١٩٦٦ : البرزاني و(م) رئيس وفد الموساد في كردستان



تسوري ساجبي والبرزاني عام ١٩٦٦

الفصل الحادي والثلاثون

روايتنا لم تنته

لقد بذلت اسرائيل اقصى ما في وسعها من اجل مساعدة الاكراد، واضافة الى المستشارين والمدربين، والتدريبات التي عقدتها على اراضيها للجنود الاكراد، والمساعدة على الصعيد الدولي، وبناء مستشفى ميدان بجميع اجهزته واطبائه، فقد قدمت اسرائيل للاكراد كما هائلا جدا من المواد الحربية والذخائر لمساعدتهم في تمردهم لمواجهة الجيش العراقي.

وفي غضون العام الاخير للقتال ارسلت اليهم ثلاثين مدفعا، واربعا وثلاثين راجمة، ومدفع مضاد للطائرات وصواريخ كتف من طراز ستريلا ومائتين وستين قاذف بازوكا ومدافع من عيار ٨٧ملم. ومائة وسبعين صاروخا من طراز (ساجر)، وثمانمائة وخمسين الف عيار ناري للاسلحة الخفيفة وخمسة وسبعين الف قنبلة مدفعية. واثنتان وثلاثين الف قنبلة راجمة وثلاثة عشر الف قنبلة مضادة للدبابات وقنابل يدوية والغاما، ولا شك ان هذه الكميات الهائلة من الاسلحة كلفت مبالغ مالية طائلة، رغم ان قسما منها كان من غنائم حربي ١٩٧٦، ١٩٧٣.

وفي الثالث عشر من اذار ١٩٧٥ عقد اسحق رابين رئيس الحكومة اجتماعا في مكتبه بمشاركة وزير الدفاع شمعون بيرس ورئيس الاركان مردخاي غور ورئيس شعبة الاركان اللواء هرتسل شبير ورئيس شعبة الاستخبارات اللواء شلومو جازيت وقائد سلاح الجو اللواء بنيامين بيلد، ومستشار رئيس الحكومة رحبعام زئيفي واللواء احتياط يهوشفاط هركابي مساعد وزير الدفاع للسياسات الاستراتيجية، والرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية.

وخلال الاجتماع حاول رابين ان يعرف فيما اذا كانت هناك اية امكانية لاحياء التمرد الكردي، بيد ان جميع من كانت لديهم علاقة بالامر اكدوا له عقم المحاولة. فالطريقان الوحيدان لتقديم المساعدات للاكراد هما ايران وتركيا، وهذان الطريقان باتا مغلقين تماما.

وفي نهاية الجلسة قال رابين.. حسنا ما العمل؟

ليس امامنا سوى ان نتوقف عند هذا الحد.

وفي العشرين من اذار ١٩٧٥ صاغ يهوشفاط هركابي وثيقة تحت عنوان

عبر مستقاه من قضية الاكراد، وقد تم تسليم هذه الوثيقة الى وزير الدفاع شمعون بيرس، وجاء فيها:

١- ان هذه القضية تدل على تدني مكانة الاقليات الوطنية في الشرق الاسط كعامل سياسي يمكن لاسرائيل استخدامه كثقل مواز للقومية العربية.

٢- ان تطور المعدات الحربية والتكنولوجية يتيح الفرصة للاقليات، والجماعات الارهابية لالحاق اضرار جسيمة بالتجمعات التي تفوقهم اضعافا مضاعفة. وفي نفس الوقت فان تطور هذه الاسلحة يسمح للجيوش النظامية بتوجيه ضربات جماعية مؤلمة للغاية للاقليات الاقليمية على اراضيها.

٣- بالامكان الشروع بتقديم المساعدة الى الاقليات الثائرة بكميات صغيرة، بيد ان الميزات التي تتمتع بها الجيوش النظامية والحكومات، تحتم ان يتم زيادة هذه المساعدات. لقد ازدادت المطالب العسكرية الكردية الاخيرة الى الدرجة التي القت ظلا من الشكوك على الجدوى الناجمة عن نضالهم للجهات التي تقدم لهم المساعدات.

٤- ستكون هناك اتجاهات لدعم الاقليات، اذا كانت تستخدم المساعدات المقدمة اليها بصورة مجدية وفعالة. وقد وجهت العديد من الانتقادات للاكراد على سلبيتهم، وعدم استغلالهم الفرص السانحة للقتال.

٥- ان اظهار الجهة التي تطلب المساعدة وكأنها على وشك الانهيار، وضعيفة، يجعل الجهات التي تقدم المساعدة تحد من مساعدتها، لانها ستعتقد ان مساعداتها تقدم دون جدوى، او انها في حاجة لتقديم مساعدات هائلة جدا كي تتمكن الاقلية التي تساعدها من الصمود.

* *

الدولة الكردية لم تقم، ومنذ انهيار التمرد والعراقيون يواصلون تصفية الشعب الكردي حتى باستخدام الاسلحة الكيميائية. لقد رفع النير عن عنق الاكراد في الثاني من تموز ١٩٩٠، عندما قام صدام حسين بمهاجمة الكويت واحتلالها، وتم تشكيل ائتلاف امريكي اوروبي عربي لطرده من هناك، ثم عمد هذا الائتلاف الى بناء منطقة كردية على قسم كبير جدا من اراضي كردستان العراقية، تحميها الطائرات الامريكية.

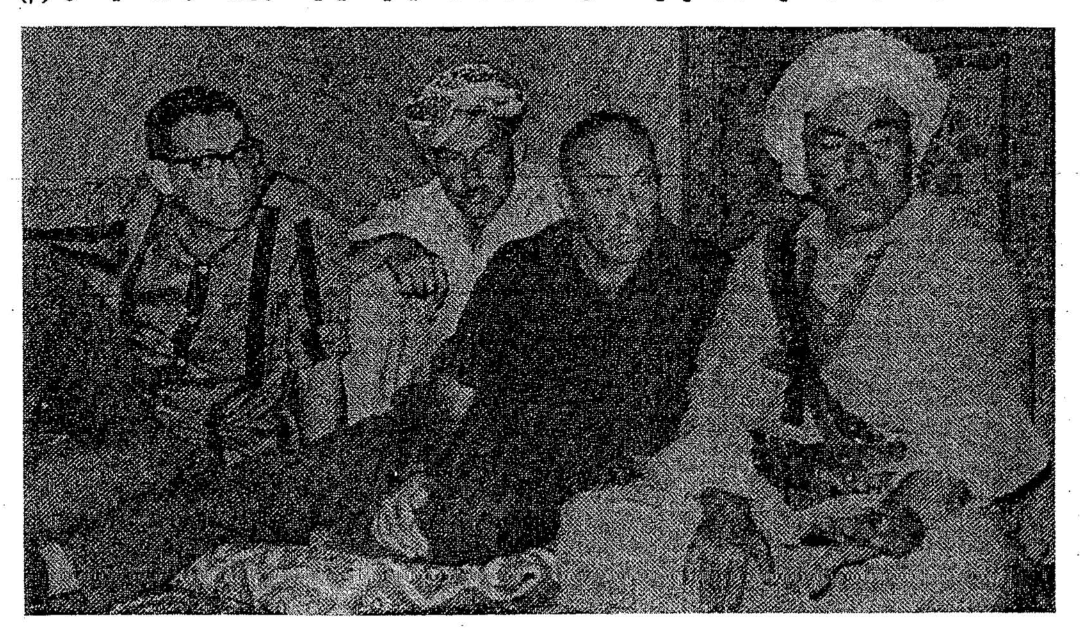
ويسيطر جلال الطالباني على قسم من تلك المنطقة، بينما يسيطر مسعود البرزاني على القسم الاخر والزعيمان يتقاتلان بمنتهى الوحشية مستعينين تارة

بالايرانيين، وتارة بالعراقيين، هذا رغم انهما يدركان تماما، ان صدام حسين يعد لهما معا ولجميع الاكراد نفس النهاية التي توعدهم بها في عهد البرزاني الراحل.

تم بحمد الله



١٩٦٦ : مائير عميت يلتقي البرزاني في الحاج عمران ومن اليمين ديفيد كرون ، ومن اليسار (م)



١٩٦٦ : من اليسار اللواء رحبعام زئيفي و(م) وعميت والبرزاني

☞ الكتب الصادرة عن دار الجليل ☜

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليهااسرائيل		غازي السعدي
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	عبد الرحمن ابو عرفة	
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية ـ الأسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة .	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار ـ وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
١١-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال ـ زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

١٧-	المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية - الأمريكية الايرانية في عهد الشاه	الصحفي د. ونيل سيجف	غازي السعدي
١٨-	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرابين	غازي السعدي
١٩-	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠-	مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١-	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢-	غوش ايمونيم - الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣-	عش العصفور - قصة للأطفال	منير الهور	
٢٤-	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د . احمد صدقي الدجاني	
٢٥-	أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك	الدكتور احمد العلمي	
٢٦-	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧-	الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني	حسن اسماعيل مشعل	
٢٨-	خارطة فلسطين - وهي خارطة تمثل سهول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملونة)		
٢٩-	بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠-	بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١-	الاردن وفلسطين - وجهة نظر عربية	د . سعيد التل	
٣٢-	الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د . فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣-	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة	
٣٤-	الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥-	الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس اينبرغ، ايلي لانداو اوري دان	
٣٦-	التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب	نبيه الجزائري
٣٧-	بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د . كامل قعبر	
٣٨-	بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د . كامل قعبر	
٣٩-	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠-	في سرية الصحراء	سميح القاسم	

٤١- الخيار النووي الاسرائيلي — شاي فيلدمان — غازي السعدي

٤٢- انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة — سليم ابو غوش
شهادات مشفوعة بالقسم

٤٣- نقاط فوق الحروف
مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد خالد الحسن وبريجنيف

٤٤- قراءة سياسية في مبادرة ريغان — خالد الحسن

٤٥- فلسطينيات — خالد الحسن

٤٦- الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك — خالد الحسن

٤٧- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) يعقوب الياب — غازي السعدي
جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨

٤٨- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) — غازي السعدي
مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣

٤٩- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) د. حمدان بدر
دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل

٥٠- ملصق يوم الأرض — سليمان منصور

٥١- ملصق جمل المحامل — سليمان منصور

٥٢- ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس

٥٣- فلسطين تاريخا ونضالا — نجيب الأحمد

٥٤- فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي طيور المحامي وليد الفاهوم
نفي ترتسا

٥٥- المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء بشير البرغوثي
اسرائيل عسكر وسلاح (١)

٥٦- اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر القانون الدولي — محمد الرفاعي

٥٧- الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلامية — فتحي فوراني

٥٨- فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة موسى عبدالسلام هديب

٥٩- خط الدفاع في الضفة الغربية — أريه شليف — غازي السعدي
وجهة نظر إسرائيلية

٦٠- تشريقة بني مازن — د. عبداللطيف عقل

٦١- القمع والتنكيل في سجن الفارعة — لجنة الحقوقيين الدوليين القانون من أجل الانسان

٦٢- صورة العربي في الأدب اليهودي (١) — الدكتورة ريزا دومب — عاطف عطاري

٦٣- الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث غانم مزعل
١٩٤٨- ١٩٨٥

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٦٤-	فلسطين أرض وتاريخ	د . محمد النحال	
٦٥-	القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها	فايز فهد جابر	
٦٦-	القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع الراهن	د . جابر الراوي	
٦٧-	شوكة في عيونكم	مئير كهانا	غازي السعدي
٦٨-	حرب الاستنزاف	د . محمد حمزة	
٦٩-	القرار - ألفان وإثنا عشر يوما في سجون الاحتلال	رشاد أحمد الصغير	
٧٠-	المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة	بشير شريف البرغوثي	
٧١-	أزمة الاستخبارات الاسرائيلية	تسفي لنير	قسم الدراسات
٧٢-	اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)		
٧٣-	دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب في الفترة ١٨٧٨- ١٩٤٨	أريه . ل . افنيري	بشير البرغوثي
٧٤-	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجماعية		
٧٥-	سميح القاسم - قصائد - شخص غير مرغوب فيه		
٧٦-	القضية الفلسطينية	أكرم زعيتر	
٧٧-	فلسطين الأم وابنها البار - عبدالقادر الحسيني	عيسى خليل محسن	
٧٨-	عرب التركمان - أبناء مرج ابن عامر	علياء الخطيب	
٧٩-	المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي	ميسون العطاونة الوحيدي	
٨٠-	نادية برادلي - الفدائية المغربية الشقراء		غسان كمال
٨١-	الاعلام الاسرائيلي	غازي السعدي ومنير الهور	
٨٢-	تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨) للمجلس الوطني الفلسطيني	قسم الدراسات والأبحاث	
٨٣-	الوجه الحقيقي للموساد	د . وجيه الحاج سالم وانور خلف	
٨٤-	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة		بدر عقيلي
٨٥-	شخصيات صهيونية (١)	مذكرات الجنرال رفائيل ايتان	غازي السعدي
٨٦-	شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق	شلومو هيلل	غازي السعدي
٨٧-	شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل عراب الحركة الصهيونية	قسم الدراسات	
٨٨-	شخصيات صهيونية (٤) شــارون بلدوزر الارهاب الصهيوني		غازي السعدي
٨٩-	شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية		عبدالكريم النقيب
٩٠-	شخصيات صهيونية (٦) موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد		غازي السعدي

٩١- شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢- شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣- شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤- شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي الى عهد شامير	ليني بريتر	دار الجليل
٩٥- شخصيات صهيونية ١١/١ مذكرات اسحق رابين - القسم الأول		دار الجليل
٩٦- شخصيات صهيونية ١١/٢ مذكرات اسحق رابين - القسم الثاني		دار الجليل
٩٧- شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان		دار الجليل
٩٨- ششخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير		دار الجليل
٩٩- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
١٠٠- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
١٠١- الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
١٠٢- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زتيف شيف	دار الجليل
١٠٣- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٤- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل
١٠٥- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشاة	نتان روعي	دار الجليل
١٠٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٧- دراسات في تعليم الكبار	د . عدنان أبو عمشة	
١٠٨- وجه قبيح في المرآة	بروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٩- تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١١٠- الاعلام الفلسطيني	د . حسين أبو شنب	

١١١- النزاع العربي ـ الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١١٢- تحت السياط	فاضل يونس	
١١٣- الغضب	اكرم النجار	
١١٤- جلسات في رغدان	د . يوسف هيكل	
١١٥- منجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرئيل	بدر عقيلي
١١٦- اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٧- تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د . عبدالقادر يوسف	
١١٨- صرخة في وجه العالم (اليوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٩- الاستخبارات والأمن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١٢٠- الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١٢١- ربيع الحياة	د . يوسف هيكل	
١٢٢- قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١٢٣- اشتعالات حمدان ـ مجموعة قصصية	اكرم النجار	
١٢٤- الحافلة رقم ٣٠٠ و(فضيحة الشين بيت)		احمد بركات
١٢٥- آه يابلدي ـ رواية	اكرم النجار	
١٢٦- معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٧- من القمع الى السلطة الثورية	قدري أبو بكر	
١٢٨- أيام الصبا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د . يوسف هيكل	
١٢٩- معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	
١٣٠- صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل		بدر عقيلي
١٣١- قمع شعب شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		بشير شريف البرغوثي
١٣٢- جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة ـ رواية	اكرم النجار	
١٣٣- اسلحة وإرهاب وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث		دار الجليل
١٣٤- حدود (أرض اسرائيل)	موشيه رافر	بدر عقيلي
١٣٥- هذه قضيتك ياولدي	سليم عبدالعال القزق	
١٣٦- حرب سيناء ١٩٥٦ ـ تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٧- المثلث الايراني ـ الكتاب الثاني ـ دراما العلاقات الايرانية ـ الاسرائيلية ـ الامريكية	شموئيل سيجف	دار الجليل
١٣٨- الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	

الرقم	العنوان	المؤلف	الناشر
١٣٩-	النظرية العسكرية الاسرائيلية - دفاع وهجوم	اريئيل لفيتا	دار الجليل
١٤٠-	الأمن القومي العربي ونظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة	
١٤١-	سياسة اسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين	بدر عقيلي
١٤٢-	دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة	
١٤٣-	الهجرة اليهودية حقائق وارقام	د . عمران ابو صبيح	
١٤٤-	انتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل
١٤٥-	جواسيس المخابرات الاسرائيلية تاريخ .. وجغرافيا	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل
١٤٦-	' دولة ' اسرائيل - زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل
١٤٧-	الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر	
١٤٨-	بقايا من خبز وكتاب	اكرم النجار	
١٤٩-	اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي	
١٥٠-	المثلث المحتوم الولايات المتحدة - اسرائيل والفلسطينيون	احمد عزالدين بركات	
١٥١-	الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا	بروفيسور أليشع إيفرات	دار الجليل
١٥٢-	حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد ابو صالح ورشاد المدني	
١٥٣-	انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح	
١٥٤-	موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١) القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة	
١٥٥-	انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد	احمد بركات العجرمي
١٥٦-	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع	حشافيا أرييه	دار الجليل
١٥٧-	بولارد قصة جاسوس	برنارد ر . هندرسون	دار الجليل
١٥٨-	أبو عجاج العينبوسي الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن	
١٥٩-	قناع القناع	محمد نورالدين شحادة	
١٦٠-	الأسلحة الكيماوية والبيولوجية - وتأثيراتها البيئية -	د . عادل احمد جرار	
١٦١-	دولة مجدو	عبدالله عواد	
١٦٢-	الشّبح	عبدالله عواد	
١٦٣-	طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين - وثيقة اسرائيلية -	بني موريس	دار الجليل
١٦٤-	الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل	ابراهيم عبدالكريم	
١٦٥-	دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)	د . عمران ابو صبيح	

١٦٦- حرب في الخليج (ابعاد على اسرائيل)	تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه	بدر عقيلي
١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان	
١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل	يوسف أرجمان	دار الجليل
١٦٩- الادب العربي في جزر البليار	د. عبدالرزاق حسين	
١٧٠- الشرق الاوسط الجديد	شمعون بيرس	دار الجليل
١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي	
١٧٢- اسلحة الدمار الشامل	وليام بوروس وروبرت ويندرم	دار الجليل
١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم وبدون معلم	بدر عقيلي	
١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي	امين ابو عيسى	دار الجليل
١٧٥- مكان تحت الشمس	بنيامين نتنياهو	محمد عودة الدويري
١٧٦- احاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش	سلمان الناطور
١٧٧- فلسطين بلا هوية	صلاح خلف	دار الجليل
١٧٨- الحوار الفلسطيني - الامريكي	د. محمد ربيع	دار الجليل
١٧٩- دوائر القمر	عبد الرزاق حسين	دار الجليل
١٨٠- قرية جمزو	يوسف النجار	دار الجليل
١٨١- الانقلاب السياسي في اسرائيل الاسرار والخفايا	اورلي ازولاي	بدر عقيلي
١٨٢- مشكلة الاراضي في النزاع القومي بين اليهود والعرب منذ وعد بلفور	جاك كنو	محمد عودة الدويري
١٨٣- الموساد في العراق انهيار الامال الاسرائيلية والكردية	شلومو نكديمون	بدر عقيلي

الفهـــرس



طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ هاتف ٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦ ماركا الشمالية / عمان ـ الأردن